فلسفة روحانية

ألن كاردك

كتاب الأرواح

ترجمة: جورج حداد

مراجعة: حسن عودة

مكتبة
مؤمن قريش

التنوير

فلسفة روحانية

كتاب الأرواح

يحوي مبادئ تعاليم الأرواح

☒ لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومسبقاً.

ألن كاردك

فلسفة روحانية

كتاب الأرواح

يحوي مبادئ تعاليم الأرواح

فيما يخصّ بقاء النفس بعد الموت وطبيعة الأرواح
وعلاقاتهم بالبشر، والسُنن الخُلُقية
والحياة الحاضرة والحياة القادمة
ومستقبل البشرية

وفقاً للتعاليم الصادرة من الأرواح السامية عن أيدي وسطاء عديدين

ترجمة : جورج حداد
مراجعة : حسن عودة

سيرة وجيزة عن حياة المؤلف
«ألن كاردك»

ولد ليون دنيزار هيبُوليت ريفَاي المعروف بـ«ألن كاردك» في مدينة ليون بفرنسا سنة 1804 من عائلة تخصصت في المحاماة. منذ حداثته انجذب للعلوم والفلسفة. درس المرحلتين الأولية والثانوية في فرنسا، وأتمّ باقي دراساته في سويسرا إلى جانب الأستاذ الشهير بستلوزي حتى أصبح مساعده البصير والمخلص. ثم حصل على شهادة «الأستذة» وشهادة دكتور في الطب. وبعد مضيّ سنوات قليلة استقرّ في باريس حيث فتح معهداً للتعليم. على أن المحن أجبرته على العمل المتواصل، وبما أنه كان من الذين لا يبالون بالتعب، فقد ألف منذ ذلك الوقت كتباً عديدة في النحو واللغة، نالت الاهتمام والثناء من الناقدين والدوائر الثقافية.

في سنة 1854 سمع ريفاي لأول مرة عن الموائد الدوّارة. وحين دعاه بعض أصدقائه لحضور الجلسات كي يشهد الظواهر بنفسه، لم يتردد، بل إنه حضر تلك الموائد وشرع حينئذ يهتمّ بالأمر بشغف.

على أنه تسلّم في يوم من الأيام إبلاغاً من روح يحميه يعلمه، إلى جانب أمور أخرى، بأنه عرفه في حياة سابقة في الغاليا القديمة (اسم فرنسا أيام الرومان)، وأنه كان يدعى «ألن كاردك» في ذلك الزمان العتيق، ووعده أنه سيساعده في عمل مهم جداً كُلّف به. هكذا التقط ريفاي المعلومات أثناء الجلسات وجمعها في كتاب سماه « كتاب الأرواح» وقّعه باسم ألن كاردك.

في سنة 1858 أنشأ جريدة باسم «المجلة الأرواحية» ما زالت تنشر حتى اليوم، وهي أهم الصحف الأرواحية في فرنسا. كانت المهمة شاقة للغاية، إذ برغم كل التهم والافتراءات التي تعرّض لها والحملات العديدة التي وُجّهت ضده للسخر به، واصل العمل ماضياً في الطريق إلى الأمام، واتصل بجميع الأرواحيين في العالم بأسره، وجمع كل الإشارات الصادرة عن الأرواح، ثم نشر بالتتابع «كتاب الوسطاء» و«الإنجيل وفقاً

للأرواحية» و«سفر التكوين» و«السماء والجحيم» والتي أصبحت الكتب الأساسية التي تشرح الأرواحية. على أنه أصيب بمرض خطير في القلب، بعد أن أضناه التعب الشديد من المجهود الجبّار الذي بذله، توفي يوم 31 مارس عام 1869 في سنّ 65 سنة. فلنعترف بجميل ذلك الرجل الذي تحدّى السخرية والهزء وضحّى بحياته في سبيل انتصار فكرة رائعة، إذ برهن أن الأموات يعيشون بعد دفنهم».

هذا الكتاب

أضاء «كتاب الأرواح» مرحلة حاسمة في الارتقاء البشري، مرحلة نضوج الإنسان عقلياً وروحياً. ورغم أن الثقافة العصرية قللت من قيمة الكتاب، بمقتضى المفترضات الدينية، فإنه يندمج تاريخياً في مساق تطورنا الثقافي.

وهذا الكتاب علامة حددت مسار التغيير في فهم الأشياء، إذ أنه يقيم بوضوح خطاً فاصلاً في مستواها المفهومي. قبل نشره، كان الماضي الأسطوري يغلب على المفهوم الروحي وعلى الرؤية الكونية الخرافية واللاهوتية. أما بعد ظهوره، فصار الحاضر والمستقبل معقولين ضمن هذا المفهوم، الذي أصبح جزءاً من التقدم الثقافي.

نشر الكتاب لأول مرة في باريس في يوم 18 أبريل سنة 1857، وظهرت الطبعة الثانية والنهائية، في ذات المدينة، في 16 مارس سنة 1860. بين هاتين الطبعتين، تطورت الحركة الأرواحية في فرنسا وفي العالم، وفي نفس المدة، ظهرت منظمات أرواحية عديدة، ومنشورات مخصصة تتناول تعاليم الأرواح في العالم كله، لقد بدأ العهد الأرواحي.

قسم التقدم العلمي العالم الثقافي إلى قسمين متعارضين. طرحت للمناقشة الثقافة الروحانية القديمة، واهتزت في أسسها، وتصدعت وحدة المعارف الموجودة. وأعلن أصحاب العقول المفكّرة سيطرة الفهم البشري على الفكر اللاهوتي. ونُفي الإيمان إلى مخازن الخرافات ونسب العقل لذاته سيادة الكون. فأقامت المادية مملكتها على البشر وحلت محل ملكوت الله. وحينذاك جاء «كتاب الأرواح» كمنهج ثالث يهدف إلى توحيد العالم الثقافي. وهكذا فإن إعادة النظر في الإيمان والتعمق فيه، اللذين قام بهما «ألن كاردك» أظهرا للعالم الثقافي خطأ معارضي الدين.

أعاد الكتاب وحدة المعارف على نحو وثيق بحيث يتوافق الإيمان مع العقل، ويبرز كلاهما الهيكل الثلاثي الأركان. الذي يكوّن المذهب الأرواحي، العلم والفلسفة والدين.

إن الأنتروبولوجيا الأرواحية (أي دراسة المميزات التي تصف الجماعات البشرية ثقافياً واجتماعياً) أقول إن الأنتروبولوجيا الأرواحية المؤسسة على الوساطة، تلقي الضوء على الارتقاء الثقافي ابتداء من الأديان الأولية التي تطورت عن علم الأساطير Mythologie الروحية كمسار طبيعي وضع شعائر العبادة. والمفهوم الأرواحي وحداني Moniste. إذ لا تعدو الأشياء اللاطبيعية كونها أشياء طبيعية مجهولة وغير مفسّرة. ليست نواميس الله هي وحدها التي وضعت الشرائع الأخلاقية، هناك أيضاً نواميس الطبيعة، وهذه الشرائع لا تعدو كونها نتائجها التطورية. وهذا الكتاب يؤكد «بأن كل شيء متسلسل في الكون».

خاض المعارضون هجوماً ضد الأرواحية من جميع الجبهات، بينما اعتبر الدين والعلم والفلسفة بأنها نوع من الهرطقة Heretique. ومع ذلك، إن هذه الميادين الثلاثة تسير الآن حتماً في التوازي معها. فكل اكتشاف علمي وكل ارتقاء فلسفي وكل تقدّم ديني، يدلّ بلا محالة على اقترابه من الحقيقة الأرواحية. وعلى غرار العالم الثقافي الروماني الذي رفض تعاليم الإنجيل في البدء، ثم تحوّل إلى مبادئه، فإن العالم العصري رفض الأرواحية، ثم بدأ يتحوّل أخيراً إليها.

طيلة قرن كامل، قرأ هذا الكتاب الأرواحيّون وحاربه اللاأرواحيون، ولم يفلت من محرقة المحاكم الدينية في ميدان عام. أما الآن، وبعد أن برهنت الفيزياء على طبيعة المادة الخادعة، وتمكن علم الأحياء Biologie من إدراك أوالية الحياة، واعترف علم الفلك بتعدّد العوالم المسكونة، وأثبت علم النفس، عبر البحث فيما وراء النفسية Parapsychologie واقعية الظواهر اللاطبيعية والإدراك اللاحواسي Perception Extra- Sensorielle (استقلال الروح بالنسبة إلى الإحساس الجسدي)، واعترفت الفلسفة، في أبحاثها بتطوّر الكائن وأقرت الوجودية بطبيعة تكوين الإنسان الذي يكتمل بالموت، وأقرّ الدين بضرورة العمل على إعادة تفسيره التأنيسي Anthropomor Phique، صارت دراسة هذا الكتاب ضرورية للأرواحيين وقراءته ضرورية للأرواحيين.

يضم هذا الكتاب أربعة كتب إضافية، تُتمّم سجل الأرواحية، وهي «مرشد الوسطاء» الذي يطوّر نظرية الاختبار الأرواحي، و«القرآن والإنجيل وفقاً للأرواحية» الذي يفسّر المذهب الأرواحي وقوانينه الخلقية الأدبية، وكتاب «الجنّة والجحيم» الذي

يعالج شرح النصوص المقدسة على ضوء الاختبارات الوساطية، وأخيراً كتاب «التكوين» الذي يوضّح مبادئ تكوين المخلوقات والوقائع غير الطبيعية، وفقاً للفهم الأرواحي. أما «كتاب الأرواح» فهو المركز الذي ترتبط به سائر الكتب الأخرى، أعني أنه المحور الذي تدور حوله الكتب الأرواحية الأخرى.

رغم هذا التنظيم المتناسق، فإن هذه المجموعة ليست مقفلة إزاء معلومات جديدة. فمبادئ المذهب مرنة وخالية من سلبيات النظام المغلق «كما يُقرأ في مدخل هذا الكتاب». إن المفهومية الأرواحية أو النظرة الشاملة الأرواحية، ليست عقائدية إيمانية، بل نقدية إيمانية. و«كتاب الأرواح» هو أول كتاب يسلك مجرى فلسفياً جديداً هو «الدراسة النقدية للعقائد». غرضه الأساسي هو الارتقاء، وطبيعة هذا الارتقاء جدلية. خدمة للعقول التي تريد النور.

مقدّمة المترجم

ظهر «كتاب الأرواح» في أواسط القرن الماضي حينما كان التقدم البشري يجتاز مرحلة حاسمة، مرحلة النضج العقلي والروحي. ورغم أن الثقافة الحديثة والعصرية استخفّت به من جراء تعرضه لعالم الغيب، فهو يندمج اندماجاً كلياً في سياق التطور الثقافي.

ترك «كتاب الأرواح» تأثيراً محسوساً في المعارف البشرية، فقد ألقى الضوء على ميدان الإدراك. قبل نشره كان الإنسان يبني معرفته عن العالم الروحي على التخيلات والخرافات. وكانت تلك النظرة الخرافية واللاهوتية إلى المخلوقات والخلائق مهدّدة بالزوال بفعل نهضة الشعوب العلمية وبدء تنوّرها. وبعد نشره أصبح الإنسان يستند إلى العقل وإلى الاختبار العلمي في بناء معرفته عن ذلك العالم الروحي. وبواسطة هذه المعرفة ساهم الكتاب في حركة التقدم الثقافي.

صدرت أول طبعة من الكتاب في باريس في يوم 18 أبريل سنة 1857 وظهرت الثانية بشكلها النهائي في نفس المدينة في يوم 16 مارس سنة 1860. وخلال تلك الفترة، كانت الحركة الأرواحية تتقدم في فرنسا وفي العالم، فظهرت مطبوعات ومؤسسات متنوّعة ومنظّمات وصدرت منشورات عديدة في مختلف أقطار العالم، متخصصة بالدراسات الأرواحية.

كان التقدم العلمي قد قسّم العالم الثقافي إلى فريقين متعارضين بشدة، فريق الذين يعتقدون بالوحي السماوي، وفريق الذين يعتمدون على العقل فقط. وشككت الطبقات المثقفة بصحة ما جاء في الكتب السماوية، واهتزت أركان العقائد وتصدعت وحدة التعاليم القديمة، وبدأ الناس ينادون بسلطة العقل والمنطق عوضاً عن سلطان التعاليم اللاهوتية. وأخذوا يبتعدون شيئاً فشيئاً عن الدين. فصار العقل المنطقي يسيطر على كل شيء، وحلت المادة محل الأمور الروحية، وأبعدت المادية سيطرة ملكوت الله من قلوب الناس.

في ذلك الوقت العاصف، ظهر «كتاب الأرواح» وكان بمثابة طريق ثالث لتوحيد الدوائر الثقافية، فقد بين أن الدين والعقل المنطقي يتوامان تماماً، وأن ما هو طبيعي naturel لا يتعارض منطقياً مع ما هو فوق طبيعي surnaturel، وشرح لماذا تستنكر تعاليم الأرواحية ثنائية قوى الطبيعة، وأكد أن قوانين الله ليست فقط القوانين الأدبية والخلقية، بل وأيضاً القوانين الطبيعية، وأن الأولى لا تعدو كونها نتيجة لتطور الثانية. لقد أكد «كتاب الأرواح» على التناسق التام السائد في كل أنحاء الكون.

شنّ أعداء الأرواحية حملة ضدّها في كل الميادين، لأن الإنسان بطبيعته شديد التعلّق بالعادات والمعارف القديمة، ولأنه نادراً ما يُغيّر طريقة تفكيره ليقبل أفكاراً ومبادئ تختلف عما اعتاد عليه، لا سيما وأن حالته الراهنة تتلاءم مع شهواته المادية. لذلك فقد قاوم المبادئ الجديدة رغم أنها أنارت كيانه بنور جديد باهر وفتحت له طريقاً للارتقاء روحياً.

في البدء اعتبر الفلاسفة والعلماء ورجال الدين هذا الكتاب مهرطقاً. ورغم ذلك توجهت هذه الدوائر العلمية الثلاث في تقدمها نحو مبادئه، فكل اكتشاف علمي جديد وكل تقدّم في الفلسفة أو في التفاسير الدينية، أكد على صحته وقرّب المعارف العامة من الحقيقة الأرواحية. وهكذا نرى اليوم أن العالم الذي رفض الأرواحية في البدء، يتجه نحوها الآن.

طيلة قرن، قرأ الأرواحيون هذا الكتاب وحاربه اللاأرواحيون، وأحرق علانية في ميدان عام، أما الآن وبعد أن برهن علم الطبيعة بأن كيان المادة خادع، وبدأ علم الفلك يعترف بتعدد العوالم المسكونة، وتحقق علم النفس Psychologie بواسطة اختبارات ما وراء النفسية Parapsychologie من حقيقة الظواهر الخارجة عن حدود الاختبار العادي Paranormal، ومن حقيقة الإدراك اللاحواسي Perception extra-sensoriel، وسلّم رجال الدين بضرورة صياغة التعليم اللاهوتي ثانية (لكونه يصوّر الله بالصفات البشرية anthropomorphe) وبضرورة القضاء على الخرافات mythologie الرمزية، لذلك فإن جميع الظواهر التي فسرها هذا الكتاب في القرن الماضي وكشفت عنها مخاطبات أرواح النور، تأكدت كلها. لذلك فمن المفيد جداً أن يدرسه الأرواحيون واللاأرواحيون.

ضم هذا الكتاب أربعة كتب إضافية تشكل هيكل «الترتيب الكردكي» أو «التدوين الأرواحي» وهي «كتاب الوسطاء» و«الإنجيل وفقاً للأرواحية» و«السماء والجحيم» و«سفر التكوين». إلا أن «كتاب الأرواح» هو الكتاب المركزي

الذي ترتبط به الكتب الأخرى فهو أول ملخص لمنهج فلسفي جديد، غايته الأساسية التطوّر والتقدم الأدبي والخلقي.

بعد أن قدّمت الأديان للإنسان الآمال عن حياة خالدة مقبلة طالبة منه الإيمان المطلق، أتت الإشارات من الأرواح الصالحة أي من أرواح عالم النور مفسّرة أسرار وخفايا العالم الروحي اللامادي وقوانينه الدائمة.

وتجدر الإشارة إلى أن أول تواصل مع الأرواح جاءت بواسطة الموائد الدوّارة أي الموائد التي تدور ثم ترتفع في الهواء دون تدخل الإنسان، وكذلك بواسطة اللوحة والسلة وحروف الهجاء. ولم يطل الوقت حتى بدأت الإشارات تتحوّل إلى إشارات كتابية ثم ناطقة بواسطة وسطاء يتجسد فيهم الروح المتكلم، وبواسطة أنواع أخرى من الوساطات.

والأرواحية هي إحدى الفلسفات الروحانية التي تستند إلى تعاليم الأرواح العليّة الأشد نشاطاً في أعمال الخير ومساعدة الفقراء وشفاء الأمراض النفسانية والجسدية وإصلاح الأفراد دون مقابل، فهي لا تبغي المنفعة المادية.

من جهة أخرى، يجدر بنا التطلّع إلى سيرورة التقدّم البشري والتفكير ملياً في نزول الوحي من السماء إلى البشر. فقد نزل الوحي الأول إلى موسى النبي، على شكل أوامر إلزامية: «افعل ذلك ولا تفعل ذاك. لا تقتل. لا تزنِ. لا تسرق. لا تعبد أصناماً حجرية. أكرم أباك وأمك، لأني الله القادر الذي يأمر»، كان الله يتوجّه إلى الروح البشري في مرحلة طفولته ويرسم له سلوكه. فيما بعد نزل الوحي الثاني على المسيح الحليم الرقيق القلب ليحضنا على الصلاح بكلام لطيف كما في وعظ الطوبيات على الجبل متوجهاً إلى الروح البشري في مرحلة شبابه بكلام مقنع ومؤثر، لأن الإنسان كان قد بلغ مستوى عالياً من التفكير والشعور. أما وحي الأرواحية الذي جاء بعد ثمانية عشر قرناً بعد الوحي الثاني، يعتبر الله فيه أبنائه البشريين أكثر تعقلاً ومؤهلين للتمييز بعمق، ويتوجه إليهم بكلام يتناسب مع تنوّرهم ويريهم مسؤوليتهم. وهكذا نشاهد أنه في الزمن الأول يأمر الله بأن يسود ناموسه ويوجب الطاعة. وفي الزمن الثاني يدعو إلى «الشرع»[1] داعياً بلطف إلى الصلاح. وفي الزمن الثالث أو «أواخر الأزمنة»، ينادي الرب عباده ناصحاً بالتعقل والحصافة والإدراك العقلي الراشد، بكلمات على لسان من الأرواح الصالحة المرسلة تأتي من قبل الله.

---

(1) أي الله (ملاحظة المترجم).

عمل في ترجمة هذا الكتاب مترجمان يعملان في خدمة الله بلا أجر وبإيحاء من أرواح النور: الأول لبناني الأصل مولود في البرازيل ومقيم الآن في الولايات المتحدة، والثاني مصري من القاهرة من أصل سوري ومقيم في سانتوس بالبرازيل. تمت الترجمة نقلاً عن الكتاب الأصلي الفرنسي وعن ترجمتيه البرتغالية والإنجليزية. واكتملت هذه الترجمة بإتقان ودقة بمعونة الله مصدر النور ومساعدة أرواح النور الملهمين في القارة الأمريكية، أرض السلام والمحبة والأخوة والوئام، ذلك أن أغلبية شعوب أميركا الجنوبية هادئة بطبيعتها ولا تميل إلى البغض والخبث والشر. بل إلى مبادئ المحبة والتسامح وحب الآخرين في البشرية، والتي تنادي بها الأرواحية، لقد وجدت الأرواحية أرضاً مرحّبة لانتشار مبادئها ونشر السلام والمحبة في القلوب. ونحن على يقين من أن تلك الأفكار التي تنادي بها أرواح الصلاح ستساعد العالم العربي المعذّب من جرّاء الحروب السياسية ليصبح أرض السلام والمحبة والوئام.

تستنكر تعاليم أرواح النور التعصّب الديني وغيره من أنواع التعصّب لأنه يفرّق الناس الذين هم جميعاً أبناء الله، بدلاً من أن يجمع الناس على محبة إخوانهم في البشرية، فالتعصب يغذّي البغض لدى أبناء الملل المختلفة ويؤكد عليه.

تتلخص المبادئ الأدبية والأخلاقية التي تعلّمها الأرواح العالية الدرجة في توصية المسيح في الإنجيل: عامل الآخرين مثلما تريد أن يعاملوك، أو بعبارة أخرى: افعل الخير ولا تفعل الشر. فمن يسيء استعمال القوة ويجور على أخيه في البشرية يخالف سنّة الله، لأنه «لا خلاص دون المحبة».

من أراد معرفة ثمار هذه التعاليم وعمق تأثيرها في القلوب والعقول، فلينظر إلى أقطار أميركا الجنوبية وسيرى كيف أن أعمال الأرواحيين وحبّهم للآخرين، بصرف النظر عن عقائدهم وأجناسهم، تشهد على إصلاحهم الباطني.

وختاماً، نُقدّم إلى القارئ العربي هذا الكتاب، «كتاب الأرواح» الذي أملت معظمه أرواح النور الرفيعة مجيبة عن الأسئلة، أما الباقي فهو مكوّن من تعليقات المؤلف «ألن كاردك»، ونطلب من الله أن تعم بركاته القارئ الكريم في العالم العربي الحبيب شرقاً وغرباً.

جورج حداد

مدخل[1]

إلى دراسة مذهب الأرواح

1. الأرواحية والروحانية

تتطلب الأفكار الجديدة كلمات جديدة تعبّر عنها بوضوح لكي تتجنّب التشويش الناتج عن مفردات ذات معان شتّى. فكلمات روحي وروحاني وروحانية[2] لها معانيها المألوفة، ولا يصحّ لنا أن نضيف إليها معنى آخر للتعبير عن تعاليم الأرواح. وإذا فعلنا ذلك، زدنا في الإبهام أكثر مما نكشف عن الحقيقة تشير الروحانية إلى ما هو مضاد للمادية. فكل من يعتقد بأن هناك عنصر آخر إلى جانب المادة يوصف بأنه روحاني، ولكن اعتقاده هذا لا يشمل الاعتقاد بوجود الأرواح أو بإمكان اتصالهم بالعالم المرئي. لذلك فبدلاً من استعمال كلمتي روحاني وروحانية للتعبير عن الاعتقاد بالأرواح، سنستعمل الآن أرواحي وأرواحية، أولاً لأنهما كلمتان تشيران بسبب حرفيتهما إلى مصدرهما وجوهر معناهما، وثانياً لكونهما سهلتي الفهم لبساطتهما ولأنهما تتركان لكلمة روحانية معناها الخاص المشار إليه سابقاً. سنقول إذن إن مصدر المبادئ المذكورة في تعاليم الأرواح أي مصدر الأرواحية Spiritisme هو اتصال

---

(1) خصّص المؤلف الن كاردك هذا الباب الأول من فاتحة الكتاب للبحث عن المسألة اللغوية المتعلقة بتعاليم الأرواح، ورأينا أن ترجمته إلى العربية لا تخلو من الفائدة، مثلما كانت ترجمته إلى اللغات الأوروبية، إذ أن مشكلة اللغة تواجه نوعاً ما نفس الصعوبة المواجهة في اللغة العربية، وهي إيجاد التسمية الواضحة لتلك الظواهر الروحية الحديثة العهد (ملاحظة المترجم).

(2) في إنجلترا والولايات المتحدة «روحانية» spiritualisme و«روحاني» spiritualiste كلمتان لا تزالان تستعملان في العصر الحاضر في الإشارة إلى التعاليم الأرواحية إلى تابعيها بالرغم من الإبهام اللغوي المشار إليه. أما في فرنسا حيث نشر المؤلف وإلذّون «كتاب الأرواح» بالفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر، ساد استعمال «أرواحي وأرواحية» للإشارة إلى تعاليم الأرواح وتابعيها في تلك البلاد. وقد انتشر هذا الاستعمال (بعد التغيير اللازم في الهجاء) بين أكثر اللغات الأوروبية وبين شعوب أميركا اللاتينية ما عدا الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية. وإلى أن يتقدّم اللغويون ويأتوا بكلمة مخصّصة باللغة العربية، سنستعمل في ترجمة هذا الكتاب، ارواحية وارواحي. (ملاحظة المترجم).

العالم المادي بعالم الأرواح التي هي كائنات العالم اللامرئي كذلك فإن مشايعي تعاليم الأرواحية سيدعون أرواحيون Spirites.

يتضمن كتاب الأرواح تعاليم الأرواح بوجه خاص، ولكنه بوجه عام يشكل جزءاً من التعاليم الروحانية، لأنه يتخصص بناحية من نواحي الروحانية. ولهذا السبب رأينا أن نذكر في أعلى عنوان الكتاب عبارة: فلسفة روحانية.

2. النفس. المبدأ الحيوي والمائع الحيوي

هناك كلمة أخرى يتوجب الاتفاق العام على معناها، لكونها أحد الأركان الرئيسية لأي مذهب خُلقي، كما دارت حولها مناقشات طويلة لصعوبة الوصول إلى ضبط معناها: وهي كلمة النفس. أما سبب خلاف الآراء حول ماهية النفس فهو ناجم عن كثرة التفاسير الخاصة لمعناها. ولو كانت اللغة كاملة بحيث تشمل لكل فكرة كلمة مخصصة لها، لما ثارت المناقشات الطويلة بل كان لكل شيء تسميته الواضحة التي يتفاهم بواسطتها الجميع.

يقول البعض إن النفس هي مبدأ الحياة المادية العضوية، وليس لها حياة ذاتية فهي تزول من الوجود عند انتهاء الحياة: هذا رأي مادي بحت فوفقاً لهذا الرأي وبالمقارنة مع آلة موسيقية مكسورة ولا يصدر عنها دويّ يقولون بأن الآلة ليس لها نفس. وهكذا تكون النفس في دور المعلولة وليس في دور العلة.

يعتقد فريق آخر بأن النفس هي مبدأ الفطنة والعنصر الكوني الذي يمتصّ كل كائن قسطه منه. وطبقاً لهذا الرأي لا يوجد في الكون كله سوى نفس واحدة تنبعث منها شرارات الفطنة إلى جميع الكائنات الفاطنة خلال حياتها. وبعد الموت تعود الشرارة إلى مصدرها الأصلي لتنضمّ إلى الكلّ على غرار مياه الجداول والأنهار عندما ترجع إلى البحر الذي خرجت منه. هذا الرأي يخالف الرأي السابق فوفقاً لهذا الافتراض يوجد في كياننا عنصر آخر غير المادة باقٍ بعد الموت ولكنه في حالة قريبة من العدم إذ أنّنا بعد فقداننا لفرديتنا لا نعود نشعر بوجود أنفسنا. وبموجب هذا الرأي، فإن النفس الكونية هي الله وكل كائن هو جزء من اللاهوت[1]، مما يجعل هذا الافتراض نوعاً من نظرية الحُلول[2].

---

(1) أي الطبيعة الإلهية الكلية (ملاحظة المترجم).

(2) القائلة إن الله هو مجموع كل ما هو على قيد الوجود من كائنات واشياء واستعلانات مادية (ملاحظة المترجم).

هناك أخيراً الذين يعتبرون النفس ككائن معنوي متميّز ومنفصل عن المادة ويحتفظ بفرديته بعد الموت. وهذا الرأي دون شك هو الأكثر انتشاراً لأن الفكرة القائلة بأن هذا العنصر باقٍ بعد موت الجسد، بصرف النظر عن الاسم الذي يحمله، هي فكرة غريزية بين جميع الشعوب بغضّ النظر عن درجة حضارتها. إن هذا التعليم القائل بأن النفس هي العلّة وليس المعلولة، هو تعليم الروحانيين.

لا نودّ مناقشة تفاضل هذه الآراء ولكن إذا نظرنا إلى الناحية اللغوية فقط، جاز لنا القول بأن هذه المعاني الثلاثة لكلمة النفس تتضمن ثلاثة آراء مختلفة يستلزم كل منها تعبيراً خاصاً. بناء على ذلك، وهكذا فإن هذه الكلمة لها معنى ثلاثي وكل معنى من هذه المعاني الثلاثة صحيح وفقاً لوجهة النظر التي تتبناه، وأما النقص في التمييز بينها فهو ناتج عن قصور اللغة لأنها وضعت كلمة واحدة لثلاثة أفكار مختلفة. فإذا أردنا تجنّب التشويش وجب علينا أن نحصر معنى النفس بفكرة واحدة فقط من الثلاث منوهين بأن اختيار الفكرة اللائقة للكلمة بين الثلاثة آراء لا أهمية له، إذ أن هذا الاختيار ليس إلا اتفاقاً اصطلاحياً. نحن نعتقد أن من المنطق النظر إلى كلمة النفس بمعناها المألوف فنقول: إن «النفس» كائن فردي غير مادي مستقرّ فينا وباقٍ حياً بعد موت الجسد. وحتى لو افترضنا بأن هذا الكائن لا وجود له وأنه من تخيّلات العقل، لكان يلزمنا لأجل التفاهم، تعيين كلمة تُشير إليه.

نظراً إلى أنه ليس لدينا كلمة خاصة لكل من الفكرتين الأُخريين، فسنطلق إذن تعبير:

مبدأ حيوي، على المبدأ الخاص بالحياة المادية والعضوية، مهما كان مصدره، أي المبدأ الخاص بجميع الكائنات الحية، من النباتات إلى الإنسان. ولأن وجود الحياة في العادة مستقل عن ملكة التفكير، فسيكون المبدأ الحيوي شيئاً منفصلاً ومستقلاً عن هذه الملكة. وكلمة الحيوية لا تعبر عن نفس الفكرة لأنه وفقاً لبعض المفكّرين، فإن المبدأ الحيوي هو خاصية من خواص المادة، أي أنه يحدث كنتيجة للمادة في ظروف معينة. وهناك فكرة أخرى أكثر انتشاراً، وهي أن المبدأ الحيوي موجود في مائع خاص يعمّ الكون وتتشرّب جميع الكائنات قسطاً منه خلال حياتها، كما تتشرّب الجمادات النور، ومن ثم فإن هذا المائع الحيوي وفقاً لبعض الآراء ليس سوى المائع الكهربائي المنشّط بالحيوية والمسمى أيضاً بالمائع المغناطيسي أو المائع العصبي.. الخ.

ومهما كان الأمر فإن هناك شيئاً مثبتاً لا يقبل الجدال لأنه ناتج عن إمعان النظر وهو أن في الكائنات العضوية قوة باطنية تعمل لبقاء ظاهرة الحياة، طالما هي حاضرة داخل تلك الكائنات، وأن الحياة المادية مظهر شامل لجميع الكائنات العضوية، بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود الذكاء والتفكير فيها، وأن الذكاء والتفكير هما قابليتان تخصّان بعض الأجناس العضوية، وأخيراً فإن بين بعض الأجناس العضوية التي وهبت الذكاء والقدرة للتفكير، يوجد جنس وهب إحساساً أخلاقياً خاصاً يضعه دون شك في درجة تفوّق على جميع الأجناس الأخرى وهو الجنس البشري.

مما سبق إذن وبالنظر إلى تعدّد التفاسير، لا عجب أن النفس مقبولة في المادية وفي نظرية الحلول. ويمكن للروحاني نفسه إذن تفسير النفس بسهولة بأي من هذين التفسيرين دون أن ينفي وجودها في الكائن اللامادي، ثم يبتدع لها أي اسم آخر. لذلك فإن هذه التفاسير لا تشير إلى فكرة معينة، ويمكن التوفيق بينها حسب الآراء الشائعة في استعمالها، ومن هذا ينشأ الجدال المعروف الذي لا نهاية له.

ربما تجنبنا التشويش، إذا استعملنا كلمة «النفس» بمعانيها الثلاثة، بشرط أن نضيف إليها كلمة وصفية تميّز معناها بالنسبة إلى وجهة النظر التي نراها. نحن بهذه الطريقة نجعل كلمة النفس شاملة المعنى، لتشير على السواء إلى مبدأ الحياة المادية والحياة العقلية والإحساس الأخلاقي، ثم نميزها بإضافة كلمة وصفية، كما في حالة الغازات مثلاً، التي نميّزها بإضافة النوع قائلين غاز الهدروجين وغاز الأكسجين وغاز النتروجين.. الخ.

وهكذا يمكننا القول بطريقة أوضح، النفس الحيوية للإشارة إلى مبدأ الحياة المادية والنفس العقلية للتعبير عن مبدأ الذكاء والنفس الروحية للتعبير عن مبدأ فرديتنا بعد الموت. نرى من هذا كله بأن المسألة مسألة كلمات ولكنها مسألة يهمّنا أن نتفاهم بصددها. وبموجب هذا التفاهم تشير النفس الحيوية إلى النفس الموجودة في جميع الكائنات العضوية بما فيها النباتات والحيوانات والآدميين. وتشير النفس العقلية إلى نفس الحيوانات والآدميين، وتشير النفس الروحية إلى ما يخصّ الإنسان وحده.

لقد راعينا بصورة خاصة الإسهاب في هذه الإيضاحات، نظراً لأهميتها بخصوص التعاليم الأرواحية، إذ أنها تقوم على وجود كائن منفصل عن المادة وباق حياً بعد موت الجسد. وحيث أننا سنضطر إلى استعمال كلمة النفس بكثرة في

سياق هذا الكتاب، رأينا من واجبنا إيضاح معناها إيضاحاً كافياً لكي نتجنّب أي سبب لسوء الفهم.

3. تعاليم الأرواح ومناهضوها

كما يحدث لكل حدث جديد، فإن لتعاليم الأرواح مشايعوها ومناقضوها. لذلك سنحاول الرد على بعض اعتراضات المناهضين، وسنفحص قيمة الحجج التي يستندون إليها دون أن ندّعي بأننا سنقنعهم جميعاً، وذلك لأن هناك أشخاصاً يعتقدون بأن النور خلق لهم فقط. لذلك سنتوجه إلى ذوي النية الصافية، الذين ليس لهم أفكار مسبقة ثابتة في عقولهم أو مواقف متصلبة، بل يبتغون معرفة الحقيقة، وسنبرهن لهم بأن معظم اعتراضاتهم لتعاليم الأرواح إنما هي نتيجة القصور في بحثهم للوقائع والتسرع في حكمهم على ما يشاهدون.

سنبتدئ بتذكيرهم باختصار، بسلسلة الظواهر المتتابعة التي حدثت تدريجياً والتي كانت مصدراً ملهماً لهذا التعليم.

إن أول ظاهرة شاهدها العالم هو تحرّك الأشياء، والتي أشير إليها باسم المائدات الدوّارة أو المائدات الراقصة. هذه الظاهرة التي كما نعلم، شوهدت أولاً في أميركا الشمالية، أو إنها بالأحرى تجددت هناك، إذ أن هذه الظاهرة معروفة منذ أقدم عصور التاريخ، وقد حدثت في ظروف غريبة، تبعتها ضوضاء غير اعتيادية وطرقات لا مسبب ظاهراً لها. ولم يطل الوقت حتى انتشرت بسرعة في أوروبا ومنها في أقطار أخرى في العالم. في البداية، نظر إلى تلك الحوادث بعين الشك، ولكن بعد أن ازداد عددها، استحال الشك في حقيقتها.

على أنه لو كانت هذه الظاهرة مقتصرة على تحرّك أشياء مادية، لأمكن شرحها بأنها ناتجة عن عوامل طبيعية مادية بحتة. ذلك لأننا نجهل جميع الخصائص الخفيّة الكامنة في الطبيعة، ولا نعرف أيضاً جميع خصائص العوامل الطبيعية: فالكهرباء[1] تفاجئنا يومياً بأشياء جديدة نافعة للإنسان، وكأنها قوة جاءت لتضيء العلوم بنور جديد. يمكن الظن إذن أن الكهرباء، في ظروف خاصة أو بتأثير عامل

---

(1) يجب الا ننسى أن المؤلف كتب هذا النص في أواسط القرن 19 حين كانت الكهرباء اكتشافاً جديداً (ملاحظة المترجم).

مجهول، هي السبب المحرّك أو أن اجتماع عدة أشخاص يُزيد هذه القوة المحرّكة ويعضّد هذه النظرية، مما يمكن تشبيه الاجتماع ببطاريات عديدة يشتدّ نشاطها بازدياد عدد العناصر التي تدخل فيها.

لا تدهشنا الحركة الدائرية لكونها من حركات الطبيعة، وجميع الكواكب تتحرّك حركة دائرية، وربما نحن أمام انعكاس مصغّر لحركة الكون العامة، أو بنحو أوضح، أن هناك عاملاً لم يزل مجهولاً لنا قد يؤثر على الأشياء الصغيرة وفي حالات معينة، ومن هذا التأثير ينشأ تيار مشابه للقوى التي تدفع الكواكب في حركتها.

غير أن حركة المائدات لم تكن دائماً دورانية، بل إنها في كثير من الأحيان تحدث فجأة ودون انتظام، فتهتزّ الأشياء بعنف وتتطرح على الأرض ثم تسير إلى جهة ما، مخالفة كل قواعد اعتدال الأجسام، تصعد وتستمر في الفضاء. ومع ذلك من الممكن تعليل هذه الظواهر بوجود عامل طبيعي غير مرئي يسبّبها. ألا ترى كيف أن الكهرباء تهدم الأبنية الكبيرة وتقلع الأشجار من مكانها وترمي الأشياء الثقيلة بعيداً، وتجذبها أو تدفعها؟

إذا افترضنا أن الضوضاء غير العادية والطرقات لم تكن نتيجة صادرة عن تمدّد الخشب أو عن أي سبب عرضي آخر، فربما كان سببها تجمّع المائع الخفي. ألا تُحدث الكهرباء دوياً أقوى؟

وكما ترون مما سبق، فمن الممكن اعتبار هذه الظواهر بأنها ذات أصل وظائفي ومادي. وحتى إذا خرج العلماء على هذه الاعتبارات الفكرية، فإن فيها ما هو جدير بالدراسة والتنقيب الجاد. فلماذا لم يفعلوا ذلك؟ نقول مع الأسف الشديد إن الإهمال في هذا الشأن يرجع إلى أسباب عديدة من نفس النوع، ومن بينها زيغ العقل البشري. ولكون تلك التجارب حدثت في البداية بواسطة أدوات عادية للغاية، فربما يدعو ذلك إلى أن نستغربها. ولكن هناك أحوالاً عديدة حيث أثرت كلمة واحدة تأثيراً قاطعاً حتى في أمور غاية في الأهمية. بصرف النظر عن أن الحركة قد تنقل إلى أي شيء كان، انتصرت فكرة تجربة المائدة على غيرها، دون شك لأنها أسهل استعمالاً ولأن حولها يجلس عدد من الأشخاص لهذا الغرض. إلا أن أفاضل الناس هم في أحيان كثيرة صبيانيون، إلى درجة أن بعض نخبة العقول اعتبروا من الإهانة لمراكزهم أن

يتنازلوا للبحث فيما اتفق على تسميته بالمائدات الراقصة. من المحتمل أيضاً لو أن الظاهرة التي شاهدها (العلامة) جالفاني في تجاربه مع الضفادع قد شاهدها أحد من العوام، لكانوا وصفوها بلقب هزلي، ولنفوها إلى ميدان الخرافة. أين العالم الذي لا يرى من الانحطاط لمقامه أن يهتم بالضفادع الراقصة؟

ثمة علماء متواضعون كفاية يعترفون بأنه ما لا يزال في الطبيعة ربما أسرار لم تتكشف لهم بعد، وحاولوا لراحة ضميرهم أن يتمعنوا في هذه المسألة. إلا أنهم لم يشاهدوا تماماً ما كانوا يتوقّعونه، ولأنهم لم يتمكنوا من جعل تلك الظاهرة طوعاً لإرادتهم وتبعاً لأسلوبهم، فقد وقفوا ضدها. غير أنه على الرغم من حكمهم ضدها، فالموائد ما تزال تتحرك، ويذكرنا ذلك بموقف (الفلكي) جاليليُو، ونقول معه «ومع ذلك فهي تتحرّك». نقول لهم أيضاً بأن هذه الظواهر ازدادت إلى درجة جعلت المجتمع يقبلها قبولاً عاماً، كأمر مسلّم به ولم يبقَ سوى تفسيرها تفسيراً معقولاً. نسأل الآن: أيصح نكران حقيقة هذه الظواهر لمجرد عدم تكرار حدوثها بشكل مطابق لمشيئة المشاهدين وشروطهم؟ ألا نعلم أن ظواهر الكهرباء والكيمياء تخضع لقواعد معينة؟ أيصحّ لنا أن ننكر وجودها لعدم حدوثها على غير تلك القواعد؟ هل نتعجّب إذن أن ظاهرة تحرك الأشياء بواسطة المائع البشري تخضع لقواعد معينة ولا تحدث طوعاً لإرادة المشاهد، أو كما يرغب، ولا جرياً على قوانين الظواهر العادية، غير مبالين بأن ظواهر جديدة تخضع لقوانين جديدة؟ لكن إذا أردنا أن نعرف تلك القوانين، فينبغي علينا أن نبحث عن الظروف التي تحدث فيها الظواهر، وهذا البحث يقتضي مراقبة متواصلة ومتمعنة قد تتطلب عادة زمناً طويلاً.

إلا أن البعض يعارض قائلين إن هناك في معظم الأحيان ضرب من الحيل والشعوذة. ونحن نسأل هؤلاء أولاً إذا كانوا متأكدين تماماً أن هناك شعوذة وأن ما ينسبونه إليها لا يعدو كونه حالة جديدة لم يتمكّنوا من فهمها، وتماماً كحالة الفلاح البسيط الذي يشاهد تجارب الأستاذ في علم الطبيعيات، فيظنّ أنها من الشعوذة. لو افترضنا أن شيئاً من الشعوذة يحدث أحياناً، أيصحّ بسببه أن ننفي ما هو حقيقي؟ هل ننفي علم الطبيعيات مثلاً، نظراً لوجود المشعوذين الذين يلقّبون أنفسهم بعلماء؟ ومن جهة أخرى، لا بد للمرء من أن ينظر إلى استقامة الأشخاص، أو إذا كان هناك منفعة تدفعهم إلى الخداع. هل يُقصد إذن مجرد المزاح؟ ربما يمزح أحد إلى حين،

ولكن لا يعقل أن يستمرّ هذا المزاح دون أن يصبح مملاً للمتلاعِب ذاته كما للمتلاعَب عليه. وفي تلاعب كهذا، أيعقل أن ينتشر هذا التلاعُب في العالم من طرف إلى الطرف الآخر، وبين أشخاص معتبرين جداً ومحترمين جداً ومنوّرين، فيكون هذا التلاعُب أعجب من الظاهرة ذاتها.

4. ظواهر ذكية

لو بقيت تلك الظواهر التي نحن بصددها الآن، مقتصرة على تحريك أشياء، لكانت من خصائص علم الطبيعيات كما ذكرنا سابقاً. ولكن ما يحدث مغاير لذلك، إذ ما لبث أن ظهر فيها ما يُنذر بأعجب الأمور. فقد اكتشف المشاهدون، ولا نعلم كيف، أن تلك الأشياء الجامدة لم تكن تدفعها قوة آلية عمياء، بل كان فيها أثر لمسبِّب ذكي. كان هذا الاكتشاف بمثابة باب فُتح للدخول في ميدان جديد، ورفع الستار عن كثير من أسرار الحياة، وراح الناس يتساءلون: هل تلك الحركات ذات أصل ذكي؟ وإذا كانت هناك قوة ذكية، فما هي؟ وما هو كنهها ومصدرها؟ أهي فوق بشرية؟ تلك هي الأسئلة التابعة للسؤال الأول والناتجة عنه.

في البداية، كانت تلك الظواهر الذكية تحدث بواسطة الموائد التي كانت ترتفع، ثم تدقّ بإحدى أرجلها الأرض عدداً معيناً من الدقات مجيبة «نعم» أو «كلا» على الأسئلة الموجهة إليها طبقاً لاصطلاح سابق. ولكن هذا وحده لم يكن بذاته كافياً لإقناع المشكّكين، إذ كان ممكناً أن تنسب تلك الإجابات إلى عامل الصُدفة. ولكن لم يطل الوقت حتى بدأت تأتي أجوبة مفصّلة بواسطة حروف الهجاء. وكانت المائدة المتحركة تقرع أرجلها مرات مختلفة العدد مخصصة لكل حرف من الحروف، فصارت تتركّب كلمات وجمل للإجابة على الأسئلة الموجهة إليها. كانت صحة الأجوبة وترابطها مع الأسئلة يُدهش السائلين. فعندما سئل الكائن الخفيّ الذي كان يعطي تلك الأجوبة، عن طبيعته، أجاب بأنه روح أو جنّ[1]، وأن اسمه فلان، وجاء بتفاصيل عديدة عن نفسه. لنلاحظ هنا نقطة هامة جديرة بالانتباه، وهي أن فكرة أنهم أرواح لم تكن في ذهن أي شخص من الحاضرين المكلفين بشرح

---

(1) طبقاً لاعتقاد قديم جداً، الجنّ هو روح قد يكون نافعاً أو مؤذياً، وهو يدير مصير الأفراد والمُدُن وبعض الأماكن، وهو مسؤول عن إثارة الوقائع والحوادث. ويُقال إنه يوحي ويحرس الفنون ويلهم الأهواء والفضائل والرذائل (ملاحظة المترجم).

الظاهرة، بل أتى شرحها من الظاهرة نفسها. في العلوم الوضعية يبدأ الباحثون عادة بافتراض النظرية كأساس لعملية الاختبار، ولكن ما حصل هنا كان مخالفاً لذلك.

طريقة المخابرة بواسطة الحروف الهجائية، كانت بطيئة وصعبة، فاقترح الروح (وهُنَا نقطة أخرى هامة تستحقّ الذكر) بأن يستعمل، عوضاً عن تلك الطريقة، قلم رصاص يركّب على سلة صغيرة أو على شيء آخر. فكانت تلك السلة تتحرك على الورقة بواسطة نفس القوة الخفية التي تحرّك الموائد. ولكن بدلاً من الحركة السابقة المنتظمة، بدأ القلم يكتب حروفاً ثم كلمات ثم سطوراً فخُطباً كاملة عديدة الصفحات، متناولاً أعلى مسائل الفلسفة وأمور الأدب والخُلُق والعلوم النظرية والعلوم النفسية الخ. وكانت الكتابة سريعة ككتابة اليد.

وحدث أن هذا الاقتراح ذاته جاء في وقت واحد في أميركا وفرنسا وفي عدة بلدان أخرى. أما في باريس فجاء في 10 يونيو سنة 1853 موجهاً إلى أحد مشايعي الأرواحية الأكثر تحمساً لتعاليم الأرواح وذي خبرة طويلة في استدعاء الأرواح منذ عام 1849. هو ذا ما قاله الروح: «عليك بسلة صغيرة تجدها في الغرفة المجاورة. خذها واربط بها قلماً ثم ضعها على ورقة وضع أصابعك على حافة السلة». وبعد أن تمّ ذلك، لم تمض إلا دقائق قليلة حتى بدأ القلم يتحرك ويكتب بخط واضح هذه الجملة: «لا أسمح لك أبداً أن تقول لأحد عما أحدثك به. عندما أكتب ثانية تتحسّن كتابتي».

ونظراً إلى أن ما يُستعمل لتثبيت القلم هو مجرد أداة للكتابة، لذلك فإن نوعه وشكله لا أهمية لهما بتاتاً، إذ القصد الرئيسي هو الوصول إلى التدبير الأسهل. وهكذا بدأ أناس كثيرون يستعملون لوحة صغيرة.

على أنه سواء السلة أو اللوحة، فهي لا تتحرك إلا بوجود تأثير عليها، صادر عن بعض أشخاص يملكون قوة خاصة في هذا الصدد ومعروفين باسم وسطاء أي أنهم يتوسطون بين الأرواح والبشر.

أما الحالة التي تساعد على ظهور هذه القوة فتأتي من بواعث جسدية ومعنوية معاً، ولا تزال غير معروفة تمام المعرفة، إذ أن هناك وسطاء من كل الأعمار نساء ورجالاً، ومن جميع درجات التطور العقلي. على أنها موهبة تنمو وتتقوى مع التكرار في ممارستها.

5 . تنمية الكتابة النفسانية

لم يمض الكثير من الوقت حتى اتضح للممارسين أن السلة واللوحة ليستا، في الواقع، إلا زوائد اليد، فحين أخذ الوسيط القلم بيده، بدأ يكتب ويده مندفعة بقوة خارجة عن إرادته وبسرعة فائقة. كانت نتيجة هذه الطريقة أن أصبحت الاتصالات أسرع وأسهل وأكمل مما كانت قبلاً. وحتى هذا اليوم، فهذه هي الطريقة الأكثر استعمالاً، خاصة وأن عدد الأشخاص الموهوبين بهذه الموهبة كبير جداً ويزداد يوماً بعد يوم. مع مرّ الزمن، وقد دلّ الاختبار على وجود طرق أخرى كثيرة في الموهبة الوساطية، وصار من المعروف أنه يمكن مخاطبة الأرواح بواسطة الكلام والسمع والبصر واللمس الخ وحتى بواسطة كتابة الأرواح مباشرة أي دون يد الوسيط ودون القلم.

بعد أن تحقق هذا الأمر، بقيت ضرورة البحث عن ماهية تأثير الوسيط آلياً وأدبياً على الإجابات، ودوره فيها. ثمة نقطتان في غاية الأهمية ومن الصعب أن تفوتا على انتباه المراقب المنتبه، وفيهما الجواب على هذا الأمر. الأولى هي الطريقة التي بها تتحرك السلة متأثرة بمجرد وضع أصابع الوسيط على حافتها. وقد دلّ البحث على أنه يستحيل عليه، والحالة هذه، أن يقودها إلى أية جهة من الجهات. هذه الاستحالة تزداد وضوحاً عندما يشارك اثنان أو ثلاثة أشخاص، بوضع أصابعهم على السلة في ذات الوقت. إذ يلزم لأولئك الأشخاص الكثير من الاتفاق في التحريك للقيام بتلك الحركات. ضفْ إلى ذلك ضرورة مطابقة الأفكار لإعطاء جواب واحد على السؤال المطروح. هناك أيضاً أمر غريب يؤكد الظاهرة، وهو تغيير الخط تغييراً كاملاً طبقاً للروح المخاطب، الذي يحفظ خطه الأصلي كلما رجع وكتب. وهذا وحده يتطلب من الوسيط تدريب نفسه على تغيير الخط مرات بلا عدد، مع ضرورة تذكره لخطوط أرواح عديدة.

تتعلق النقطة الثانية بطبيعة الأجوبة ذاتها، وبالأخص حينما تدور في دائرة المسائل المجردة الصعبة الفهم أو العلمية، الخارجة عن دراية الوسيط وعن مقدرته العقلية أحياناً. وفوق ذلك، فهو عادة ليس على علم بما يكتب، وكثيراً ما لا يسمع الأسئلة ولا يفهم فحواها لكونها أحياناً منطوقة بلغة أجنبية يجهلها، أو تكون مجرد فكرة في خلد أحد الحاضرين، ويأتي الجواب بتلك اللغة الأجنبية، وأخيراً من الممكن أن تكتب السلة من تلقاء نفسها دون أي سؤال، وفي موضوع لم ينتظره أحد من الحاضرين.

أما أجوبة الأرواح، فكانت أحياناً مطبوعة بطابع الحكمة والعمق والملاءمة للحال، وفيها أفكار في غاية السمو والجلال، إلى درجة أنها لا يمكن أن تصدر سوى عن كائن سام يتمتع بأرقى المبادئ الأدبية. وفي أحيان أخرى كانت الأجوبة في غاية التفاهة، مستخفّة بالموضوع ومبتذلة، مما يجعلها بلا شك آتية من مصدر مختلف عن الأول. وهذا الفرق بين المنطقين، لا يمكن تفسيره إلا باختلاف ذكاء الكائنات التي تجيب. هل يأتي هذا الذكاء من الجنس البشري أم هو خارج عنه؟ تلك هي النقطة التي من واجبنا أن نوضّحها في هذا الكتاب والتي سنشرحها بأكملها، وفقاً لما جاءت به الأرواح ذاتها.

هاهنا إذن أحداث واقعية خارجة عن دائرة ما اعتاد الناس مشاهدتها. وهي أحداث لا تحصل خفية، وإنما علنية حيث يستطيع كل من شاء أن يراها ويتأكد من حقيقة وقوعها. وهي لا تقتصر على شخص واحد يمتاز بها، بل يمكن التماسها لدى آلاف الناس، وفي كل يوم من الأيام. يتحتم طبعاً أن يكون لهذه الظواهر مسبب لأن فيها ما يدل على الذكاء والإرادة، ولذلك، فهي تخرج حتماً من دائرة الظواهر المادية المحضة.

قُدمت في هذا الشأن نظريات عديدة، سنفحصها قريباً، لنرى إذا كان بإمكاننا فهم جميع ما يحدث في تلك الظواهر. أما الآن، فلنفترض بأن هناك كائنات مختلفة عن البشر، فهذا هو ما قالت لنا عن نفسها تلك الكائنات الذكية التي تتكشف ولنرَ ماذا تقول.

6. خلاصة تعاليم الأرواح

هذه الكائنات المذكورة التي تتخاطب معنا. وصفت نفسها هي بذاتها، كما قلنا سابقاً، بأنها أرواح أو جن، وقالت إن البعض منها على الأقل، كانوا قد عاشوا سابقاً على الأرض وأنهم يكوّنون العالم الروحي، كما نحن نكوّن العالم الجسدي طيلة حياتنا على الأرض.

وسنقدّم فيما يلي، تلخيصاً للنقاط الهامة من تعاليمهم، التي أفضوا بها إلينا، لكي نجيب بسهولة عن بعض اعتراضات المشكّكين:

الله أزلي، ولا يتغير، وهو لا مادي، ووحيد، وقادر على كل شيء، وسامي العدالة والطيبة إلى أعلى درجة.

«خلق الكون الذي يشمل كل الكائنات المتمتعة بالحياة والمجردة من الحياة الكائنات المادية واللامادية».

«تكوّن الكائنات المادية العالم المنظور أي الجسدي. أما الكائنات اللامادية فهي تكوّن العالم اللامنظور أي العالم الروحي، الذي يعني عالم الأرواح».

«العالم الروحي هو العالم المادي والأصلي والخالد، ووجوده سابق لكل الأشياء وباق بعد كل الأشياء».

«العالم الجسدي ثانوي الأهمية، لا فرق لو كفّ عن الوجود أو لم يوجد البتة، دون أن يؤثر ذلك على جوهر العالم الروحي».

«تكتسي الأرواح مؤقتاً بكساء مادي وفان. وانحلال هذا الكساء بالموت يعيد إليها حريتها».

«اختار الله الجنس البشري من بين مختلف أجناس الكائنات الجسدية، لتتجسد فيه الأرواح التي بلغت درجة ما من الارتقاء، مما يجعلها متفوّقة أخلاقياً وعقلياً على الكائنات الأخرى».

«نفس الإنسان هي روح متجسدة، ولا يعدو الجسد أن يكون غلافاً لها[1]».

«في الإنسان ثلاثة عناصر: الأول هو الجسد أي الكائن المادي نظير جسد الحيوانات ويحييه المبدأ الحيوي. الثاني الذي هو النفس أي الكائن اللامادي، أو الروح المتجسدة في الجسد. والثالث هو الصلة التي تربط الروح إلى الجسد والتي هي العنصر المتوسط بين المادة والروح».

«هكذا يكون للإنسان طبيعتان: بجسده يشارك طبيعة الحيوانات وغرائزها، وبروحه يشارك طبيعة الأرواح».

«الصلة أو غلاف الروح، الذي يصل الجسد بالروح، هو عبارة عن غلاف نصف مادي. وبالموت ينحل الغلاف الغليظ أي الجسد، فيحتفظ الروح بالغلاف الثاني أي الذي يكوّن له جسماً أثيرياً، لا نراه في حالته العادية ولو أنه في بعض

---

(1) في اللغة العربية، تستعمل كلمة الروح في المذكّر عندما تشير إلى كائن من عالم الغيب، أي العالم الروحي، وفي المؤنث عندما تشير إلى العنصر اللامادي الذي يدخل في تكوين الإنسان. لذلك سنستعملها في سياق هذا الكتاب تارة في المذكر وتارة في المؤنث وفقاً للحال (ملاحظة المترجم).

الحالات الخصوصية، يستطيع الروح أن يكون مرئياً وحتى أن يلمس، كما يحدث في ظاهرة ظهور الأشباح».

«الروح إذن، ليس كائناً مجرداً ومبهماً وغير محدد، لا يدرك إلا في تخيل الإنسان، بل هو كائن حقيقي محدد ومتعين، يمكن في أحوال خاصة التحقق من وجوده بواسطة حواس النظر والسمع واللمس».

«للأرواح درجات مختلفة وليسوا متساويين في القدرة ولا في الذكاء أو في المعرفة أو في الأخلاق. فأرواح الدرجة الأولى هم الأرواح السامية الذين يمتازون عن الآخرين بالكمال وباتساع معارفهم ومجاورتهم لله وسموّ مشاعرهم وحبهم للخير. هؤلاء هم الملائكة أي الأرواح الطاهرة. أما الدرجات الأخرى، فهي تبتعد أكثر فأكثر عن هذا الكمال. وأما الدرجات السفلى فهي تحمل أغلب شهواتنا البشرية كالحقد والحسد والغيرة والكبرياء الخ، وتسر بالشر. وداخل هذه الدرجات أيضاً أرواح ليست كثيرة الخير ولا كثيرة الشر، بل هي مزعجة ومضايقة ودساسة أكثر مما تميل إلى الشر، وأهم طابع فيها هو ميلها إلى الخبث وعدم المسؤولية. وهؤلاء هم الأرواح الطائشة والغبية».

«لا تبقى الأرواح على الدوام في نفس الدرجة، بل يرتقي جميعها مجتازاً درجات التدرج الأرواحي على اختلافها. أما ارتقاءهم فيتم بواسطة التجسد أي التأنس، الذي يُفرض على البعض منهم كتكفير، وعلى البعض الآخر كرسالة. إن الحياة في المادة تجربة يتحتم عليهم احتمالها مرات عديدة إلى أن يصلوا إلى الكمال المطلق. فالحياة في المادة تعمل بمثابة مصفاة للتنقية يخرج الروح منها مطهراً إلى حد ما».

«بعد هجرها الجسد، تعود النفس (أي الروح) إلى عالم الأرواح من حيث أتت عندما ابتدأت وجوداً جديداً في المادة، وستبقى في عالم الأرواح برهة طويلة أو قصيرة نسبياً وتكون خلالها في حالة روح جوالة».

«نظراً إلى أن على الروح أن تتجسد مرات عديدة، فهذا يعني أنا جميعاً عشنا حيوات عديدة، وسنعيش حيوات أخرى في درجات مختلفة من التقدم، إما على هذه الأرض أو في عوالم أخرى».

«يحصل تجسّد الأرواح دائماً في الجنس البشري. فمن الخطأ الظنّ بأن النفس أي الروح قد تتجسد في جسد حيوان[1]».

«الحيوات الجسدية المختلفة التي يعيشها الروح في الجسد، هي دائماً تقدّمية ولا يمكن أبداً أن تكون تراجعية. لكن سرعة التقدم متناسبة مع اجتهادنا للوصول إلى الكمال».

«صفات النفس هي صفات الروح المتجسد فينا. فالإنسان الصالح هو تجسد روح صالحة والإنسان الشرير هو تجسد روح نجسة».

«الروح، قبل أن يتجسد، كان له فرديته، وبعد انفصاله عن الجسد، يحتفظ بتلك الفردية».

«حينما يعود إلى عالم الأرواح، يلتقي الروح بجميع الذين عرفهم على الأرض، وتنبسط أمام ذاكرته كافة حيواته السابقة، فيبصر كل الخير وكل الشر الذي فعله».

«تسيطر المادة على الروح المتجسد، لكن الإنسان الذي يتحرر من تلك السيطرة بواسطة الاجتهاد للصعود بروحه والعمل لتنقيتها، يتقرّب من الأرواح الصالحة، ويصبح فيما بعد واحداً منها. أما الإنسان الذي يدع نفسه يسقط تحت سيطرة الأهواء الدنيئة، ويمعن في إشباع شهواته البذيئة، يقترب من الأرواح النجسة وتسود فيه طبيعته الحيوانية».

«الأرواح المتجسدة تسكن عوالم الكون على اختلافها».

«الأرواح اللامتجسدة أو المتجولة لا تمكث في مكان معين ومحدود، بل هي موجودة في كل مكان في الفضاء وإلى جانبنا، فهي ترانا وتختلط بنا على الدوام، وهي تشكل شعباً لا يرى يتحرك حولنا».

«تؤثّر الأرواح تأثيراً مستديماً على الحياة الخُلُقية، وحتى على الحياة المادية، وتؤثر على المادة وعلى الأفكار، إذ أنها إحدى قوى الطبيعة والمسبب الفعال لظواهر عديدة كانت أسبابها إلى هذا الحين مجهولة أو مفسرة تفسيراً سيئاً، وأمكن إيضاحها بنحو معقول في الأرواحية فقط.

---

(1) بين هذا التعليم عن العودة للتجسد ومبدأ التقمص metempsicose أي تقمص روح الإنسان في الحيوان وروح الحيوان في الإنسان — الذي تعتقد به بعض السير الروحانية، فرق هام سنبيّنه في سياق هذا الكتاب (ملاحظة المترجم).

«علاقات الأرواح مع الناس مستديمة، فالأرواح الصالحة تحاول قيادتنا إلى الخير وتقوّينا في تجارب الحياة، وتعيننا على احتمالها بشجاعة وتجلّد. أما الأرواح الشريرة، فتُغوينا بالشر، وتتلذذ بمشاهدة سقوطنا وتمثّلنا بحالتها التعسة»

«مخابرات الأرواح مع البشر قد تكون خفية أو علنية. تحدث المخابرات الخفية بواسطة تأثير الأرواح علينا بدفعنا نحو الخير أو الشر دون أن ندري به، وعلينا التمييز بين الإيحاء الصالح والإيحاء السيئ الآتي إلينا. أما المخابرات العلنية فهي تحدث بواسطة الكتابة أو الكلام أو انكشافات مادية أخرى أغلبها عن طريق الوسطاء الذين يمثلون أداة للأرواح».

«تحضر الأرواح تلقائياً أو بالاستدعاء. من الممكن استدعاء أي روح من الأرواح لا فرق فيما إذا كانت سابقاً، روح أحقر الناس أو أشهرها، ومهما كان العصر الذي عاش فيه، أو إذا كان من أقاربنا أو أصدقائنا أو أعدائنا، ونطلب منها أن تخاطبنا بالكتابة أو بالصوت، وأن تقدّم لنا إرشاداتها ومعلومات عن حالتها بعد موتها، وعن آرائها نحونا، ويمكن أيضاً أن تبيح لنا بما يسمح لها إباحته».

«ما يجذب الأرواح إلى مستحضريهم هو انجذاب الأرواح نحو صفات مستحضريهم الأدبية. فالأرواح السامية تسرّ بالاجتماعات الجادة، حيث تجد نزعة الخير بين المجتمعين والرغبة الصادقة لدى مستحضريها بأن يتعلموا ويحسنوا أنفسهم. غير أنه من اجتماعات كهذه تنفر الأرواح الواطئة الدرجة، التي هي بالعكس، تجد الاقتراب سهلاً والحرية كاملة للعمل بين الأشخاص الطائشين أو المجتمعين لمجرد الرغبة في النظر، وفي أي مكان تتواجد النزعات الشريرة. فمن العبث أن ننتظر من تلك الأرواح إرشادات أو معلومات نافعة، إذ أن كل ما تأتي به هو سفاسف وأكاذيب وألاعيب سخيفة وخداع، وكثيراً ما تلقّب نفسها بأسماء محترمة لتشجع سامعيها على الضلال.

«التمييز بين الأرواح الصالحة والشريرة سهل جداً. فالأرواح الرفيعة تتكلّم دائماً كلاماً وقوراً جليلاً مليئاً بأسمى المبادئ التهذيبية وخالياً من الأهواء الدنيئة. وتتجلى في إرشاداتهم أعلى درجات المعرفة والتوجيه الدائم إلى صالحنا وإلى خير الإنسانية. أما مخاطبات الأرواح المتدنية فهي على عكس ذلك، إذ تمتلئ بالتناقض وتفاهة المعنى وحتى الخشونة، فلو حدث أن رغبت أحياناً بأشياء نافعة وحقيقية فإنها في أغلب الأحيان لا تنطق إلا بالأكاذيب والأمور غير المعقولة، وذلك إما عن سوء نية أو عن

جهل. وهي تستهزئ من تصديق الحاضرين السريع لها، وتتسلى بأسئلتهم، وتمالق زهوهم، وتخدع رغباتهم بوعود مزيّفة. وباختصار لا تحدث المخاطبات الجادة المفيدة، بتمام معنى هذه الكلمة، إلا في الاجتماعات الجادة الرصينة، التي يكون أعضاؤها متحدين اتحاداً تاماً، وبتفكير واحد موجّه إلى الخير».

«يتلخص التعليم التهذيبي للأرواح العليا، مثل تعليم المسيح، في قاعدة الإنجيل القائلة: «لنفعل للآخرين كما نريد أن يفعل الآخرون لنا»، أي بعبارة أخرى «لنفعل الخير ولا نبتعد عن الشر»، وهذا مبدأ شامل لسلوك الإنسان ينطبق على أصغر الأمور وأكبرها».

«تُعلّمنا الأرواح، أن الأنانية والكبرياء والانهماك بالملذات الجسدية الشهوانية، هي أهواء تُقرّبنا من الطبيعة الحيوانية وتربطنا بالمادة، وأن على الإنسان في هذه الحياة أن يتحرر من سيطرة المادة، ويصون نفسه متجنباً الميل إلى التوافه الدنيوية ويحافظ على المحبة للقريب، حتى يقترب من الطبيعة الروحية. ويتوجب على كل منا أن يكون نافعاً في حياته بحسب المقدرات والوسائل التي أعطاه الله إياها لتجربته. وأن واجبات الأقوياء وذوي السطوة، هي مساعدة الضعفاء وحمايتهم، لأن من يسيء استعمال قوته ونفوذه لاضطهاد نظيره من البشر، يخالف ناموس الله. وهي تعلّمنا أخيراً، أنه لا يمكن إخفاء أي شيء عن عالم الأرواح، حيث ينكشف خبث المرائي ويرفع الستار عن إثمه. وأن من القصاص الذي يتحتم علينا احتماله، معاينتنا المستديمة للذين أسأنا إليهم. وأن هناك أنواعاً من المحن عند الدرجات السفلى والعليا من الأرواح، ما لا نظير لها على الأرض».

«لكنها تعلمنا أيضاً، أنه ليس هناك أخطاء لا تغفر ولا تمحى بالتكفير عنها. لذلك فقد أعطيت للإنسان الوسيلة لإمعان التفكير بواسطة تعدّد التجسدات الجسدية، لكي يتقدم طبقاً لإرادته وجهوده في طريق الارتقاء ونحو الكمال الذي هو هدفه الأكبر».

هذا هو ملخّص تعاليم الأرواح، كما أتت بها الأرواح السامية. فلنفحص الآن الاعتراضات على هذه التعاليم.

7 . العلم والأرواحية

يدّعي الكثير من الناس أن رفض الجمعيات العلمية لتعاليم الأرواح، وإن لم يكن بذاته برهاناً قاطعاً ضد الأرواحية، فإنه على الأقل، أحد عوامل الشكّ بصحتها. لسنا من الذين يزدرون العلماء وأحكامهم، لأننا لا نود إعطاءهم فرصة ليلقّبونا بأغبياء، فنحن نعتزّ بهم ولنا الشرف بأن نكون منهم. على أنه رغم ذلك، لا يصحّ التفكير بأن آراءهم دائماً وفي جميع الظروف، آراء قاطعة دون استثناء.

حين يبتعد العلماء عن المراقبة المادية للوقائع، ويشرعون بتقديم الآراء لتفسير تلك الوقائع، فهم ينتقلون إلى دائرة التخمين. وحينئذ، فإن كل واحد منهم يأتي بنظريته الخاصة، مدافعاً عنها بحرارة في سبيل انتصارها. ألا نرى كل يوم، آراء متناقضة أقصى التناقض، فتارة تؤيّد آراء وتارة تطرحها جانباً، كأغلاط فاضحة، وفي الغدّ ينادون بها كحقائق لا ريب فيها؟ إن الأحداث الواقعية هي وحدها المقياس الأكيد لنوع الحكم الذي لا يترك مجالاً للجدل. وفي حال عدم وجود وقائع، يكون للحكيم الحق بأن يتشكّك بها.

أما فيما يخصّ الحالات البيّنة، فإن آراء العلماء تستحق كل الاعتبار، إذ أنهم أكثر خبرة بها من باقي الناس. ولكن فيما يخصّ المبادئ الحديثة العهد والأمور التي لا تزال مجهولة، فليست آراء العلماء فيها إلا آراء افتراضية، إذ إنهم ليسوا أقل تحيّزاً من كافة الناس. ويجوز القول إنهم ربما أشدّ تحيّزاً من غيرهم، لأنهم يميلون ميلاً طبيعياً لإخضاع كل شيء إلى وجهة نظر اختصاصهم. فالعالم بالرياضيات مثلاً يرفض كل ما لا يمكن إثباته ببرهان الجبر، والكيماوي يرى كل الأشياء من وجهة نظر التفاعل بين العناصر الكيماوية[1] الخ. هكذا، فكل إنسان يتخصص بناحية من نواحي العلوم يدعها تسيطر على أفكاره. فإذا خرج عن اختصاصه، فإنه في أكثر الأحيان يُخطئ في أحكامه، لأنه يريد تطبيق كل الأشياء على مقياس ما اعتاد عليه. ذلك هو ضرب من الضعف البشري، لذلك، وبطيبة خاطر وثقة كاملة، فنحن نأخذ رأي الكيماوي بخصوص مسألة "تحاليل الكيماوية"، ورأى المتخصصين بعلم الطبيعيات بشأن القوة الكهربائية، والخبير الميكانيكي بخصوص القوة

---

(1) ورجال الدين والفقه واللاهوت يرفضون كل ما لم تذكره الكتب الدينية والفقهية أو لم يجئ في التعاليم التي ورثوها من اسلافهم (ملاحظة المترجم).

المحرّكة، ولكننا مع اعتبارنا لمعرفتهم فيما تخصصوا به، نطلب منهم السماح بأن لا نُعطي أكثر قيمة لآرائهم عن الأرواحية. فكيف إذا سألنا مهندساً معمارياً عن رأيه في مسائل الموسيقى.

تقوم العلوم الوضعية على خصائص المادة التي يمكن اختبارها ومعاينتها وإخضاعها بحسب إرادة الباحثين. أما الظواهر الروحية، فهي تصدر عن كائنات ذكية ذوات إرادة شخصية تبرهن لنا المرة بعد المرة، بأنها لا تخضع لرغباتنا. وبناء على ذلك، لا يمكن إجراء الاختبارات لهذه الظواهر بنفس الطرق التي نختبر بها ظواهر المادة، لأن مصادرها مختلفة. فالأرواحية تتطلب مستلزمات خصوصية وطرقاً موافقة لطبيعتها. ومن يصرّ على اختبارها بذات الوسائل الاعتيادية، فإنه يفعل ذلك معتقداً بأن هناك تشابهاً بين الميدانين لا وجود له في الواقع. كذلك فإن العلم، حسب المعنى المألوف للكلمة، لا يستطيع أن يحكم في الأرواحية، وليس من خصائصه التدخل في هذا الأمر، وحكمه لها أو عليها لا أهمية له بتاتاً. إذ يحصل للشخص الاعتقاد بالأرواحية عن طريق اليقين، وقد يعتقد بها العلماء كأفراد، بصرف النظر عن صفتهم كعلماء. فمن العبث أن نطرح هذه المسألة على العلوم الإيجابية، مثلما أننا لا نلجأ إلى أحد من علماء الطبيعيات أو من الفلكيين لكي يحلّوا لنا مشكلة وجود النفس. إن التعليم الروحي قائم برمّته على وجود النفس وعلى حالتها بعد الموت. فمن الخرق في الرأي، الظن بأن شخصاً، لكونه متخصصاً في علم الرياضيات أو لكونه جرّاحاً شهيراً، قد يكون حتماً خبيراً في علم النفس. فعندما يُشرِّح الجراح بمشرطه جسد الإنسان ويفتّش عن الروح ولا يجدها كما يجد عادة أمام عينيه الأعصاب، أو أنه لا يشاهدها تصعد كسحابة من الغاز، فيحكم حينئذ بأن الروح لا وجود لها، لكونه يبني رأيه على وجهة نظر مادية بحتة، هل يُستنتج من ذلك أنه على صواب رغماً عن الرأي العام؟ كلا، طبعاً. نحن نرى إذن أن البحث في الأرواحية ليس من خصائص العلوم المادية.

عندما تصير الاعتقادات الروحية سائدة، وتقبلها الجماهير (وذلك اليوم ليس بعيداً نظراً لسرعة انتشارها بين الناس)، فسيحدث بشأنها ما حدث لكل الأفكار الجديدة التي صادفت مقاومة: وسيُسلّم بها العلماء، وسينقادون شخصياً إليها بقوة البيّنات الراهنة ذاتها. فإلى أن يأتي ذلك اليوم، يتوجب على العلماء ألا ينصرفوا عن

أعمالهم الخاصة قبل الأوان، ليهتموا بموضوع غريب عن تخصصهم ومنهج أعمالهم. أما الذين يسرعون الآن بالحكم على هذه الظواهر قبل أن يستطلعوا حولها بتعمّق، هازئين بالذين لا يفكرون مثلهم، فهم ينسون أن ما يحدث بشأن الأرواحية هو ذاته ما حدث بشأن أكثر الاكتشافات الكبرى التي تقدّرها الإنسانية اليوم. إنهم يبادرون للانضمام إلى قائمة الوجهاء المقاومين للأفكار الجديدة، كي يدوّن اسمهم إلى جانب أعضاء جمعية العلماء الذين في عام 1752، عندما تسلّموا تقرير «فرانكلين» عن الشاري (= مانع الصاعقة)، ضحكوا منه وصوتوا بأنه لا يستحق حتى مجرد إدراجه بين المواد التي سيتباحثون حولها. أو إلى الذين جعلوا فرنسا تفوتها منافع الملاحة بالبحار عندما استخفوا بفكرة «فولتن» وقالوا إنها غير معقولة. ومع ذلك، كانت تلك مسائل من اختصاصاتهم. فإذا كانت هذه المحافل العلمية المكوّنة من أجل علماء البلاد، لا تعرف سوى السخرية والهزء بتلك الأفكار الجديدة التي لم يفهموها، والتي بعد سنوات قليلة تطوّرت تطوراً واسعاً إلى درجة أنها غيّرت قواعد العلم والعادات والصناعات تغييراً شاملاً، فكيف يمكننا، والحالة هذه، أن ننتظر منهم حكماً أفضل في مسألة تخرج عن دائرة معارفهم؟

على أن أغلاط العلماء، مع كونها أمراً يؤسف له، فإنها لا تؤثر على احترامنا لهم فيما حققوه من نواح أخرى. ولكن هل يتحتم على المرء، أن يكون حاملاً لشهادة رسمية لكي يُعتبر عاقلاً؟ وهل يصحّ القول بأنه لا يوجد خارج الدوائر العلمية إلا البلهاء ومختلو العقول؟ يكفي المعترضين أن يلقوا نظرة سريعة على مشايعي التعاليم الأرواحية ليروا إذا ما كانوا فعلاً من الجهلاء وإذا كانت نوعية الفضلاء من المعتقدين بها تجعلنا نضعها في قائمة العقائد الشعبية الخرافية. لا ريب أن خلق وثقافة هذا الجمهور من المعتقدين بهذه التعاليم تسوغ الفكرة القائلة بأنه لا بد من وجود شيء يسبّب اعتقادهم بها.

نكرّر ما ذكرناه سابقاً بأنه لو كانت هذه الظواهر مقتصرة على الحركة المادية في الأشياء، لكان البحث عن أسبابها المادية من خصائص علم الطبيعيات، ولكن لأنها ظواهر خارجة عن دائرة القوانين المعروفة لدى الإنسان، فهي تخرج عن خواص العلوم المادية، إذ لا يمكن شرحها بالأرقام أو بالقوة الميكانيكية. وهكذا فكلما حدثت ظواهر جديدة للأشياء لا تنطبق على العلوم المألوفة، يتحتم على العلماء

الباحثين دراستها، وأن يصرفوا النظر مؤقتاً عن دائرة علومهم قائلين في أنفسهم: نحن إزاء بحث جديد لا يمكن دراسته بما تعلّمناه سابقاً.

من اعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ، يقترب جداً من السقوط فيه. وحتى الذين زاغت أفكارهم تماماً، يصرّحون بأنهم يفكّرون كذلك بحسب ما يملي عليهم عقلهم، ويذهبون باسم العقل إلى إنكار كل ما يبدو لهم صعب الحدوث. إن الذين نبذوا في الماضي الاكتشافات العظيمة التي تفتخر بها الإنسانية اليوم، كانوا جميعهم يفعلون ما فعلوه باسم العقل. والحقيقة أن ما يسميه الإنسان بالعقل، إنما هو في أكثر الأحيان تستّر يخفي وراءه الكبرياء، ومن يعتقد بأنه لا يمكن أن يخطئ يساوي نفسه بالله. لذلك فنحن نتوجه إلى الذين يتروون بتفكيرهم، الذين يشككون بما لم يشاهدوه بعد، أن ينظروا بالأحرى إلى المستقبل ذاكرين أمثولة الماضي، إننا نخاطب الذين لا يظنون أن الإنسان قد بلغ أوج معارفه، وأن الطبيعة قلبت للإنسان الصفحة الأخيرة من كتابها.

8 ـ المثابرة والجدّ

نضيف بأننا إن شئنا دراسة مذهب مثل مذهب الأرواح، فسنرى أنفسنا فجأة أمام ميدان فائق الحداثة والعظمة، بحيث أن الأمر يتطلب أناساً جادين في مقاصدهم، ثابتين ولا يعرفون الملل، ومتحرّرين من سبق الظن ومصممين بإخلاص على الوصول إلى نتيجة واضحة. لا يصح أن ننسب هذه الصفات إلى هؤلاء الذين يحكمون قبلياً وبسرعة على الظواهر، قبل مشاهدتهم لها، وإلى الذين لا يُعطون لأبحاثهم، ما يلزمها من المثابرة والانتظام والرصانة التي لا غنى عنها في هذا الميدان. وكذلك إلى بعض الذين يودّون المحافظة على منزلتهم كرجال الفكر، فيجتهدون في إثارة السخرية حول الأشياء الجادة، أو فيما يعتبرونها جادة أو إلى أشخاص يتمتعون بثقافة وشخصية واعتقاد تؤثر على من يؤمنون بهم. لذلك فنحن نقول لأولئك الذين يعتبرون أن هذه الظواهر لا تستحق انتباههم أن يكفّوا عن اعتدادهم، فنحن لا نبتغي إقناعهم بما لا يعتقدون. لكن من واجبهم مراعاة عقائد الآخرين.

تتميز الاختبارات الجادة بالمثابرة في البحث. أتتعجب إذن إن لم يصدر عن الأرواح أجوبة عقلانية على الأسئلة، رغم أنها جادة حين نطرحها عليهم بلا قصد وبطريقة مفاجئة، مترافقة بأسئلة أخرى عادية؟ فالسؤال، إذا كان من النوع الشامل، فهو

يستلزم للإجابة عليه أسئلة أخرى تمهيدية أو مكمّلة له. ومن أراد التعمّق في علم من العلوم، يحتاج إلى دراسته دراسة منتظمة، مبتدئاً من البداية ومتقدماً بخطوات متتابعة في سياق أفكاره. ماذا يُجدي الشخص الذي يتقدّم بفتة من أحد العلماء ويسأله عن علم من العلوم، وهو يجهل حتى مبادئه الأولية؟ هل يمكن لذلك العالم، مهما حاول، أن يجيبه جواباً مرضياً؟ فهذا الجواب في حالة كهذه سيكون حتماً من النوع المحدود النطاق، ولهذا السبب سيكون صعب الفهم أو ربما يبدو للسائل كجواب أحمق ومتناقض. وذلك عينه ما يحصل في مخاطبتنا للأرواح. فإذا أردنا أن نتعلم بواسطتهم، فعلينا أن نتبع تعليمهم. وكما نفعل في الحياة على الأرض، علينا أيضاً أن ننتخب المعلّمين ونثابر على الدروس.

ذكرنا فيما سبق أن الأرواح الرفيعة الدرجة، لا تحضر إلا في الاجتماعات الجادة، والتي يسيطر عليها اتحاد الأفكار والمشاعر الطيبة، وهي تبتعد عن الاجتماعات التي تطرح فيها أسئلة سخيفة وعديمة الأهمية، مثلما هي الحال بين الناس، حين يترك العاقلون الاجتماعات السخيفة. وإذا حدث ذلك، فسيخلو المجال لحضور جماعة الأرواح الكاذبة والطائشة التي تقف دائماً بالمرصاد، فتجد فرصة لتهزأ بنا وتتسلى على حسابنا. ماذا يحدث لو سأل أحد سؤالاً جاداً في اجتماع كهذا؟ هل يُجاب على مثل هكذا سؤال؟ ومن هو الذي سيجيب؟ لأن ما يحصل في هذا الاجتماع يشابه حالة شخص يسأل زمرة أناس طائشين وهم في غمرة لهوهم: ما هو الروح؟ ما هو الموت؟ وأسئلة أخرى.

إذا أراد المرء أجوبة جادة، فعليه أن يسأل الأرواح بكل ما يمكنه من الجد، وأن يراعي أيضاً القواعد الأخرى اللازمة. فإن فعل ذلك، فسيحصل على نتائج حسنة. كونوا إذن مجتهدين ومثابرين في بحثكم، لكي لا تبتعد عنكم الأرواح السامية كما يبتعد المدرّس عن تلاميذه المهملين.

9. المدّعون بالاتزان العقلي

إن تحرّك الأشياء أمر ثابت لا يمكن التشكّك به. والحال هو أن نتساءل ما إذا كان وراء ذلك التحرّك ظاهرة ذكاء، فإذا كان الرد إيجابياً، فما هو المصدر الذكي وراء هذا التحرك؟

لا نقصد هنا تحرك أشياء تحركاً ذكياً، ولا المخابرات الناطقة، ولا التي تأتي مباشرة بواسطة كتابة الوسيط، إذ إن هذه الأنواع من المخابرات، رغم أنها مقنعة للذين قد رأوها وتعمّقوا في الموضوع، فهي لا تبدو من أول نظرة مستقلة بنحو كاف عن تدخل الإرادة، لإقناع المشاهد المبتدئ. ولكننا سنتكلم الآن فقط عن الكتابة بواسطة القلم المركّب على السلة، أو اللوحة، أو ما يشابه ذلك. إن الطريقة التي بها يضع الوسيط أصابعه على تلك الأشياء لأجل الكتابة، كما ذكرنا آنفاً، تتحدى أشد البراعة، ليتدخل الوسيط فرضاً ويؤثر على عملية كتابة الحروف. سنفترض مع ذلك أن له تلك المقدرة العجيبة، وأنه قد يتمكن من خدع أنظار المشاهدين. ولكن كيف تفسّر طبيعة الأجوبة عندما تأتي في نطاق أعلى من أفكار وعلوم الوسيط؟ لا سيما وأنها ليست أجوبة مقتضبة، بل أجوبة تعطي أحياناً صفحات عديدة، مكتوبة بسرعة فائقة، تأتي تارة من تلقاء نفسها وتارة متعمقة في موضوع معين. هكذا، بواسطة يد الوسيط الجاهل لآداب اللغة، وتأتي أحياناً على صورة أشعار فائقة الرفعة والجمال والصفاء، قد لا يأبى أكبر الشعراء أن يعتبرها من نظمه. وما يلفت النظر إلى هذه الظواهر هو حدوثها في شتى أقطار العالم، وتكاثر عدد الوسطاء إلى ما لا نهاية. فهل هذه الحوادث حقيقية؟ جوابنا على هذا السؤال هو: اذهبوا وشاهدوا وراقبوا، لأن الفُرص للاطلاع متاحة لكم، ولكن ما يهمّ هو أن تراقبوا طويلاً ومراراً، وبحسب القواعد اللازمة.

ماذا يقول المعارضون لهذه البراهين؟ يقولون إما أن الوهم قد تلاعب بكم أو أنكم ضحايا المشعوذين الذين يغشّونكم. ونجيبهم على هذا، أولاً، ليس هناك شعوذة حيث لا توجد فوائد، إذ أن المشعوذ لا يشتغل مجاناً، وأسوأ افتراض هو القول بأنهم يخدعوننا. ولكن أيكون هذا الخداع منظماً بهذا القدر، في جميع نواحي المسكونة إلى درجة حدوث نفس الظواهر في كل مكان وبلغات مختلفة، وأن تأتي نفس الأجوبة، إن لم يكن بنفس الكلام، فإنها متماثلة من حيث المغزى؟ فهل يعقل انهماك أشخاص رصينين ومحترمين ومثقفين بعملية خداع كهذه، ولأي غرض؟ وكيف يبرر صبر كهذا وحذق لدى الأطفال والأولاد؟ فطالما أن الوسطاء ليسوا آلة سلبية، فيلزمهم من البراعة والمعرفة الشيء الكثير، مما لا يتفق مع عمر البعض والمركز الاجتماعي لعدد كبير منهم.

ثم يعود المعارضون ويقولون: إن لم يكن هناك خداع، فهنالك نوع من الوهم يصيب الفريقين. والجواب المعقول على هذا الاعتراض هو وجوب النظر إلى صفات الذين يشاهدون الظواهر. والتساؤل إن كانوا فعلاً من الجهلاء، أعني أتباع تعاليم الأرواح الذين يعدّون اليوم بالآلاف، نحن لا ننكر أن الظواهر التي تقوم عليها هذه التعاليم، تدعو إلى الشك، نظراً لغرابتها، ولكن ما لا نستطيع أن نقبله هو ادعاء بعض المشكّكين بأنهم هم وحدهم من يتمتع بالاتزان العقلي، ولا يترددون في الطعن بفضائل مخاصميهم، وينسبون إلى جميع الذين لا يفكرون مثلهم الغباوة والبلاهة. أما في نظر أي شخص رصين، فإن رأي الناس المتنوّرين الذين شاهدوا الحوادث طويلاً ودرسوها وتمعنوا فيها، إذا لم يكن بذاته برهاناً كافياً لتقريرها، فهو على الأقل ظن حسن لكونه يستهوي رجالاً معتبرين لا نفع لهم في نشر الضلال، ولا وقت لهم لضياعه في أشياء تافهة.

10. مخاطبة الأرواح والقوة الشيطانية

إن بعض الاعتراضات المقدمة، يستحق اعتبارنا ولو في الظاهر على الأقل، لأنها صادرة عن مشاهدة ومراقبة أناس رصينين.

يشير أحد الاعتراضات إلى أسلوب بعض الأرواح، إذ أنه لا يليق حسب هذا الاعتراض بما يفترض من الرفعة في كائنات فائقة على الطبيعة. غير أنه في ملخص التعاليم الأرواحية التي ذكرناها آنفاً، قلنا إن نفس الأرواح صرّحت لنا، بأنها ليست متساوية في المعارف، ولا في الصفات الأدبية، ولا يصح لنا أن نصدّق حرفياً كل ما تقول. فعلى ذوي الحكمة الفصل بين الصالح والسيئ فيما تصرّح. لا شك أن هؤلاء الذين يرون في تصريحنا هذا ما يجعلهم يحكمون بأنه لا يتخاطب معنا إلا أرواح شريرة شغلها الشاغل خداع الناس، ولكن هؤلاء لم يتعرّفوا بعد على المجتمعات التي تتخاطب فيها أرواح سامية، وإلا لما فكروا على هذه الصورة. نحن نأسف لذلك، حين نرى أن الصدف قد قادتهم بحيث لم يشاهدوا إلا الجانب السيئ من عالم الأرواح، غير أنه يصعب علينا التفكير بأن مشاعر طيبة تجتذب إليها، بدلاً من الأرواح الصالحة، أرواحاً كاذبة يشمئز الحاضرون من كلامها. ولهذا فنحن نستنتج بأن نوايا هؤلاء الأشخاص ليست من الأمانة الكافية لتقيها من الشر، وأن الأرواح الشريرة حين ترى لدى هؤلاء الأشخاص فضولاً زائداً، فإنها تسرّ وتغتنم الفرصة للتقرّب منهم بينما تبتعد عنهم الأرواح الصالحة.

على أنه لا يصحّ أن تُقاس الأرواح بهذا القياس، مثلما أنه لا يصحّ الحكم على طابع أمة بأجمعها بقياس ما يقول ويعمل أناس طائشون أو أشرار، ففي اجتماع لا يحضره ذوو الحكمة والثقافة. فإن الحال يشبه الزائر الأجنبي لعاصمة كبيرة، فيقيس جميع سكانها بما يصادفه في أحطّ ضواحيها من العادات السيئة، وما يسمعه من الكلام الذي في هذا الحي الحقير. تلك هي الحال أيضاً في عالم الأرواح، حيث يوجد أيضاً مجتمع صالح ومجتمع سيئ. فليدرس هؤلاء المعترضون ما يصدر عن نخبة الأرواح وسيحكمون بخلاف ذلك ويزيلون من ذهنهم الفكرة بأن الأقطار السماوية لا تحوي إلا المنحطّين من السكان، وسوف يسألون: هل تنزل الأرواح الرفيعة المقام لمخاطبتنا؟ ونحن نجيبهم: لا تستقروا في الضواحي بل انظروا وراقبوا واحكموا. فإن الظواهر واضحة للجميع، إلا إذا كنتم من الذين تنطبق عليهم كلمات المسيح القائلة: «لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون».

هناك جانب آخر لهذا الاعتراض، وهو رؤية بعض الناس في المخاطبات الأرواحية وفي الأحداث المادية التي تحدث من تأثيرها، تدخل قوة شيطانية، أو تدخل إبليس جديد يتقلّب ويتنكر بشتى الوسائل ليخدعنا. ونحن لا نرى في هذا الاعتراض ما يستحق الفحص الجاد إذ أنه اعتراض قد فنّدناه فيما قلناه سابقاً. نُضيف فقط على ما ذكرنا أنه لو كان الأمر كما يقولون فنحن نجد في الشيطان أحياناً الكثير من الذكاء والحكمة والتروّي وعلى الأخص الأخلاق السامية وإلا فإن هناك شياطين صالحين أيضاً.

هل يعقل بأن يسمح الله بمجيء أرواح الشر فقط لأجل هلاكنا، دون أن يسمح، على سبيل الموازنة، بأن تأتي إلينا أرواح صالحة لإرشادنا؟ وإذا لم يقدر على ذلك، فليس الله إذن قادراً على كل شيء، وإن كان قادراً ولا يفعل ذلك، فهذا يتناقض مع محبته، وأي افتراض من الافتراضين تجديف عليه. من جهة أخرى، والواقع أنه بمجرد الاعتراف بإمكان المخاطبات مع الأرواح الشريرة يسلّم الشخص بصحة مبدأ الظواهر الأرواحية واستعلانها. فإذا كانت هذه الأحداث تحدُث حقاً فلأن الله يسمح بحدوثها. كيف إذن يمكن القول بأنه يحابي أرواح الشر ويمنع أرواح الصلاح، دون أن نكون من المجدِّفين؟ إن تعليماً كهذا مضاد لأبسط قواعد الفكر السليم، ومخالف للمبادئ الدينية ذاتها.

11 . الكبار والصغار

ويتعجب البعض متسائلين: لماذا تتخاطب معنا فقط أرواح الشخصيات الشهيرة؟ لماذا لا تحضر أرواح الأشخاص الأخرى؟ وهؤلاء مخطئون أيضاً في زعمهم هذا، كما أنهم مخطئون في عدة حالات أخرى، لكونه يأتي من مراقبة سطحية. فمن الأرواح التي تأتي تلقائياً، يفوق عدد المجهولين عدد المشهورين، وهم يتخذون أي اسم كان، وبالأخص اسماً رمزياً أو تعريفياً. أما الذين نستحضرهم، فإن لم يكونوا من أقربائنا أو من أصدقائنا، فسنفضّل طبعاً الذين نعرفهم لا الذين هم غرباء عنا. إن أسماء الأشخاص المشهورين تلفت النظر ولذلك فهي التي برزت.

يتعجّبون أيضاً من أن أرواح أناس رفيعي المقام تلبي نداءنا بطيبة خاطر، وتُصغي أحياناً إلى أمور عديمة المعنى قياساً على ما كانت تتعاطاه في حياتها على الأرض. الجواب هو أن ذلك ليس من العجب في شيء بالنسبة إلى الذين يعلمون أن المراكز الهامة والاعتبارات الشخصية في هذا العالم، لا تأثير لهما في العالم الأرواحي. بهذا تُثبت الأرواح قول الإنجيل: «سيُحطّ الكبار ويرفع الصغار»، وهي كلمات تشير إلى الدرجة التي سنشغلها بينهم. وهكذا، فمن كان من الأولين على الأرض، قد يصبح من الآخرين في العالم الأرواحي. ومن كانت تنكس أمامه الرؤوس أثناء حياته على الأرض، قد يعود كمحترف وضيع جداً، لأنه بانتهاء حياته الأرضية يترك وراءه كل عظمته الماضية، وأقوى الملوك سلطاناً وشوكة قد يكون تحت سلطان أحقر جنوده.

12 . تحقيق شخصية الأرواح

هناك مسألة ثبتت بالاختبار وأثبتتها الأرواح نفسها، وهي أن الأرواح المنحطّة تأتي إلينا عادة متّخذة أسماء شهيرة ومحترمة. فكيف يمكننا أن نتأكد من أن الذين يقولون بأنهم كانوا على الأرض، سقراط أو يوليوس قيصر أو شارل الأكبر[1] أو فينيلون[2] أو واشنجطن[3].. الخ، كانوا فعلاً الأشخاص الذين عاشوا بهذه الأسماء؟ وهذا الشك يصيب أيضاً الذين يعتقدون اعتقاداً راسخاً بالأرواحية،

---

(1) الإمبراطور الذي وحّد تحت سلطته فرنسا وإيطاليا وألمانيا ومعظم غرب أوروبا في القرن التاسع الميلادي وكان معاصر الخليفة هارون الرشيد.

(2) كاهن فرنسي وواعظ شهير وبليغ في منتصف القرن 18.

(3) معلن استقلال الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن 18. (ملاحظات المترجم).

ويزمنون بحقيقة تدخل واستحضار الأرواح، ولكنهم ما برحوا يسألون إذا ما كان هناك من طريقة للتحقق من شخصيتهم. إن تحققاً كهذا هو في الواقع من الأمور الصعبة. على أنه إن لم يكن من الممكن التحقق التام من شخصية الروح، كما نتحقق في شهادة السجل المدني، فإن من الممكن على الأقل أن نجزم في ذلك احتمالاً بواسطة بعض الدلائل الخاصة.

عندما نستحضر روح أحد نعرفه شخصياً، كأن يكون أحد الأقارب أو الأصدقاء، خاصة إذا مات عن قريب، فسنجد طريقة كلامه تتفق والميزات التي عرفناها عنه في حياته بيننا. تلك هي دلالة على الشخصية حينئذ ولا يعود ثمة مجال للشك إذا تكلم الروح عن أمور شخصية، ذاكراً الحوادث العائلية الماضية التي لا يعرفها أحد سواه ومخاطبه. فلا يمكن بالتأكيد خداع الابن الذي يكلّمه والده أو تكلّمه والدته، ولا يمكن خداع الأبوين إذا تكلم ابنهما. في هذا النوع من المخاطبات الودية، تحدث أحياناً حالات مدهشة للغاية تُقنع أكبر المشكّكين، وهكذا يحدث كثيراً أن أشد المرتابين المتشكّكين في كل شيء، قد يصدم من الأقوال التي لم يكن ينتظرها.

هناك أيضاً حالة أخرى هامة تُعين على إثبات شخصية الروح. سبق أن ذكرنا بأن كتابة الوسيط تتغيّر عادة لدى حضور الروح المستحضر، وكلما رجع هذا الروح إلى الوسيط تكون الكتابة ثانية وفق النسق الخاص بذلك الروح. وقد ثبت ذلك مرات عديدة في حالة الذين ماتوا حديثاً، إذ أن الكتابة تظهر تشابهاً واضحاً في نسق الخط مع ما كانت عليه خلال حياة الشخص على الأرض. وقد ظهرت إمضاءات توافق الأصل موافقة تامة. ليس من قصدنا البتة القول إن تشابه الكتابة هذا هو قاعدة ثابتة، أو إنه يحدث كثيراً، بل إننا نشير إليه كأمر يستحق الذكر.

إن الأرواح التي وصلت إلى درجة معينة من التنقية، هي الوحيدة التي تجد نفسها متحررة من تأثير الجسد عليها. فطالما لم تتخلص تماماً من تأثير المادة، وهذا ما تقوله الأرواح، فإنها تحتفظ بمعظم أفكارها وميولها وحتى النوازع الشاذة التي كانت لها في طباعها على الأرض، ويصبح ذلك أيضاً من وسائل التحقق من هويتها. يجري هذا التحقق خاصة بعد مراقبة الكثير من التفاصيل الصغيرة التي يتطلب اكتشافها الفحص الدقيق والمستمر. فنحن نرى الأدباء مثلاً وهم يبدون آراءهم بشأن تآليفهم،

أو المذاهب التعليمية التي كانوا قد أتوا بها، مصادقين على جزء منها، ومستنكرين الجزء الآخر. وغيرهم يذكرون لنا حوادث نجهلها عن حياتهم، أو موتهم، أو أحداثاً لا يعرفها إلا القليلون، مما يجعلها على الأقل دلائل فعلية على حقيقة شخصيتهم، حيث أنه ليس لدينا دلائل غيرها فيما يتعلق بالأشياء المجردة.

بناء على ما سبق، إذا كان من الممكن التحقق من هوية الروح الذي نستحضره، تحققاً مقبولاً إلى حد ما في بعض الحالات، فلا عجب من أن يكون هذا التحقق ممكناً من أرواح أخرى. فيما يخص الذين قد توفّوا منذ زمن مديد، فإذا لم يكن لدينا نفس وسائل التحقق الآنفة الذكر، فما يزال لدينا لغتهم وسجاياهم كدليل. إن كلمات روح إنسان صالح ليست أبداً ككلمات روح إنسان فاسد أو فاسق. أما تلك الأرواح التي تنتحل أسماء محترمة، فإنها تفضح نفسها حالاً من سياق كلامها ومبادئها. فالذي يدعي مثلاً أنه «فينيلون» ثم يتعثّر في كلامه، ولو مرة واحدة فينطق بما هو خارج عن الاتزان العقلي، أو بما هو مهين للأخلاق ينكشف خداعه عاجلاً. وبالعكس فإذا كانت أفكاره سامية ولا تناقض بعضها، وتسير دائماً على مستوى خُلُق فينيلون، فليس هناك ما يدعو إلى التشكّك في شخصيته. وإن لم نقبل ذلك، نصير كمن يقول بأن الروح الصالحة التي لا تُعلّم إلا الصلاح تكذب علينا عمداً دون غاية على الإطلاق. وهكذا يتضح لنا من الاختبار أن الأرواح المتساوية الدرجة والأخلاق والمشاعر تتآلف مع بعضها بعضاً، مكوّنة جماعات وعائلات.

ولكن عدد الأرواح لا يحصى، ولا نستطيع أن نعرفهم كلهم، وحتى أغلبهم لا اسم لهم نعرفهم به. فليس من المستحيل، والحالة هذه، أن يأتي إلينا مثلاً روح من مستوى «فينيلون» ليحلّ محله أو أن يكون مرسلاً وموكلاً من قبله، أو حتى يحمل اسمه، لكونه مماثلاً له، وفي وسعه أن ينوب عنه ولأننا نحتاج إلى اسم لنثبّت أفكارنا به. والواقع أنه ليس من الأهمية القصوى إن كنا نخاطب روح «فينيلون» ذاته أم لا. فطالما أن ما يقوله يكون صالحاً ومطابقاً بطبيعته لشخصية «فينيلون» ذاته، يكون إذن روحاً صالحاً بصرف النظر عن الاسم الذي يتخذه بقصد تثبيت أفكارنا. لكن لا يمكن التحقق من الروح بهذا المبدأ في مخاطباتنا مع الأقارب والأصحاب لأن، لدينا كما ذكرنا من قبل طرقاً أخرى لإثبات شخصية الروح.

لا شكّ أن مسألة استبدال أسماء الأرواح قد تفتح مجالاً لأن نُغَش ونُخطئ ونخدع كثيراً، فهذه إحدى الصعوبات التي يلاقيها من يتعاطى بالأرواحية العملية، فنحن لم نقل إن هذا العلم سهل، بل إنه يستلزم كغيره من العلوم، التروي والمثابرة للاستفادة منه. وحيث أننا لا نستطيع إثارة الظواهر، فيجب علينا أن ننتظر حدوثها من تلقاء نفسها، وكثيراً ما نراها تحدث في ظروف لم نكن نتوقّعها. فمن ثابر في البحث والتبصّر يكشف ينبوعاً غزيراً من الوقائع ويشاهد الكثير من الدقائق المميّزة، فتكسبه الكثير من النور. وهذا هو عينه ما يحدث في شتى العلوم العادية. فالإنسان الذي ينظر إلى الأشياء نظرة سطحية، لا يرى في الزهرة مثلاً إلا الشكل الرشيق بينما يكشف الحكيم فيها من الأفكار ما لا حدّ له.

13 ـ الفروق في المخاطبات

تدفعنا الملاحظات السابقة لنقول شيئاً عن صعوبة أخرى، هي الفروق في مخاطبات الأرواح لنا.

بما أن هناك فروق كبيرة بين الأرواح بعضهم بعضاً فيما يتعلق بمعارفهم وسيرتهم الأدبية، فمن البديهي أنهم قد يعطون توجيهاً متناقضاً لحل نفس المسألة، وذلك بحسب الطبقة التي ينتسبون إليها، تماماً مثلما هو الحال بين الناس، فحين نطرح المسألة على أحد العلماء ثم على أحد الجُهّال أو على أحد الضالين الطائشين. فالمهمّ كما قلنا هو أن نعرف إلى من نُوّجه أسئلتنا.

يضيف البعض قائلين: ما السبب الذي يجعل أرواحاً معدودة من الأرواح السامية، لا تتفق دائماً في آرائها؟ وجوابنا على هذا هو أن هناك أسباباً أخرى لا علاقة لها بالسبب السابق الذكر، تُؤثّر على نوع الأجوبة بصرف النظر عن صفات الروح المستحضر. وهذه نقطة في غاية الأهمية سنحاول إيضاحها في سياق دراستنا لهذا الموضوع. لذلك فنحن نقول بأنها دراسة تتطلب الكثير من الانتباه والتعمق في البحث، وخاصة المثابرة المتواصلة، فمثلما هو الحال في جميع العلوم. نحن نعلم أن الإنسان يصبح طبيباً متوسط المعارف، بعد دراسة تمتدّ سنوات عديدة، وأن العلامة يقضي ثلاثة أرباع حياته قبل أن يصل إلى هذه الدرجة، ومع ذلك هناك أناس يريدون معرفة علوم اللانهاية خلال ساعات قليلة. فعلى الباحثين إذن أن لا يخدعوا أنفسهم في هذا المقام. لأن دراسة الأرواحية واسعة جداً، وهي تتعلّق بجميع مسائل ما وراء الطبيعة وما

يتجاوب مع النظام الاجتماعي. إنها عالم جديد تتفتح أبوابه أمامنا. فهل نندهش إذن، أن يستلزم إتقانها وقتاً طويلاً؟

إلا أننا في الواقع، لا نجد هذا التناقض كل حين، كما يبدو في أول نظرة. ألا نرى يومياً علماء يتعاطون في علم من العلوم، ثم يفسرون الأمور الخاصة بهم تفسيرات متباينة، إما لكونهم يستعملون عبارات مختلفة، أو لأنهم ينظرون إلى موضوع ما من وجهات نظر مختلفة، رغم أن الفكرة الأساسية هي دائماً واحدة؟ دع أي واحد منا يحسب، إذا استطاع، عدد التعاريف التي تفسّر علم النحو. نضيف إلى ذلك أن الجواب غالباً يختلف طبقاً لقالب السؤال. فمن السخافة القول بوجود تناقض حيث لا يوجد سوى اختلاف في العبارة. إن الأرواح لا تهتم بقوالب العبارات، لأن جوهر الفكر في نظرها هو الكلّ في الكلّ.

لنأخذ مثلاً مسألة تعريف النفس. نظراً لعدم وجود تفسير ثابت موحّد لهذه الكلمة، فقد تختلف الأرواح، كما نحن أيضاً، بشأن المعنى الذي يُنسب إليها. قد يقول الواحد عنها إنها «مبدأ الحياة»، والآخر إنها «الشرارة الأرواحية»، ثم يقول الثالث إنها «باطنية»، والرابع إنها «خارجية» الخ، ويكون جميعهم على صواب من وجهة نظرهم الشخصية. وقد يلوح لنا أن بعض قائلي هذه الأجوبة يعتقدون بالنظريات المادية، مع أن الأمر ليس كذلك. والشيء ذاته يحدث بشأن الله، فقد يقولون إنه مبدأ كل الأشياء، وإنه خالق الكون، وإنه الذكاء الأعلى، وإنه اللامحدود، وإنه الروح الأعظم، الخ..، وفي نهاية الأمر هو دائماً الله. ويحدث نفس الشيء في مسألة درجات الأرواح. فهم يؤلفون درجات متسلسلة من أسفل أسفلها إلى أعلى أعلاها، ولذلك يخضع تدرُّجهم إلى التقدير البحت، فمن الممكن أن يُقسِّمهم أحد إلى ثلاث درجات والآخر إلى خمس درجات أو عشر أو إلى عشرين درجة حسب رغبة الفرد دون أن يكون على خطأ. ونرى نفس الشيء في جميع العلوم البشرية حيث لكل علاّمة طريقته. وهكذا تتنوّع الطرق ولكنها لا تؤثر على العلم ذاته. إذا درسنا مثلاً علم النبات سواء على طريقة الخبير الأول أو الخبير الثاني أو الخبير الثالث، هذه الدراسة تظل هي علم النبات. لنقلع إذن عن المبالغة في النظر إلى ما هو مجرّد اصطلاح، ولننتبه إلى ما يهمّ، وفي أحيان عديدة سنكتشف بعد التفكير تشابهاً فيما كنا في أول نظرة نظنه تناقضاً.

14. مسائل ضبط الكتابة

كنا نود غضّ النظر عما يعترض به بعض المشكّكين، بشأن الأغلاط الكتابية التي أحياناً تُخطئ بها بعض الأرواح، لو لم يُودّ ذكرها كملاحظة جوهرية. إن مسألة ضبط الكتابة هذه، والحق يقال، ليست دائماً خالية من الأغلاط. يبدو أن عدم وجود حجج قوية للمجادلة هو ما يجعل بعض الناس ينتقدون الأرواح، مدّعين أن الأرواح لكونهم يعرفون كل شيء، فيتوجب عليهم أن لا يخطئوا في الكتابة. وجوابنا على هذا الاعتراض، هو أن علماء العالم يرتكبون مراراً أخطاء هجائية دون أن يقلّل ذلك من منزلتهم. ولكنا نجد في هذا الأمر مسألة خطيرة جداً بالنسبة إلى الأرواح وخاصة الأرواح السامية، لكونهم يعتبرون الفكر هو الجوهر وأن القالب لا شيء. نظراً لأنهم متحرّرون من المادة، إن مخاطبتهم بين بعضهم سريعة كالفكر، إذ أن الفكر ذاته هو الذي يتصل دون توسط. لذلك لا شك فهم يشعرون بالتقييد عندما يضطرون إلى استعمال وسائل التكلم البشري البطيئة المربكة والمحدودة، لا سيما وأنها أضيق من أن تعبر لنا عن جميع أفكارهم. هذا هو ما ذكروه لنا بأنفسهم، ولماذا يبحثون عن شتى الطرق على اختلافها لتلافي هذه الصعوبة. قد نواجه نحن نفس الصعوبة إذا اضطررنا إلى التفاهم بلغة فقيرة في كلامها وفي تركيب جملها، ومحدودة في تعابيرها قياساً إلى لغتنا. وحالتهم أيضاً كحالة الكاتب النابغة، السريع التفكير، الذي يكاد يفقد صبره من كون قلمه لا يسير بالسرعة التي تتدفّق بها أفكاره.

وهكذا ندرك لماذا لا تبالي الأرواح كثيراً بشيء عديم الأهمية كضبط الكتابة، وبالأخص إذا كانوا مشغولين بتعاليم عميقة وهامة. أليس من العجب أن يعبّروا عن أفكارهم بجميع اللغات على السواء وأن يفهموها كلها؟ لكن هذا لا يعني أنهم يجهلون قواعد اللغة واصطلاحاتها، التي بوسعهم أن يراعوها عند الضرورة. فكتابتهم الأشعار الفائقة المعاني والوزن مثلاً، تتحدّى نقد أي ناقد، وهذا كله رغم جهل الوسيط.

15. الجُنون وأسبابه

يرى بعض الناس الخطر في كل مكان، وفي كل ما يجهلونه، ولذلك يستنتجون استنتاجات مضادة للأرواحية، كالقول مثلاً بأن بعض الذين تعاطوا بهذه العلوم أصيبوا باختلال في عقولهم. لا نفهم كيف أن أناساً عاقلين يجدون في ذلك

موضوعاً للاعتراض. ألا يصاب أناس ضعاف العقل بنفس العلة إذا شغفوا بأمور تتطلب تشغيل العقل والتفكير؟ فمن يستطيع إحصاء عدد المجانين والممسوسين نتيجة لأبحاثهم في الرياضيات والطب والموسيقى والفلسفة والعلوم وغيرها؟ فهل يصحّ أن يُلغى تداول العلوم من جراء ذلك؟ وما الذي تدلّ عليه هذه الحوادث؟ في الأعمال الجسدية، تقع حوادث قد تُعطّل الأيدي والأرجل التي هي الأدوات اللازمة للعمل العادي. وفي الأعمال العقلية، قد يتعطّل الدماغ الذي هو أداة الفكر. ولكن تعطيل الأداة لا يشمل تعطيل الروح الذي يحتفظ بكل قواه، وعندما يتحرر من الجسد المادي، سيتمتع بجميع طاقاته. فما يحدث لهؤلاء في دائرتهم هو شيء مشابه للذين يقعون ضحايا العمل.

جميع الشواغل الفكرية الكبيرة قد تكون سبباً للجنون، فالعلوم والفنون قد تدفع عدداً من الذين يكرّسون وقتهم لها إلى الجنون، وحتى الأديان فإن عدداً من مشايعيها يصاب بالجنون أيضاً. والسبب الأول لاختلال العقل هو حالة استعدادية عضوية تجعل العقل عرضة سهلة لشتى التأثيرات، إلى درجة ما. فإذا كانت هذه الحالة الاستعدادية للجنون موجودة لدى الشخص، فستتطور وتأخذ طابع الشاغل الرئيسي وتتحول إلى فكرة راسخة في ذهنه. وهذه الفكرة الراسخة قد تكون بشأن الأرواح عند الذين تشغلهم فكرة الأرواح كما قد تكون فكرة الله أو الملائكة أو الشيطان أو المال، أو الحُكْم، أو فنّ ما، أو علم ما، أو الأمومة، أو نظام سياسي، أو اجتماعي. من المرجّح أن المجنون الديني سيكون المجنون الأرواحي إذا كانت الأرواحية هي الشاغل الذي يتسلط على عقله، مثلما المجنون الأرواحي بنوع آخر من الجنون حسب الظروف المحيطة.

لذلك أقول بأن الأرواحية لا تمتاز عن غيرها بهذا الصدد. وأضيف على ذلك قائلاً إن الأرواحية في الواقع عامل من عوامل الوقاء من الجنون لمن يفهمها فهماً حسناً.

من بين الأسباب العديدة المثيرة للتهيّج المخي، يمكن ذكر الخيبة والنكبات وقصص الحب الفاشلة التي هي معاً من أكثر الدوافع للانتحار. لكن الأرواحي الحقيقي يعاين الأشياء الدهرية بنظرة عالية جداً إلى درجة أنها تبدو له ضئيلة وحقيرة إزاء المستقبل الذي ينتظره، فهو يدرك كم هي الحياة قصيرة وزائلة، فيتحمل مصائب هذا العالم، ويراها مجرد حوادث مزعجة يجتازها في سفره. وما يثير في عقل غيره انفعالاً شيداً، لا يؤثر عليه إلا قليلاً لعلمه أن مرارات الحياة إنما هي تجارب تسرع في

تقدمه، ما دام يتحملها بلا تذمّر، لأنه سيكافأ عليها بمقدار ما يظهره من الشجاعة على احتمالها. وهكذا فإن عقائده تجعله راضياً بتدابير الله رضى يقيه من اليأس الذي هو المُسبّب الدائم للجنون والانتحار. وعلاوة على ذلك فهو أيضاً على علم بما أخبرته الأرواح، عن نصيب الذين يقصّرون، بإرادتهم، مدة حياتهم على الأرض، وهذه المعرفة تدعوه إلى التفكير الجاد، إذ يمر في خلده، العدد الغفير من الذين توقّفوا على حافة الهوّة المشؤومة نتيجة لمعرفتهم للأرواحية. وهذه النتيجة هي إحدى نتائج الأرواحية. فلندع القليلي التصديق يضحكون علينا ما شاؤوا، فأنا أتمنى لهم تلك التعزية الفائقة، التي يجدها في هذه التعاليم كل الذين يتعمقون في أسرارها.

بالنسبة إلى ما يسبب الجنون، يجب أن نضيف أيضاً عامل الرعب، وخاصة الرعب من الشيطان الذي يأخذ مأخذه في اختلال العقول. كم من الناس أصبحوا من ضحايا الرعب نتيجة لتأثر عقولهم الضعيفة بصور مفزعة وأشكال مهولة. هناك أناس يقولون بأن الشيطان لا يخيف إلا الأولاد الصغار، فهو يردعهم ويجعلهم أكثر اتزاناً. ومثله التخويف من الغول والبعبع والجن. ولكن عندما يزول تأثيره مع العمر، يتلاشى الخوف منهم ويصيرون أسوأ مما كانوا من قبل. والذين يتبعون هذه الطريقة للتربية بالتخويف، يتناسون أن تأثيرها على عقول الأطفال اللطيفة يسبب عدداً لا يحصى من المصابين بالصرع التشنجي. فلو اعتمد الدين على التخويف فقط لتثبيت الإيمان، لكان ضعيفاً جداً في أساسه. ولكنه ليس كذلك، والواقع أن هناك طريقة أخرى للتأثير على العقول، والأرواحية تقدم لنا الوسائل الفعالة، ما دمنا نعرف كيف نستعملها، وتُبيّن لنا حقائق الأمور التي تزيل نتائج الخوف المشؤومة ومبالغاته.

16 . النظرية المغناطيسية ونظرية البيئة

بقي اعتراضان يتوجب علينا البحث فيهما، وهما الوحيدان اللذان حقاً يستحقان الإجابة عليهما، لأنهما مبنيان على نظريات عقلية. كلاهما يعترفان بحقيقة الظواهر المادية والمعنوية، ولكنهما ينفيان تدخل الأرواح فيها.

يقول الاعتراض الأول إن كل الظواهر التي تنسب إلى الأرواح، إنما هي من أصل مغناطيسي لا غير، وإن الوسطاء ليسوا إلا في حالة مشابهة للرَوْبصة اليقظة، وهذه الظاهرة معروفة عند كل الذين درسوا علم المغناطيسية. ففي هذه الحالة، تتخذ المقدرات العقلية تطوراً غير عادي، فتزداد دائرة قوة الإحساس الإدراكي إلى ما فوق

الاعتيادي. وهكذا يكون في قدرة الوسيط أن يستحضر من ذات نفسه ونتيجة لاستثارته، كل ما يقوله وحتى الأشياء التي يجهلها تمام الجهل في حالته العادية.

لسنا نحن الذين سنعارض قوة الروبصة وقد شاهدنا خوارقها ودرسنا كل نواحيها خلال أكثر من خمس وثلاثين سنة. فنحن نُسلّم حقيقة بأن كثيراً من الظواهر الأرواحية يمكن تفسيرها بهذه الأداة، غير أننا بعد مثابرة في الاختبار الدقيق، تأكدنا من أن هناك وقائع عديدة لا يمكن قط تفسيرها بتدخل الوسيط، ما عدا تدخّله كأداة سلبية. وللذين معنا في هذا الرأي، سوف نقول، مثلما قلنا لجميع الناس سابقاً: اذهبوا وانظروا وراقبوا لأنكم لم تشاهدوا بعد كل ما يمكن مشاهدته. سنعرض عليهم ملاحظتين مأخوذتين من اعتقادهم بالذات، ونسألهم: من أين يا ترى أتت النظرية الأرواحية؟ وهل هي نظام تخيّله بعض الناس ليفسروا تلك الظواهر؟ كلا. إذن من هو الذي أفشاها لنا؟ أيكون هؤلاء الوسطاء الذين أنتم تمدحون استثارتهم؟ فإن كان مقدار هذه الاستثارة كبيراً كما يقدّر هؤلاء، فكيف أخذ هؤلاء الوسطاء ينسبون إلى الأرواح ما كانوا قد استحضروه من داخل أنفسهم؟ وكيف يمكن لهم أن يقدّموا لنا تلك التعاليم العالية والمدقّقة والرصينة عن طبيعة تلك الكائنات الفاطنة اللابشرية؟ إما أن يكون الوسطاء صاحين وإما غير صاحين. فإذا كانوا صاحين، وكان الناس يثقون بحقيقة ما يقولون، فلا يعود ممكناً النفي بأنهم ليسوا بصادقين، دون أن يكون هناك تناقض. ثم إذا كانت الظواهر كلها تصدر من داخل الوسيط، فستكون دائماً متشابهة لكونها تأتي من نفس الشخص، ولكننا نراه يتكلم كلاماً متبايناً، ويتفوّه بأمور يناقض بعضها بعضاً. فإذا لم نجد وحدة الأفكار في المعلومات الصادرة من ذات الوسيط مباشرة، فيتحتم علينا البحث عن مصدرها في مصادر أخرى خارجية.

أما الاعتراض الثاني، فيقول إن الوسيط هو ذاته المصدر لكل هذه المخاطبات. ولكنه بدلاً من استخراجها من داخله، كما يدّعي أصحاب نظرية الروبصة، فهو يأخذها من الوسط حوله. وهكذا يصبح الوسيط هنا كالمرآة العاكسة لجميع هواجس وأفكار ومعارف الأشخاص المحيطين به. وهذا يعني صحة ما تقوله مبادئ التعاليم الأرواحية بأن للحاضرين تأثيراً على نوع المخاطبات الأرواحية، لكن هذا التأثير ليس كالتأثير الذي يشيرون إليه هنا، وهو بعيد جداً عن أن يجعل الوسيط

مجرد صدى لأفكار الأشخاص المحيطين به. فهناك آلاف الحوادث الدالة على عكس ذلك تماماً. ومن ثم، فإن هذه الفكرة ترينا الضرر الخطير الناتج عن الاستنتاجات المتسرّعة. فالذين يقولون بهذا الرأي، يفعلون ذلك لعجزهم عن أن يذكروا حقيقة الظواهر الأرواحية التي لم تتمكن العلوم المادية من تفسيرها، ونظراً لأنهم يرفضون احتمال تدخل الأرواح فيها، يأخذون بتفسيرها على طريقتهم. أما نظريتهم هذه، فقد تبدو معقولة لو كانت تنطبق على كل الوقائع، ولكنها لا تنطبق. وعندما نثبت لهم بالبيانات الجلية أن بعض مخابرات الوسيط غريبة عن أفكار الحاضرين أو أعلى مستوى مما يعرفونه، أو مختلفة عن آرائهم، وأن هذه المخابرات كثيراً ما تأتي تلقائياً وتناقض جميع الأفكار المألوفة، فهم لا يتراجعون البتة عن دعاويهم المتهافتة هذه، بل يجيبون قائلين إن تشعّب الأفكار يمتد إلى مسافات بعيدة وراء الدائرة المباشرة التي تحيط بالوسيط، وإن الوسيط هو في الواقع أداة انعكاس البشرية بأسرها عليه، بمعنى أنه إن لم تُوحَ إليه الأفكار من الذين حوله، فلا بدّ له من أن يتناولها من خارج وسطه، إما من المدينة أو من البلد حيث يقيم، أو من العالم بأجمعه، أو حتى من عوالم أخرى.

لا يبدو لنا أن مبدأ هذه النظرية هو أبسط وأرجح من نظرية الأرواحية، لكونها تفترض مصدراً أغرب بكثير مما تقول به الأرواحية، لأن الفكرة بأن كائنات مقيمة في الأفضية الكونية تتصل بنا اتصالاً متواصلاً، وتبعث لنا أفكارها، أكثر قبولاً للعقل من التي تفترض أن هذه الإشعاعات الكونية تأتي من أقصى أطراف الكون وتتركز في ذهن شخص واحد فقط.

نعود ونقول بأن هناك نقطة هامة بذاتها لا نكلُّ من الإشارة إليها، وهي أن نظرية التروبص والنظرية الأخرى التي نستطيع تسميتها بالنظرية الانعكاسية، هما نتيجة لتفكير بعض الناس، وأن النظريتين هما من آرائهم الشخصية التي أتوا بها كتفسير لتلك الظواهر، في حين أن تعاليم الأرواح ليست من مصدر بشري، بل أملتها الكائنات الذكية التي تخابر في حين لم يكن أحد ينتظر حضورها، وحتى حين يكون الرأي العام مضاداً لتخابرها. فنسأل إذن: من أين استخلص الوسطاء تعاليم كهذه لم تكن أبداً في خلد أحد على الأرض؟ ونسأل أيضاً كيف حدث أن اتفق آلاف مؤلّفة من الوسطاء المنتشرين في جميع أنحاء المسكونة، على التصريح

بنفس الأشياء، دون أن يعرف أحدهم الآخر؟ فمثلاً إذا ظهر وسيط في فرنسا متأثراً بنظريات مقبولة في أميركا، فلماذا يا ترى يلزمه أن يأتي بها من وراء البحار على بعد آلاف الكيلومترات، من شعب غريب عنه في عاداته وفي لغته، بدلاً من أن يتأثر بالأفكار التي تحيط به؟

لكن هناك حالة أخرى لم ينتبه إليها الناس كفاية، وهي أن المخابرات الأولى في فرنسا وفي أميركا لم تأت عن طريق الكتابة والنطق، بل أتت بواسطة طرقات قوائم المائدة المتناسبة مع حروف الهجاء مكوّنة الكلمات ثم الجمل. وبواسطة هذه الطرقات أظهرت نفسها تلك الكائنات الذكية كاشفة أنها أرواح. فإذا افترضنا أن هناك تدخل لأفكار الوسطاء في عملية المخاطبات الشفهية أو الكتابية، فلا يصحّ نفس الافتراض بصدد الطرقات التي لم يكن معناها معلوماً قبلاً.

في وسعنا ذكر الكثير من الحوادث الدالة على أن الذكاء الذي يتخاطب معنا، هو ذكاء ذو شخصية مستقلة ولديه حرية إرادة مطلقة. لذلك فنحن ننصح المعارضين أن يزيدوا التدقيق في بحث الظواهر وأن يدرسوا الأمر بعمق. تاركين آراءهم القديمة جانباً، وأن لا يحكموا حكماً نهائياً قبل أن يشاهدوا كل ما في وسعهم مشاهدته، ليتضح لهم كيف تعجز نظريتهم عن تفسير كل ما يتعلق بتلك الظواهر. ونحن سنكتفي بأن نسألهم الأسئلة الآتية: كيف يقوم الذكاء الذي يتخاطب معنا، أياً كانت طبيعته، بالإجابة على بعض الأسئلة الخاصة بأمور معلومة، كاسم السائل أو عمره، وماذا يحمل في يده وماذا كان يفعل البارحة، وماذا يود أن يفعل غداً.. الخ؟ فلو كان الوسيط هو المرآة لأفكار الحاضرين، كما يقولون، لأجاب على هذه الأسئلة بسهولة.

يعكس المعارضون البرهان سائلين بدورهم لماذا لا تجيب الأرواح على أسئلة بسيطة كهذه، ما دامت تعرف كل شيء، وحسب المثل القائل: «من استطاع الكثير أمكنه اليسير»؟ ثم يجزمون بأن المتخاطبين ليسوا أرواحاً. ولكن لو تقدّم شخص جاهل وهازل إلى محفل من العلماء مثلاً، وسألهم عن الساعة الثانية عشرة من الظهر، هل هي في النهار أم في الليل، فهل يجيبون على هذا السؤال بجد، وهل يصحّ أن يقال عن صمت تلك الجماعة من العلماء أو عدم اكتراثها بأنها جماعة أغبياء؟ الواقع أن الأرواح، لكونها بالذات عالية الدرجة، فهي لا تجيب على أسئلة

فارغة أو ساخرة، ولا تقبل أن يُرهقها أحد بالأسئلة، ولهذا السبب فهي تصمت أو تصرّح بأنها تهتم بالأمور الجادة فقط.

وأخيراً، سنسأل لماذا تأتي الأرواح وتذهب مرات عديدة في وقت ما، ثم بعد ذلك، يستحيل استدعاءها كي تعود بأي نوع من الترجّي أو التوسل؟ فلو كان الوسيط يعمل تحت التأثير العقلي للذين يحيطون به، لكان من البديهي في هذه الحالة، أن تأثير مجموع هذه العقول وإراداتهم متحدة، يزيد بصيرته مضاء. لكنه إذا لم يكن يُلبّي رغبات المحيطين به برغم إرادته الشخصية، فلأن الوسيط متأثر بتأثير خارجي من خارج المحيطين به، وهذا يبرهن على أن ذلك التأثير صادر عن مصدر يشعر الحاضرون باستقلاله وفرديته.

17 . ملء فراغات الفضاء

التشكك بشأن الأرواحية، إن لم يكن ناتجاً عن مقاومة منظّمة ومُغرضة، فهو عادة ما يكون نتيجة النقص في معرفة الوقائع بأكملها، وذلك يدفع البعض إلى أن يبدوا آراء نهائية بصددها، كما لو كانوا قد فهموها فهماً تاماً. من الممكن أن يكون الفرد حادقاً ومثقفاً، وفي ذات الوقت ضعيف التمييز، وأول دلالة على ضعف التمييز هي أن يعتقد الشخص بعصمته عن الخطأ. والواقع أن الكثيرين لا يجدون في الظواهر الأرواحية، إلا موضوعاً لحبّ الاستطلاع. وأملنا هو أنهم بعد قراءة هذا الكتاب يجدون في تلك الظواهر الغريبة منفعة وليس مجرد تسلية.

للعلم الأرواحي ناحيتان اثنتان: الأولى هي الناحية الاختبارية التي تتناول الظواهر عموماً، والثانية هي الناحية الفلسفية الخاصة بالمخاطبات الذكية. ومن يتعرّف على الناحية الأولى فقط، هو كمن يتعرّف على علم الطبيعيات مقتصراً على مشاهدة التجارب المسلية، دون أن يتعمق بالمبادئ الأساسية لهذا العلم. الأرواحية في جوهرها مدوّنة في تعاليم الأرواح، والتي هي تعاليم عميقة لا يمكن الحصول عليها إلا بالدراسة الجادة والمثابرة في السكون والتأمل، إذ أن الدراسة في هذه الأحوال تؤهّل الشخص لمعرفة عدد كبير من الظواهر التي يتعسّر فهمها على المراقب السطحي، فلا يتاح له ترسيخ رأيه. فإذا ما نجحت قراءة هذا الكتاب في لفت النظر إلى الجوانب الجادة في الأرواحية وشجعت على دراستها دراسة عميقة، نكون قد وفّقنا فيه، إذ أن ما يحتويه من المبادئ ليس من ابتداعنا، بل يعود كل الفضل إلى الأرواح الذين أملوه علينا. ونأمل أن يكون له تأثير قوي، فهو إرشاد للذين يودّون

الاستنارة، بلفت نظرهم إلى المقصد السامي العظيم في هذه الدروس والذي هو تحقيق للتقدّم الشخصي والاجتماعي وفتح الطريق الذي يوصل إليه.

نختتم هذا المدخل بالملاحظة الآتية: عندما كان بعض الفلكيين يخترقون بأبصارهم الفضاء السماوي للكشف عن الأجرام السماوية، اكتشفوا في نسق توزيع تلك الأجرام، مساحات فارغة غير مفهومة لا تتفق وقوانين المجموع، مما جعلهم يعتقدون بأن هناك أجراماً في ذلك الخلاء لم يبصروها خلال رصدهم. من جهة أخرى، فقد لاحظوا وجود بعض الظواهر سببها مجهول[1]، فاستنتجوا بأنه: «لا بد أن يكون هنالك عالَم في تلك الفراغات، إذ لا يعقل وجود فراغ هناك، ولا بد من مُحدث لتلك الظواهر». ولكي يحلّوا هذا اللغز، بدأوا من الظاهرة ليصلوا إلى محدثها، فتمكنوا من تقدير وتحديد عناصر الظواهر، واستطاعوا فيما بعد إثبات ما كانوا يتوقّعونه. فلنطبّق الآن هذا التفكير على أفكار من نوع آخر. فمن يمعن النظر في سلسلة الكائنات الحية وسياقها، يراها كسلسلة متواصلة الحلقات بعضها مرتبط ببعض بلا انقطاع، مبتدئة من المادة الجامدة ومتصاعدة إلى أسمى البشر ذكاء. ولكن فيما بين الإنسان والله أي بين بداية جميع الأشياء ونهايتها، يوجد خلاء عظيم. فهل يعقل أن يكون الإنسان آخر حلقة في هذه السلسلة؟ وأنه سيقطع دون حلقة انتقائية المسافة التي بينه وبين اللانهاية؟ يقول لنا الإدراك العقلي بأن بين الإنسان والله لا بدّ من وجود حلقات أخرى، مثلما قال للفلكيين إن بين العوالم المعروفة لا بد من وجود عوالم أخرى مجهولة. ما هي الفلسفة التي تدرس هذا الخلاء؟ تُرينا التعاليم الأرواحية هذا الخلاء ممتلئاً بالكائنات المتعددة الدرجات التابعة للعالم اللامنظور، وهذه الكائنات ليست إلا أرواح الناس التي قطعت طريق الدرجات المختلفة التي تُوصِّل إلى الكمال. وهكذا ترتبط وتتسلسل كل الأشياء من البداية إلى النهاية. أما أنتم الذين تنكرون وجود الأرواح، فنقول لكم املأوا الخلاء الذي تملأه الأرواح. وأنتم الذين تضحكون من تعاليم الأرواح، نقول لكم أتتجاسرون بالضحك على أعمال الله وسلطانه؟

ألن كاردك

---

(1) لكل مفعول فاعله ولكل محدث محدثه ولكل معلولة علّتها ولكل مسبّب مسبِّبه ولكل نتيجة باعثها (ملاحظة المترجم) CAUSE ET EFFET.

تمهيد

تحدث اليوم ظواهر في جميع أقطار المسكونة تتحدّى العلوم البشرية، وتُثبت وجود مصدر مُسبِّب لها يعمل بإرادة حرة وذكية.

يقول التمييز العاقل إن أي مفعول ذكيّ لا بدّ من أن يكون فاعله قوّة ذكية مثله. ولقد أثبتت الوقائع أن هذه القوة تستطيع الاتصال بالناس على الأرض من خلال علامات مادية.

وهذه القوة، عقب سؤالنا لها عن طبيعتها، صرّحت عن نفسها بأنها من عالم الكائنات الروحية التي تجردت من غلافها الجسدي البشري. وكان هذا التصريح بداءة انكشاف مذهب الأرواح.

إن المخاطبات بين العالم الأرواحي والعالم المادي الجسدي هي من الأشياء الطبيعية وليست أمراً خارقاً للطبيعة. والدليل على ذلك هو أننا نرى آثاراً لهذه المخاطبات عند جميع الشعوب وفي جميع العصور. ولكنها انتشرت اليوم بصورة عامة وجلية بين جميع الناس.

تُصرِّح الأرواح بأنه قد حان الوقت المعين من العناية الإلهية لإعلان شامل لذاتها على الأرض ونظراً لأنهم مندوبو الله وخُدّامه ووكلاء إرادته، فعليهم تقع مهمة تعليم وتنوير الناس لافتتاح عهد جديد لإصلاح البشرية.

وهذا الكتاب هو مختصر تعاليمهم. كتب تلبية لأمرهم وتحت إملاء الأرواح السامية، ليكون أساساً لفلسفة يقبلها العقل، مجرّدة من تحيّزات الأنظمة المؤسسة للفكر. وهو لا يتضمن شيئاً يخالف ما عبّرت عنه أفكارهم، أو لم يفحصوه ويُقرّروه. أما ترتيب المواد ونظام تبويبها، وكذلك الملاحظات وقالب بعض النصوص، فهي العمل الوحيد الصادر عن الشخص الذي كلّفته الأرواح بمهمة نشر هذا الكتاب.

من الأرواح التي ساهمت في إتمام هذا الكتاب، عدد كبير عاشوا على الأرض في أزمنة مختلفة، بشّروا ومارسوا الفضائل والحكمة. وهناك آخرون لا ينتسبون

بالاسم إلى أشخاص يذكرهم التاريخ، ولو أن صفاء تعاليمهم وقربهم من الذين يحملون أسماء معظّمة يشير إلى سمو درجتهم.

وهذا هو نصّ ما قالوه كتابياً بواسطة وسطاء عديدين، عن مهمة كتابة هذا الكتاب:

«قُم بكل حرص ومثابرة على العمل الذي أقدمت عليه بمساهمتنا، إذ أن هذا العمل يخصّنا. لقد وضعنا فيه أسس بناء جديد يجمع يوماً ما جميع الناس على شعور واحد من المحبة والبرّ. لكن قبل نشره سنراجعه ونفحص كل تفاصيله».

«سنكون بجانبك كلما طلبت حضورنا كي نساعدك في أعمالك الأخرى، إذ أن هذا العمل ليس إلا جزءاً واحداً من المهمة التي أنت مكلّف بها، والتي أباحها واحد منا».

«بين التعاليم العديدة التي نستودعك إياها، هناك بعض منها ستحفظها في سرّك إلى أن تتسلّم منا تعليمات جديدة بشأنها. وعندما يحين الأوان لنشرها، سنخبرك بذلك. تأمل بها في هذه الفترة، حتى تكون مستعداً عندما نعود ونعلمك بشأنها».

«ستضع على رأس الكتاب عريشة الكرم التي رسمناها لك[1]، لأنها رمز لعمل الخالق، تجتمع فيها كل المبادئ المادية التي تعبّر أفضل تعبير عن الجسد والروح اللذين يتحدان فيها: فالجسد هو العريشة والروح هي النسغ. أما النفس أي الروح المرتبطة بالمادة، فهي الحبّة. ينقّي الإنسان روحه تنقية دقيقة بالعمل، وأنت تعلم أن الروح لا تكتسب معارف إلا بواسطة عملها في الجسد».

«لا تدع همّتك تتثبط بسبب الانتقاد. ستلقى معارضين شرسين، وخاصة بين الذين يميلون إلى المخاتلة. ستجدهم حتى بين الأرواح، إذ أن الأرواح التي لما تزل غير متجردة تماماً من تأثير المادة، كثيراً ما تسعى لإشاعة التشكك، عن سوء النية أو عن جهلها بالأمور. أما أنت، فلازم طريقك. آمن بالله وتقدّم بثقة لأننا سنكون معك لنساعدك، فقد دنا الوقت الذي ستضيء فيه الحقيقة في كل مكان».

«الغرور والزهو عند بعض من يعتقدون بأنهم يعرفون كل شيء، ويريدون تفسير كل الأمور على طريقتهم، سيطرحان الآراء المخالفة، ولكن جميع الذين يضعون

---

(1) العريشة الموسومة اعلاه هي صورة مطابقة تماماً للعريشة التي رسمتها الأرواح.

نصب أعينهم المبدأ السامي الذي أتى به المسيح، سيندمجون ضمن شعور موحّد من حب الخير، وسيجتمعون بروابط أخوية تسود العالم أجمع. وسيطرحون جانباً سفاسف الكلام التي لا نفع منها ليوجهوا انتباههم إلى المسائل الجوهرية فقط. وستبقى التعاليم هي ذاتها على الدوام، من حيث الجوهر، لمن يتسلّمون مخاطبات من الأرواح السامية».

«في ثباتك تجني ثمار أعمالك. والمسرّة التي ستشعر بها حينما ترى التعاليم تنتشر مفهومة بين الناس، ستكون لك مكافأة ستقدّر قيمتها ما حييت، وربما في المستقبل أكثر مما في الحاضر. لا يزعجنّك إذن ما يضعه الأشرار والمجردون من الإيمان في طريقك من الأشواك والحصى. حافظ على إيمانك لتصل بواسطته إلى المقصد، ولتكن أهلاً لمساعدتنا».

«لا تنسَ أن الأرواح الصالحة لا تساعد إلا الذين يخدمون الله بتواضع ونكران للذات، وأنها تتخلى عمن يجعل الأشياء السماوية وسيلة لتحقيق طموحه من الأشياء الدنيوية. وهي تبتعد عن المتكبرين والطامعين، لأن الكبرياء والطمع حاجز يفصل بين الإنسان والله كل حين، وحجاب يحجب الأنوار السماوية عن الأبصار. ولا يُكلّف الله الأعمى بمهمة إعلان نوره».

الأرواح الهاتفة: قدّيس يوحنّا الإنجيلي – قدّيس أغسطين – قديس منصور ديبول – قدّيس لويس – روح الحق – سقراطس – أفلاطون – فينلون – فرانكلين – سويد نبورج – الخ.. الخ[1].

---

(1) يستغرب بعض الناس ان تأتي التوصيات بإمضاءات عدد كبير كهذا من الأسماء الجليلة، ولكن يتوضح الأمر ننصح بقراءة ما ذكر في الباب الثاني عشر من الفاتحة التي تفتتح هذا الكتاب تحت «تحقيق شخصية الأرواح» (ملاحظة المترجم).

الفصل الأول : الله

1ـ الله واللانهاية.

2ـ الدلائل على وجود الله.

3ـ سجايا اللاهوت.

4ـ الحُلول.

1

ـ الله واللانهاية

1 ـ من هو الله؟

الله هو الذكاء الأعلى والمحدث الأولي لكل الأشياء[1].

2 ـ ما يُقصد بكلمة اللانهاية؟

يُقصد بها ما ليس له بداءة ولا نهاية أي يُقصد بها المجهول. وكل ما هو مجهول لا حدود له[2].

3 ـ هل يجوز القول إن الله هو اللانهاية أو اللامحدود؟

هذا وصف ناقص لفقر لغات الإنسان وعجزها عن التعبير عن الأشياء التي تفوق الإدراك البشري.

(الله لا حدّ له ولا نهاية له في كماله. ولكن كلمة اللامتناهي عبارة تصوّرية مجرّدة، فالقول إن الله لا محدود يعادل ذكر خاصية شيء للتعبير عن الشيء ذاته أو تفسير شيء لا يزال مجهولاً بشيء آخر مجهول أيضاً).

2 ـ الدلائل على وجود الله

4 ـ أين الدليل على وجود الله؟

الدليل موجود في القاعدة التي تطبّقونها في أبحاثكم العلمية: لكل محدَث محدِثه[3]. ابحثوا عن مُحدث لكل ما هو ليس من صنع الإنسان فيقدم لكم عقلكم الجواب.

---

(1) ما يلي الأسئلة هو دائماً أجوبة الأرواح. أما الملاحظات والتعاليق والتفاسير التي تلي الأجوبة أحياناً فهي من الن كاردك ومدوّنة بعد هامش ثانوي ويتصدّرها قوس في ابتداء السطور. (ملاحظة المترجم).

(2) تُشير الأرواح إلى الكون، فإن جميع ما يوجد فيه، له بداية وله نهاية. وجميع ما نجهله يضيع في اللانهاية. ذلك هو تطبيق العبارة الفرنسية القائلة: مضى من المعلوم إلى المجهول. (ملاحظة المترجم).

(3) انظر الملاحظة المذكورة أسفل الصفحة، فصل 17 من الفاتحة. (ملاحظة المترجم).

(إذا أردنا التحقق من وجود الله، يكفي النظر إلى صنائع الخليقة: الكون موجود ولا بدّ من أن يكون له مُحدث. التشكك بوجود الله هو كالتشكك بحقيقة أن كل مُحدث له مُحدثه، أو كالاعتقاد بأن من العدم يمكن صناعة شيء).

5 ـ ماذا يستدلّ من الشعور الطبيعي العام والمتأصّل في الناس بأن الله موجود؟

يستدل منه بأن الله موجود، إذ كيف يمكن أن يشعر الناس بهذا الشعور إن لم يكن هناك أساس له؟ وهذا الشعور في النفس مرتبط بالقاعدة القائلة: لا مُحدَث بلا محدثه.

6 ـ الا يكون شعورنا البديهي بوجود الله نتيجة التربية والأفكار التي تلقّناها؟

إن كان كما تقول فكيف يُفسّر وجود هذا الشعور بين المتوحّشين بينكم؟

(لو كان الشعور بوجود كائن أسمى من الكل، هو من أثر التعليم فقط، لما كان شعوراً يشمل المسكونة، ولما وُجد، كما في المعارف العلمية، إلا بين الذين تحصّلوا على هذه المعارف).

7 ـ أمن الممكن أن يكون المحدث الأولي في تكوين الأشياء، موجوداً في خواص المادة الباطنية؟

إن كان الأمر كذلك، فمن يكون مُحدث تلك الخواص؟ إذ لا بد من وجود مُحدث أولي دائماً.

(حين ننسب التكوين الأولي في الأشياء إلى خواص المادة الباطنية فكأنما نضع المحدَث في مكان المُحدث، إذ أن هذه الخواص في ذاتها هي محدَث يستلزم محدثاً له).

8 ـ ما هي قيمة الراي الذي ينسب التكوين الأولي إلى امتزاج المادة امتزاجاً صدفوياً، أي بعبارة أخرى عبر المصادفة؟

هذه استحالة أخرى مضادة للمنطق، إذ من هو الشخص ذو العقل السليم الذي يتجرّأ على اعتبار المصادفة كما لو أنها كائن عاقل؟ وعدا ذلك، فما هي المصادفة؟ لا شيء.

(يُظهر لنا التناغم السائد بين قوى الكون تراكيب وأغراضاً معينة، ومن ثم يكشف لنا أيضاً عن وجود قوة عاقلة. إن نسبة التكوين الأولي في الأشياء إلى المصادفة هو هذيان منا لأن المصادفة عمياء، ولا يمكنها إنتاج محدثات عاقلة. والصُدفة العاقلة لا يمكن أن تكون صُدفة).

9 ـ أين يُرى في المُحدث الأولي ذكاء أعلى يفوق كل من هو سواه؟

عندكم مثل يقول: يُعرف الصانع من صنائعه. انظروا حولكم على الصنائع فتستدلون على صانعها.

إن الكبرياء هو الذي يولّد الجُحُود، لأن المتكبّر لا يقبل شيئاً يتفوق عليه، ولذلك فهو يعتبر نفسه شخصية فريدة. مسكين هذا الكائن إذ أن نفثة من الله تكفي لتهدمه.

(نحكم على ذكاء شخص من صنائعه. وبما أنه ما من أحد يقدر أن يخلق ما تصنعه الطبيعة، فلا بد إذن من أن يكون لدى المُحدث الأولي ذكاء يفوق ذكاء الإنسانية).

(مهما كانت الأعمال التي يصنعها الذكاء البشري مدهشة، فإن لهذا الذكاء مُحدث، وكلما كان ما يصنعه أكبر، كلما كان المحدث الأولي أكبر حتماً. هذا الذكاء هو المحدث الأولي لجميع الأشياء، أياً كان الاسم الذي سماه به الإنسان).

3ـ سجايا اللاهوت

10 ـ هل بوسع الإنسان أن يفهم كنه الله؟

كلا، لأنه لا يملك الحاسة التي تمكّنه من ذلك.

11 ـ هل يتاح للإنسان يوماً ما أن يفهم سرّ اللاهوت؟

عندما يتحرر روحه من حجاب المادة، ويقترب بكماله من اللاهوت سيستطيع حينئذ أن يراه ويفهمه.

(دونيّة قدرات الإنسان تقف دون فهمه لكنه الله. ففي طفولة البشرية، لا يميّز الإنسان عادة بين الخالق والمخلوقات وينسب إليه عيوبها، ولكنه بقدر ما ينمو شعوره الأدبي، يطيل الإمعان في كنه الأشياء، فيتمكن حينئذ من أن يكوّن صورة عن الله أصحّ وأقرب إلى العقل ولو أنها دائماً ناقصة ومحدودة).

12 ـ إن لم نقدر على فهم كنه الله، فهل من الممكن أن نحصل على فكرة عن بعض سجاياه في الكمال؟

أجل، عن بعضها فقط، وإنما يزداد فهم الإنسان لها بمقدار تحرره من المادة، فيستشفّها بالفكر.

13 ـ عندما نقول إن الله أزلي، لا محدود، لا يتغير، لا مادي، وحيد، قادر على كل شيء، سامي العدالة والطيبة إلى أعلى درجة، هل يعطينا ذلك صورة كاملة عن صفاته؟

أجل، من وجهة نظركم إذ أنكم تعتقدون بأنها تشمل كل الصفات. ولكن ليكن في علمكم بأن هناك أموراً تفوق عقول أذكى الناس وحيث أن لغتكم المحدودة بأفكاركم ومشاعركم تفتقر إلى الكلمات للتعبير عنها. يقول لكم عقلكم بأنه لا بد أن تكون لله تلك السجايا الكاملة في أسمى درجاتها، إذ لو كانت تنقصه واحدة منها فقط أو لم تكن إحداها في درجة كاملة ومطلقة، لما كان الله فوق كل شيء وبالتالي لما كان الله. ولكي يكون فوق كل الأشياء يتحتم إلا يكون معرّضاً للتقلبات، وألا يكون فيه أي عيب من العيوب التي بإمكان العقل أن يتصورها.

(الله أزلي: إذ لو كان له بداية لكان قد طلع من العدم أو خلقه كائن آخر موجود من قبله. وهكذا نصل خطوة خطوة إلى اللانهاية والأزلية).

(وهو لا يتغير: ولو كان معرّضاً للتغييرات لكانت السنن التي تتحكّم بالكون بلا ثبات).

(وهو لا مادي: أي أن طبيعته تختلف عن كل ما نسميه مادة وإلا لما كان ثابتاً لا يتغير بل معرضاً لتغيرات المادة).

(وهو وحيد: لو كان هناك آلهة متعددة لما كانت هناك وحدة في تدبير الكون ولا وحدة في القدرة على تنظيمه).

(وهو قادر على كل شيء: ذلك لأنه لا نظير له. فلو لم يكن هو القدرة العظمى، لكان هناك من هو أقدر منه أو من يعادله قدرة، ولما كان قد خلق كل الأشياء، ومن ثم كانت الأشياء التي لم يخلقها صنيعة إله آخر).

(وهو سامي العدالة والطيبة إلى أعلى درجة: تظهر حكمة النواميس الإلهية في أصغر الأشياء وأكبرها، وهذه الحكمة لا تترك لنا مجالاً للتشكك بعدالة الله وطيبته).

4. الحلول[1]

14 ـ هل الله كائن متميز أم هو، كما يزعم البعض، حاصل جميع قوى وذكاءات الكون متحدة؟ فلو كان هكذا، لما كان لله وجود، إذ يصبح المحدَث وليس المحدث، وهذا مستحيل، إذ لا يمكن أن يكون الاثنين في آن واحد.

الله موجود ولا يمكنكم الشك في ذلك، وهذا هو ما يهمّ. صدّقوا ما أقول لكم ولا تبالغوا في البحث لكي لا تتيهوا في معضلة يتعسر عليكم الخروج منها، وأسئلة كهذه لا تجعلكم أفضل، بل قد تزيدكم كبرياء إذ سوف تظنون أنكم تعلمون كل شيء عنه والحقيقة أنكم لن تعلموا عنه شيئاً. اطرحوا جانباً هذه التكهنات الفكرية، لأن بين أيديكم أموراً كثيرة تهمكم أكثر لقربها المباشر منكم، ولا سيما حالتكم الشخصية. افحصوا عيونكم الذاتية لتتخلصوا من تلك التكهنات. ذلك أنفع لكم من أن تحاولوا اكتناه ما لا يكتنه.

15 ـ ماذا تظنون بالرأي القائل بأن كل الأشياء المادية التي في الطبيعة وكل الكائنات وكل أجرام الكون، هي أجزاء من اللاهوت، أي أنها تكوّن في مجموعها اللاهوت ذاته، وبعبارة أخرى، ما رأيكم بنظرية الحلول؟

لقد عجز الإنسان أن يجعل نفسه نظيراً للإله، فأراد أن يكون على الأقل، جزءاً منه.

16 ـ إن الذين يقولون بهذا التعليم يدّعون بأنهم يجدون فيه برهاناً على بعض صفات الله، وبما أن العوالم بلا نهاية، إذن فإن الله لا محدود أيضاً. وبما أنه لا فراغ أو لا عدم في أي مكان من الكون، فالله إذن في كل مكان. وبما أن الله في كل مكان لأن كل شيء جزء متمم منه، لذلك فهو يُعطي لجميع ظواهر الطبيعة تبريراً عاقلاً لوجودها. فكيف يمكن معارضة هذا التفكير؟

بالعقل. فكروا طويلاً فيه وسترون بسهولة أنه باطل.

(هذا التعليم يجعل الله كائناً مادياً، رغم أنه يتمتع بالذكاء الأعلى، فهو في الواقع على نطاق عظيم من الذكاء ونحن على نطاق صغير. ولكن بما أن المادة في

---

(1) نظام وتعليم يقولان بالوهية الكون وإن الله والكون هيئة واحدة (ملاحظة المترجم).

تحول دائم، ولو كان الحال كما يدّعون، لما كان لله أي ثبات، ولأصبح عرضة لجميع تقلبات الدهر، وحتى لنفس حاجات البشرية، ولكانت تموزه إحدى خواص اللاهوت الجوهرية التي هي عدم التغيّر. لا يمكن ربط خواص المادة بفكرة الخالق دون أن نسقطه من تفكيرنا، وكل حيل القياس الفاسد لن تتمكن من حل مشكلة كنهه. نحن لا نعلم كل شيء عمن هو الله ولكنا نعلم ما يستحيل الا يكون وهذا التعليم على النقيض مع سجايا الله الجوهرية، إذ أنها تخلط الخالق بالمخلوق، كما لو أردنا أن تكون مكنة دقيقة جزءاً متمماً من الصانع الذي صمّمها).

(يتجلى ذكاء الله في صنائعه كما يتجلى ذكاء الرسام في لوحاته، ولكن صنائع الله ليست هي الله كما أن اللوحة ليست هي الرسام الذي صمّمها وأنجزها).

الفصل الثاني: عناصر الكون العامة

1ـ معرفة مبدأ الأشياء.

2ـ الروح والمادة.

3ـ خواص المادة.

4ـ الفضاء الكوني.

1 ـ معرفة مبدأ الأشياء

17 ـ أمن الممكن للإنسان معرفة مبدأ الأشياء؟

كلا، لأن الله لا يسمح بإباحة كل شيء للإنسان على الأرض.

18 ـ هل يستطيع الإنسان يوماً ما اكتشاف أسرار الأشياء التي هي محجوبة عنه؟

يُرفع الحجاب عنه بقدر ما يتقّى. ولكن هناك بعض اشياء يحتاج الإنسان لفهمها إلى قدرات لم يملكها بعد.

19 ـ هل بإمكان الإنسان بواسطة أبحاث العلم أن يكشف عن بعض أسرار الطبيعة.

لقد أُعطي للإنسان وسائل البحث العلمي كواسطة لتقدّمه في كل الجهات، ولكن لا يجوز له أن يتخطّى الحدود التي أقامها الله.

(بقدر ما يباح للإنسان اكتناه هذه الأسرار، بقدر ما يتوجب عليه أن يشتدّ عجبه لقوة الخالق وحكمته. ولكنه لا يأبه لذلك إما بسبب كبريائه وإما بسبب ضعفه، وذكاءه بالذات هو الذي يجعل الوهم يتلاعب به عادة، يبتدع الإنسان مذاهب لا حد لها، ولكن الأيام تريه كم من الضلال ظنّه حقائق وكم من الحقائق رفضها كضلال. وتلك هي خيبات لكبريائه).

20 ـ هل يستطيع الإنسان أن يتلقى إعلامات عالية المستوى في أمور لا تشهدها حواسه؟

أجل، إذا رأى الله أن في ذلك منفعة، فيسمح بكشف ما يستطيع العلم أن يكتشفه.

(بواسطة هذه الإعلامات، يحصل الإنسان ضمن حدود معينة، على معرفة ماضيه ومعرفة مصيره القادم).

2 ـ الروح والمادة

21 ـ هل المادة موجودة منذ الأزل كالله، أم خلقها الله في وقت من الأوقات؟

هذا من علم الله فقط. غير أن هناك شيء يجب على عقلكم أن يدلّكم عليه، وهو أن الله الذي هو مثال المحبة والرأفة، لم يتوقف عن العمل أبداً. مهما كانت بعيدة الأزمنة التي بإمكانكم أن تتصوّروها لابتداء عمله، هل يمكنكم التفكير بأنه سكن لحظة واحدة بلا عمل؟

22 ـ توصف المادة عادة بأنها ما له امتداد وما يستطيع أن يؤثر على حواسنا، وما لا يمكن النفاذ فيه. فهل هذه الأوصاف صائبة؟

إنها صائبة من وجهة نظركم فأنتم تعرّفون الأشياء بحسب ما تدركونه. منها على أن للمادة حالات أخرى لا تدرون بها. فهي قد تكون أثيرية ودقيقة جداً إلى درجة أنها لا تؤثر على حواسكم بتاتاً، ومع ذلك فهي لا تزال مادة، ولو أنكم تظنون أنها ليست مادة.

122 ـ ما هو تعريفكم للمادة؟

المادة هي الرباط الذي يقيّد الروح. وهي الأداة التي تستعملها الروح وتؤثر عليها في نفس الوقت.

(من هذه النظرة يجوز القول إن المادة هي العامل المتوسط الذي بواسطته تعمل الروح، وتؤثّر على الروح).

23 ـ ما هي الروح؟

هي المبدأ الذكي في الكون.

123 ـ ما هو كنه الروح؟

يصعب تعريف الروح بلغتكم. فأنتم تعتبرونها لا شيء، لأن الروح ليست ملموسة. أما نحن فنعتبرها شيئاً. وليكن في علمكم أن «لا شيء» يعني العدم وأن العدم غير موجود.

24 ـ أيجوز القول بأن الروح مرادفة للذكاء؟

الذكاء هو خاصية الروح الأساسية، ولكن كلاهما يندمجان في مبدأ مشترك بحيث أنهما من وجهة نظركم شيء واحد.

25 ـ هل الروح مستقلة عن المادة أم هي خاصية فقط من خواصها، مثلما الألوان هي من خواص النور والصوت من خواص الهواء؟

هناك اختلاف بين الروح والمادة ولكن الاتحاد بينهما ضروري لإعطاء ذكاء للمادة.

125 ـ هل هذا الاتحاد ضروري أيضاً لتجلي الروح؟ (نعني هنا بالروح المبدأ الذكي بصرف النظر عن المعاني المسماة بتلك الكلمة).

هذا الاتحاد ضروري لكم، لكون تركيبكم لا يسمح لكم أن تدركوا الروح دون المادة لأن حواسكم غير ملائمة لهذا النوع من الإدراك.

26 ـ أمن الممكن أن نتصوّر الروح دون المادة والمادة دون الروح؟

لا شكّ أن ذلك ممكن بواسطة الفكر.

27 ـ إذن هناك عنصران شاملان في الكون هما المادة والروح؟

أجل، وفوق كل ذلك، هناك الله الخالق، آب الأشياء كلها. وهذه المكوّنات الثلاثة هي مبدأ كل ما هو في الوجود، وهي الثالوث الكوني. ولكن يجب أن يُضاف إلى العنصر المادي، المائع الكوني الذي يعمل كوسيط بين الروح والمادة بتعبيرها الدقيق، إذ أن المادة أخشن من أن تستطيع الروح أن تؤثر عليها. غير أنه من الممكن من زاوية ما أن يدخل المائع كعنصر مادي، فهو يتميز بخواص خاصة به. فلو كان مادة، لما كان هناك سبب لكي لا تكون الروح مادة أيضاً، إذ أنه يتوسط بين الروح والمادة. وهو مائع كما المادة هي مادة، وباتحاده مع المادة في تراكيب لا تعد بالإضافة إلى فعل الروح، فهو جدير أن يحدث أنواعاً لا نهاية لها من الأشياء التي لا تعرفون منها غير القليل فقط. وهذا المائع الكوني أو الأولي أو العنصري، بسبب كونه العامل الذي يستخدمه الروح، فهو المبدأ الذي من دونه تكون المادة في حالة تفكك دائمة، ولا تكتسب أبداً الخواص التي تعطيها الثقل.

27 أ ـ أليس هذا المائع هو ما نسميه بالكهرباء؟

لقد قلنا إنه جدير بأن يتحد في تراكيب لا تعد، فما تدعونه بالمائع الكهربائي أو المائع المغناطيسي هو مجرد تعبيرات عن المائع الكوني الذي هو في الواقع مادة أكمل وأدق، ويمكن اعتبارها مستقلة عن غيرها.

28 ـ بما أن الروح في ذاتها شيء ما، أليس أصوب وأوضح أن يشار إلى هذين العنصرين الشاملين بالعبارتين: مادة جامدة ومادة ذكية؟

التسميات لا تهمنا. عليكم أنتم أن تجدوا التعابير المناسبة لتتفاهموا بها. ولكنكم تتخبطون كثيراً لكونكم لا تتفقون على استعمال الكلمات الصحيحة، وذلك لفقر لغتكم في التعبير عن الأشياء التي لا تلفت حواسكم.

(هناك أمر جلي يرافق جميع النظريات وهو أننا نشاهد مادة عديمة الذكاء ونشاهد مبدأ ذكياً مستقلاً عن المادة. أما أصل هذين العنصرين والعلاقة بينهما فنحن نجهلها. هل لهما مصدر واحد أم لا، وهل يملكان نقط الاتصال اللازمة وهل للذكاء وجود ذاتي أم هو إحدى خواص المادة أو إحدى نتائجها أو هو، كما يظن البعض،

منبثق من اللاهوت، كل هذا نجهله، فهما يظهران لنا متميزين ولذلك نعتبر أنهما يشكّلان مبدأين يتركّب منهما الكون. وفوق كل ما ذكر فنحن نرى ذكاء يسيطر على كل الأشياء ويتحكم بها جميعها ويتميز عنها بخاصيات أساسية. وهذا الذكاء الأعلى هو الذي نسميه الله).

3 ـ خواص المادة

29 ـ هل القابلية للوزن خاصية أساسية في المادة؟

أجل، إن كانت المادة كما تعرفونها، ولكن كلا، فالمادة التي تكوّن المائع الكوني. أو المادة الأثيرية الدقيقة التي تكوّن هذا المائع عديمة الوزن لديكم، ورغم ذلك، فما زالت هي مصدر مادتكم الثقيلة.

(الثقل خاصية نسبية، لأنه خارج دوائر تجاذب الكواكب ليس هناك ثقل، وليس هناك أيضاً لا عالٍ ولا واطئ).

30 ـ هل المادة مكوّنة من عنصر واحد أم من عناصر عديدة؟

من عنصر واحد أولي. فالأجسام التي تظنونها أجساماً بسيطة، ليست عناصر حقيقية، بل هي تحولات المادة الأولية.

31 ـ من أين تأتي للمادة خواصها المختلفة؟

إنها تغيرات تطرأ على الجزئيات الأولية عندما تتحد، في ظروف معينة.

32 ـ بناء على هذا الرأي، فإن الطُعوم والروائح والألوان والصوت والخواص السامة أو الشافية في الأجسام قد تكون مجرد تغيرات لمادة وحيدة أولية؟

أجل دون شك، وهي توجد فقط من استعداد الأعضاء المهيأة لكي تحس بها.

(البرهان على ذلك هو أن الناس لا يحسون بصفات الأجسام بنفس الصورة. فبينما يبدو أحد الأطعمة لذيذاً لشخص فهو سيئ الطعم لشخص آخر. وما يبدو أزرق اللون لبعض الناس يبدو أحمر للبعض الآخر. وما هو سام للبعض لا يضر الآخرين أو هو حتى صحي لهم).

33 . هل المادة الأولية ذاتها قابلة للمرور بجميع التحولات ومؤهلة لاكتساب جميع الخواص؟

أجل، وهذه القابلية هي ما ينبغي أن تفهموه من قولنا: إن كل شيء موجود في كل شيء[1].

(كل من الأكسجين والهيدروجين والنتروجين والكربون وجميع الأجسام التي نعتبرها بسيطة، ليست إلا تحولات مادة أولية. وبما أننا لا نعرف إلى الآن طريقة نهتدي بها إلى المادة الأولية إلا بالفكر، تبدو لنا تلك الأجسام كمناصر حقيقية. لذلك يجوز لنا اعتبارها كمناصر، دون أن يترتّب عن ذلك استنتاج ما، وإلى أن يصدر ما يخالفه.

33 أ . هل هذه النظرية تؤيّد رأي الذين يقولون بأن في المادة خاصتين جوهريتين هما القوة والحركة، والذين يعتبرون جميع الخواص الأخرى مجرد نتائج ثانوية تتنوع بحسب شدة القوة واتجاه الحركة؟

هذا الرأي صائب، ولكن يجب أن نضيف أيضاً «بحسب ترتيب الجزيئات» كما نرى مثلاً في جسم غير شفاف يصبح شفافاً، والعكس بالعكس.

34 . هل للجزئيات شكل معين؟

لا شك أن للجزيئات شكل، ولكن لا تستطيعون إدراكه.

34 أ . هذا الشكل هل هو ثابت أم متقلّب؟

ثابت في الجزيئات العنصرية الأولية، لكنه متقلب في الجزيئات الثانوية التي هي بدورها تجمّعات الجزيئات الأولية، إذ أن ما تدعونه جزيئة، بعيد عن كونه الجزيئة العنصرية.

---

(1) هذا المبدأ يفسر الظاهرة التي يعرفها كل الممغنطين والتي بموجبها يُعطي الممغنط بقوة الإرادة إلى مادة ما، كالماء مثلاً، خواص متغايرة جداً مثل طعم معين وحتى صفات فاعلة خاصة بمواد أخرى. وبما أنه لا يوجد سوى عنصر أولي وأن خواص الأجسام على اختلافها ليست سوى تحولات لهذا العنصر، ينتج من ذلك أن المادة التي لا تُضر بتاتاً، لها ذات المبدأ الموجود في أكثرها ضرراً. وعليه، فإن الماء المركّب من جزء أكسجين وجزئين هيدروجين يصبح مؤذياً إذا ضاعفنا فيها مقدار الأكسجين. قد يحدث تحوّل مجانس لهذا بالعمل المغناطيسي الموجه بقوة الإرادة. (ملاحظة المترجم).

4ـ الفضاء الكوني

35 ـ هل الفضاء الكوني غير محدود أم هو محدود؟

هو لا محدود. فإذا افترضت أن له حدوداً، فماذا سيكون وراءها؟ هذا يربك عقلك رغم أنه عالم به، ومع ذلك يقول لك الصواب بأنه لا محالة من ذلك. والأمر هو ذاته بخصوص اللانهاية في جميع الأشياء. إلا أن كرتكم الأرضية الصغيرة يتعذر عليكم فهمها[1].

(إذا افترضنا حدوداً للفضاء، مهما يستطيع فكرنا أن يتصوّر بعدها، فسيقول لنا العقل بأن وراء هذه الحدود، لا بد أن يكون هناك شيء ما، وهكذا خطوة خطوة إلى اللانهاية، لأن ذلك الشيء، حتى لو كان الفراغ المطلق، فهو لا يزال الفضاء.

36 ـ هل يوجد الفراغ المطلق في مكان ما في الفضاء الكوني؟

كلا، لا يوجد فراغ البتة، وما هو فراغ في نظرك، تشغله مادة لا تدركها حواسك ولا آلاتك.

---

(1) التقلّبات في التعبير تارة موجهة إلى السائل وحده، وتارة إلى الجميع، تتطابق الحالات التي يخاطب فيها الروح المجيب السائل شخصياً أو يخاطب جميع الحاضرين. أو الإنسانية جمعاء. (ملاحظة المترجم).

الفصل الثالث: الخليقة

1. تكوين العوالم
2. تكوين الكائنات الحية
3. إسكان الأرض. آدم
4. تنوّع الأجناس البشرية
5. تعدّد العوالم
6. اعتبارات ومطابقات الكتاب المقدّس بشأن خلق العالم

1 ـ تكوين العوالم

(يشمل الكون لا نهائية العوالم التي نراها والعوالم التي لا نراها، وجميع الكائنات الموهوبة الحياة واللاموهوبة الحياة وجميع الكواكب التي تتحرك في الفضاء مثلما أيضاً الموائع التي تملأه).

37 ـ هل خلق الكون أم هو موجود منذ الأزل كالله؟

لا شك أن من المستحيل أن ينخلق الكون من نفسه، وإذا كان موجوداً منذ الأزل كالله، فلا يعقل أن يكون إلا صنيعة الله).

(يقول لنا العقل إن من المستحيل أن يخلق الكون نفسه بنفسه، وبما أنه ليس من عمل الصُدفة، فلا بد أنه من عمل الله).

38 ـ كيف خلق الله الكون؟

سآخذ عبارة مألوفة وأقول: خلق الكون بإرادته. لا شيء يعبِّر بجلاء ووضوح عن تلك الإرادة القادرة على كل شيء، أكثر من الكلمات التي جاءت في سفر التكوين القائلة: وقال الله ليكن النور فكان النور.

39 ـ هل نستطيع أن نعرف كيف تكوّنت العوالم؟

كل ما يمكن أن يُقال وتستطيعون فهمه، هو أن العوالم تتكوّن بتكاثف المادة المبعثرة في الفضاء.

40 ـ هل المذنّبات، كما يظن الآن، هي بدء تكاثف المادة والعوالم التي هي في طريق التكوين؟

هذا مضبوط، ولكنه يخالف المنطق الاعتقاد بتأثيرها. أعني الاعتقاد بالتأثير الذي ينسب إليها، لأن لجميع الأجرام السماوية قسط من التأثير في بعض الظواهر الطبيعية.

41 ـ أمن الممكن لعالم كامل التكوين أن يزول، وتتبعثر المادة التي يتركّب منها في الفضاء ثانية؟

أجل لأن الله يُجدّد العوالم مثلما يُجدّد الكائنات الحية.

42 ـ هل نستطيع معرفة مُدّة تكوين العوالم، مثلاً مدة تكوين الأرض؟

لا أستطيع أن أقول لك لأن الخالق وحدة عالم به، ومن الحماقة أن يدّعي أحد بأنه يعرف مقدار العصور التي استغرق تكوينها.

2ـ تكوين الكائنات الحية

43 ـ متى بدأت الأرض تسكن؟

في البدء كانت الفوضى شاملة وكانت الأركان غير واضحة. ثم بدأ كل شيء يستقر شيئاً فشيئاً في مكانه. حينئذ ظهرت الكائنات الحية الملائمة لحالة كوكبكم.

44 ـ من أين أتت الكائنات الحية على الأرض؟

كانت الأرض تحوي بُذيراتها، منتظرة الوقت المناسب لتنمو. وبمجرد زوال القوة التي كانت تحفظها مُفرقّة، تجمّعت المبادئ العضوية وكوّنت بذيرات في حالة كامنة دون نشاط ذاتي، كالخادرة وكبذور النباتات إلى أن جاء الوقت المناسب لتفرّخ كل نوع في وقته. وحينئذ التأمت كائنات كل نوع وتكاثرت.

45 ـ أين كانت العناصر العضوية قبل تكوين الأرض؟

يجوز القول بأنها كانت في حالة مائعة في الفضاء، بين الأرواح، أو في كواكب أخرى، منتظرة خلق الأرض لتبدأ وجوداً جديداً على كوكب جديد.

(ترينا الكيمياء أن جزيئات الأجسام اللاعضوية تتحد معاً لتكوّن بلّورات ذوات تراتيب ثابتة خاصة بكل نوع، حالما تتوافر الأحوال اللازمة لذلك. وأقل اضطراب في تلك الأحوال يكفي ليمنع العناصر من الاتحاد، أو على الأقل، ليمنع الترتيب الدقيق الذي يُكوّن البلور. هل هناك ما يمنع أن يحصل نفس الشيء في العناصر العضوية؟ نحن نحفظ طيلة سنوات عديدة بذوراً نباتية وحيوانية لا تنمو إلا في حرارة معينة وفي وسط ملائم. وقد روّيت حبّات الحنطة لتنبت بعد مرور مئات السنين عليها. يوجد إذن في هذه البذور مصدر حيوية كامن ينتظر فقط ظروفاً مناسبة لينمو. ألا يجوز أن ما نراه يومياً أمام بصرنا قد حصل أيضاً منذ بدء تكوين الأرض؟ وتكوين الكائنات الحية، الخارجة من الخواء بقوة الطبيعة ذاتها، هل يقلّل شيئاً من عظمة الله؟ أبداً، إن هذا التكوين يطابق بالضبط فكرتنا عن قدرة الله التي تسود العوالم اللامحدودة بواسطة

نواميس أزلية. والحقيقة هي أن هذه النظرية لا توضّح لنا أصل العناصر الحيوية، ولكن الله له أسراره وقد أقام حدوداً على أبحاثنا في هذا النحو).

46 ـ هل من كائنات تولد تلقائياً حتى الآن؟

أجل، لكن البذيرة الأولية كانت موجودة من قبل في حالة كامنة. أنتم تشاهدون هذه الظاهرة بينكم كل حين. ألا تحوي أنسجة الإنسان والحيوانات على بذيرات عدد كبير من الدود ينتظر من أجل أن تفرّخ الاختمار العفن اللازم لحياتها؟ هذا هو عالم فائق الصغر نائم ثم ينخلق.

47 ـ هل كان الجنس البشري موجوداً بين العناصر العضوية التي كانت على الكرة الأرضية؟

أجل، وأتى في الوقت المعين. هذا هو سبب القول بأن الإنسان تكوّن من طين الأرض.

48 ـ هل نستطيع معرفة الزمن الذي ظهر فيه الإنسان وظهرت الكائنات الحية الأخرى على الأرض؟

كلا، وجميع تخميناتكم في هذا الصدد هي تخيلات.

49 ـ إذا كانت بُذيرة الجنس البشري موجودة بين العناصر العضوية التي كانت على الكُرة الأرضية، لماذا لا يتكون أناس تلقائياً الآن كما في بدء البشرية؟

إن مبدأ الأشياء من أسرار الله. ومع ذلك يمكن القول بأن البشر بعد استقرارهم على الأرض، امتصوا في ذاتهم العناصر اللازمة لتكوينهم لينقلوها من جيل إلى جيل طبقاً لسنن النسل. وحدث الشيء نفسه في مختلف أنواع الكائنات الحية.

3 ـ إسكان الأرض. آدم

50 ـ هل نشأ الجنس البشري من رجل واحد فقط؟

كلا، إذ أن من تدعونه بآدم لم يكن الإنسان الأول ولا الوحيد الذي جاء لإسكان الأرض.

51 ـ هل في إمكاننا أن نعرف في أي زمن عاش آدم؟

في الزمن الذي تنسبونه إليه وهو على وجه التقريب 4000 سنة قبل الميلاد.

(الإنسان الذي حفظ أثره باسم آدم، كان أحد الذين نجوا، في إحدى الأصقاع، من بعض الكوارث الكبرى التي صدعت الأرض في عصور مختلفة وخرّبت سطحها. وأصبح رأس ذرية أحد الشعوب التي تسكن المسكونة اليوم. تعارض نواميس الطبيعة الرأي القائل بأن تقدم الإنسانية المعاين منذ أمد مديد قبل المسيح، قد حدث في بضعة قرون، ما دام الإنسان قد ظهر على الأرض بعد الزمن المحدد لوجود آدم. لذلك يعتبر البعض، وبحق، أن آدم هو اختلاق أو رمز يجسد عصور العالم الأولى).

4. تنوّع الأجناس البشرية

52 - ما هو سبب الاختلافات الجسدية والأدبية التي تُميّز أنواع الأجناس البشرية على الأرض؟

المناخ وأسلوب الحياة والعادات الاجتماعية. وقد يحصل نفس الشيء لطفلين من نفس الأم يتربّيان بعيداً الواحد عن الآخر وبأسلوب تربية مختلفة، فإنهما لن يتشابها البتة من الوجهة الأدبية.

53 . هل نشأ الإنسان في أماكن متعددة على سطح الأرض؟

أجل، وفي أزمنة مختلفة وذلك هو أحد أسباب تنوّع الأجناس. وبانتشار الناس في أقطار مختلفة المناخ، وباتحاد هم مع أجناس أخرى، كوّنوا أجناساً جديدة.

53 أ. هل تأتي تلك الاختلافات بأجناس متغايرة؟

كلا بالطبع، إذ أن جميعها من نفس الفصيلة. هل الأشكال المختلفة من نفس الفاكهة تمنعها من أن تكون من نفس النوع؟

54 - إن لم ينبثق الجنس البشري من شخص واحد، فهل يجب على الناس أن يكفّوا من اعتبار بعضهم بعضاً كأخوة؟

جميع الناس أخوة في الله إذ يحييهم الروح، ولأنهم يتطلّعون إلى هدف واحد. هل تريدون أخذ المعاني بالحرف.

5. تعدّد العوالم

55 ـ هل الكواكب التي تسير في الفضاء مسكونة؟

أجل، وليس سكّان الأرض هم الأكثر ذكاء ومحبة وكمالاً، كما يظنون هم. ومع ذلك يوجد خلق بينكم يعتقدون بأنهم عظماء ويتصورون أن الأرض، هذا الكوكب الصغير، يمتاز وحده بكائنات عاقلة تسكنه. يا للكبرياء والغرور. إنهم يظنون أن الله خلق الكون لهم وحدهم.

(أسكن الله الكواكب بكائنات حية وجميعها تساهم في تنفيذ غرض العناية الإلهية. فالاعتقاد بأن وجود الكائنات الحية يقتصر على النقطة الصغيرة التي نسكنها في الكون، يدل على الشك بحكمة الله الذي لم يخلق شيئاً باطلاً والذي أعد حتماً هذه العوالم لفرض أكثر جدية من إبهاج أنظارنا برؤيتها. فضلاً عن ذلك، ما من شيء سواء في موقع الأرض أو في حجمها أو في تكوينها المادي، يحملنا منطقياً على الظن بأنها تمتاز وحدها دون غيرها بأن تكون مسكونة، وتجاهل آلاف لا تحصى من العوالم المشابهة لها).

56 ـ أيكون التكوين المادي هو ذاته في الكواكب على اختلافها؟

كلا، لا تتشابه الكواكب بتاتاً.

57 ـ بما أن التكوين المادي للعوالم ليس هو ذاته في جميعها، ألا ينتج عن ذلك أن الكائنات التي تسكنها، لها جهاز عضوي مختلف؟

دون شك، تماماً مثلما هو الأمر عندكم: فللأسماك تكوين لتعيش في الماء وللطيور تكوين لتعيش في الهواء.

58 ـ هل العوالم الأكثر بعداً عن الشمس محرومة من النور والحرارة، ما دامت الشمس تظهر لهم في شكل نجمة؟

أتظنون إذن أنه ليس هناك مصادر أخرى للنور والحرارة غير شمسكم؟ ألا تعني لكم شيئاً الكهرباء التي تقوم في بعض العوالم بدور تجهلونه وأهم بكثير مما هو على الأرض؟ وفوق ذلك، لا يُقال بأن جميع الكائنات من نفس ماديتكم وإنها ذوات أعضاء مكوّنة على شكل أعضائكم.

(لا بد للكائنات التي تسكن العوالم الأخرى على اختلافها من أن تعيش في أحوال ملائمة للوسط الذي تعيش فيه. لو لم نكن قد رأينا أسماكاً أبداً، لما فهمنا أن بعض الكائنات تستطيع أن تعيش في الماء. ويحدث نفس الأمر بالنسبة إلى العوالم الأخرى التي بلا شك تحوي عناصر نجهلها. ألا نرى على الأرض الليالي القطبية الطويلة مضاءة بكهرباء الفجر الشمالي؟ أمن المستحيل أن تكون الكهرباء في بعض العوالم متوافرة أكثر مما هي في عالمنا وتقوم بدور شامل لا نستطيع أن نفهم نتائجه بعد؟ في إمكان تلك العوالم إذن أن تحوي في ذاتها مصادر الحرارة والنور اللازمة لساكنيها).

6 ـ اعتبارات ومطابقات
الكتاب المقدّس بشأن خلق العالم

59 ـ جاءت الشعوب بأفكار مختلفة جداً تجاه خلق العالم، بحسب درجة معارفهم. والعقل، مستنداً إلى العلم، اعترف بأن بعض النظريات السائدة مستحيلة. أما النظرية التي جاءت بها الأرواح، فهي تثبت الرأي المقبول لدى الناس المتنوّرين منذ أمد مديد.

والاعتراض الذي يمكن إقامته ضد هذه النظرية هو أنها تخالف نصوص الكتب المقدسة. على أن أي فحص دقيق لها يكفي للاعتراف بأن هذا الخلاف سطحي ولا واقعي، وأنه ناجم عن التفسير الحرفي بدلاً من التفسير المجازي المقصود غالباً.

إن مسألة تجسد أول إنسان في شخصية آدم، بوصفه المصدر الوحيد لذرية الإنسانية ليست المسألة الوحيدة التي اضطرت العقائد الدينية إلى تعديل موقفها تجاهها. لقد بدا تحرّك الأرض، في زمن ما، متناقضاً جداً مع نصوص الكتاب المقدس إلى درجة أن هذه النظرية كانت حجة لجميع أشكال الاضطهادات، ومع هذا، ما برحت الأرض تدور[1] برغم اللعنات الدينية بصدد ذلك، واليوم لا يستطيع أحد مناقشة صحة دورانها دون أن يشكك بسلامة عقله.

يقول الكتاب المقدس أيضاً بأن العالم خلق في ستة أيام ويُحدّد زمن الخلق بزهاء 4000 سنة قبل العصر المسيحي. أما قبل ذلك فلم تكن الأرض موجودة لأنها جاءت من

---

(1) حول محورها وطبقاً لمسار هليلجي حول الشمس (ملاحظة المترجم).

العدم، ونصّ الكتاب صريح في هذا الصدد. وإذا بالعلم الإيجابي، الحاسم تجاه الدين، يثبت العكس. فتكوين الأرض مسجل بعلامات لا تُمحى في العالم المطمور في الطبيعة وفي مركبات الأرض، ولا محال للشك بأن أيام الخلق الستة هي عصور متتابعة كل منها تقدّر بمئات آلاف من السنوات. لسنا هنا بصدد نظام فكري أو علمي أو رأي فردي، بل أمام حقيقة واقعية مؤكدة كحقيقة دوران الأرض، وليس بوسع فقهاء اللاهوت أن يرفضوا قبولها. وهذا الأمر يبرهن بوضوح كم نحن معرّضون للخطأ عندما نُفسّر تفسيراً حرفياً العبارات المكتوبة عادة بأسلوب استعاري. هل نستنتج من جراء ذلك أن الكتاب المقدس أخطأ؟ كلا وإنما الناس قد أخطأوا في تفسيره[1].

والعلم[2]، في حفره لطبقات الأرض، كشف عن التتابع الذي سلكته مختلف الكائنات الحية لدى ظهورها على سطحها، وهذا التتابع يطابق التتابع المذكور في سفر التكوين، مع فارق أن صنيعة الله لم تخرج من يديه بأعجوبة في بضعة ساعات، بل أنجزت في كل حين بفعل مشيئته، ولكن طبقاً لناموس قوى الطبيعة، وخلال بضعة ملايين من السنوات. هل ينتج من ذلك أن الله أصبح أقل عظمة وأقل قدرة؟ هل صارت صنيعته أقل رفعة لافتقارها جلال الزمنية؟ كلا طبعاً. ينبغي أن يكون لدى المرء عن الله فكرة خسيسة جداً لكي لا يُسلّم بقدرته الكلية عبر النواميس الأزلية التي أقامها لإدارة العوالم. والعلم لا يقلل من قيمة الصنيعة الإلهية، بل يبسطها أمامنا في صورة أعظم وأكثر موافقة لما نعرفه عن قوة الله وجلاله، لا سيما وأن صنيعته اكتملت دون خرق قوى الطبيعة.

يتفق العلم مع موسى في ذلك الأمر، ويضع الإنسان أخيراً في تتابع خلق الكائنات الحية. غير أن موسى حدد الطوفان العام في سنة 1654 من تكوين العالم، بينما علم الجيولوجيا يُرينا هذه الكارثة الكبيرة سابقة لظهور الإنسان، نظراً لأن أحداً حتى الآن[3] لم يجد في طبقات الأرض الأولية أي أثر عن وجود الإنسان ولا عن وجود الحيوانات التي هي من نفس النوع من الناحية الجسدية. ولكن ليس هناك من شيء يبرهن على أن ذلك مستحيل. إن عدة اكتشافات قد أدخلت الشكوك في هذا

---

(1) هذا تحذير لأولئك الذين يستنكرون الكتاب المقدس ولا يبالون بظروفه التاريخية الخاصة وبالعبارات الاستعارية المستعملة في نصّه. (ملاحظة المترجم).

(2) علم الجيولوجيا وعلم الإحاثة Paleonthologie (ملاحظة المترجم).

(3) أي سنة 1860 عندما كُتب هذا الكتاب (ملاحظة المترجم).

الشأن، وقد يحدث بالتالي أن يصل الإنسان من آن لآخر إلى التأكيد القاطع عن سابقية الجنس البشري هذه، وحينئذ سيسلّم، بهذه المسألة كما بغيرها، بأن نص الكتاب المقدس مجازي. والمسألة هي أن يعلم الإنسان بأن الكارثة الجيولوجية كانت نفس كارثة طوفان نوح. والحال فإن هذه المدة اللازمة لتكوين الطبقات المتحجّرة المطمورة لا تدعنا نخلط بينها، وحينما يتم اكتشاف آثار وجود إنسان سابق للفاجعة الكبرى، يكون هذا برهاناً، فإما أن آدم لم يكن أول إنسان على الأرض أو أن خلقه يضيع في ليالي الأزمنة الغابرة. فمن العبث مناقشة الأمر الواضح ومن المحتم قبول الواقع مثلما قيل في دوران الأرض والعصور الستة لخلق العالم).

(لا شك أن وجود الإنسان قبل الطوفان الجيولوجي لم يزل بعد في دائرة الافتراض، ولكن يلوح لنا الآن أن هذا الافتراض أضعف من السابق. وإذا سلمنا بأن الإنسان ظهر على الأرض لأول مرة بنحو 4000 سنة قبل الميلاد، وإذا كانت سنة 1650 بعد ظهوره هي السنة التي هلك كل الجنس البشري ما عدا عائلة واحدة، فيُستنتج من ذلك أن إسكان الأرض بدأ مع نوح، أي 2350 سنة قبل الميلاد. غير أن العبرانيين عندما هاجروا إلى مصر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وجدوا تلك البلاد كثيفة السكان ومتقدّمة جداً في مدنيتها. ويثبت التاريخ أنه في ذلك العصر نفسه، كانت الهند وأصقاع أخرى بلداناً عامرة أيضاً، دون أن نذكر التتابع الزمني لبعض الشعوب الأخرى الذي يرجع إلى عصور أقدم. ومن ثم، فمنذ القرن الرابع والعشرين وحتى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، أي خلال 600 سنة، كان لا بد لنسل رجل واحد، ليس فقط أن يُسكن جميع البقاع الشاسعة المعروفة في تلك الأيام، بفرض أن البقاع الأخرى لم تكن مسكونة، بل وأيضاً أن يتمكن الجنس البشري في أثناء ذلك الوقت الوجيز من أن يرتقي من الجهل التام الخاص بالإنسان البدائي إلى أعلى درجات التقدم الثقافي، وتقدّم كهذا مخالف لجميع قوانين الأنتروبولوجيا)[1].

(إن تنوّع الأجناس البشرية يؤيّد هذا الرأي. فمن المؤكد أن المناخ والعادات يُغيّران الخواص الجنسية، ولكنا نعلم إلى أي حد يصل تأثير هذه الأسباب، والفحص

---

(1) علم مختص بدراسة الإنسان وترتيبه في طبقات بشرية من ناحية السجايا والطوابع الجنسية والثقافية (ملاحظة المترجم).

الفزيولوجي[1] يثبت أن بين بعض الأجناس فروقاً تكوينية وخلقية أكبر من التي قد يسببها المناخ. فتهجين الأجناس بعضها ببعض يؤدي إلى ظهور أجناس متوسطة بين جنس وآخر، ويعمل على محو الخواص القصوى، ولكنه لا ينشئ تلك الخواص بل يأتي بأشكال جديدة. وهكذا فبسبب تهجين الأجناس، كان لا بد من وجود أجناس مختلفة، وكيف نفسّر وجودها إذن إذا كانت ذرية من أصل واحد، ومتقاربة بهذه الدرجة؟ كيف نسلّم بأنه خلال بضعة قرون تحوّل بعض أنسال نوح تحولاً جعلهم يحدثون ظهور الجنس الحبشي مثلاً؟ لم يعد مقنعاً تحوّل كهذا مثلما لا يُقبل افتراض أصل واحد للذئب والخروف أو للفيل والبرغوث أو للطير والسمكة. ونكرر مرة أخرى، ما من شيء يستطيع معارضة الأمر الواضح. بل بالعكس، كل شيء يمكن تفسيره إذا سلّمنا بوجود الإنسان قبل الزمن المعين له، وبتنوع رؤوس الذريات، وبأن آدم الذي كان يعيش منذ 6000 سنة تقريباً، قد جعل صقعاً لم يكن مسكوناً بعد، آهلاً بالسكان وبأن طوفان نوح كان فاجعة محلية انتهت مع الكارثة الجيولوجية[2] وأخيراً، إذا راعينا الشكل الاستعاري الخاص بالأسلوب الشرقي والذي نراه في الكتب المقدسة عند جميع الشعوب. يكون من الحكمة أن لا نكذب تكذيباً قاطعاً المذاهب التي عاجلاً أو آجلاً ستُكذّب من يحاربها، وعلى غرار مذاهب أخرى عديدة. فإن الأفكار الدينية إذا اتفقت مع العلم، فهي لن تخسر شيئاً بل تكبر، وهذه هي الطريقة الوحيدة لكي لا نترك للملحدين جانباً ضعيفاً).

---

(1) علم الفزيولوجيا، فرع من علم الأحياء biologie يدرس وظائف أعضاء الكائنات الحية. سواء كانت حيوانات او نباتات (ملاحظة المترجم).

(2) حفريات البحث عن الآثار القديمة التي قام بها «سرْ» شارلز ليونارد وولي سنة 1929 في شمال البصرة بالقرب من الخليج الفارسي لاكتشاف مدينة «أور» كشفت عن بقايا كارثة طوفانية حدثت في نحو 4000 سنة قبل الميلاد بالضبط. وعندما التقى بطبقات الوحل التي كانت تغطي أطلال مدينة «أور» الأولية، أصدر النبأ بالكلمات الآتية: «وجدنا دلائل على الطوفان الشامل». وقد أثبتت الحفريات التالية التي أجريت فيما بعد عن حقيقة الاكتشاف وأظهرت أنه حدث طوفان محلي في دلتا الدجلة والفرات في نفس المكان الذي عينه الكتاب المقدّس. فجاء هذا الحادث وأثبت أن الن كاردك أدرك الأمر قبل وقوعه. (ملاحظة المترجم).

الفصل الرابع : المبدأ الحيوي

1ـ كائنات عُضوية ولا عُضوية

2ـ الحياة والموت

3ـ الذكاء والغريزة

1 . كائنات عُضوية ولا عُضوية

(الكائنات العضوية هي التي تحمل في ذاتها مصدر نشاط باطني يبعث فيها الحياة. فهي تُولد وتنمو وتتناسل من ذاتها وتموت. وهي مجهّزة بأعضاء خاصة للقيام بمختلف أعمال الحياة وصالحة لصيانتها. وهذه الكائنات تشمل البشر والحيوانات والنباتات. أما الكائنات اللاعضوية فهي جميع الكائنات التي لا حيوية فيها ولا تحرّكاً ذاتياً والمكوّنة من تكتل المادة فقط، كالمعدنيات والماء والهواء.. الخ.

60 . هل القوة التي تجمع عناصر المادة في الأجسام العضوية وفي الأجسام اللاعضوية قوّة واحدة؟

نعم، لأن قانون التجاذب واحد للجميع.

61 . هل هناك فرق بين مادة الأجسام العضوية ومادة الأجسام اللاعضوية؟

المادة واحدة في الحالتين ولكنها منشّطة بالحيوية في الأجسام العضوية.

62 . ما هو السبب في تنشيط المادة بالحيوية؟

اتحادها مع المبدأ الحيوي.

63 . هل يسكن المبدأ الحيوي داخل عامل خاص أم هو مُجرّد إحدى خاصيات مادة الأجسام المركبة من أعضاء؟ وبالاختصار هل هو مُحدث أم مُحدث؟

كلاهما، لأن الحياة محدَث ناتج من فعل عامل يؤثر على المادة. هذا العامل، من دون المادة، ليس هو الحياة كما أن المادة لا تستطيع أن تعيش دونه. فهو الذي يُعطي الحياة لجميع الكائنات التي تتشرّبه وتضمّه إلى كيانها.

64 . رأينا فيما سبق أن الروح والمادة هما عنصران يكونان الكون. أليس المبدأ الحيوي عنصراً ثالثاً؟

هو بلا شك أحد العناصر اللازمة لتكوين الكون، أما هو نفسه فمصدره المادة الكونية المبعثرة. وأنتم تعتبرونه عنصراً كالأكسجين والهيدروجين اللذين، مع ذلك، ليسا عنصرين أوليين لأن كل العناصر تنشأ من مبدأ واحد.

64 ا ـ قد يستدلّ من ذلك على أن مبدأ الحيوية ليس موجوداً داخل عامل أولي متميز بل ضمن خاصية تخصّ المادة الكونية، ناتجة عن بعض التغيرات فيها؟

هذه هي نتيجة ما قلناه.

65 ـ هل يسكن المبدأ الحيوي في أحد الأجسام التي نعرفها؟

مصدره ضمن المائع الكوني وهو ما تسمونه بالمائع المغناطيسي أو المائع الكهربائي المنشّط بالحيوية. وهو العنصر المتوسط والصلة بين الروح والمادة.

66 ـ هل المبدأ الحيوي واحد لكل الكائنات العضوية؟

أجل، ولكنه متغيّر حسب الأجناس. وهو الذي يمدّها بالحركة والنشاط ويميّزها عن المادة الجامدة، إذ أن تحرّك المادة ليس هو الحياة، فالمادة تتلقى الحركة ولا تعطي الحركة.

67 ـ هل الحيوية صفة دائمة في العامل الحيوي أم أنها تنمو فقط من تحرّك الأعضاء؟

لا تنمو إلا مع الجسد. لقد قلنا بأن هذا العامل ليس هو الحياة من دون المادة؟ لا بدّ من اتحاد الاثنين لإحداث الحياة.

67 ا ـ أيجوز القول بأن الحيوية موجودة في حالة كامنة، عندما لا يكون العامل الحيوي متّحداً مع الجسد؟

أجل، هو كذلك.

(إن تُكوّن جملة الأعضاء عبارة عن آلية تستمد حركتها من النشاط الباطني أو من المبدأ الحيوي الموجود في الأعضاء. المبدأ الحيوي هو القوة المحرّكة في الأجسام العضوية. فبينما يحرك العامل الحيوي الأعضاء فإن فعل الأعضاء يحفظ ويُزيد نشاط العامل الحيوي تقريباً مثلما أن الاحتكاك يُزيد الحرارة).

2 ـ الحياة والموت

68 ـ ما هو سبب الموت في الكائنات العضوية؟

نهكة الأعضاء.

68 أ ـ هل يصحّ تشبيه الموت بتوقّف الحركة في مكنة معطّلة؟

نعم، فإذا كانت المكنة مركّبة بنحو سيئ، فستتعطّل. كذلك إذا كان الجسد مريضاً، فستنسحب منه الحياة.

69 ـ لماذا يكون جرح في القلب مسبّباً الموت، أكثر من جرح في الأعضاء الأخرى؟

القلب مكنة لازمة للحياة، ولكنه ليس العضو الوحيد الذي يسبّب جرحه الموت. فهو واحد فقط من الدواليب الأساسية في الجسد.

70 ـ ماذا يحصل في مادة الكائنات العضوية وفي المبدأ الحيوي بعد الموت؟

تتحلّ المادة العديمة الحيوية وتدخل في تركيب كائنات جديدة. أما المبدأ الحيوي فيرجع إلى الكتلة الكونية.

(بعد موت الكائن العضوي، تدخل العناصر التي تكوّنه في تراكيب جديدة لتكون كائنات جديدة، وهذه الكائنات الجديدة بدورها تستمد من المصدر الكوني مبدأ الحياة والنشاط وتمتصه وتضمه إلى كيانها، ثم ترجعه إلى ذلك المصدر عندما تكفّ عن الوجود).

(يصحّ القول إن الأعضاء مشرّبة بالمائع الحيوي. وهذا المائع يمدّ جميع أجزاء الجهاز بنشاط يعمل على شفائها في بعض الجروح ويُعيد حركة الوظائف التي توقّفت وقتياً. ولكن عندما تخرب العناصر الأساسية اللازمة لحركة الأعضاء أو تتضاءل كثيراً فوق الحدّ، تنعدم قدرة المائع الحيوي على إعطائها حركة الحياة فيموت الكائن).

(تتفاعل الأعضاء حتماً بدرجات متفاوتة بعضها عن البعض الآخر. ومن مواءمة مجموعها ينتج تكافؤ عملها. عندما يعطّل سبب ما هذه المواءمة، تتوقّف وظائفها عن العمل، مثلما يتوقّف تحرّك آلية إذا تعطّلت دواليبها الأساسية أو تبلى ساعة مع مرّ الزمان أو تتفكك على أثر حادثة وتعجز القوة المحرّكة عن إدارتها).

(لدينا صورة أضبط عن الحياة والموت نجدها في جهاز كهربائي. فهذا الجهاز يحفظ الكهرباء في حالة كامنة مثل جميع أجسام الطبيعة، ولكن لا تظهر الظواهر الكهربائية فيه إلا بعد أن يبدأ المائع يتحرك فيه بتأثير محدث خاص. حينئذ يمكن القول بأن الجهاز أصبح حياً. فإذا توقف مُحدث النشاط، تتوقف الظاهرة ويعود الجهاز إلى حالة عدم الحركة. هكذا، تعمل الأجسام العضوية على غرار بطاريات أو أجهزة كهربائية حيث يسبب نشاط المائع فيها ظاهرة الحياة، لذلك فإن توقف هذا النشاط يسبّب الموت).

(ليس مقدار المائع الحيوي واحداً في جميع الكائنات العضوية، فهذا المقدار يختلف بحسب الأجناس، وهو غير ثابت سواء في نفس الشخص أو في الأشخاص الذين ينتسبون إلى نفس الجنس. يجوز القول إن هناك أشخاص مملوءون بالمائع الحيوي بينما لدى آخرين كمية كافية فقط لحاجتهم. ولذلك يعيش البعض حياة أوفر نشاطاً وأكثر عنفواناً بسبب فيضه فيهم).

(قد تتفرّغ كمية المائع الحيوي وتصبح غير كافية لحفظ الحياة إن لم تتجدد الكمية بامتصاص المواد المحتوية عليه وضمّها إلى الكيان).

(المائع الحيوي قابل للانتقال من فرد إلى آخر. ولكن يستطيع من يحوي كمية كبيرة منه إعطاء شيء منه لمن يحوي كمية قليلة، وهو قادر في بعض الأحيان على إعادة الحياة التي أوشكت أن تنطفئ).

3. الذكاء والغريزة

71. هل الذكاء خاصية من خاصيات المبدأ الحيوي؟

كلا، إذ أن النباتات تعيش ولا تفكّر، فهي تعيش الحياة العضوية فقط. الذكاء والمادة مستقلان الواحد عن الآخر، إذ يستطيع جسم ما أن يعيش بغير ذكاء، ولكن لا يستطيع الذكاء أن يتكشف دون واسطة الأعضاء المادية. لذلك لا بد من اتحاد الروح لإعطاء الذكاء إلى المادة المنشّطة بالحيوية.

(الذكاء خاصية خصوصية متعلّقة ببعض طبقات من الكائنات العضوية، يعطيها مع التفكير قوة المشيئة والشعور بوجودها وبفرديتها، كما يعطيها الوسائل لإقامة علاقات مع العالم الخارجي وسدّ حاجاتها).

(هكذا، يمكن تمييز الكائنات كما يلي: أولاً، الكائنات اللاموهوبة الحياة والمركّبة من مادة فقط، دون حيوية ودون ذكاء، وهي المواد الخام. ثانياً، الكائنات الموهوبة الحياة واللا مفكّرة، وهي مركبة من مادة وموهوبة الحيوية، ولكنها مجردة من الذكاء. ثالثاً، الكائنات الموهوبة الحياة والمفكّرة، وهي مركبة من مادة وموهوبة الحيوية، ولها، إلى جانب ذلك، مبدأ ذكي يُؤهّلها للتفكير).

72. ما هو مصدر الذكاء؟

لقد قلناه لكم، إنه الذكاء الكوني.

72 أ ـ هل يجوز القول إن كل كائن يأخذ جزءاً من الذكاء من المصدر الكوني ويضمّه إلى كيانه مثلما يأخذ مبدأ الحياة المادية ويضمّه إلى كيانه؟

هذا القول هو مجرّد مقارنة غير صحيحة لأن الذكاء خاصية متعلقة بكل كائن ويتكوّن فرديته المعنوية. فضلاً عن ذلك أنتم تعلمون أن هناك أشياء لا تباح معرفتها بعد للإنسان، وهذه هي واحدة منها في الوقت الحاضر.

73 ـ هل الغريزة مستقلة عن الذكاء؟

بالتحديد، كلا، لأنها نوع من الذكاء. فالغريزة ذكاء دون تفكير، وبواسطتها تسدّ جميع الكائنات احتياجاتها.

74 ـ أمن الممكن تعيين حدّ بين الغريزة والذكاء، أي هل يمكن التحديد بدقة أين ينتهي الواحد وأين يبتدئ الآخر؟

كلا، لأنهما يختلطان كثيراً، ولكن من الممكن بسهولة التمييز بين الأفعال التي هي من صنع الغريزة والأفعال التي هي من صنع الذكاء.

75 ـ هل يصح القول إن المقدرات الغريزية تتضاءل بقدر ما تزداد المقدرات العقلية؟

كلا، فالغريزة موجودة دائماً، ولكن الإنسان يهملها. قد تقود الغريزة أيضاً إلى الصلاح، فهي ترشدنا تقريباً في كل حين، وأحياناً بصواب أكبر من العقل، لأن الغريزة لا تضلّ أبداً.

75 أ ـ لماذا يكون العقل مرشداً غير معصوم من الخطأ دائماً؟

لو لم يكن العقل منحرفاً بسبب التربية الخاطئة والكبرياء والأنانية لكان معصوماً من الخطأ. الغريزة لا تفكّر بينما يُتيح العقل للإنسان الاختيار بين الأشياء ويعطيه حرية الاختيار.

(الغريزة ذكاء بدائي يختلف عن الذكاء بحصر المعنى، في أن تجلياتها عفوية في أغلب الأحيان، بينما تجليات الذكاء نتيجة تدبير وعزم على العمل).

(تتنوّع الغريزة في تجلياتها بحسب الأجناس والفصائل وحاجاتها. ففي الكائنات التي تُدرك الأشياء الخارجية وتحسّها، تتحد الغريزة مع الذكاء أي مع الإرادة وحرية التفكير).

السفر الثاني

العالم الأرواحي (عالم الأرواح)

الفصل الأول: الأرواح

1. أصل الأرواح وطبيعتهم.
2. العالم النظامي الأولي.
3. شكل الأرواح ووجودها في كل مكان في آن واحد.
4. إطار الروح.
5. مختلف درجات الأرواح.
6. التدريج الأرواحي.
7. تقدّم الأرواح المتصاعد.
8. الملائكة والشياطين.

1 ـ أصل الأرواح وطبيعتهم

76 ـ ما هو التعريف الملائم للأرواح؟

من الممكن القول إنهم الكائنات الذكية في الخليقة، وإنهم يسكنون الكون، خارج العالم المادي.

(ملاحظة: تستعمل كلمة روح هنا للإشارة إلى فرديات الكائنات اللاجسدية، لا إلى العنصر الذكي الكوني).

77 ـ هل الأرواح كائنات متميزة عن اللاهوت أم هي انبعاثات أو أجزاء منه، ولهذا السبب تدعى أبناء الله أو أولاده؟

غفرانك يا الله. الأرواح هي صنيعته، تماماً كالصانع الذي يصنع مكنة، فتكون هذه المكنة صنيعته وليست هي الصانع. أنت تعلم أن الإنسان عندما يصنع شيئاً حسناً ونافعاً، فهو يدعوه ابنه أو ابتداعه. وهذه هي الحال بالنسبة لله، إذ أننا أولاده لكوننا صنيعته.

78 ـ هل للأرواح بداية أم هم موجودون منذ الأزل كالله؟

لو لم يكن لهم بداية لكانوا معادلين لله. إلا أنهم خليقته وخاضعون لمشيئته. الله موجود من الأزل، وهذا لا نزاع فيه، إنما كيف خلقنا فلا نعرف شيئاً بتاتاً عن ذلك. يجوز لك أن تقول إننا ليس لنا بداية إذا قصدت بهذا القول أن الله لكونه أزلياً، خلق ويخلق حتماً دون انقطاع، ولكن متى وكيف صُنعنا فأكرر لك مرة أخرى، ذلك ما لا يعرفه أحد لأنه سر عميق.

79 ـ بما أن هناك عنصرين شاملين في الكون هما العنصر الذكي والعنصر المادي، فهل يصحّ القول إن الأرواح مكوّنة من العنصر الذكي، كما أن الأجسام المجردة النشاط الذاتي مكوّنة من العنصر المادي؟

هذا واضح، إذ أن الأرواح هي تفرّدات المبدأ الذكي مثلما أن الأجساد هي تفرّدات المبدأ المادي. ولكن ما نجهله هو في أي وقت يحدث ذلك التكوين، وكيف يحدث.

80. هل خَلْقُ الأرواح مستديم أم أنه لم يحصل إلا في بدء الدهور؟

هو مستديم، وهذا معناه أن الله لم يتوقف أبداً عن عملية الخلق.

81. هل تتكوّن الأرواح تلقائياً أم تنبثق الواحدة من الأخرى؟

يخلقها الله كما يخلق سائر الخلائق الأخرى بإرادته. لكن نكرِّر مرة أخرى أن أصلها سر من الأسرار.

82. هل يصحّ القول إن الأرواح لا مادية؟

كيف يمكن تعريف شيء حين تكون كلمات المقارنة ناقصة عندكم واللغة قاصرة؟ هل يستطيع من وُلِدَ أعمى أن يُعرّف ما هو النور؟ وكلمة لا مادية ليست الكلمة الصائبة. قد يكون القول أصح بأنها لا جسدية، إذ يجب عليك أن تفهم أن الروح، بسبب كونها خليقة، يتحتم أن تكون شيئاً. فهي مادة منقّاة إلى درجة الخلاصة وليس هناك مادة مجانسة لها عندكم، وهي أثيرية جداً إلى درجة أنها لا تُدرك بحواسِّكم.

(نقول إن الأرواح لا مادية لأن كنهها يختلف عن كل ما نعرفه بتسمية «مادة». لا يمكن لأمة أهلها عميان أن يكون لديهم تعبير لتسمية النور ونتائجه. فالأعمى منذ الولادة يعتقد بأنه يتمتع بكل الإحساسات بواسطة السمع والشم والذائقة واللمس، ولا يفهم الأفكار التي تُعطيها الحاسة التي تنقصه. بهذا المعنى، فنحن عميان بالتمام فيما يتعلق بكنه الكائنات اللابشرية، فنحن لا نستطيع تعريفها إلا بمقارنات ناقصة دائماً أو بمجهود من خيالنا)[1].

83. هل للأرواح نهاية؟

نحن ندرك أن المبدأ الذي ينبثقون منه أزلي، ولكن السؤال هو هل هناك حد لفرديتهم وهل، بعد مدة معينة من الوقت، قصيرة كانت أو طويلة، يتناثر العنصر الذي يتكوّنون منه ويعود إلى الكتلة كما يحدث للأجساد المادية. من الصعب أن نفهم كيف أن شيئاً كان له بداية لا يكون له نهاية.

هناك أشياء عديدة لا تفهمونها لأن ذكاءكم محدود وهذا ليس سبباً لرفضها. لا يفهم الولد كل ما يفهمه أبوه، ولا يفهم الجاهل كل ما يفهمه العالِم. نقول لك إن وجود الأرواح لا ينتهي أبداً، وذلك هو كل ما يسعنا أن نقوله الآن.

---

(1) الأرواح المغلفة بالإطار الهالي هي المقصودة في هذا التعليق. ودون الإطار الذي يحيطها ليس لها أي شيء مادي. كما نرى في الجواب على السؤال رقم 79.

2ـ العالم النظامي الأولي

84 ـ هل تُكوِّن الأرواح عالماً على حدة، خارج العالم الذي نبصره؟

أجل، هو عالم الأرواح أي عالم الذكاءات اللاجسدية.

85 ـ أي من العالمين، عالم الأرواح أم عالم الجسد، هو الأهمّ في نظام الأشياء؟

عالم الأرواح، فهو سابق الوجود على كل شيء وباقٍ بعد زوال كل شيء.

86 ـ أمن الممكن لعالم الجسد أن يكفّ عن الوجود أو ألا يكون قد وُجد أصلاً، دون أن يتغيّر بذلك جوهر عالم الأرواح؟

أجل، فَهُما مستقلان الواحد عن الآخر. ومع ذلك، فالعلاقة بينهما دائمة إذ أنهما يؤثران الواحد على الآخر كل حين.

87 ـ هل تقطن الأرواح في مكان معيّن ومحدّد في الفضاء؟

الأرواح موجودة في كل مكان والأفضية اللانهائية خاصة بها إلى ما لا نهاية. وهي تحيط بكم كل حين وتراقبكم وتؤثر عليكم دون علمكم بذلك، إذ أن الأرواح هي إحدى قوى الطبيعة والأدوات التي يستعملها الله لإنجاز أغراضه. على أنها لا تستطيع كلها أن تذهب إلى كل الأرجاء، لأن هناك مناطق محرّمة على الذين هم أقل ارتقاء.

3ـ شكل الأرواح ووجودها في كل مكان في آن واحد

88 ـ هل للأرواح شكل معين ومحدد ودائم؟

كلا، ففي نظركم، وكما في نظرنا، فإنها تبين لنا شيئاً كلهيب أو وميض أو شرارة أثيرية[1].

88 أ ـ هل لهذا اللهيب أو لهذه الشرارة لون ما؟

بالنسبة لكم فإن لونها يتراوح من العاتم إلى لمعان الياقوت بحسب درجة طهارة الروح.

---

(1) يشير هذا النص إلى الروح الطاهرة التي ليس لها إطار أثيري. (ملاحظة المترجم).

(يُصوّر عادة الجانّ[1] وعلى جبهتهم لهيب أو نجمة. وهذه استعارة تُذكّرنا بكنه الأرواح وتتوضع هذه الرموز في أعلى الرأس لأن في ذلك المكان مقرّ الذكاء).

89. هل تستغرق الأرواح وقتاً ما لتخترق الفضاء؟

أجل، ولكنه وقت سريع كالفكر.

89 أ. أليس الفكر هو النفس ذاتها التي تنتقل؟

حيث يكون الفكر، تكون النفس أيضاً، إذ أن النفس هي التي تفكّر. فالفكر هو إحدى خاصّياتها.

90. عندما ينتقل الروح من مكان إلى آخر، هل يدري بالمسافة التي يقطعها والمساحات التي يجتازها، أم يصل فجأة إلى المكان الذي يقصده؟

كلاهما، فإن الروح، إذا شاء، يستطيع بسهولة أن يعرف المسافة التي يجتازها، ولكن هذه الدراية بالمسافة قد تزول تماماً، وذلك بحسب مشيئته ودرجة تنقية طبيعته أيضاً.

91. هل المادة هي عائق للأرواح؟

كلا، لأن بوسع الأرواح اختراق كل شيء. فكل من الهواء والأرض والمياه والنار ليست بحاجز لهم.

92. هل للأرواح موهبة الوجود في كل مكان في آن واحد، أو بعبارة أخرى، أمن الممكن لروح بعينه أن يتجزأ أو أن يكون في عدة أمكنة في وقت واحد؟

لا يمكن للروح أن يتجزأ، ولكن كلاً منهم هو مركز يُشعّ في كل جانب، ولذلك يبدو أنه موجود في عدة أمكنة في آن واحد. أنت ترى الشمس مثلاً ومع ذلك فهي تُشعّ في كل الجهات حولها، وتبعث أشعتها بعيداً جداً. وبرغم ذلك فهي لا تتجزأ.

92 أ. هل تُشعّ جميع الأرواح بنفس القدرة؟

هناك فرق كبير بينهم في هذا القبيل، فقدرتهم متناسبة مع درجة صفائهم.

(كل روح هو فردية لا تتجزأ، ولكن يستطيع كل منهم توسيع فكره إلى جهات

---

(1) طبقاً لاعتقاد قديم جداً، الجنّي هو روح قد يكون نافعاً أو مؤذياً. يُدير شؤون الأفراد والمُدن وبعض الأماكن، وهو مسؤول عن إثارة الوقائع والحوادث، ويقال إنه يوحي ويحرس الفنون ويلهم الأهواء والفضائل والرذائل (ملاحظة المترجم).

مختلفة دون أن يتجزأ بسبب ذلك. بهذا التفسير فقط ينبغي أن تفهم موهبة الوجود في كل مكان في وقت واحد والتي تنسب إلى الأرواح. فهم كشرارة تُلقي ومضتها نحو أي مكان من الأفق. وهي أيضاً كالإنسان الذي يستطيع دون أن ينتقل من مكانه ودون أن يتجزأ، أن يبعث أوامر وإشارات وأن ينقل الحركة إلى جهات مختلفة.

4. إطار الروح

93. هل الروح بحَصْر المعنى، دون غلاف أم هو، كما يزعم البعض، مُحاط بمادة ما؟

الروح مغلّف بمادة بخارية بالنسبة لك، ولكنها لا تزال غليظة جداً بالنسبة إلينا. ومع ذلك فهي بخارية كفاية كي يستطيع الروح أن يرتفع ويطوف في الجو وينتقل إلى حيث يشاء.

(كما أن بذيرة الثمرة مُحاطة بغلاف[1]، كذلك الروح بحصر المعنى، مُحاط بغلاف يمكن تسميته بالمقارنة، بإطار الروح)[2].

94 - من أين يستمد الروح غلافه نصف المادي؟

من المائع الكوني المحيط بالكوكب الذي هو فيه. لذلك فإن هذا الغلاف ليس واحداً في جميع العوالم، ومن ثم، فعندما ينتقل الروح من عالم إلى آخر، يُغيّر غلافه كما أنتم تغيرون ثيابكم.

194 - أيعني ذلك أن الأرواح التي تقطن عوالم سامية، تتخذ غلافاً أغلظ عندما تأتي إلينا؟

لا بد لها أن تكتسي من مادتكم، كما صرّحنا.

95. هل يتخذ الغلاف نصف المادي أشكالاً معينة وهل من الممكن أن نشعر به بالحواس؟

أجل، فإن شكله على حسب رغبة الروح، وهكذا، قد يظهر لكم الروح أحياناً إما في الأحلام وإما في اليقظة ويستطيع أيضاً أن يجعل نفسه مرئياً وحتى ملموساً.

---

(1) غلاف إطاري يحيط ويغذي الحبة المغروسة وبعض الثمار كاللوزة وأبو فروة وغيرها (ملاحظة المترجم).

(2) أو هالته. وللإطار تسميات عديدة، KA فعند الكهنة المصريين القدماء يسمى Eidolon وعند الإغريق، Siderio بحسب Somod, Paracelso وبحسب Baraduc، وهو جسم روحي وفقاً للقديس بولس الرسول (كورنتس اولي – فصل 15 عدد 44)، Psychosoma (يَنَفْس اي بدن + نفس)، وسيط مُشكّل Mediateur Plastique، جسم متوسط بين الجسد والروح Corps Astral، جسم اثيري، جسم مائعي (ملاحظة المترجم).

5 ـ مختلف درجات الأرواح

96 ـ هل الأرواح متساوية أم يوجد بينها تدرّج في المراتب؟

الأرواح على درجات مختلفة بحسب درجة الارتقاء الذي بلغته.

97 ـ هل هناك عدد معين من درجات الكمال أو مراتب الارتقاء في عالم الأرواح؟

العدد لا حدّ له، لأن ليس هناك فواصل مخططة بينها كحواجز، ومن ثم يجوز زيادة أو تنقيص الدرجات حسب الرغبة. إلا إذا اعتبرنا سجاياها العامة، فيجوز حصرها في ثلاث درجات رئيسية.

في الدرجة الأولى يمكن وضع الأرواح التي وصلت إلى الكمال، أي الأرواح الطاهرة. وفي الدرجة الثانية، توحد تلك الأرواح التي وصلت إلى منتصف تدرج الارتقاء وهي تبغي الخير كهدف ثابت لها. وفي المرتبة الأخيرة الأرواح التي لا تزال في أسفل المراتب، أي الأرواح الناقصة التي تتميز بجهلها وبحبها للشر ولجميع الأهواء السيئة التي تؤخر ارتقائها.

98 ـ أرواح الدرجة الثانية التي لا تبغي إلا الخير، هل بوسعها عمل الخير الذي تبغيه؟

قُدرتها على عمل الخير متناسبة مع درجة تقدّمها. فبعضها تقدّم في العلوم والأخرى في الحكمة والطيبة ولكنه جميعها لا تزال تحتاج إلى أن تتحمّل التجارب.

99 ـ هل جميع أرواح الدرجة الثالثة أردياء وأشرار في جوهرهم؟

كلا، فبعضهم لا يقدمون لا الخير ولا الشر والبعض الآخر على النقيض يُسرّون بالشر ويغتبطون عندما يجدون فرصة للإيذاء. وهناك أيضاً أرواح يميلون إلى الاستخفاف أو التهريج ويرغبون بإثارة التشويش أكثر من إثارة الأفعال الرديئة، ويُسرّون بالتخابث أكثر مما في الإساءة ويتسلون بالخداع وبخلق المضايقات التي تضحكهم.

6 ـ التدرج الروحي

100 ـ ملاحظات تمهيدية. – تتدرج الأرواح حسب مرتبة تقدمها والسجايا التي أحرزتها والنقائص التي ما زالت بحاجة إلى التخلص منها. ولكن هذا الترتيب ليس مطلقاً وليس هناك طابع حاسم لأية فئة إلا في جملتها، ومع ذلك فالانتقال

من درجة إلى أخرى يكاد لا يُدرك، وبصدد الحدود بين هذه الدرجات فإن الفروق تتلاشى كما هو الحال في ممالك الطبيعة وفي ألوان قوس قزح وأيضاً في مختلف مراحل حياة الإنسان. ومن ثم، يجوز ترتيب الأرواح في طبقات عديدة، بحسب النظرة إلى الأمر. إذ يحدث هنا كما يحدث في جميع أنظمة التبويبات العلمية. فقد تكون تلك الأنظمة العلمية تامة نسبياً، أو معقولة نسبياً، أو سهلة الفهم نسبياً، لكن مهما كانت، فهي لا تُغيِّر شيئاً من جوهر المعرفة. وهكذا، فإن الأرواح التي سُئلت عن هذا الموضوع اختلفت في عدد الطبقات دون أن تتغير الحال من جراء ذلك. وقد بالغ بعض الناس في أهمية هذا الاختلاف الظاهر، ولم يفكّروا في أن الأرواح لا تعطي أي اعتبار إلى ما هو مجرد اصطلاح. ففي رأيهم يعتبر الجوهر كل شيء ثم يتركون لنا أمور الهيئة واختيار العبارات والتبويبات، وباختصار، مسائل الأنظمة.

نُضيف أيضاً الملاحظة الآتية التي ينبغي ألا تُنسى أبداً وهي أن بين الأرواح كما بين الناس فإن بعضهم شديد الجهل، ولسنا نبالغ لو حذرنا من الميل إلى الاعتقاد بأن جميع الأرواح يعرفون كل شيء لمجرد كونهم أرواحاً. في أي ترتيب يستلزم انتظاماً وتحليلاً ومعرفة عميقة بالموضوع. وفي عالم الأرواح، فإن أولئك الذين تكون معارفهم محدودة هم مثل جهلاء هذه الدنيا الذين ليس بوسعهم إدراك نظام في التبويب بمجمله، أو وضع أقيسة له، فهم لا يعرفون أو لا يفهمون إلا القليل من أية عملية تبويب. فهم يرون بأن جميع الأرواح الأسمى منهم، هم من الدرجة الأولى، دون أن يستطيعوا تقدير الفوارق في المعارف والقدرة والفضائل التي تميزهم، مثلما يحدث بيننا على الأرض حيث يعجز الرجل الخشن التمييز إزاء سجايا المتمدّنين. وحتى أولئك الذين يستطيعون التمييز، يختلفون في الوقت اللازم له، بحسب نظرتهم إلى الأمر، ولا سيما أن التقسيم ليس حاسماً. خذ مثلاً العلماء في علم النباتات: فلكل واحد منهم طريقة لتبويب النباتات دون أن يتغير شيء في العلم ذاته. ذلك لأنهم لم يخترعوا هم النباتات ومزاياها، وكل ما فعلوه هو تفحص المجانسات بينها وبموجبها كوّنوا المجموعات أو الأصناف. وهكذا سلكنا نحن أيضاً، إذ لم نخترع لا الأرواح ولا سجاياهم بل شاهدناهم وراقبناهم، ثم حكمنا فيهم بحسب كلامهم وأفعالهم، ثم رتّبناهم بحسب المشابهات بينهم، مستندين إلى المعلومات التي جاؤوا بها إلينا.

بوجه عام تعترف الأرواح بثلاث طبقات رئيسية أو ثلاثة أقسام كبيرة. في الطبقة الأخيرة أي التي في أسفل التدريج، توجد الأرواح الناقصة التي تتميز بتغلّب تأثير المادة على الروح وبالميل إلى الشر. وتتميز أرواح الطبقة الثانية بتغلّب تأثير الروح فيها على المادة وبرغبتها في عمل البرّ. وهؤلاء هم الأرواح الصالحة. وأخيراً الطبقة الأولى التي تشمل الأرواح الطاهرة التي بلغت أوج الكمال.

يبدو لنا أن هذا التقسيم معقول جداً وفيه معايير صحيحة تماماً. بعد ذلك، لا يبقى لنا سوى إبراز أهم الفوارق الموجودة في المجموع، بواسطة عدد كافٍ من التفرعات. هذا هو ما فعلناه بمساعدة الأرواح، فهم لم يحرمونا أبداً من عطفهم لإرشادنا في هذا العمل.

بفضل هذا الجدول سيتيسر البت في مرتبة الأرواح الذين نتمكن من الاتصال بهم، وفي مقدار سموّهم أو دونيتهم، ومن ثم، مقدار الثقة والاحترام الذي يستحقونه. وبأسلوب آخر، فهذا الجدول هو مفتاح علم الأرواح إذ يستطيع وحده أن يُرينا سبب الاختلافات التي تظهر في التخاطبات، كما يوضّح لنا سبب تفاوت الأرواح الثقافي والخُلقي. غير أنا نلفت النظر إلى أن الأرواح لا ينتسبون دائماً إلى تلك الطبقة أو الطبقة الأخرى دون غيرها، ونظراً لأنهم يُحرزون تقدّمهم تدريجياً وعادة في اتجاه أكثر مما في اتجاه آخر، فإنهم يجمعون سجايا فئات مختلفة. قد يتيسر تقديرها من أسلوب كلامهم ومن أفعالهم.

الدرجة الثالثة – الأرواح الناقصة

101 ـ مميزاتهم العامة. تغلّب اثر المادة على الروح. الميل إلى الشر. الجهل والكبرياء وحبّ الذات وجميع الأهواء الرديئة التي تنجم عنه.

إنهم يشعرون بديهياً بوجود الله ولكنهم لا يفهمونه.

ليسوا بأجمعهم أشراراً في جوهرهم ويوجد لدى البعض منهم استخفاف بالأمور وتلاعب وتخابث أكثر من رداءة جوهرهم. بعضهم لا يفعل الخير ولا الشر ولكن لكونهم لا يفعلون الخير، فهذا دليل على تأخّرهم. وآخرون منهم، على العكس، يُسرّون بعمل الشر ويغتبطون عندما تسنح لهم الفرصة للإيذاء.

قد يقرنون الذكاء بالشر أو الخداع، ولكن مهما كان مقدار تطورهم العقلي فإن أفكارهم قليلة السموّ ومشاعرهم دنيئة نسبياً.

ما يعلمونه عن أمور عالم الأرواح محدود، والقليل الذي يعرفونه عنه يختلط بالأفكار والتحيّزات التي تعوّدوا عليها في حياتهم الجسدية. فهم لا يستطيعون إعطائنا إلا معلومات كاذبة وناقصة عن ذلك العالم، لكن المراقب الذي يُمعن النظر، قد يجد، في مناسبات عديدة، في مخاطباتهم، ولو أنها ناقصة، إثباتاً للحقائق العظمى التي تنطق بها الأرواح السامية.

تتكشف طباعهم من كلامهم. لأن الروح يفضح أفكاره خلال مخاطبته باستخدام تفكير رديء، يمكن وضعه في الدرجة الثالثة، ومن ثم فإن أي تفكير رديء يصل إلينا، يكون مصدره روحاً من هذه الدرجة.

وهم يرون سعادة الأرواح الصالحة وهذه الرؤية تُقلقهم قلقاً دائماً إذ أنهم يشعرون بكل أشكال القلق الناتجة عن الحسد والغيرة.

ويتذكّرون عذابات الحياة الجسدية ويشعرون بها، وهذا الشعور كثيراً ما يكدّرهم أكثر مما يكدرهم الواقع. ونتيجة لذلك فهم يتعذّبون فعلاً عذابات أقسى من التي عانوها ومن التي جعلوا الآخرين يقاسونها. وبما أنهم يتعذّبون زمناً مديداً، فهم يعتقدون بأن عذابهم دائم. وهذا الاعتقاد هو ما يشاءه الله لمعاقبتهم.

يمكن تقسيم هذه الأرواح إلى خمس طبقات رئيسية:

102 ـ الطبقة العاشرة. الأرواح النجسة. وهم الذين يميلون إلى الشر ويجعلون عمل الشر هدف أفكارهم. كأرواح، فهم يعطون نصائح خادعة ويثيرون الفتنة والريبة ويتكرون بكل الوسائط لينجحوا في خداعهم. يلتصقون بضعفاء الخُلُق ليجعلوهم يذعنون لإغواءاتهم وليدفعوهم إلى الهلاك ويُسرّون إذا تمكنوا من تأخير تقدمهم من خلال التجارب التي يعانونها.

في المخاطبات، تُعرف هذه الأرواح من كلامها، فبين الأرواح مثلما هو الحال بين البشر، تدلّ الأساليب الابتذالية والعبارات الفليظة دائماً على انحطاط أخلاقي وربما انحطاط عقلي أيضاً. تكشف خطاباتهم عن ميولهم الدنيئة وإذا حاولوا أن يخدعوا من خلال التحدث بطريقة عاقلة، فليس بوسعهم أن يستمروا طويلاً في موقفهم الخادع وسرعان ما يتعثّرون ويفضحون أصلهم.

لقد جعلت بعض الشعوب من تلك الأرواح آلهة مؤذية، بينما تسميها شعوب أخرى بالشياطين والجنيات الشريرة وأرواح الشر.

عندما يكونون متجسدين كبشر في عالم المادة، فهم يميلون إلى جميع الآفات التي تسببها الأهواء الدنيئة والمنحطة مثل حبّ الملذات الشهوانية والجور والخبث والنفاق والطمع والبخل الشديد. وهم يفعلون الشر لمجرد اغتباطهم بالإيذاء، دون أن يكون هناك داع لذلك غالباً. ومن كرههم لكل ما هو صالح، يختارون في أغلب الأحيان ضحاياهم من بين الصالحين. لذلك فهم يمثلون آفات للإنسانية بصرف النظر عن المرتبة التي يشغلونها في المجتمع، لأن طلائعهم بالتمدّن لا يقيهم من المذلّة والعار.

103 ـ الطبقة التاسعة. الأرواح الطائشة. وهي أرواح جاهلة وماكرة وعديمة الالتزام وساخرة. تتدخل في كل الأمور وترد على جميع أنواع الأسئلة غير مبالية بالحقيقة. وتسرّ في إحداث المضايقات الصغيرة والمسرات التافهة والإزعاجات وفي الحض بخبث على الخطأ عن طريق المخاتلات والشيطنات. تشمل هذه الطبقة الأرواح المسماة عامة بالجنّ المهرّج والعفاريت اللعوبة والغيلان، وهي تحت سلطة أرواح أعلى درجة منها تستخدمها عادة كما نستخدم نحن الخُدّام.

في مخاطباتهم مع البشر يستعملون أحياناً كلاماً فكهاً مازحاً ولكنه عديم العمق في أغلب الأحيان. وهم يدركون عيوب الأشخاص ويسخرون منها ويعلّقون عليها بتكيت لاذع وهجائي. وإذا اتخذوا أسماء مفترضة فهم يفعلون ذلك عادة على سبيل المزاح الخبيث أكثر مما هو للإساءة.

104 ـ الطبقة الثامنة. الأرواح العالمة المُزيّفة. معارفهم لا بأس بها ولكنهم يعتقدون بأنهم يعرفون أكثر بكثير مما هو في الواقع، ولكونهم أنجزوا بعض التقدم في جهات متعددة، فثمة في كلامهم شيء من الوقار يخدع السامع بصدد قدرتهم ومعارفهم، ولكنه كثيراً ما يكون مجرد انعكاس للتحيزات والأفكار المنظّمة التي كانوا يميلون إليها في حياتهم الأرضية. وكلامهم خليط من بعض الحقائق مع أشدّ الأباطيل، يبرز فيها الإعجاب بالذات والكبرياء والحسد والتشبّث بالرأي، معائب كهذه لم يتمكنوا من التخلص منها.

105 ـ الطبقة السابعة. الأرواح المحايدة. وهم ليسوا صالحين كفاية ليفعلوا الخير ولا أردياء كفاية ليرتكبوا الإثم. فهم يميلون إلى الخير كما إلى الشر على السواء ولا يرتفون عن مستوى البشرية العادي أدبياً أو عقلياً. وهم شديدو التعلق بأشياء هذه الدنيا ويتشوّقون إلى ملذاتها البذيئة.

106 ـ الطبقة السادسة. وهم الأرواح الضاجة والمشوّشة. هذه الأرواح لا تكوّن بالتحديد درجة منفصلة بالنظر إلى صفاتهم الشخصية. فقد ينتسبون إلى جميع طبقات الدرجة الثالثة. وكثيراً ما يُعرَّفون وجودهم بأفعال محسوسة وفيزيقية كأصوات القرع وتحرّك الأجرام الصلبة وانتقالها اللاعتيادي أو رجّة الهواء.. الخ، ويبدون أكثر من غيرهم تعلّقاً بالمادة، ويظهر أنهم هم العملاء الرئيسيون للتقلّبات التي تحدث في أركان الطبيعة إما بتأثيرهم على الهواء والماء والنار والأجرام الجامدة أو في باطن الأرض. من المعلوم أن هذه الظواهر لا تنتج عن أسباب صدفوية أو مادية، طالما تتميز بطابع العمد والذكاء. لأن بقدرة جميع الأرواح إثارة هذه الظواهر، ولكن الأرواح السامية تتركها لتكون ضمن خواص الأرواح المرؤوسة لأن هؤلاء أكثر أهلية للأمور المادية مما هم للشؤون العقلية. وهكذا، فكلما رأت الأرواح العليا منفعة في إثارة مظاهر من هذا النوع، فهي تستخدم تلك الأرواح كمساعدين لإثارتها.

الدرجة الثانية – الأرواح الصالحة

107 ـ مميزاتهم العامة. تغلّب تأثير الروح على تأثير المادة وابتغاء الصلاح. صفاتهم وقدرتهم على عمل الخير متناسبة مع درجة التقدم التي بلغوها. بعضهم تقدّم في العلم وغيرهم في الحكمة والطيبة. والأكثر تقدماً بينهم يجمعون بين المعارف والصفات الأخلاقية، ولكونهم لم يتحرروا بعد بالتمام من آثار المادة فهم يحتفظون، قلّ ذلك أو جلّ، بالنسبة إلى درجتهم، بآثار حياتهم الجسدية، إما في صيغة كلامهم أو في عاداتهم التي تحوي بعض غراباتهم، وإلا لكانوا يُعدون من الأرواح الكاملة.

بلغوا درجة الفهم لفكرة الله اللامحدود وبدأوا يتمتعون بسعادة الصالحين. وهم يُسرّون لكونهم يعطون الخير ويمنعون الشر. والمودة التي تربطهم تجلب لهم اغتباطاً لا يوصف ولا تريكهم الغيرة ولا الندم ولا أي من الأهواء الرديئة التي تقلق الأرواح السفلية، رغم أنهم جميعاً ما يزالون بحاجة إلى الاضطلاع بالتجارب إلى أن يصلوا إلى الكمال المطلق.

وكأرواح غير متجسدة، فهم يوحون إلى الناس بالأفكار الصالحة ويصدونهم عن طريق الشر ويحمون في الحياة أولئك الذين يستحقون حمايتهم ويبعدون تأثير الأرواح السفلية عن الذين لا يروقهم أن يتحملوا هذا التأثير.

عندما يكونون متجسدين خلال حياتهم، فهم طيبون وعطوفون على نظرائهم في

الإنسانية ولا يدعون الكبرياء والأنانية والطموح تتحكم بأفعالهم، ولا يشعرون بالبغض أو الضغينة أو الغيرة أو الحسد ويفعلون الخير لمجرد عمل الخير.

تنتسب إلى هذه الدرجة الأرواح المشار إليها في الاعتقادات العامية بأنهم هم الجان الصالحون أو الجان الحارسون أو أرواح الصلاح. وفي عصور الخرافات والجهل اعتبروا آلهة خيّرة.

يمكن تقسيمهم إلى أربع طبقات رئيسية هي:

108 ـ الطبقة الخامسة. الأرواح العاطفة. سجيّتهم السائدة هي اللطف والطيبة. يطيب لهم إعانة الناس وحمايتهم، لكن معرفتهم محدودة إذ أنهم أحرزوا تقدّماً في الميدان الخُلُقي الأدبي أكثر مما في الميدان العقلي.

109 ـ الطبقة الرابعة. الأرواح العالمة. يتميزون بوجه خاص باتساع معارفهم. واهتمامهم بالمسائل الأدبية أقل من اهتمامهم بالمسائل العلمية التي هم أكثر أهلية لها. على أنهم لا ينظرون إلى العلوم إلا من وجهة نظر فائدتها ولا يدخلون فيها الأهواء الدنيئة التي تميز الأرواح الناقصة.

110 ـ الطبقة الثالثة. الأرواح الحكيمة. يتميزون بمزايا أدبية في غاية السمو. رغم أنه ليس لديهم معارف واسعة النطاق فهم موهوبون قدرة عقلية تعطيهم حكماً سليماً على الناس والأشياء.

111 ـ الطبقة الثانية. الأرواح السامية. يجمعون مزايا العلم والحكمة والطيبة معاً. في كلامهم يتجلى الرفق دائماً، علاوة على أن حديثهم رصين وجليل في كل حين وغالباً ما يكونون بالغي الرفعة. سموّ مستواهم يجعلهم مؤهّلين أكثر من غيرهم لإعطائنا أصح المعلومات عن أمور العالم اللاجسدي في حدود ما يُسمح للإنسان معرفته. وهم يتخابرون بطيبة خاطر مع الذين يبغون معرفة الحق بقلب سليم، وقد تحرروا من القيود الأرضية بنحو كاف ليفهموا الحق، ولكنهم بعيدون عن الذين يحركهم الفضول فقط أو الذين، بسبب تأثير المادة عليهم، ينحرفون عن ممارسة الخير.

عندما يهبطون استثنائياً على الأرض، يفعلون ذلك لإتمام رسالة الرقي والتقدّم، وعندئذ يُقدّمون لنا نموذج الكمال الذي يمكن للإنسانية أن تسمو إليه في هذه الدنيا.

112 ـ مميزاتهم العامة. لا تأثير للمادة عليهم – تفوّق عقلي وأدبي مُطلق قياساً إلى أرواح الدرجات الأخرى.

113 ـ الطبقة الأولى والوحيدة. اجتازوا جميع درجات الارتقاء وتخلّصوا من كل تلوّثات المادة. ولكونهم وصلوا إلى أقصى الكمال الذي بوسع المخلوقات الوصول إليه، فهم محرّرون من مكابدة التجارب والتكفير عن الأخطاء. ولكونهم لا يحتاجون إلى التأنس في أجساد فانية، فإنهم ينعمون بالحياة الأبدية في حجر الله.

يتنعّمون بغبطة دائمة لا تفسد فهم ليسوا معرضين لحاجات الحياة المادية ولتقلباتها. على أن هذه السعادة ليست سعادة البطالة المملة التي تمضي في تأمل ومعاينة أبدية. فهم رسل الله ووكلاؤه ينفّذون أوامره لحفظ الوئام في الكون. يقودون جميع الأرواح الأدنى منهم درجة ويعينونهم في السعي نحو الكمال ويدعمون مهماتهم. وهم يعتبرون كأعمال أثيرة لديهم، مساعدة البشر في شدتهم وحثهم على الصلاح أو على التكفير عن الأخطاء التي تبعدهم عن السعادة العليا. وتدعى هذه الأرواح أحياناً بالملائكة أو رفعاء الملائكة أو الساروفيم.

يستطيع بني البشر الاتصال بهم، ولكن يضلّ في غروره من يظن أنه يستطيع مناجاتهم في أي وقت يشاء.

7 ـ تقدم الأرواح المتصاعد

114 ـ هل تكون الأرواح صالحة أو رديئة بطبيعتها أم هي نفس الأرواح تتحسن من درجة إلى درجة؟

هي نفس الأرواح التي تتحسن، وبتحسنها تصعد من درجة دنيا إلى درجة أعلى.

115 ـ هل خلقت الأرواح بعضها صالحة وبعضها رديئة؟

خلق الله جميع الأرواح بسيطة وجاهلة، أي عديمة المعرفة. وأعطى لكل منها وسائل لتتنور بواسطتها وتصل تدريجياً إلى الكمال بمعرفة الحقيقة ولتتقرّب منه. وفي ذلك الكمال تجد السعادة الأبدية التي لا تشوبها شائبة. والأرواح يكتسبون هذه المعارف بتحملهم للتجارب التي يفرضها الله عليهم. فبعضهم يقبل تلك التجارب مذعناً

لله فيصلون بوقت أسرع إلى هدف مصيرهم. أما غيرهم فيتحملونها بتذمر ولذلك فهم يظلون غارقين بذنبهم بعيدين عن الكمال وعن السعادة الموعودة.

115 ا ـ بحسب هذا القول، يبدو لنا أن الأرواح في بدئهم يكونون كالأولاد، جهلة وبلا خبرة، ولكنهم يكتسبون شيئاً فشيئاً المعارف التي تنقصهم، باجتيازهم مختلف مراحل الحياة؟

أجل، والمقارنة صائبة، فالولد العاصي يظلّ جاهلاً وناقصاً، وانتفاعه من التهذيب يتناسب مع لين طبعه. والفرق هنا هو أن حياة الإنسان لها أمد بينما حياة الأرواح تمتد إلى اللانهاية.

116 ـ هل هناك أرواح تبقى في الدرجات السفلية إلى أبد الدهور؟

كلا، فجميعها ستبلغ الكمال لأنها تتغير، ولو بعد أمد طويل، وكما سبق لنا القول، فإن أباً عادلاً وشفوقاً لا ينفي أبنائه إلى الأبد. فهل تريد إذن أن يكون الله تعالى في سمو عظمته ورأفته وعدله أسوأ منكم.

117 ـ هل بوسع الأرواح أن تعجّل في تقدمها نحو الكمال؟

لا شك في ذلك. وهي تبلغ هدفها بسرعة أو ببطء بحسب مقدار رغبتها في التقدم واستسلامها لمشيئة الله. ألا يتعلم الولد اللين الطبع في وقت أقل من الولد العاصي.

118 ـ أمن الممكن أن تتحطّ الأرواح؟

كلا، لأن الأرواح كلما تقدمت توعّت ما كان يبعدها عن الكمال. عقب اختتام تجربة، يكون للروح عبرة لا ينساها. قد يتوقف في تقدمه ولكنه لا يتراجع إلى الوراء.

119 ـ أما كان في قدرة الله تعالى أن يعفي الأرواح من تحمّل التجارب اللازمة للوصول إلى المرتبة الأولى؟

لو كانوا قد خلقوا كاملين لما كان لهم استحقاق في التمتع بنعم ذلك الكمال. هل هناك استحقاق دون جهود؟ زد على ذلك أن عدم التساوي بينهم ضروري لارتقاء شخصيتهم، وأن المهمة التي ينجزونها عبر هذه الدرجات على اختلافها تقع ضمن مقاصد العناية الإلهية لوئام الكون.

(بما أنه في الحياة الاجتماعية يستطيع كل إنسان أن يصل إلى أعلى الوظائف، يمكن لنا إذن أن نتساءل لماذا لا يجعل عاهل دولة ما، كل جندي من جنده قائداً وكل المستخدمين المرؤوسين رؤساء، وكل التلاميذ معلّمين. غير أن

هناك فرقاً بين الحياة الاجتماعية والحياة الروحية وهو أن الأولى لها حدود ولا تسمح دائماً لكل فرد بأن يصعد كل الدرجات، بينما الثانية لا حدود لها وهي تيسّر الصعود لأي شخص إلى المرتبة العليا).

120 ـ هل تسلك الأرواح حتماً طريق الشر لتصل إلى الصلاح؟

ليس طريق الشر بل طريق الجهل.

121 ـ لماذا سلك بعض الأرواح طريق الصلاح وغيرهم طريق الشر؟

أليس لهم حرية الاختيار؟ لم يخلق الله الأرواح أشراراً، بل خلقهم بسطاء وجهلة، أي مؤهلين لعمل الخير كما لعمل الشر. أما الأشرار منهم فصاروا أشراراً بإرادتهم.

122 ـ كيف يمكن للأرواح في بدايتهم حينما لم يتوعّوا بعد لأنفسهم، أن يكون لهم حرية الاختيار بين الخير والشر؟ هل يوجد فيهم مبدأ ما أو ميل يدفعهم إلى طريق بدلاً من الآخر؟

تنمو حرية الاختيار بقدر ما يتوعّى الروح لنفسه. ليس هناك حرية إذا كان الاختيار محرَّضاً بدافع لا ينبع من إرادة الروح. وليس الدافع في الروح بل خارج الروح، أي في التأثيرات التي يُذعن إليها المرء بموجب حرية إرادته. هذه هي الصورة الرمزية المعروفة بسقوط الإنسان وبالخطيئة الأصلية، ومعناها أن البعض قد استسلم للإغواء، والآخرين قاوموه.

122 أ ـ من أين تأتي التأثيرات على الروح؟

من الأرواح الناقصة التي تحاول إحاطته والتسلّط عليه والتي تسرّ بسقوطه. هذا هو المقصود بتقديم صورة الشيطان المعروفة.

122 ب ـ هل يحدث هذا التأثير على الروح في بدايته فقط؟

هذا التأثير يلاحقه طيلة حياته كروح إلى حين يتمكن الروح من أن يسيطر على نفسه كفاية حتى تكف الأرواح الرديئة عن التضييق عليه.

123 ـ لماذا يسمح الله للأرواح ان تسلك طريق الشر؟

كيف تجرؤ على محاسبة الله في أفعاله؟ أتظن أنك تستطيع اكتناه مقاصده؟ ومع ذلك فمن الممكن القول بأن الله يُظهر حكمته بأن يُعطي لكل واحد حرية الاختيار، إذ أن لكل واحد استحقاق أعماله.

124 ـ بما أن هناك أرواحاً يسلكون منذ البداية صراط الصلاح المطلق، بينما يسلك غيرهم صراط الشرّ دون تقييد، فلا بد أن يكون هناك درجات بين هذين الطرفين. أهذا صحيح؟

لا شك في ذلك وفي تلك الدرجات توجد الأكثرية الكبرى.

125 ـ الأرواح التي سلكت طريق الشر هل تفلح في الوصول إلى نفس الدرجة السامية كالأخرى؟

أجل، ولكن «الأبديات» ستكون أطول بالنسبة لها.

(يُقصد بكلمة «الأبديات» الفكرة السائدة عند الأرواح السفلية عن تأبّد آلامهم، لأنه لا يُعطى لهم استشفاف نهايتها، ولأن هذه الفكرة تتجدد في كل تجربة يسقطون فيها).

126 ـ الأرواح الذين وصلوا إلى الدرجة العليا بعد أن أمضوا وقتاً في الشر، أيكون لهم عند الله استحقاق أقل من استحقاق الآخرين؟

ينظر الله إلى الضالين بنفس النظرة الذي ينظر بها إلى الآخرين ويحبهم بنفس الحنان. وهم يعتبرون أردياء لكونهم سقطوا في الشر. ولكن قبل سقوطهم كانوا مجرد أرواح فقط.

127 ـ هل تخلق الأرواح متساوية في قدراتها العقلية؟

يخلقون متساويين، ولكن بما أنهم لا يعلمون من أين أتوا، فلا بد من أن يطلق السبيل لحرية اختيارهم، فيتقدّمون بسرعة أو ببطء، في الذكاء كما في الأخلاق.

(الأرواح الذين يسلكون طريق الصلاح منذ البداية ليسوا أرواحاً كاملة من جراء ذلك. فمع أنهم ليس لديهم ميول شريرة فهم ما زالوا بحاجة إلى اكتساب الخبرة والمعارف اللازمة للوصول إلى الكمال. من الممكن تشبيههم بالأولاد الذين، رغم أن غرائزهم الطبيعية قد تكون حسنة، فهم يعوزهم النمو والتوّر إذ أنهم لا يصلون من الطفولة إلى الرشد دون مرحلة انتقال. ومثلما أن هناك قوماً صالحين وآخرين أردياء منذ صغرهم، كذلك هناك أرواح صالحة أو رديئة منذ بدايتها، ولكن هناك فرقاً هاماً هو أن غرائز الولد تأتي معه جاهزة، بينما الروح عند تحوّله[1]، لا يكون سيئاً ولا صالحاً، بل تكمن فيه جميع النزعات، فينطلق في اتجاه الخير أو في اتجاه الشر بموجب حرية اختياره).

---

(1) إلى مرحلة التأنس (ملاحظة المترجم).

8 ـ الملائكة والشياطين

128 ـ هل تُكوّن الكائنات التي نسميها بالملائكة أو رفعاء الملائكة أو الساروفيم فئة خصوصية ذات طبيعة مختلفة عن الأرواح الأخرى؟

كلا، لأن هذه الكائنات هي الأرواح الطاهرة التي بلغت أسمى درجة في التدرج الروحي وتجمع في سمو تقدّمها جميع صفات الكمال.

(تثير كلمة «ملاك» عادة فكرة الكمال الأدبي والروحي، إلا أنها تستعمل في كثير من الأحيان لتدل على جميع الكائنات الصالحة والشريرة التي هي ليست من البشرية. لذلك يُقال الملاك الصالح والملاك الشرير، ويُقال ملاك النور وملاك الظلمات، وفي هذه الحالة تعني الكلمة روحاً أو جناً. لكننا نستعملها هنا بمعناها الحسن.

129 ـ هل اجتازت الملائكة كل درجات الصمود؟

اجتازت كل الدرجات، ولكن كما سبق لنا القول، فبعضهم قبلوا مهمتهم دون تذمّر فوصلوا بسرعة، وأما الآخرون فاحتاجوا إلى وقت أطول نسبياً للوصول إلى الكمال.

130 ـ إذا كان الرأي الذي يُسلّم بوجود كائنات مخلوقة في درجة الكمال ومتفوّقة على سائر الكائنات الأخرى هو رأي خاطئ، فكيف يُعلّل وجود هذا الاعتقاد بين تقاليد جميع الشعوب تقريباً؟

يجب أن تعلم أن عالَمك ليس منذ الأزل، فقبل وجوده بزمن مديد، كان هناك أرواح بلغت الدرجة العليا، ولذلك ظن الناس بأنها كانت في تلك الحالة الأزلية.

131 ـ هل هناك شياطين بالمعنى المعتاد لهذه الكلمة؟

لو كان هناك شياطين لكانوا من صنيعة الله. فهل يكون من عدل الله ورأفته أن يخلق كائنات مكرسة للشر وشقية إلى الأبد؟ لو كان هناك شياطين، فهم يقطنون في عالمك المتأخر وفي عوالم أخرى مماثلة له، وهم أولئك المراءون الذين يجعلون من الله العادل إلهاً قاسياً وحقوداً ويظنون أنهم يتقرّبون إليه بالفظائع التي يرتكبونها باسمه.

(في بلاد الغرب تستعمل كلمة ديمون بمعنى الشيطان للإشارة إلى روح شريرة، ولكن هذه الكلمة لا تتضمن معنى الشر إلا في استعمالها العصري فقط، إذ هي مشتقة من الكلمة اليونانية «دايمون» التي تعني جناً وذكاء وتشير إلى الكائنات اللاجسدية، صالحة كانت أم شريرة، دون التفريق بينهما).

(أما الشياطين بحسب المعنى الدارج، فيفترض أنها كائنات مؤذية في أساسها وأنها خلائق الله كسائر المخلوقات الأخرى. لكن من المستحيل أن الله السامي العدالة والرأفة إلى أعلى درجة أن يخلق كائنات مكلّفة بالإيذاء بطبيعتها ومحكوم عليها بالشقاء إلى الأبد. فإذا ما كانت هذه الكائنات صنيعة الله، فهي إذن إما أزلية مثله أو يوجد عدة سلطات ذات سيادة، وهذا باطل).

(الشرط الأول لأية نظرية هو أن يقبلها المنطق. غير أن نظرية الشياطين، بالمعنى المعروف لها، ينقصها المتانة اللازمة. فإذا كانت الشعوب المتأخرة، لكونها تجهل صفات الله، تُسلّم بوجود آلهة مؤذية أو تُسلّم أيضاً بوجود شياطين، فهذا يمكن أن نفهمه ونُقدّره، ولكن الذي يجعل من رأفة الله صفة هامة للغاية، يعتبر الافتراض بأن الله خلق كائنات موجّهة للشر ومخصّصة للإساءة إلى الأبد، افتراضاً مخالفاً للمنطق ومتناقضاً لأنه ينكر رأفة الله وحنانه. يستند أتباع نظرية الشياطين إلى كلمة المسيح، ولسنا نحن الذين نجادل في سلطة تعاليمه التي نودّ أن نراها مستقرة في قلوب الناس لا في أفواههم. لكننا نتساءل هل نحن متأكدون تماماً من المعنى الذي كان ينسبه المسيح لكلمة الشيطان؟ أليس من المُسلّم به أن الطابع المميز لكلامه هو التعبير بصيغة مجازية وهل يجب تفسير كل ما جاء في الإنجيل تفسيراً حرفياً؟ يكفي البرهان على ما نقول بذكر الفقرة التالية:

«وعلى أثر ضيق تلك الأيام تُظلم الشمس، والقمر لا يُعطي ضوءه، والكواكب تتساقط من السماء وقوات السماء تتزعزع. الحق أقول لكم إنه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله»[1].

(1) متى (24) 29 - 35 ومرقس (13) 24 - 31 (ملاحظة المترجم).

ألم نرَ الاكتشافات العلمية تناقض صيغة النص المدوّن في الكتاب المقدس فيما يخصّ خلق العالم وحركة الأرض؟ ألا يمكن أن يكون الشيء نفسه بصدد بعض الاستعارات التي استعملها المسيح حين كان يتكلم بحسب زمنه والأماكن التي كان يعيش فيها؟ من المستحيل أن ينطق المسيح، عن علم، بشيء كاذب. فإذا كان في كلامه إذن عبارات تبدو غير معقولة، فذلك لأننا إما لا نفهم معناها أو لأنا أخطأنا في تفسيرها.

فعل الناس بشأن الشياطين ما فعلوه بشأن الملائكة. فكما ظنوا أن الملائكة كائنات في درجة الكمال منذ الأزل، ظنوا أيضاً أن الأرواح السفلية كائنات سيئة على الدوام. وبناء على ذلك، فإن ما يسمى بالأباليس أو الشياطين يشير إلى الأرواح النجسة التي غالباً ليست أقل رداءة من التي يُشار إليها بتلك التسمية، ولكن مع الفرق بأن حالتها مؤقتة فقط. فهي أرواح ناقصة تتذمّر من التجارب التي تضطلع بها ولذلك فهي تعانيها لأمد أطول، إلا أنها ستصل بدورها إلى الكمال وقتما تعزم على ذلك. يجوز إذن استعمال كلمة الشيطان بهذا التحفظ في المعنى، ولكن المعنى الخاطئ الذي استقرت فيه الآن في العقول، قد يقود استعماله إلى التضليل بجعل الناس يعتقدون بوجود كائنات خصوصية خُلقت للإيذاء).

(بصدد الشيطان، من الواضح بأنه تسمية تُشخّص الشر بصورة رمزية، إذ أنه لا يمكن التسليم بوجود كائن شرير يحارب الله نداً لندّ كسلطة مستقلة ومنافسة، ولا همّ له سوى معاكسة الأغراض الإلهية. نظراً إلى أن الإنسان يحتاج إلى صور ورموز تؤثر على فكره. فصوّر الكائنات اللاجسدية بهيئة مادية تحوي الأوصاف التي تذكرنا بصفاته أو بعيوبه. وبناء عليه، كان الأقدمون في الأجيال الماضية يمثّلون الزمان بصورة شيخ مسنّ قابض على منجل وساعة رملية. ولو مثلوه بصورة شاب لما أصابوا المعنى، وعلى نفس المنوال كانوا يُصوّرون بمجازات أخرى الثراء والحق الخ. في الأيام الحاضرة، تُصوّر الملائكة أو الأرواح الطاهرة بصورة شخص يُشعّ نوراً حوله وله أجنحة بيضاء، والبياض رمز الطهارة، ويُصوّر الشيطان وله قرنان ومخالب ومظاهر بهيمية، وهي رموز الشهوات السفلى. وبما أن العامة يميلون إلى أخذ هذه الأمثال بالحرف، فقد نسبوا إلى تلك الرموز شخصيات حقيقية مثلما كان القدماء يفعلون بصورة الكوكب زحل ليرمزوا به إلى الأزمنة الراحلة).

الفصل الثاني: تجسُّد الأرواح (تأنُّسها)

1ـ الغرض من التجسّد

2ـ النفس

3ـ المادية

1 ـ الغرض من التجسُّد[1]

132 ـ ما هو الغرض من تجسُّد الأرواح؟

فرض الله التجسُّد عليهم ليجعلهم يبلغون مرتبة الكمال. فالبعض يتجسّد للتكفير عن أخطاء سالفة والبعض الآخر لإتمام مهمة أو رسالة. غير أنه لبلوغ ذلك الكمال يتحتم عليهم تحمّل كل تقلّبات الحياة الجسدية، ومن خلال التحمّل يكون التكفير. هناك غرض آخر في التجسّد وهو تمكين الروح من تحمل قسطها في تشكل الخليقة. ولإنجاز هذا الغرض تتخذ الروح، في كل عالم، جهازاً جسدياً يتواءم مع المادة الأساسية الخاصة بذلك العالم لتتفّذ، من تلك الوجهة، أوامر الله في ذلك العالم. وهكذا، فبينما هي تساهم في العمل العام، فإنها تتقدم أيضاً.

(عمل الكائنات الجسدية ضروري لسير الكون. لكن، شاء الله تعالى في حكمته أن تجد الكائنات في هذا العمل بالذات، سبيلاً لتقدّمها واقترابها منه. بذلك، بتدبير رائع من العناية الإلهية، كل الأشياء ترتبط ببعضها، وكل الأشياء متضامنة في الطبيعة).

133 ـ هل تحتاج إلى التجسد الأرواح التي سلكت منذ البداية طريق الصلاح؟

تخلق جميع الأرواح بسيطة وجاهلة. وهي تكتسب المعرفة في معارك الحياة الجسدية وشدائدها. لا يعقل أن الله في عدله يخلق بعضها سعيدة دون مشقّة ودون اجتهاد، ومن ثم دون أن تستحقّ هذه السعادة.

133 أ ـ إن كان كذلك، فماذا تستفيد الأرواح من سلوكها طريق الصلاح إن لم يعصمها هذا السلوك من مشقّات الحياة الجسدية؟

يصلون إلى هدفهم بسرعة. وفضلاً عن ذلك، فإن مشقّات الحياة ناتجة عادة من عيوب الروح، إذ بقدر ما تقلّ عيوبه يقل عذابه. فمن هو دون حسد ولا غيرة ولا بخل ولا طمع، لا يكابد العذاب الذي يتأتى من هذه المعائب.

---

(1) يجوز القول أيضاً إن الروح تتأنّس أي أنها تصير إنساناً والمعنى واحد. هناك فلسفات روحانية تقول بالتقمّص أي أن الروح قد تتخذ جسد إنسان أو حيوان، ولكن وفقاً لتعاليم الأرواح العليا فهذا الارتحال الروحي مستحيل لأن موانع الإطار الهالي في الحيوانات متخالفة التكوين عن موانع الإطار الهالي في الإنسان ولأن القاعدة الروحية هي أن تتقدّم الروح دائماً في سيرها ولا تتراجع أبداً إلى الوراء في التدرج الروحي. (ملاحظة المترجم).

2ـ النفس

134 ـ ما هي النفس؟

هي روح حين تكون متجسّدة.

134 أ ـ ماذا كانت النفس قبل اتحادها مع الجسد؟

كانت روحاً.

134 ب ـ إذن فإن النفوس والأرواح هي شيء واحد بذاته؟

أجل، النفوس هي الأرواح. قبل اتحادها مع الجسد، فقد كانت النفس إحدى الكائنات الذكية التي تقطن العالم اللامرئي والتي تلبس مؤقتاً بالتجسّد غطاء جسدياً لتتطهر وتتنوّر.

135 ـ هل يوجد في الإنسان عنصر آخر غير النفس والجسد؟

هناك عنصر آخر هو الرُباط الذي يجمع الروح بالجسد.

135 أ ـ ما هي طبيعة هذا الرُباط؟

هي طبيعة نصف مادية أي أنها متوسطة بين الروح والجسد. هكذا يجب أن يكون الأمر، ليستطيع أحدهما الاتصال بالآخر. لأنه بواسطة هذا الرباط تؤثر الروح على المادة وتؤثر المادة على الروح.

(هكذا، يتكوّن الإنسان من ثلاثة عناصر أساسية:

الأول: الجسد أي الكيان المادي المشابه لكيان الحيوانات والذي يُحْييه المبدأ الحيوي ذاته.

الثاني: النفس أي الروح المتجسّدة الساكنة في الجسد.

الثالث: العنصر المتوسط أي إطار الروح والذي هو عبارة عن عنصر نصف مادي يعمل كغلاف أول للروح، ويجمع الروح بالجسد. هذه العناصر الثلاثة تشبه الثمرة التي تتكوّن من البذرة وغلاف النواة والقشرة.

136 ـ هل النفس مستقلة عن المبدأ الحيوي؟

لا يعدو الجسم كونه غلافاً، وذكرنا ذلك تكراراً.

136 أ ـ هل بإمكان الجسم أن يعيش دون الروح؟

أجل، إلا عندما تتوقف الحياة في الجسد فتهجره الروح. ولكن قبل الولادة ليس هناك بعد اتحاد تام بين الروح والجسد، وبعد أن يستكمل هذا الاتحاد، فإن موت الجسد يُحلّ فقط الروابط التي تجمع الروح بالجسد، وحينئذ تهجره الروح. تستطيع الحياة العضوية تحريك جسد بلا نفس، ولكن لا تستطيع النفس أن تسكن في جسد بلا حياة عضوية.

136 ب ـ كيف تُرى يكون جسدنا إن لم يكن فيه روح؟

يكون كتلة لحم دون عقل أو ما يخطر ببالك، ما عدا إنسان.

137 ـ هل بإمكان الروح أن يتجسد في جسدين مختلفين في نفس الوقت؟

كلا، لأن الروح لا تنقسم ولا تستطيع أن تحيي كائنين مختلفين في آن واحد. (انظر في كتاب الوسطاء، فصل ازدواج الأجسام وتغير الهيئة).

138 ـ ما قيمة رأي الذين يعتبرون الروح كمبدأ للحياة المادية؟

إنها مسألة كلمات ولا دخل لنا فيها. روحوا وتفاهموا عليها بين بعضكم أولاً.

139 ـ بعض الأرواح، ومن قبلهم بعض الفلاسفة وصفوا النفس بأنها: شرارة نفسية منبثقة من الكل الأكبر. ما سبب هذه المناقضة؟

ليس هناك مناقضة، والمسألة تتعلق باتساع معاني الكلمات. لماذا ليس لديكم كلمة لكل شيء؟

(تستعمل كلمة النفس للتعبير عن أشياء مختلفة جداً. فالبعض يسمّون النفس مبدأ الحياة، وبهذا المعنى يصح القول مجازياً: إن النفس شرارة نفسية[1] منبثقة من الكل الأكبر. وهذا التعبير الأخير يصوّر المصدر الكوني الذي منه ينبعث المبدأ الحيوي الذي منه يأخذ كل واحد قسطاً والذي يعود إلى الكتلة بعد الموت. هذه الفكرة لا تنفي بتاتاً الفكرة حول كائن خلقي متميز عن غيره، مستقل عن المادة، ويحتفظ بفرديته. فهذا الكائن هو الذي يدعى أيضاً نفساً وبهذا المعنى يمكن القول إن النفس روح متجسدة.

---

(1) إحيائي وإحيائية: ANIMIQUE كلمة تشير إلى ما جاء في animisme التعليم الفلسفي المصري المشتق من أفكار الحضارات القديمة والموسّع في معنى أفسح لفلسفة بدائية عامة. وفقاً لهذا التعليم تُحيي النفس جميع أشياء الكون، الحية والعديمة الحركة، وهي المُحدث الأولي لجميع الأحداث العقلية والحيوية والظواهر الطبيعية (ملاحظة المترجم).

وقد جاءت الأرواح بتفاسير مختلفة عن النفس، فقد فسروا الكلمة بحسب تخصيصها لمعنى معيّن ووفقاً للأفكار الدنيوية التي كانوا لا يزالوا متشرّبين بها إلى حد ما. وذلك ناتج عن فقر لغات البشر التي ليس فيها كلمة خاصة لكل فكرة، ومن هنا تنبع الكثير من الأخطاء والمناقشات التي نجمت منها. وهذا هو السبب الذي جعل الأرواح العليا تطلب منا أن نتفاهم أولاً بين بعضنا على الكلمات التي نستعملها[1].

140 ـ ما قيمة النظرية القائلة بأن النفس مجزّأة إلى أجزاء بمقدار عدد العضلات، وبهذا التجزُّؤ، تُشرف على كل وظيفة من وظائف الجسم؟

يتعلق ذلك أيضاً بالمعنى الذي ينسب إلى كلمة نفس. فإذا قُصد بها المائع الحيوي، فالنظرية صائبة، ولكن إن قصد بها الروح المتجسدة، فهي غلط. لقد قلنا لكم بأن الروح لا تتجزأ بل تنقل الحركة إلى الأعضاء بواسطة المائع المتوسط بينها وبين الجسد، دون أن تتجزأ لهذا الغرض.

140 أ ـ مع ذلك، فإن بعض أرواح جاءت بهذا التفسير.

الأرواح الجاهلة قد تُخطئ فتجعل المعلول علة.

(النفس تعمل بواسطة الأعضاء، والأعضاء بدورها تتعش بالحياة بتأثير المائع الحيوي الذي يتوزّع عليها وبغزارة أكبر على الأعضاء التي هي مراكز الحركة أو مصادرها. لكن هذا التفسير لا ينطبق على النفس إذا اعتبرناها الروح التي تسكن الجسد طيلة الحياة وتهجره بعد موته).

141 ـ هل هناك شيء من الحقيقة في رأي الذين يعتقدون بأن الروح خارجية وأنها تحيط الجسد؟

ليست الروح داخل الجسد كالعصفور في القفص، بل هي تُشعّ إلى الخارج كما الضوء يُشعّ خلال كرة زجاجية أو كالصوت من حول مصدر صوتي. وبهذا المعنى يجوز القول بأن الروح خارجية ولكنها ليست لذلك السبب غلافاً للجسد. إن للروح غلافين: الأول دقيق وخفيف والذي يسمى بإطار الروح والثاني غليظ ومادي وثقيل وهو الجسد. والروح هي المركز لجميع هذه الغلافات مثل البذرة في نواة الثمرة كما سبق لنا القول.

---

(1) انظر في المقدمة، فصل 2، التعليق على كلمة «نفس».

142 ـ ما رأيكم في النظرية الأخرى القائلة بأن روح الطفل تستكمل في كل طور من أطوار الحياة؟

الروح واحدة فقط وهي كاملة في الطفل مثلما في الشخص البالغ. ولكن الأعضاء أي أدوات إظهار الروح هي التي تنمو وتستكمل. مرة أخرى يُجعل المعلول علة.

143 ـ لماذا لا تفسر كل الأرواح ماهية الروح بطريقة واحدة؟

كل الأرواح ليسوا مستنيرين على السواء في هذه الأمور. هناك أرواح ضيّقو العقل لا يفهمون المجردات فهم مثل الأطفال في عالمكم، وهناك أرواح هم علماء مزيّفون يجيدون كثرة العبارات والكلام ليوحوا بالاحترام كما هو الحال أيضاً عندكم على الأرض. فضلاً عن ذلك، فحتى الأرواح المستنيرة قد تتفوّه بكلام متخالف ولكن المغزى واحد، ولا سيما عند البحث في أمور تعجز لغتكم في التعبير عنها بجلاء، ولكنهم يضطرون إلى استعمال استعارات ومقارنات ولكنكم تظنونها أموراً واقعية.

144 ـ ما تفسير ما يسمى بروح العالَم؟

هو المصدر الكوني للحياة والذكاء من حيث تولد الفرديات. غير أن الذين يستعملون هذه الكلمات لا يدرون عادة ماذا يعنون بها. إن تفسير كلمة الروح واسع جداً إلى درجة أن كل واحد يفسرها حسب أحلامه أحياناً. لقد نسبت روح إلى الأرض أيضاً والمقصود بذلك هو مجموع الأرواح المخلصة المنقطعة إلى قيادة أعمالكم في الطريق الصالح حينما تصغون إلى إرشاداتها، والتي هي كناية عن وكلاء الله في كوكبكم.

145 ـ لماذا تداول عدد كبير من الفلاسفة القدماء والمصريين زمناً طويلاً في علم النفس دون أن يصلوا إلى الحقيقة؟

هؤلاء كانوا روّاد التعليم الأرواحي الأبدي الذين أعدوا له الطريق. ولكونهم بشراً فربما غلطوا وحسبوا أفكارهم الشخصية نور الحق ولكن في الأغلاط ذاتها منفعة إذ هي تُظهر الحقيقة، بإبراز ما لها وما عليها. عدا ذلك، فإن بين تلك الأغلاط حقائق عظمى، دراستها بالمقارنة قد تجعلكم تفهمونها.

146 ـ هل للروح مكان معروف ومحدّد في الجسد؟

كلا، ولكنها تسكن بالأخص في الرأس لدى النوابغ الأفذاذ ولدى الذين يفكّرون كثيراً، وفي القلب عند الذين يشعرون بعطف شديد وأعمالهم تتعلق بالإنسانية أجمعها.

146 أ ـ ما قيمة رأي الذين يضعون الروح في مركز حيوي في الجسد؟

معناه أن الروح تقطن بالأحرى في تلك الناحية من جسدكم، إذ تتقاد إليها جميع المشاعر. أما الذين يظنون بأن الروح تسكن فيما يعتبرونه كمركز الحيوية، فهم يخلطونها بالمائع الحيوي أي بالمبدأ الحيوي. على أنه يجوز القول إن مقرّ الروح هو بوجه خاص في الأعضاء التي تعمل للتجليات العقلية والخُلُقية.

3 ـ المادية[1]

147 ـ لماذا يميل المشرّحون والفسيولوجيون[2] وبشكل عام أولئك الذين يتعمقون في علوم الطبيعة يميلون كثيراً إلى المادية؟

يقيس الفسيولوجي كل الأشياء بما يراه. وهذا هو كبرياء أولئك الذين يعتقدون بأنهم يعرفون كل شيء، ويأبون التسليم بأن هناك أموراً قد تفوق فهمهم. فما يعرفونه من العلم يبثّ في عقولهم العجرفة فيظنون أن الطبيعة لا تستطيع إخفاء شيء عنهم.

148 ـ ألا يؤسف له أن تكون المادية نتيجة دراسات كان يجب أن تكشف للإنسان عظمة الذكاء الذي يحكم العالم؟ هل يجب علينا أن نستنتج من ذلك بأنها خطيرة؟

لا يصح القول إن المادية هي نتيجة تلك الدراسات. فالإنسان هو الذي يستنتج منها نتيجة خاطئة، إذ يجوز له سوء استعمال كل الأشياء وحتى أحسنها. عدا ذلك، فإن فكرة العدم تفزعهم أكثر مما يريدون أن يُظهروا، ولدى ذوي الطبع القوي تبجّح أكثر مما لديهم من بسالة. وهؤلاء أغلبهم ماديون لا لسبب سوى لأنهم لا يعرفون شيئاً يملأ ذلك الخواء المخيف الذي يشعرون به أمام الهوة المنفتحة أمامهم. لكن هاتوا لهم خشبة الإنقاذ وسيسارعون للتمسك بها.

(هناك أناس، من جراء انحراف في عقلهم، لا يرون في الكائنات العضوية سوى فعل المادة وينسبون كل أفعالنا إلى تأثيرها. فهم لم يروا في جسم الإنسان إلا إوالة كهربائية، ولم يدرسوا في جهاز الحياة إلا حركة الأعضاء، وكثيراً ما شاهدوا هذا

---

(1) المادية نظرية منافية للتعاليم الروحانية، ينادي بها الذين ينكرون وجود الروح أي النفس، قائلين إنه لا يوجد سوى المادة في كل شيء، وإنه ليس هناك عنصر روحي لا مادي (ملاحظة المترجم).

(2) المتعاطون بدراسة تركيب الحيوان والنبات وأعمال الأعضاء (ملاحظة المترجم).

الجهاز يتوقف عقب انقطاع شريان ضئيل جداً، ولكنهم لم يروا سوى هذا الشريان. ولم يفحصوا ما إذا كان هناك شيء آخر، وبما أنهم لم يروا شيئاً سوى المادة التي لا تتحرك، ولم يروا الروح تترك الجسد ولم يتمكنوا من الإمساك بها، استنتجوا أن كل شيء موجود في خواص المادة وأنه من جراء ذلك، يزول الفكر بعد الموت في العدم. ولو كان الأمر هكذا لكانت هذه عاقبة محزنة، إذ لا يعود للخير وللشر معنى. ويكون للإنسان الحق أن لا يفكّر إلا بنفسه وأن يضع فوق كل شيء مسرة حياته في الملذات المادية. فتنحلّ الروابط الاجتماعية وتتبدد أسمى العواطف الإنسانية على الدوام. ولكن لحسن الحظ، فإن هذه الأفكار لا تعمّ كل البشر، بل ويمكن القول إنها محدودة جداً ولا تعدو كونها آراء فردية إذ لم تصبح في أي مكان كمذهب منظم. فإن كان هناك مجتمع مبنيّ على هذا الأساس فسيحمل في داخله بذور انحلاله وسيفترس أعضاؤه بعضهم بعضاً كوحوش برية).

(يشعر الإنسان بالبديهة بأن الحياة لا تنتهي بموته ويرتعب من فكرة العدم. ورغم إصرار هؤلاء على عدم وجود حياة مقبلة، فإن عدداً قليلاً فقط، عند دنو الموت، لا يتساءلون عما ينتظرهم بعد وفاتهم. ذلك لأن فكرة وداع الحياة وداعاً دون عودة تُحزن وترعب أقوى القلوب. فعلاً، فمن يستطيع مواجهة انفصال كامل وأبدي عن كل ما هو عزيز له ثم لا يُبالي؟ من يستطيع أن يرى دون أن يرتعد، تلك الهوة الضخمة الخاوية التي تتفتح أمامه لتبتلع إلى الأبد كل ذكائنا وكل تمنياتنا ولا يقول في نفسه: بعد موتي لا يوجد شيء سوى العدم والفناء الدائم. وفي بضعة أيام سوف لا يذكرني أحد من الذين بقوا بعدي وحتى الأرض ذاتها ستبيد كل أثر لحياتي على الأرض، والخير الذي فعلته سينساه ناكرو الجميل الذين أسديته إليهم، ولا شيء هناك لتعويض كل هذه الخسائر ولا شيء أمامي أنتظره عدا جسدي الذي سيأكله الدود).

(هل هناك صورة أبشع من هذه، تقشعرّ لها الأبدان وتجمد أمامها؟ يُعلّمنا الدين أنه يستحيل أن يكون نصيبنا هكذا ويُؤيد العقل هذا التعليم. لكن الإشارة إلى حياة قادمة مبهمة وغامضة، لا يكفي لإرضاء احتياجنا الطبيعي إلى شيء مؤكد. وهذا هو ما يُدخل الشكوك في العقول. فيقول الكثيرون: نُسلّم بأن لنا روحاً، ولكن ما هي روحنا؟ ألها شكل ما أو هيئة؟ أهي كائن محدود أم هي شيء مبهم ويلا شخصية؟ يقول البعض بأنها نفثة من الله ويقول آخرون إنها شرارة وغيرهم إنها جزء من الكل

الأكبر، أي أنها مصدر الحياة والذكاء. لكن ماذا تُفيدنا هذه التفاسير؟ ما منفعة الروح لنا إذا كان نصيبها بعد الموت أن تعود إلى الكتلة الكونية كقطرات الماء إلى البحر المحيط؟ أليس فقدان فرديتنا يعادل العدم؟ ويُقال أيضاً بأن الروح لا مادية، ولكن لا يمكن لما هو لا مادي أن يكون له شكل أو حجم ومن ثم فبالنسبة لذهننا الا يبدو كأنه لا شيء. يعلّمنا الدين أيضاً بأننا سنكون سعداء أو تعساء بحسب ما نفعله من خير أو شر. لكن ما هو يا ترى نوع هذه السعادة التي ستكون نصيبنا في احضان الله؟ أهي اغتباط أو راحة أبدية دون أي عمل آخر سوى ترتيل التراتيم والتسابيح للخالق؟ ونيران جهنم، أهي حقيقية أم مجازية؟ يعترف رجال الدين بأنها مجازية وبناء عليه نسأل بدورنا ما هي طبيعة ذلك العذاب المتضمن في الصورة المجازية؟ وأين مكانه؟ قصارى الكلام، ماذا نفعل وماذا نرى في ذلك العالم الذي ينتظرنا جميعاً؟ يُقال بأنه من ذلك العالم لم يرجع أحد بعد ليخبرنا عنه. وهذا القول خاطئ إذ أن رسالة الأرواح جاءت بالضبط لتطلعنا على هذا المستقبل لتجعلنا بقدر الإمكان نلمسه ونراه، لا كنظرية استنتاجية بل بالبراهين المحسوسة. فبفضل الإعلامات التي أتت بها إلينا الأرواح لا يعود ذلك تخميناً وظناً يتخيله كل واحد بحسب تصوراته وينشد به الشعراء أو يملؤونه باستعارات ورموز فيُزيدوننا ارتباكاً، بل إنه العالم الآخر الحقيقي كما هو في الواقع، جاءت به إلينا الآن كائنات من عالم ما بعد الموت فوصفوا لنا حالاتهم الحاضرة وماذا يفعلون، وهكذا جعلونا بالتقريب، نتفرّج على جميع تقلبات حياتهم الجديدة، وبهذه الطريقة أرونا النصيب المحتم الذي ينتظرنا بحسب استحقاقاتنا وإساءاتنا. هل في ذلك شيء مضاد للدين؟ بالعكس، إذ أن هذا يجعل الجاحدين يعودون إلى إيمانهم والفاترين يتجدّدون بالتقوى والثقة بالله. الأرواحية إذن هي أقوى مساعد للدين. وبما أن الأمر كذلك، فلا بد أنها جاءت بمشيئة الله، لينتعش إيماننا المترجرج ونعود إلى طريق الصلاح، بمعاينتنا لما ينتظرنا بعد الموت).

الفصل الثالث: الرجوع من الحياة الجسدية إلى الحياة الروحية

1ـ الروح بعد الموت وفرديتها - الحياة الأبدية

2ـ انفصال الروح عن الجسد – اضطراب الأرواح بعد الموت

1 ـ الروح بعد الموت

149 ـ ماذا يحدث للروح في ساعة الموت؟

تعود إلى حالتها الحقيقية كروح، أي ترجع إلى عالم الأرواح الذي هجرته مؤقتاً فقط.

150 ـ هل تحفظ الروح فرديتها بعد الموت؟

أجل، فهي لا تفقدها أبداً، إذ ماذا تكون الروح إن لا تحفظ فرديتها؟

150 أ ـ كيف تتيقّن الروح من فرديتها ما دام ليس لها جسد مادي؟

لا يزال لديها مائع خاص تأخذه من جو كوكبها وهو الذي يبين مظهرها في تجسدها الأخير. وهذا المائع هو إطارها.

150 ب ـ ألا تأخذ الروح شيئاً معها من هذه الدنيا؟

لا شيء سوى تذكار حياتها ورغبتها في الذهاب إلى عالم أحسن. ويكون ذلك التذكار شديد العذوبة أو المرارة بحسب ما فعلته في الحياة. وبمقدار ما تكون طهارتها يكون إدراكها بتفاهة ما تركته على الأرض.

151 ـ ما قيمة الرأي القائل بأن الروح بعد الموت تعود إلى الكل الكوني؟

ألا يشكّل مجموع الأرواح كلاً شاملاً؟ أليس هو عالماً بأسره؟ فعندما تكون في مجمع، تكون جزءاً متمماً من ذلك المجمع، ومع ذلك تحفظ فرديتك كل حين.

152 ـ ما البرهان على دوام فردية الروح بعد الموت؟

أليست برهاناً لكم المخاطبات التي تأتي إليكم؟ إذا ما كنتم عمياناً فسترون وإذا ما كنتم طرشاً فستسمعون. ففي أحيان كثيرة يكلمكم صوت يكشف لكم عن وجود كائن خارجكم.

(الذين يظنون أن الروح بعد الموت ترجع إلى الكل الكوني يخطئون إذا كانت فكرتهم تشير بذلك إلى ضياع فردية الروح مثل قطرة الماء عندما تسقط في البحر المحيط. ولكنهم مصيبون إن كانوا يفسرون الكل الكوني بأنه مجموع الكائنات اللاجسدية، وأن كل نفس أو روح هو جزء من ذلك الكل).

(لو كانت الأرواح تندمج في الكتلة لما كانت تحوي إلا صفات المجموع، ولكانت غير متميزة عن بعضها بعضاً، ولما كان لها ذكاء ذاتي، ولا صفات ذاتية،

بينما تشعرنا جميع مخاطباتها معنا بإدراكها بالذاتية الفردية وبإرادة متميزة. وفي كل المناسبات، يدل تنوع صفاتها اللامحدود بالذات على فردياتها المختلفة. ولو أنه لا يوجد بعد الموت سوى ما يدعى بالكل الأكبر الذي يبتلع كل الفرديات، لكان هذا الكل متماثلاً في صفاته، وحينئذ فإن كل المخاطبات التي تأتي من العالم الذي لا يُرى تكون متشابهة. وبما أنا نجد في ذلك العالم من هم صالحون ومن هم أشرار، ومن هم علماء أو أغبياء، ومن هم سعداء أو أشقياء، ونجد فيه جميع الطباع، كالبشوش والحزين والطائش والوقور الخ، فلا بد أنهم أشخاص متميزون. وتزداد الفردية جلاء حينما تثبت هذه الكائنات شخصيتها بدلائل لا جدال فيها ودقائق شخصية عن حياتها على الأرض يمكن التحقق منها. فلا محل للارتياب بصددها عندما تتكشف للأنظار في الرؤى. لقد علّمونا فردية الروح نظرياً كعقيدة دينية، ولكن الأرواحية جعلت فردية الروح واضحة وجلية، وإذا جازت العبارة، جعلتها أمراً مادياً وملموساً.

153 ـ ما المعنى المقصود بالحياة الأبدية؟

المقصود هو حياة الروح التي هي حياة أبدية. أما حياة الجسد فهي عابرة ومؤقتة. فبعد أن يموت الجسد تعود الروح إلى الحياة الأبدية.

153 أ ـ أليس من الأصوب تسمية الحياة الأبدية حياة الأرواح الطاهرة التي، لكونها بلغت درجة الكمال، فليست بحاجة إلى احتمال التجارب؟

هذه هي بالأحرى السعادة الأبدية. على أن الأمر مسألة كلمات. سموا الأشياء كما يتراءى لكم بشرط أن تتفقوا على معانيها.

2 ـ انفصال الروح عن الجسد

154 ـ هل يشعر الإنسان بألم لدى انفصال روحه عن جسده؟

كلا، بل كثيراً ما يتألم الجسد أثناء الحياة أكثر مما يتألم في ساعة الموت، ذلك أن الروح عندئذ لا تشعر ولا تدري بأي شيء. والشعور بالآلام أحياناً في ساعة الموت يجلب للروح اغتباطاً إذ ترى نهاية منفاها على الأرض.

(في الموت الطبيعي الذي يأتي من تلف الأعضاء على أثر تقدّم السن، يترك الإنسان الحياة دون أن يدري بذلك، كلهبة قنديل تنطفئ من انعدام الزيت).

155 ـ كيف تنفصل الروح عن الجسد؟

بانحلال الأربطة التي كانت تمسكها، تتخلص الروح من الجسد.

155 أ ـ هل يحصل هذا الانفصال حالاً وبانتقال فجائي من حالة إلى أخرى؟ هل هناك فاصل واضح بين الحياة والموت؟

كلا، فإن الروح تتخلص تدريجياً ولا تفلت من الجسد كالعصفور المحبوس الذي يُطلق سراحه فجأة. بل تتلامس الحالتان ولا تتميز الواحدة عن الأخرى، بحيث أن الروح تتخلص شيئاً فشيئاً من أربطتها، وهذه الأربطة تنفك ولا تنقطع.

(أثناء الحياة ترتبط الروح بالجسد بواسطة غلافها نصف المادي أي إطارها. والموت هو تلاشي الجسد فقط وليس تلاشي ذلك الغلاف الثاني الذي ينفصل عن الجسد عندما تتوقف الحياة العضوية في الجسد. تُرينا المشاهدة أنه في لحظة الموت، لا يحدث فجأة تخلص الإطار دفعة واحدة، بل يحدث تدريجياً وبتباطؤ يختلف بحسب الأشخاص. ففي بعض الأشخاص يتم ذلك بسرعة ويمكن القول بأن لحظة التخلص تلي لحظة الموت بساعات قليلة. أما لدى أشخاص آخرين، وبالأخص أولئك الذين كانوا في حياتهم شديدي التمسك بالمادة وشهوانيين، فيتباطأ التخلص كثيراً وقد يطول أحياناً أياماً أو أسابيع وحتى شهوراً ولا يعني هذا التأخر أن هناك حيوية في الجسد، وأن من الممكن أن تعود إليه الحياة، بل هو مجرد تجاذب بين الجسد والروح، إن تجاذباً كهذا يختلف بحسب مقدار الأهمية التي أعطاها الروح إلى المادة أثناء الحياة. من المعقول فعلاً أنه بمقدار ما تتجذب الروح إلى المادة خلال حياتها وتتوحّد معها يكون مقدار الصعوبة في التحرر منها بعد الموت، في حين أن الأعمال العقلية والأدبية وممارسة الأفكار السامية تجعل التخلّص يبدأ حتى أثناء الحياة الجسدية، ولذلك فعند مجيء الموت يكاد التخلص يكون فورياً. هذه هي الدراسة التي أجريت على عدد كبير من الأفراد الذين روقبوا في لحظة الموت. فقد برهنت هذه المراقبات أيضاً على أن الانجذاب لدى بعض الأفراد، يستمر بين الروح والجسد، وقد يكون أحياناً مؤلماً جداً، إذ يجعل الروح تشاهد بشاعة انحلال جسدها. على أن هذه الحالة استثنائية وتخص بعض طرائق العيش وبعض أنواع الموت وتحدث مع بعض الذين ينتحرون).

156 ـ أمن الممكن أن يحدث الانفصال النهائي بين الروح والجسد قبل انتهاء الحياة العضوية تماماً؟

في سكرة الموت تهجر الروح الجسد أحياناً، فلا يبقى فيه سوى الحياة العضوية. ولا يعود الإنسان يعي عن نفسه، ومع ذلك لا يزال فيه نسمة حياة. إن الجسد آلة يحرّكها القلب وتبقى فيه الحياة طالما أن القلب يحرك الدم في العروق وهو لا يحتاج لذلك إلى الروح.

157 ـ هل تشعر الروح أحياناً في لحظة الموت بتوق أو انخطاف روحي يجعلها تستشفّ العالم الذي أوشكت أن تدخل فيه؟

كثيراً ما تشعر الروح بانحلال القيود التي تربطها بالجسد فتبذل حينذاك كل جهدها لتفكّها كلها. وحينما تكون منفصلة جزئياً عن المادة، ترى المستقبل منبسطاً أمامها، فتتمتع سلفاً بحالتها كروح.

158 ـ هل يعطينا مثال الدودة التي تزحف أولاً على الأرض ثم تحبس نفسها داخل الحفرة في موت ظاهري لتحيا ثانية في عيشة رائعة، هل يعطينا فكرة عن الحياة الأرضية، فالموت، ثم حياتنا الجديدة؟

هذه فكرة مُصغِّرة. والمثال لا بأس به، إنما يجب ألا يؤخذ بالحرف كما يحدث معكم عادة.

159 ـ ماذا يشعر الروح حينما يتيقّن أنه في عالم الأرواح؟

يتوقف ذلك على حالة الروح. فإن فعلت الشر برغبة الإساءة فستجد نفسك خجلاً جداً منذ أول لحظة لكونك أسأت. أما البار فإن حالته مختلفة جداً لأن الروح يشعر بأنه استراح من حمل ثقيل ولأنه لا يخشى أي نظر يحدق فيه.

160 ـ هل يتلاقى الروح حالاً بالذين عرفهم على الأرض وماتوا قبله؟

أجل، بحسب وده لهم وودهم له. وكثيراً ما يأتون لاستقباله لدى رجوعه إلى عالم الأرواح ويساعدونه على التخلص من لفائف المادة، كما يتلاقى أيضاً بأناس كثيرين ضاعوا عن نظره أثناء إقامته على الأرض، ويرى الذين يسمون جوالين[1]. أما معارفه المتجسدون فهو يذهب لزيارتهم.

---

(1) الأرواح التجوالية هي التي تتجوّل تائهة في الظلمة دون اتجاه في عالم الأرواح. هذا التجوال قد يدوم أشهراً أو سنين أو مئات السنين إلى حين تلقى إعانة الرحمة الإلهية (ملاحظة المترجم).

161 ـ في الموت الأحمر أو الموت الناتج من حادثة، عندما لم تكن الأعضاء قد تلفت بعد من تقدّم العمر أو من الأمراض، هل يحصل انفصال الروح وتوقف الحياة في آن واحد؟

هو كذلك عادة، ولكن في جميع الأحوال، فإن الفترة بينهما قصيرة جداً.

162 ـ وفي قطع الرأس مثلاً، هل يحفظ الإنسان وعيه لحظات قصيرة بعد الإعدام؟

في حالات كثيرة، يحفظه طوال دقائق إلى أن تتوقف الحياة العضوية تماماً، ولكن الخوف من الموت كثيراً ما يجعله يفقد وعيه قبل لحظة الإعدام.

(ما يُقصد هنا هو مجرد الوعي الذي قد يشعر به المعاقب كإنسان بواسطة الأعضاء وليس كروح. إذا لم يكن قد فقد هذا الوعي قبل العقاب، من الممكن أن يحفظه طوال لحظات، ولكنها لحظات قصيرة جداً، وهذا الوعي يزول حتماً مع زوال الحياة العضوية في المخ. غير أن زوال الوعي لا يعني أن إطار الروح قد تخلص تماماً من الجسد، وإنما العكس. ففي جميع حالات الموت العنيف حينما لا يحدث الموت من انطفاء القوى الحيوية تدريجياً، تكون الروابط التي تجمع الجسد مع إطار الروح شديدة التشبّث، ولذلك يكون التخلص التام بطيئاً.

اضطراب الأرواح بعد الموت

163 ـ هل تعي الروح حالاً نفسها وقتما تهجر الجسد؟

تعي حالاً ليس هو التعبير الصحيح لأن الروح تبقى في حالة اضطراب وقتاً ما.

164 ـ هل تشعر جميع الأرواح بذلك الاضطراب على نفس الدرجة وطوال نفس المدة لدى انفصال الروح عن الجسد؟

كلا، فذلك يتوقف على درجة الارتقاء الروحي. فالروح الذي تطهّر يكاد يعود له إدراكه على الفور، لأنه قد تحرر من المادة خلال حياته الجسدية، بينما الإنسان الشهواني الذي يكون ضميره مُعكّراً بالشهوات، فهو يحتفظ بتأثير المادة فيه مدة أطول بكثير.

165 ـ هل معرفة الأرواحية لها تأثير على طول أو قصر مدة الاضطراب؟

تأثير كبير جداً لأن الروح كان يفهم مسبقاً حالته. ولكن ما له تأثير أقوى هو ممارسة البر وصفاء الضمير.

(في لحظة الموت يشعر الروح في أول الأمر بحالة ارتباك كبير ولذلك فهو يحتاج إلى بعض الوقت ليتيقّن من حالته. إذ يشعر بدوخة شديدة كمن أفاق من نوم عميق، ويريد أن

يتحقق من ذاته. ثم يعود إليه صفاء أفكاره ويتذكر ماضيه بمقدار ما يزول تأثير المادة التي نخلص منها منذ قليل، وبمقدار ما يتبدد ما يشبه الضباب الذي يُظلم أفكاره).

(الاضطراب الذي يلي الموت قد يكون طويلاً أو قصيراً، وقد يدوم ساعات قليلة أو أشهراً طويلة أو حتى سنين عديدة. فأقصر اضطراب هو عند الذين تطابقت حياتهم على الأرض مع حياتهم المقبلة لأنهم حينئذ يفهمون حالتهم حالاً).

(يتعلق هذا الاضطراب بظروف خصوصية بحسب طباع الأشخاص، وعلى الأخص بحسب أنواع الموت. ففي حالات الموت الأحمر بالانتحار أو بالإعدام أو بحادثة أو بموت السكتة أو بسبب جروح.. الخ، يبهت الروح ويستغرب ولا يعتقد بأنه مات. ويتشبث بتأكيده بأنه حي إذ أنه رغم كل شيء يرى جسده ويعلم أن هذا الجسد هو جسده، ولكنه لا يفهم بأنه منفصل عنه. فيذهب إلى الذين يتودّد إليهم ويكلّمهم فلا يفهم لماذا لا يسمعونه. ويطول هذا الوهم إلى حين يتم تخلص الإطار بكامله. وحينذاك فقط يتيقّن الروح ويفهم بأنه ليس من الأحياء. يمكن تفسير هذه الظاهرة بسهولة، فعندما يُفاجأ الروح بالموت بغتة، ينصعق من التغير الفجائي الذي طرأ على كيانه، لأن فكرة الموت لا تزال تعني التلف والتلاشي. لكن بما أنه ما زال يفكّر ويرى ويسمع، فهو يجزم بأنه لم يمت. وما يزيد وهمه هو أنه يرى نفسه جسماً مشابهاً للجسم الآخر بالشكل ولكن لم يتسنّ له الوقت ليفحص طبيعته الأثيرية. فهو يظنّه متيناً وكثيفاً كجسمه الأول، وعندما ينتبه إلى هذا الأمر يتعجّب من كونه لا يستطيع أن يجسّه).

(هذه الظاهرة تشبه ظاهرة المروبصين المبتدئين الذين لا يصدّقون أنهم نيام، لأن النوم بالنسبة لهم معناه توقّف جميع حواس الإدراك. وبما أنهم يفكّرون دون عائق ويرون، يتراءى لهم بأنهم ليسوا نياماً. تُصاب بعض الأرواح بهذه الغرابة وحتى لو لم يفاجئها الموت، إلا أن هذه الحالة تحدث غالباً للذين لا يفكّرون بالموت حتى ولو كانوا مرضى. فنرى في هذا الأمر منظراً غريباً وهو أن الروح يحضر جنازته كما لو كانت جنازة شخص آخر ويتكلم عنه كأمر لا شأن له فيه، إلى حين يدرك حقيقة حالته).

(الاضطراب الذي يعقب الموت لا ألم فيه بتاتاً للرجل الصالح، فهو هادئ ويشبه من كل النواحي مشاعر من يستيقظ من نوم ساج. أما من له ضمير غير صاف فَصَحْوُه شديد القلق والأهوال والمشاعر الأليمة تزداد بقدر ما يتيقن بحالته. وفي حالات الموت الجماعي، لوحظ أن كل الذين يهلكون في آن واحد، لا يرون بعضهم بعضاً دائماً في الحال. ففي الاضطراب الذي يعقب الموت، يذهب كل واحد في طريقه أو لا يبالي إلا بالذين يهمّونه.

الفصل الرابع: تعدُّد الحيوات

1ـ التجسد المتكرر

2ـ عدالة التجسد المتكرر

3ـ التجسد في مختلف العوالم

4ـ ارتحال الأرواح لارتقائها وتدرجها

5ـ مصير الأولاد بعد الموت

6ـ الجنس (مذكر ومؤنث) لدى الأرواح

7ـ القرابة والنسب

8ـ مشابهات جسدية ومعنوية

9ـ الأفكار الفطرية

1 ـ التجسد المتكرّر

166 ـ الروح الذي لم يبلغ الكمال أثناء الحياة الجسدية، كيف يستطيع إتمام تنقيته؟

باحتمال التجارب في حياة جديدة.

166 أ ـ كيف ينجز الروح هذه الحياة الجديدة؟ هل بتحوّله كروح؟

لا شك أن الروح يتحول بتنقية نفسه، ولكن لا بد لهذا التحول من تجارب الحياة الجسدية.

166 ب ـ يعيش الروح إذن حيوات جسدية عديدة؟

أجل، جميعنا نعيش حيوات عديدة. والذين ينكرون ذلك يريدون أن تظلوا جُهلاء مثلهم. فهذا هو ما يرغبون به.

166 جـ ـ قد يستنتج إذن من هذا القول أن الروح بعد أن تهجر جسداً تتخذ جسداً آخر، أو بعبارة أخرى تتجسد في جسد جديد. أبهذا التفسير ينبغي أن نفهم تصريحكم؟

ذلك واضح.

167 ـ ما هو هدف التجسد المتكرر؟

التكفير عن الأخطاء وارتقاء الإنسانية التصاعدي، وإلا فأين يكون العدل؟

168 ـ هل عدد الحيوات الجسدية محدود أم أن الروح يعود إلى التجسد على الدوام؟

في كل حياة جديدة يخطو الروح خطوة في طريق التقدم. وحينما يتجرد من جميع أدناسه، لا يعود بحاجة إلى تجارب الحياة الجسدية.

169 ـ هل عدد التجسدات هو ذاته لكل الأرواح؟

كلا، فالذي يتقدم بسرعة ينّقي نفسه من كثير من التجارب. غير أن هذه التجسدات المتوالية عديدة دائماً، لأن التقدم يكاد لا يكون له نهاية.

170 ـ ماذا يصبح الروح بعد تجسده الأخير؟

يصبح من الأرواح الطاهرة الطوباوية.

2. عدالة التجسد المتكرر

171. على ماذا ترتكز عقيدة التجسد المتكرر؟

على عدالة الله وما يُكشف لكم، فإنا نكرر ونكرر بأن: الأب المحبّ يترك باب التوبة مفتوحاً دائماً لأولاده الضالين. ألا يقول لك العقل بأن هناك ظلماً في أن يحرم من السعادة الأبدية أولئك الذين لا يتوقف تقويم أنفسهم على إرادتهم؟ أليس جميع البشر أبناء الله؟ إن الجور والبغض اللدود والمعاقبات بلا شفقة لا توجد إلا بين الأنانيين.

(تسمو كل الأرواح إلى الكمال ويعطيها الله الوسائل لهذا الغرض، بواسطة تجارب الحياة الجسدية. لكن الله في عدله يخوّلها أن تتجز في حيوات جديدة، ما لم تتمكن من أن تقدمه أو تتمه في التجربة الأولى).

(لا ينسجم مع عدالة الله ورأفته أن يعاقب الله بعقاب أبدي أولئك الذين لاقوا مصاعب خارجة عن إرادتهم في طريق تقدمهم، وفي البيئة التي كانوا يعيشون فيها، فإن كان نصيب الإنسان بعد الموت مقرراً ومحتوماً، فإن الله لا يزين أعمال الجميع بميزان واحد ولا يعاملهم بإنصاف).

(الاعتقاد بالتجسد المتكرر، أي الاعتقاد الذي يُقرّ بأن للإنسان عدة حيوات متتابعة، هو الوحيد الذي يفي بالفكرة التي نتخيّلها عن عدالة الله تجاه الذين في حالات معنوية صعبة، وهو الوحيد الذي ينير لنا عن المستقبل ويؤسّس آمالنا على أسس متينة، فهو يقدم لنا الوسيلة لنكفّر عن أخطائنا خلال تجارب جديدة. وهذا الاعتقاد يُدعّمه العقل وتعلّمه الأرواح).

(الإنسان الذي يدرك نقصه الروحي يستمد من الاعتقاد بالعودة إلى التجسد آمالاً وتعزية لحالته. فإن كان من المؤمنين بعدالة الله فهو لا يتوقع أن يكون، إلى الأبد، مثل الذين تصرفوا بنحو أفضل منه. لكن مجرد معرفته بأن هذا النقص الروحي لا يحرمه من السعادة الكبرى إلى الأبد، وأنه يستطيع اكتسابها بجهود جديدة، يشجّعه ويشدّ من عزيمته. منذا الذي لا يأسف في أواخر حياته المهنية لأنه اكتسب بعد فوات الأوان خبرة لا يعود بإمكانه أن ينتفع بها؟ إن هذه الخبرة المتأخرة لا تضيع وسينتفع منها في حياة جديدة).

3 ـ التجسد في مختلف العوالم

172 ـ هل نعيش جميع حياواتنا الجسدية على الأرض؟

كلا، ليس كلها وإنما في عوالم مختلفة. فحياتكم في هذه الدنيا ليست هي الأولى ولا الأخيرة، وهي إحدى التجسدات الأكثر مادية والأكثر ابتعاداً من الكمال.

173 ـ هل يرحل الروح في كل حياة جسدية جديدة من عالم إلى آخر أم بإمكانه أن ينجز حيوات عديدة في نفس العالم؟

قد يعيش مرات عديدة في نفس العالم إن لم يرتقِ كفاية لكي ينتقل إلى عالم أرقى مما كان فيه.

173 أ ـ إذن قد نعود مرات عديدة لنعيش على الأرض؟

هذا مؤكد.

173 ب ـ أمن الممكن أن نرجع إليها بعد أن نعيش في عوالم أخرى؟

بكل تأكيد. ومن المحتمل أنك عشت سابقاً في عوالم أخرى وعلى الأرض أيضاً.

174 ـ أمن الضروري أن نعيش ثانية على الأرض؟

كلا، ولكن إذا لم تتقدم فربما تذهب إلى عالم آخر ليس أصلح من الأرض وقد يكون أردأ منها.

175 ـ هل هناك منفعة في الرجوع والسكنى على الأرض؟

ليس هناك منفعة خاصة، إلا إذا كان من أجل إتمام رسالة. ففي هذه الحالة يرتقي الروح على الأرض كما في أي مكان آخر.

175 أ ـ أليس من الأفضل البقاء كروح؟

كلا، كلا. إذ بذلك يتوقف الارتقاء بينما ما يراد هو التقدم نحو الله.

176 ـ أمن الممكن للأرواح التجسد في هذا العالم لأول مرة بعد أن تجسدت في عوالم أخرى؟

أجل، كما يمكنك أنت أن تتجسد في العوالم الأخرى. ذلك أن جميع العوالم مترابطة وما لا ينجز في واحد منها ينجز في عالم آخر.

176 أ ـ هل يعني ذلك أن بعض الذين هم على الأرض جاؤوا إليها لأول مرة؟

يوجد كثير منهم على الأرض وبدرجات مختلفة.

176 ب ـ هل هناك ما نستدل به لمعرفة الأرواح التي على الأرض لأول مرة؟

هذه معرفة خالية من أية فائدة لكم.

177 ـ أينبغي على الروح أن يمرّ بجميع عوالم الكون ليبلغ الكمال والسعادة العظمى التي هي هدف كل الناس؟

كلا، لأن هناك عدداً غفيراً من العوالم لها نفس الدرجة حيث لا يتعلم الروح فيها أي شيء جديد.

177 أ ـ إذن كيف نفسر تعدد حيوات الروح على نفس الكوكب؟

قد يجد نفسه في كل تجسد في ظروف مختلفة جداً، وهذه الظروف تشكل بدورها فرصاً عديدة لاكتساب خبرة جديدة.

178 ـ هل تعود الأرواح إلى التجسد في عالم أدنى درجة نسبياً من العالم الذي عاشت فيه قبلاً؟

أجل، عندما يجب عليها إتمام رسالة تعينها على الارتقاء، وعندئذ تقبل مبتهجة شدائد تلك الحياة لأن في تلك الشدائد وسائل الارتقاء.

178 أ ـ ألا يمكن أيضاً أن تكون تلك الحياة حياة تكفير؟ ألا يستطيع الله أن يرسل الأرواح المتمردة إلى عوالم أسفل درجة منا؟

قد تظلّ الأرواح متوقفة في تقدمها ولكنها لا تتراجع إلى الوراء أبداً، وعندئذ يكون قصاصها في عدم ارتقائها وفي أن تعيد في البيئة المناسبة لكيانها الحيوات التي أساءت استعمالها.

178 ب ـ من هم الذين يضطرون إلى أن يعيشوا نفس الحياة السابقة؟

الذين يفشلون في مهمتهم أو في تجاربهم.

179 ـ هل وصلت كل الكائنات التي تسكن العوالم الأخرى إلى نفس درجة الكمال؟

كلا، فإن الحالة فيها هي نفسها على الأرض. هناك من هم متقدمون أكثر منكم ومن هم أقل منكم.

180 ـ عندما ينتقل الروح من هذا العالم إلى عالم آخر، هل يحتفظ بالذكاء الذي كان له في العالم السابق؟

دون شك لأن الذكاء لا يضيع، ولكن قد لا يجد لديه نفس الوسائل لإظهار ذكائه. يتوقف ذلك على ارتقائه الروحي وعلى حالة الجسد الذي سيكتسي به (راجع: تأثير الجسد – سؤال 367).

181 ـ هل للكائنات التي تسكن العوالم الأخرى أجسام مشابهة لأجسامنا؟

لا شك أن لها أجساماً إذ لا بدّ للروح من أن يكتسي بالمادة ليؤثر على المادة. ولكن مادية هذا الكساء تزيد أو تقلّ بحسب درجة الطهارة التي بلغتها الأرواح، وهذا الأمر هو الذي يقرر في أي عالم يجب علينا أن نعيش، إذ أن «في بيت أبينا مساكن كثيرة»[1]، ومن ثم درجات كثيرة. والحق أن بعض الناس على الأرض على علم بذلك ويدركون المعنى والآخرون لا علم لهم به بتاتاً.

182 ـ هل بوسعنا أن نعرف اليقين عن حالة العوالم الأخرى من الوجهة المادية والأدبية؟

لا يجوز لنا نحن الأرواح أن نجيب إلا بحسب الدرجة التي وصلتم إليها. نعني بذلك أنه يجب علينا أن لا نبوح بهذه الأمور للجميع لأن كل الناس ليسوا مؤهّلين ليفهموها ولأنها قد تشوّش أذهانهم.

(بقدر ما يتطهر الروح بقدر ما يقترب الجسم الذي يكسوه من الطبيعة الروحية. فتصبح مادة جسده أقل كثافة ولا يجرّ نفسه بصعوبة على سطح الكوكب وتصير حاجاته الجسدية أقل بهيمية، ولا تحتاج الكائنات الحية أن تتقاتل لتقتات. وحينذاك يشعر الروح بحرية أكبر وفيما يتعلق بالأشياء البعيدة عنه، فهو يمتلك حواس نجهلها، فهو يبصر بأعين الجسد ما لا نراه نحن إلا بالفكر).

(تجلب التنقية الاكتمال الأدبي فيمن تتجسد فيهم الأرواح، فتتناقص الشهوات الحيوانية وتخلي الأنانية المكان للشعور الأخوي. وبناء على ذلك، فإن العوالم الأكثر سمواً من الأرض، تخلو من الحروب إذ لا داعي هناك للبغض والخلاف لأنه ما من أحد يفكّر بإيذاء نظيره. ذلك أن علمهم البديهي بمستقبلهم والشعور بالطمأنينة من كون ضميرهم خالياً من الإثم، يجعلهم لا يخشون الموت بتاتاً، بل يرون فيه مجرد عملية تحوّل من حالة إلى أخرى).

---

(1) إشارة إلى كلام السيد المسيح في يوحنا ف 14 عدد 2.

(يبدو أن طول الحياة في العوالم المختلفة، متناسب مع درجة الارتقاء المادي والروحي في تلك العوالم، وهذا معقول تماماً. فكلما قلّت مادية الجسد، قلّ أيضاً تعرّضه للتقلّبات التي تفسده، وكلما زادت طهارة الروح كلما قلّ تعرّضه للسقوط في الشهوات التي تزعزعه. وهذه أيضاً هي إحدى نِعَم العناية الإلهية التي تعمد هكذا إلى تقصير الشقاء في العوالم المختلفة).

183 - عندما ينتقل الروح من عالم إلى آخر، هل يمرّ بطفولة جديدة؟

الطفولة هي مرحلة عبور ضرورية في كل العوالم. لكنها ليست حمقاء في جميع العوالم بمقدار ما هي في عالمكم.

184 - أيجوز للروح أن يختار العالم الجديد الذي سيسكن فيه؟

لا على الإطلاق، ولكن يجوز له أن يطلبه وقد يُلبى طلبه إن كان يستحق، فإن دخول الأرواح في العوالم يتوقف على درجة رقيّهم.

184 أ - إذا لم يطلب الروح شيئاً بتاتاً، ما الذي يقرر العالم الذي سيكون فيه تجسده القادم؟

درجة ارتقائه.

185 - هل حالة الكائنات الحية تستمر على الدوام على ما هي، جسدياً وأدبياً في كل كوكب؟

كلا، فإن العوالم تخضع أيضاً لسنّة التقدّم. كل العوالم ابتدأت مثل عالمكم في حالة سفلية وسوف يطرأ على الأرض ذاتها تحول على مثال العوالم الأخرى وتصبح فردوساً أرضياً حينما يصبح سكانها صالحين.

(بناء على ذلك، ستنقرض في يوم من الأيام الأجناس الحاضرة التي تقطن الأرض الآن ويحلّ محلها كائنات أخرى أكثر كمالاً. هذه الأجناس المتطورة ستخلف الإنسانية الحالية مثلما أن الإنسانية الحالية خلفت غيرها ممن كانوا أخشن منها.

186 - هل هناك عوالم حيث الروح لكونها كفّت عن السكنى في جسد مادي لا يعود لها كغلاف إلا إطارها؟

أجل، وهذا الغلاف نفسه يصبح أثيرياً جداً إلى درجة أنه يبدو لكم كأنه غير موجود. تلك هي حالة الأرواح الطاهرة.

186 أ ـ يلوح لنا من هذا التصريح أنه ليس هناك فاصل واضح بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح الطاهرة؟

لا يوجد فاصل. فإن الفرق بينها يتبدد شيئاً فشيئاً إلى درجة أنه لا يدرك، كما يتبدد ظلام الليل أمام نور الفجر.

187 ـ هل مواد إطار الروح واحدة في كل الكواكب؟

كلا، فهي أثيرية بمقدار كبير أو قليل حسب الكواكب، لأن الروح عند انتقاله من عالم إلى آخر يكتسي بالمادة الخاصة بذلك العالم ويتم ذلك بسرعة البرق.

188 ـ أتسكن الأرواح الطاهرة عوالم خاصة أم هي موجودة في الفضاء الكوني ولا ترتبط بعالم معين؟

تسكن الأرواح الطاهرة عوالم معينة، ولكنها ليست محجوزة فيها كالبشر على الأرض بل تستطيع أن تكون في كل مكان بشكل يفوق غيرها من الأرواح[1].

---

(1) تقول الأرواح إن الأرض فيما يخص حالة سكانها جسدياً وأدبياً هي الأقل ارتقاء بين كواكب النظام الشمسي. وتقول أيضاً إن المريخ أدنى من الأرض ارتقاء وإن المشتري Jupiter اسمى منها بكثير من جميع الوجوه. أما الشمس فلا تسكنها كائنات ذوات جسد، بل هي مركز التقاء الأرواح السامية التي منها تشع بالفكر إلى العوالم الأخرى التي تديرها عن طريق أرواح أقل ارتقاء منها، متصلة بها بواسطة المائع الكوني. بخصوص بنية الشمس المادية، يظهر أنها منبع مشع للكهرباء، ويظهر أن جميع الشموس هي في حالة مشابهة لها.

لا صلة حتماً بين حجم الشمس وبعدها وبين درجة تقدم العالم، إذ يبدو أن الزهرة Venus أكثر من الأرض ارتقاء، بينما زحل Saturne أقل من المشتري تقدماً. هناك عدة أرواح من الذين أحيوا أجساد أشخاص معروفين على الأرض قالوا إنهم يتجسدون الآن على المشتري الذي هو أحد الكواكب الأكثر اقتراباً من الكمال، وكان اندهاشنا كبيراً حينما علمنا أن أشخاصاً كان الرأي العام في هذه الدنيا لا يعتبرهم سامين، دخلت هذا الكوكب المتقدم جداً. ولكن لا داعي للدهشة لو ذكرنا أن هناك أرواحاً من سكان ذلك الكوكب قد أرسلوا إلى الأرض لإنجاز مهمة قد لا تكون في نظرنا في مركز عال. كذلك ففيما بين حياتهم على الأرض وحياتهم على المشتري ربما عاشوا حيوات أخرى حيث تقدموا فيها. وأخيراً أن في ذلك الكوكب عدة درجات للارتقاء كما في كوكبنا، وان بين تلك الدرجات قد يكون هناك المسافة نفسها التي بين الإنسان الهمجي والإنسان المتمدن. بناء على ذلك، فلأن هناك أرواحاً تسكن المشتري، لا يترتب عليه أنها من نفس مستوى الكائنات الأكثر تقدماً، مثلما الجاهل والفيلسوف يسكنان في بلد واحد، ولكنهما لا يتساويان لمجرد وجودهما في ذلك البلد.

ليست الصفات اللازمة لطول العمر واحدة في جميع الكواكب وعلى الأرض، كما لا يمكن أيضاً مقارنة الأعمار فيها. حينما استحضرنا روح شخص متوفى منذ سنوات، أخبرنا أنه متجسد منذ ستة أشهر في عالم اسمه مجهول بالنسبة إلينا. وحين سألناه عن عمره في ذلك العالم، أجاب «لا أستطيع تحديد عمري لأننا لا نعد الوقت كما تعدونه وثانياً إن أسلوب عيشنا مغاير لأسلوب عيشكم، ونموّنا هنا سريع جداً، وبرغم اني موجود فيه منذ ستة أشهر فقط من زمنكم، فإن عمري من حيث الذكاء هو ثلاثون سنة من العمر الذي كان لي على الأرض». =

4ـ ارتحال الأرواح لارتقائها وتدرُّجها

189 ـ أيتمتع الروح بتمام قدراته منذ بدء تكوينه؟

كلا، فإن الروح له طفولته كالإنسان. ليس للأرواح في بدايتهم إلا حياة غريزية وهم لا يكادون يدرون بأنفسهم وبأفعالهم، إذ أن قواهم العقلية لا تنمو إلا شيئاً فشيئاً.

190 ـ ما هي حالة الروح في تجسده الأول؟

مثل حالة الطفولة في الحياة الجسدية، وذكاءه يكاد ينفتح، فهو يختبر نفسه على الحياة.

191 ـ هل أرواح المتوحشين على الأرض هي أرواح في حالة الطفولة؟

طفولة إلى حدّ ما، إذ أنها أرواح قد بلغت شيئاً من التطور ولها شهوات.

191 أ ـ الشهوات إذن هي من علامات التطور؟

أجل، من علامات التطور ولكنها ليست من علامات الكمال. فالشهوات هي علامة نشاط وعلامة وعي للذات، أما في الروح البدائي، فإن الذكاء والحياة هما في حالة بذيرة فقط.

(تحوي حياة الروح بوجه عام نفس المراحل التي تتتابع في الحياة الجسدية: يسير الروح تدريجياً من حالة جنين إلى حالة الطفولة ليصل عقب مدد متوالية إلى حالة البلوغ التي هي حالة الكمال، مع الفرق بأن الروح ليس معرّضاً للانحطاط والهرم مثلما يحدث في الحياة الجسدية، وأن حياته وإن كانت لها بداية فلن يكون لها نهاية، وأنه يحتاج من وجهة نظرنا، إلى زمن طويل جداً لينتقل من الطفولة الروحية إلى التطور الكامل، وأنه لا ينجز تقدمه في كوكب واحد بل يمر بعوالم مختلفة. وبناء عليه، تتألف حياة الروح من سلسلة حيوات جسدية، وفي كل واحدة منها يجد الروح فرصة

= أعطت أرواح أخرى أجوبة عديدة على هذا النسق وتصريحاتها ليست مستبعدة. أما نرى على الأرض عدداً غفيراً من الحيوانات تبلغ نموّها الكامل في خلال أشهر قليلة؟ ماذا يمنع أن يحدث نفس الشيء للإنسان في كواكب أخرى؟ لنلاحظ من جهة أخرى أن النمو الذي يبلغه الإنسان على الأرض في الثلاثين من العمر قد لا يكون إلا نوعاً من الطفولة إذا قارناه مع ما كان يجب عليه أن يبلغه. إنه لمن قصر نظر أن نعتبر أنفسنا المثال المطلق لأنواع الخليقة، وإنه لإذلال للقدرة الإلهية أن نعتقد أن الله لا يستطيع أن يخلق شيئاً آخر علاوة على جنسنا البشري كما هو على الأرض.

للارتقاء، مثلما أن كل حياة جسدية هي سلسلة أيام وفي كل يوم منها يكتسب الإنسان مزيداً من الاختبار والمعرفة. ولكن كما أن في حياة الإنسان أياماً لا تُجني ثمراً، كذلك في حياة الروح حيوات جسدية خالية من النتائج، لكون الروح لم يفلح في الاستفادة منها).

192 ـ إذا سلك الإنسان سلوكاً صالحاً جداً في حياته الحاضرة، هل يستطيع أن يتخطى كل الدرجات ويصبح روحاً طاهراً دون أن يمر بالدرجات المتوسطة؟

كلا، فإن ما يظنه الإنسان أنه الكمال هو بعيد جداً عن الكمال. هناك مزايا لا يعرف عنها شيئاً ولا يستطيع فهمها. قد يفلح أن يكون كاملاً ضمن حدود طبيعته الأرضية، ولكنه لا يزال بعيداً جداً عن الكمال المطلق. فحالته أشبه بحالة الطفل الذي لا بد له من المرور بالصبا قبل أن يبلغ سن الرشد. أو كالمريض الذي يجتاز أولاً دور النقاهة قبل أن يسترد تمام صحته. زد على ذلك أنه يجب على الروح أن يتقدم في المعرفة والخُلُق. وإذا لم يتقدم إلا في اتجاه واحد فقط، فيتحتم عليه أن يرتقي في اتجاه آخر لكي يبلغ ذروة سلّم الكمال، ولكن بقدر ما يتقدم الإنسان في حياته الحاضرة بقدر ما تقلّ وتخفّ مشقة تجاربه المقبلة.

192 أ ـ هل يمكن للإنسان أن يضمن لنفسه منذ حياته الحاضرة عيشة مقبلة أقل مرارة من هذه؟

دون شكّ، بوسعه أن يختصر الطريق الطويل وصعوباته. والغافل فقط هو الذي لا يتقدّم.

193 ـ أمن الممكن أن يسقط الإنسان في حيواته القادمة إلى درجة أدنى مما كان؟

نعم في المركز الاجتماعي، ولكن ليس كروح.

194 ـ أمن الممكن لروح إنسان صالح أن تحيا في جسد مجرم في تأنُّس جديد؟

كلا، ما دام لا يمكن للروح أن تتنكّس.

194 أ ـ أمن الممكن لروح إنسان فاسد أن يصبح روح إنسان صالح؟

نعم، إذا تاب. وحينئذ يكون تجسّده الجديد مكافأة لتوبته.

(سير الأرواح تقدمي وتدرجي، وليس تراجعياً أبداً. فهي تصعد تدريجياً في التجرد الروحي ولا تنزل أبداً من المرتبة التي بلغتها. قد تنزل كأشخاص في مختلف

حيواتها الجسدية ولكنها لا تنزل كأرواح. وهكذا فإن روح إنسان ذي حول وشوكة على الأرض قد يتأنس بعدئذ كأصغر أهل الحرف والعكس بالعكس. ذلك لأن المراكز بين البشر هي في أكثر الأحيان بحسب سموّ المشاعر الأدبية. هيرودس كان ملكاً بينما المسيح كان نجاراً).

195 ـ فكرة إمكانية التحسّن في حياة أخرى، ألا تجعل بعض الأشخاص يدمنون على الطريق الساقط لظنهم أنهم يستطيعون الاستدراك فيما بعد؟

من يفكر بهذه الطريقة لا يؤمن بشيء بتاتاً. وفكرة المعاقبة الأبدية لا تردعه عن موقفه، لأن عقله يرفضها، وهذه الفكرة تؤدي إلى الإلحاد بكل شيء. لو لم تستعمل إلا الوسائل المبنية على العقل لإرشاد البشر، لما كان هناك شكاكون بهذا المقدار. قد يفكر روح ناقص فعلاً بالطريقة التي تذكرها، أثناء حياته الجسدية، ولكنه حينما يتخلص من المادة سيغير فكره، إذ أنه سريعاً ما يدرك مبلغ خطأ تفكيره، وهذا الإدراك يجعله يحمل شعوراً مغايراً في حياة جديدة. هكذا ينجز التقدم ولهذا السبب عينه يوجد على الأرض أناس متقدمون أكثر من غيرهم. فالبعض اختبروا ما لم يختبره بعد الآخرين، ولكنهم سيكتسبون هذا الفهم شيئاً فشيئاً، ويتوقف عليهم إسراع أو إبطاء تقدمهم إلى ما لا حد له.

(من يكون له وظيفة حقيرة يشتهي تغييرها بأسرع وقت ممكن. ومن يتيقن أن شدائد هذه الحياة هي نتيجة نقائصه يسعى إلى أن يوفر لنفسه حياة جديدة أقل شقاء. وهذا التيقّن يجعله يبتعد بالأحرى عن طريق الشر وليس عن فكرة النار الأبدية التي لا يؤمن بها).

196 ـ بما أن الأرواح لا تستطيع أن تتقدم إلا بتحمل شدائد الحياة الجسدية، فهل يترتب على ذلك أن الحياة في المادة هي عبارة عن مُنقّ أو مُصفّ حيث يتحتم على كائنات عالم الأرواح المرور به لكي تبلغ الكمال؟

هو كذلك، وهي تتحسن من خلال هذه التجارب بتجنبها الشر وبمزاولتها الخير. ولكنها لا تصل إلى الهدف الذي تسمو إليه إلا بعد عدة تجسدات أو تنقيات متتابعة مدتها قد تكون طويلة أو قصيرة بحسب اجتهادها.

196 أ ـ أهو الجسد الذي يؤثر على الروح أم هي الروح التي تؤثر على الجسد؟

الروح هي الكل في الكل. جسدك هو لباس سَيَبْلى. وهذا هو الأمر كله.

(لدينا صورة حسية لمختلف درجات تنقية الروح في عصير العنب: فهو يحوي روح الخمر المسماة روح العرق أو الكحول، ولكنها مخففة نتيجة عدد كبير من المواد الغريبة عنها والتي تغير صميمها. فلا تصل إلى النقاوة المطلقة إلا عقب تقطيرات عديدة، ففي كل تقطير جديد تتجرد من بعض الشوائب. والأنبيق هو مثال الجسد المادي الذي يجب على الروح أن تسكنه لتتنقّى من شوائبها. والمواد الغريبة هي الشوائب التي يطرحها الإطار إلى الخارج لتنقية نفسه بقدر ما يتقرب الروح من الكمال.

5 ـ مصير الأولاد بعد الموت

197 ـ روح الولد الذي يموت في طفولته، هل هي متقدمة كروح البالغ السن؟

بل هي أحياناً أكثر تقدماً منه، إذ من المحتمل أنها عاشت أكثر بكثير وكان لها أكثر من اختبار، ولا سيما إن كانت قد تقدمت في تجسداتها السابقة.

197 أ ـ إذن قد تكون روح ولد أكثر تقدماً من روح أبيه؟

ذلك يحدث كثيراً جداً. ألا تراه بنفسك في أحيان كثيرة على الأرض.

198 ـ الولد الذي يموت في طفولته دون أن يفعل الشر، هل تنتسب روحه إلى الدرجات العليا؟

إن لم يفعل الشر، فهو كذلك لم يفعل الخير، والله لا يعفيه من التجارب التي يجب عليه أن يتحملها. فإن كان طاهراً فليس لأنه كان طفلاً بل لأنه كان أكثر تقدماً قبل تجسده.

199 ـ لماذا تنتهي الحياة في أحيان كثيرة في الطفولة؟

قد تكون مدة حياة الولد، للروح المتجسدة فيه، تكملة لحياة سابقة قطعت قبل إتمام غرضها، وقد يكون موت الولد تجربة أو تكفيراً للأبوين.

199 أ ـ ماذا تصبح روح الولد الذي يموت في طفولته؟

تتجسد ثانية لتعيش حياة جديدة.

(إذا كان الإنسان يعيش حياة واحدة فقط، وإذا كان مصيره بعدها مقرراً إلى الأبد، فهل هناك، لنصف البشرية التي تموت في الصغر، استحقاق يؤهلها لأن تتمتع بالسعادة الأبدية دون جهود، وبأي حق تتحرر من الشروط القاسية المفروضة على النصف الآخر؟ إن ترتيباً كهذا لا ينسجم مع عدالة الله. ولكن في العودة إلى التجسد

يكون جميع الناس متساويين ويكون المستقبل للجميع دون استثناء وبلا محاباة لأحد. فالذين يتأخرون في سيرهم لا يجوز لهم أن يلوموا إلا أنفسهم. ينبغي إذن أن يكون للإنسان الاستحقاق على أفعاله كما أن عليه المسؤولية عنها).

(عدا ذلك، لا يدخل في المعقول اعتبار الطفولة حالة طبيعية لصفاء القلب. ألا نرى أولاداً مطبوعين بأشرس الغرائز في سن لم تؤثر عليهم بعد التربية أي تأثير؟ ألا نرى أولاداً يظهر فيهم، منذ ولدوا، الخبث والغشّ والغدر وحتى غريزة السرقة والقتل وذلك برغم الأمثال الصالحة التي تحيطهم؟ يغفر القانون المدني سيئاتهم لأنه يعتبرهم لا يدركون ما يفعلون. وهو على حق، إذ أنهم في الحقيقة يفعلون ذلك عن غريزة أكثر مما عن قصد. لكن، من أين تأتي هذه الغرائز المختلفة بهذا المقدار، لدى أولاد بعمر واحد، تربّوا بنفس التربية وتحت نفس التأثيرات؟ من أين يأتي هذا الفساد المبكر في الأخلاق إذا لم يكن من سفلية الروح، ما دامت التربية لم تؤثر عليهم بشيء بعد؟ فالفاسدون منهم هم فاسدون لأن أرواحهم تقدمت أقل من غيرها ولذلك فهي ستكابد العواقب لا لأعمالها الصبيانية بل لأعمالها الخاطئة في تجسداتها السابقة، وهكذا يكون الناموس متساوياً للجميع وعدالة الله تسود على كل الناس).

6ـ الجنس (المذكر والمؤنث) عند الأرواح

200. هل للأرواح جنس مذكر وجنس مؤنث؟

لا كما تفهمونه على الأرض إذ أن التكوين الذكوري والتكوين الأنثوي يرتبطان بالجسد المادي فقط. يوجد بين الأرواح الودّ والانجذاب ولكنهما مبنيان على تشابه المشاعر بينهما.

201. هل بقدرة الروح الذي تجسد في جسد رجل أن يتجسد في حياة جديدة في جسم امرأة والعكس بالعكس؟

أجل، فإن نفس الأرواح تتجسد كرجال وكنساء[1].

---

(1) يعني ذلك أن الروح قد يتجسد في حياة ما كذكر وفي حياة أخرى كأنثى. لكنه عندما يتجسد في الجنس الآخر، يجلب معه عادات ونزعات وسلوك وسجايا الجنس الذي كان ينتسب إليه في التجسد أو التجسدات السابقة وينبغي عليه أن يتغلب على هذه الميول المضادة لحالته الجديدة (ملاحظة المترجم).

202 ـ حينما تكون الروح في عالم الأرواح، هل يفضّل أن يتجسد في جسم رجل أم في جسم امرأة؟

تلك مسألة لا تهمّ الروح. فالأمر يتوقف على التجارب التي يجب عليه أن يتحملها.

(تتجسد الأرواح كرجال أو كنساء لأنه ليس لها جنس مذكر أو جنس مؤنث، إذ يلزمهم أن يتقدموا في كل جهة، فالتجسد في الجنسين وفي مختلف مراكز الهيئة الاجتماعية يجعلهم يمرون بالتجارب التي يضطلع بها الرجال والنساء وأن يحملوا الواجبات الخاصة بالجنسين ويعطيهم الفرصة لاكتساب خبرة شاملة. ولو كان الروح يتجسد دائماً كرجل فهو لن يعرف إلا ما يعرفه الرجال فقط، والعكس بالعكس.

7ـ القرابة والنسب

203 ـ هل ينقل الأبوان إلى أولادهم جزءاً من روحهما أم هما يعطيان لهم الحياة الجسدية فقط، ثم تأتي بعدئذ روح جديدة لتعطي للولد الحياة الأدبية الأخلاقية؟

يعطيان الحياة الجسدية فقط، إذ أن الروح لا يتجزأ. فمن الممكن أن يكون لأب أبله أولاد أذكياء، والعكس بالعكس.

204 ـ بما أننا عشنا حيوات عديدة، فهل ترجع قرابتنا إلى ما قبل حياتنا الحاضرة؟

لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك. يقيم تتابع الحيوات الجسدية بين الأرواح روابط ترجع إلى حيواتكم السابقة، وكثيراً ما تكون هذه الروابط من أسباب الانجذاب بينكم وبين بعض الأشخاص الذين يبدون لكم أنهم غرباء.

205 ـ في نظر بعض الأشخاص، يبدو الاعتقاد بالتجسد المتوالي هادماً للروابط العائلية بجعلها ترجع إلى ما قبل الحياة الحاضرة.

هذا الاعتقاد يوسّع الروابط ولا يهدمها. فبما أن القرابة مبنية على مودّات سابقة، فتكون الروابط هي التي تجمع أعضاء ذات العائلة بثبات أكثر، وتزيد واجبات الأخوّة إذ أن في جارك أو في خادمك قد يكون ثمة روح يرتبط بك بصلات القرابة.

205 أ ـ ولكنه يقلل الأهمية التي يعطيها بعض الناس لنسبهم إذ يحتمل أنه كان لنا في الماضي أب هو روح كان من جنس مختلف عنا جداً أو عاش في ظروف مختلفة تماماً؟

هذا صحيح، ولكن هذه الأهمية قائمة على الكبرياء. إن أكثر ما يعتزّ به الناس في أسلافهم هو الألقاب والمكانة والثروة. فيحمرّ وجه فلان خجلاً من جدّه

السكّاف الأمين، ولكنه يفتخر بانتسابه إلى شريف فاسق. غير أنهم مهما يقولون أو يفعلون، فلن يمنعوا الأمور من أن تكون على ما هي فعلاً، لأن الله لم يُرتّب نواميس الطبيعة لتطابق زهوهم.

206 ـ بالنظر إلى انعدام النسب بين أرواح الأخلاف في نفس العائلة، أينجم عن ذلك أنه من العبث تكريم الأسلاف؟

كلا، بكل تأكيد، إذ يجب على الإنسان أن يغتبط لكونه ينتسب إلى عائلة فيها تجسدات لأرواح سامية، ورغم أن الأرواح لا ينبثقون الواحد من الآخر، تكون مودتهم للذين ارتبطوا معهم بروابط عائلية قوية، إذ أن تلك الأرواح تنجذب عادة إلى عائلة ما أو إلى أخرى بدافع الانجذاب العاطفي أو الصلات السابقة، ولكن صدّقنا، بأن أرواح أسلافكم لا تبتهج بتاتاً من تكريمكم لهم بدافع الكبرياء. بل يعود الفضل إليكم بمقدار اجتهادكم في الاقتداء بمزاياهم الحسنة، وبهذه الطريقة لا غيرها لا يكون ذكركم لهم مستحباً منهم فقط بل ونافعاً لهم أيضاً.

8 ـ المشابهات الجسدية والمعنوية

207 ـ يعطي الأبوان عادة إلى أولادهما شبهاً جسدياً، فهل يعطيان أيضاً لهم الشبه المعنوي؟

كلا، لأن لهم أرواحاً مختلفة. ينبثق الجسد من الجسد، أما الروح فلا ينبثق من الروح. وهكذا، فبين أخلاف الدرية ذاتها ليس هناك سوى صلات الرحم.

207 أ ـ من أين تأتي المشابهات المعنوية التي توجد أحياناً بين الأبوين وأولادهم؟

من أنهم أرواح ودودة انجذبت إلى بعضها بدافع تشابه ميولهم.

208 ـ هل لروح الأبوين تأثير على روح الولد بعد ولادته؟

لها تأثير كبير كما قلنا. إذ يجب على الأرواح أن تساهم في مساعدة بعضها بعضاً على التقدم. لذلك فإن مهمة روح الوالدين هي إعانة روح أولادهم على التقدم بالتأديب. وهذه المهمة هي واجب عليهما. فإن فشلا فيها يكون الذنب عليهما.

209 ـ لماذا ينجب أبوان صالحان وفاضلان أحياناً أولاداً فاسدي الجبلّة؟ وبعبارة أخرى، لماذا لا تجذب المزايا الحسنة في الأبوين دائماً، طبقاً لسنة الانجذاب، روحاً صالحة لتتجسد كولد لهما؟

قد يطلب روح شرير أبوين صالحين آملاً في أن نصائحهما ترشده إلى صراط الاستقامة، وكثيراً ما يلبي الله طلبه ويأتمنه عليهما.

210 ـ هل باستطاعة الوالدين، بالأفكار وبالصلوات، أن يجذبا إلى جسد الولد روحاً صالحة بدلاً من روح طالحة؟

كلا، ولكن باستطاعتهما تحسين روح الولد الذي أنجباه والذي ائتمنهما الله عليه. فذلك واجب عليهما لأن الأولاد الأردياء محنة تصيب الوالدين.

211 ـ ما سبب تشابه الطبع الذي كثيراً ما يوجد بين شقيقين وخاصة بين التوأمين؟

لأنهما أرواح ودودة تتجاذب بين بعضها بسبب تشابه عواطفها ولسرورها من كونها معاً.

212 ـ في الأولاد الملتصقي الجسد والذين لهم أعضاء مشتركة، هل هناك روحان، أي بعبارة أخرى، هل هما نفسان؟

أجل، ولكن تشابههما يجعلهما في نظركم روحاً واحدة.

213 ـ بما أن الأرواح تتجسد في التوائم وفقاً لسنة الانجذاب، فمن أين يأتي إذن النفور الذي نراه أحياناً بين التوائم؟

لا يتحتم أن يكون للتوائم أرواح متجاذبة، فإن أرواحاً سيئة تجتمع بهذا الشكل لتتاضل معاً في ميدان الحياة.

214 ـ ما رأيكم في قصص أطفال تتنازع في رحم أمهم؟

هي استعارة تدل على أن الحقد بينهما متأصّل ويرجع بدايته إلى ما قبل ولادتهما. أنت عادة لا تراعي الاستعارات في الأقوال مراعاة كافية.

215 ـ ما سبب الطابع المميز الذي نشاهده في كل شعب في ذاته؟

تجتمع الأرواح أيضاً في عائلات مكوّنة بدافع التشابه بميولها المنقّاة كثيراً او قليلاً بحسب درجة ارتقائها. فكل شعب هو عبارة عن عائلة كبيرة تجتمع فيها أرواح متجاذبة. ومن نزوع أفراد تلك العائلات للاجتماع سوياً، هكذا ينشأ التشابه الذي تشاهدونه في الطابع المميز في كل شعب. أتظن أن أرواحاً صالحة ورؤوفة ترغب في التجسد بين شعب عديم الرحمة وفظّ؟ كلا، لأن الأرواح تتجذب عاطفياً إلى الجمهور مثلما تتجذب إلى الأفراد لكونها تشعر بأنها ستكون في بيئتها بين ذلك القوم.

216 ـ هل يحتفظ الإنسان في تجسداته الجديدة بآثار مما كان عليه طابعه الخُلُقي في تجسداته السابقة؟

ذلك ممكن ولكنه بتقدمه يتغير. قد لا يكون أيضاً مركزه الاجتماعي هو ذاته. فإن كان سيداً وأصبح عبداً، فتتغيّر رغباته وتختلف تماماً، فيصبح من الصعب

التعرّف عليه. وبما أن الروح هو ذاته في مختلف تجسداته، قد يكون لتجسداته من حياة إلى أخرى بعض مجانسات ولو أنها مكيّفة بتأثير عادات وضعه الجديد، إلى أن تحسناً عظيماً يغير طابعه تغييراً كاملاً، إذ أنه قد يتحول من متكبّر وقاس ليصبح متواضعاً ورؤوفاً نتيجة لندمه.

217 ـ أيحفظ الإنسان في تجسداته المختلفة آثاراً من الأوصاف البدنية التي كانت له في الحيوات التي سبقتها؟

ليس للجسد الجديد أية علاقة بالجسد القديم الذي بلي. غير أن الروح تنعكس على الجسد ومع كون الجسد مادة، فهو يتشكل على حسب مقدرات الروح التي تطبع فيه بعض أوصافها، وخاصة في الوجه. وقد قال الناس بحق إن العينين مرآة الروح أي أنه في الوجه بالأخص، تنعكس صورة الروح، والدلالة على هذه الحقيقة هو أن شخصاً دميماً جداً قد يكون لديه رغم ذلك شيء ما مسعد للآخرين، حين يكون غلافاً لروح صالحة وحكيمة ورؤوفة، في حين أن هناك أشخاصاً ذوي وجوه جميلة جداً لا تشعر نحوها بأي شيء بتاتاً وقد تشعر نحوها بنفور. قد يظن البعض أن الأجسام الجميلة التكوين وحدها هي الغلاف للأرواح السامية الكمال، ولكنك ترى كل يوم أناساً من أهل الصلاح في مظاهر مشوّهة. رغم أنه لا يوجد مشابهة واضحة بينهم، فإن تشابه الأذواق والميول قد ينجم عنه ما يدعى بالتشابه العائلي.

(بما أن الجسد الذي تكتسي به الروح في تجسد جديد لا علاقة له بأي شرط من الشروط بالجسد الذي خلعته، لأنه قد ينبع من نبعة أخرى مختلفة جداً، من العبث إذن أن يستنتج أحد تتابع حيوات، لمجرد تشابه هو من قبيل المصادفة. إلا أن مزايا الروح في كثير من الأحيان تغير الأعضاء التي تستعملها في تجسداتها وتطبع على الوجه وحتى على مجموعة الملامح طابعاً متميزاً. لذلك قد نرى في ملامح بعض الناس علامة النبالة والوقار، بينما نرى أحياناً تحت ثياب النبيل الفخمة علامة الدناءة على صاحبها وخساسته. إن بعض الناس الذين نشأوا في طبقة اجتماعية شعبية لا يجدون صعوبة في اقتباس العادات والأساليب الخاصة بالطبقات العالية، كما لو أنهم رجعوا إلى بيئتهم، بينما هناك آخرون رغم سمو ولادتهم وتعليمهم يعيشون كغرباء في محيطهم دائماً. كيف يفسّر ذلك إن لم يكن مما تأثرت به الروح في ماضيها؟).

9. الأفكار الفطرية

218 . الا تحفظ الروح المتجسدة آثاراً لما اكتسبته من الأحاسيس والمعارف في تجسداتها السابقة؟

يظل لديها ذكريات غامضة تظهر فيها تسمّونه بالأفكار الفطرية.

218 أ . إذن فإن ما يقال عن الأفكار الفطرية ليس من الأوهام؟

كلا، إذ أن المعارف المكتسبة في كل تجسد لا تضيع، والروح عقب تحررها من المادة تتذكرها دائماً. وفي أثناء تجسدها قد تنسى مؤقتاً بعضاً منها، ولكن ما يبقى لديها فطرياً يساعدها في تقدمها. لو لم يكن الأمر هكذا لكان عليها أن تعود دائماً من البداية. وهكذا ففي كل تجسد جديد تنطلق الروح في سيرها من حيث وصلت إليه في تجسدها السابق.

218 ب. إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن يكون هناك صلة وثيقة بين حياتين متتابعتين؟

الصلة ليست دائماً وثيقة كما قد تظن إذ أن الأوضاع هي غالباً مختلفة جداً، وخلال الفترة بين الحياتين، من الممكن أن تكون الروح قد ارتقت (سؤال 216).

219 . من أين تأتي تلك القدرة غير الاعتيادية في الأفراد الذين دون أن يتعلّموا، يبدون كمن يعرف بديهياً بعض علوم مثل اللغات والرياضيات.. الخ؟

من تذكُّر الماضي ومن تقدُّم الروح السابق واللذين لا تُدرك الروح بهما. إن لم يكن كذلك فمن أين تريد أن تأتي؟ الجسد يتغير، أما الروح فلا تتغير ولو أنها تُغيّر كسوتها.

220 . عندما تتخذ الروح جسداً جديداً، فهل من الممكن أن تفقد بعض المواهب العقلية كالميل إلى الفنون الجميلة مثلاً؟

أجل، إن أفسدتها أو أساءت استعمالها. فضلاً عن ذلك، فإن إحدى القدرات قد تظل نائمة خلال حياة بكاملها لأن الروح بحاجة إلى مزاولة موهبة أخرى لا صلة لها بالأولى. وإذ ذاك، تبقى الموهبة في حالة كامنة لتظهر ثانية فيما بعد.

221 . هل يتأمّل في ذاكرة الإنسان، وحتى في حالته الهمجية، شعوره البديهي بوجود الله واستشعاره بالحياة المقبلة؟

أجل، إنه تذكار يحفظه مما كان يعرفه كروح قبل أن يتجسد، ولكن الكبرياء في أكثر الأحيان يخمد هذا الشعور.

221 ـ هل يعود إلى هذا التذكار نفسه بعض المقائد المتعلقة بتعاليم الأرواح والتي نجدها عند جميع الشعوب؟

هذا التعليم قديم قدم العالم ولهذا السبب نجده في كل مكان، ووجوده هذا برهان لحقيقته.

إن الروح المتجسدة تعلم علماً بديهياً بحالتها كروح وتشعر غريزياً بالعالم اللامرئي، ولكن هذا الشعور كثيراً ما ينحرف بتأثير تحيز الأفكار الموجودة في البيئة ويتشوّه بالخرافات الناتجة من الجهل.

الفصل الخامس
اعتبارات بخصوص تعدّد التجسدات

222 ـ يقول بعض الناس إن الاعتقاد بالتجسد المتتابع ليس جديداً، بل هو العودة إلى تعاليم بيتاغوراس. نحن لم نقل أبداً إن العلم الأرواحي هو اختراع جديد، لأن الأرواحية، لكونها قاعدة من قواعد الطبيعة، فلا بد أنها وجدت منذ بدء الأزمنة، ولذلك اجتهدنا دائماً لنبرهن أن آثارها موجودة منذ العصور الغابرة. من المعروف أن بيتاغوراس لم يكن هو من ابتدع قاعدة التقمّص بل أخذها من فلاسفة الهند ومن المصريين القدماء فقد كانت معروفة من زمن سحيق. بناء على ذلك، كانت فكرة ارتحال الأرواح عقيدة دارجة يقبلها أرفع العلماء. إلا أن السؤال هو عن أي طريق جاءت لهم هذه القاعدة؟ هل جاءت لهم بالوحي أم بالبديهة؟ نحن لا نعلم كيف توصلوا إليها، ولكن مهما كان الأمر، فلا يمكن لفكرة أن تخترق العصور وأن تقبلها صفوة العقول دون أن يكون لها شيء من المتانة. لذلك، فإن قدميّة هذا الاعتقاد هو برهان على صحته وليس برهاناً ضدها. كذلك فمن المعروف أيضاً، أن هناك فرقاً كبيراً بين اعتقاد القدماء بالتقمّص والاعتقاد العصري بالتجسد المتكرّر، وهذا الفرق هو أن الأرواح يرفضون قطعياً فكرة ارتحال روح الإنسان إلى الحيوان أو روح الحيوان إلى الإنسان.

عندما يعلم الأرواح سنّة تعدّد الحيوات الجسدية، يجدّدون إذن عقيدة نشأت في أوائل عصور العالم، وظلّت موجودة إلى أيامنا هذه في أعماق فكر أناس كثيرين. إلا أنهم يقدمون هذه العقيدة بصورة أكثر موافقة للعقل وأكثر انسجاماً مع سنن تقدّم الطبيعة التدرجي وأكثر وئاماً مع حكمة الخالق، مجرّدين إياها من كل توابع الخرافات. ما هو جدير بالذكر هو أن الأرواح لم يعلموها فقط في هذا الكتاب مؤخراً، فقبل نشره أتت إعلامات روحية عديدة من نفس النوع في أقطار مختلفة وتكاثر عددها منذئذ. ربما ينبغي علينا أن نتساءل لماذا لا يتفق جميع الأرواح، على ما يظهر لنا، في هذا الشأن، ولذلك سنرجع إلى هذا الأمر فيما بعد.

سنفحص أيضاً المسألة من زاوية أخرى بصرف النظر عن تدخل الأرواح في هذا الصدد. سنضعهم جانباً إلى حين، ونفرض أن هذا التعليم لم يأتِ منهم، ونفرض أن المسألة لا صلة لها بالأرواح بتاتاً. وهكذا نضع أنفسنا مؤقتاً في وجهة نظر محايدة، ونسلّم بأن الافتراضين هما في نفس درجة الأرجحية، أي حيوات عديدة في الجسد وحياة واحدة في الجسد، ثم نبحث أي من الافتراضين مطابق للعقل وإلى أي منهما تميل مصلحتنا الشخصية.

يرفض بعض الناس فكرة التجسد المتكرر لسبب واحد فقط، وهو أنها لا توافقهم، فيقولون إن حياة واحدة تكفيهم وإنهم لا يرغبون إعادة حياة مثلها. نعلم أيضاً عن الذين قد يهيجون لمجرد فكرة العودة إلى التجسد على الأرض. ونحن نود بدورنا أن نسألهم سؤالاً واحداً، وهو إن كانوا يظنون أن الله يستشيرهم ليعرف رأيهم وما يفضّلونه في تنظيم الكون. المسألة هي: إما أن توجد سنّة التجسدات المتعددة وإما أن لا توجد. وإذا وجدت، فمن العبث مقاومتها لأن هؤلاء سيضطرون إلى أن يتحملوها، إذ أن الله لا يستأذن أحداً لتنفيذها. حالة هؤلاء الأشخاص كحالة المريض الذي يقول: تألمت كفاية اليوم ولا أريد أن أتألم غداً. ومهما كانت سآمته ضد حالته فلا بد له أن يتألم لا في الغد فقط بل في الأيام التالية أيضاً إلى أن يشفى. وعلى ذلك، فإذا كان يجب عليهم أن يعيشوا في الجسد ثانية، فسيعيشون في الجسد ثانية أي سيعودون ليتجسدوا. عبثاً يتمردون كولد يأبى الذهاب إلى المدرسة أو كمجرم يأبى دخول السجن، إذ لا مفرّ لهم من احتمال قسمتهم. اعتراضات كهذه تبدو لنا صبيانية للغاية لا تستحق فحصاً جدياً. ومع ذلك فنحن نقول لهم لنطمئنهم بأن تعاليم الأرواح بخصوص العودة إلى التجسد لا تفزع كما يظنون، وإنهم لو درسوها بتعمق لما ارتعبوا منها إلى هذه الدرجة ولعلموا أن حالة وجودهم القادم في الجسد تتوقف عليهم فقط وإنها ستكون سعيدة أو تعيسة بحسب ما يعملون في هذه الدنيا.

مبتدئين من هذه الحياة، فهم يقدرون أن يرتفعوا عالياً إلى درجة لا يعود هناك خطر من سقوطهم ثانية في أوحال التكفير عن الماضي.

عندما نتكلم في هذا الموضوع، فنحن نفترض أننا نخاطب أناساً يعتقدون بحياة ما بعد الموت، وليس الذين يتوقعون الفناء لأنفسهم أو يريدون غمر روحهم في الكل الكوني مع انعدام فرديتهم، مثل قطرات المطر في البحر المحيط، والمعنى واحد تقريباً. فإن كنتم تعتقدون بحياة ما بعد الموت، فلا شك في أنكم لا تقبلون أن تكون تلك الحياة المقبلة متساوية للجميع، وإلا فأين النفع من عمل الخير؟ وما الفائدة من قمع النفس؟ وما الفائدة من عدم إرضاء كل الشهوات وكل الأهواء، حتى لو كان ذلك مضراً للغير، ما دام لا يوجد عواقب في ذلك؟ أنتم تعتقدون بأن مقدار سعادة أو شقاء تلك الحياة المقبلة سيكون متناسباً مع ما نفعله أثناء الحياة الحاضرة، ومن ثم، سترغبون أن تكون الحياة المقبلة سعيدة بقدر الإمكان، ما دمتم تتوقعون أنها إلى الأبد، هل يا ترى تظنون أنكم أحد أكمل الذين عاشوا على الأرض، ولهذا السبب تستحقون حال وفاتكم السعادة العليا الخاصة بالمختارين؟ كلا، لأنكم تسلّمون بأن

هناك أناساً أفضل منكم ومؤهلين لمكان أسمى من مكانكم، دون أن تكونوا من جراء ذلك من المنبوذين. ضعوا أنفسكم من خلال التفكير ملياً في تلك الحالة الوسطى التي ستكون هي حالتكم ما دمتم قد أجمعتم عليها، وافرضوا أن أحداً جاء وقال لكم: «ها أنتم تشقون ولستم سعداء كما تودون أن تكونوا، بينما ترون الآخرين في سعادة لا تشوبها شائبة. هل تريدون استبدال حالتكم بحالتهم؟» ويكون جوابكم: «دون شك. ماذا يجب علينا أن نفعل؟». ويكون رده: «أمر بسيط جداً. عليكم أن تصلحوا ثانية ما أسأتم إنجازه قبلاً، وعليكم أن تجتهدوا في تحسينه». أتترددون في قبول اقتراح كهذا، حتى لو كان يكلّفكم عدة تجسدات مليئة بالمحن؟ خذوا حالة أخرى أبسط من السابقة: إذا دنا أحد من رجل لا يعاني من فقر شديد وإنما يقاسي مع ذلك مشاق كبيرة من جراء قلة موارده، وقال له: «هاك ثروة ضخمة تستطيع أن تتمتع بها بشرط أن تشتغل بكل ما في وسعك دقيقة واحدة». وحينذاك فإن هذا الرجل، حتى لو كان أكسل الكسالى سوف يقول دون تردد: «أنا مستعد لأن أشتغل لا دقيقة فقط، بل دقيقتين أو ساعة وحتى نهاراً كاملاً، إن لزم الأمر. أليس هذا مقابل أن أعيش بقية أيام حياتي في الرخاء؟». ما هو طول الحياة الجسدية بالنسبة إلى الأبد؟ أقل من دقيقة، وأقل من ثانية.

سمعنا أحياناً من يأتي بالحجّة التالية: «ليس من المعقول أن الله، في سموّ رأفته، يفرض على الإنسان إعادة سلسلة المشاق والشدائد». أتكون الرأفة إذن، بالحكم على الإنسان بالعذاب المؤبّد من جراء لحظات قليلة من الخطأ، أم بإعطائه الوسائل اللازمة لتعويض زلاته؟ هاكم مثالاً آخر: لنفرض أن هناك صانعين، لكل منهما عامل مؤهل ليصبح يوماً ما شريكاً لصاحب العمل. وحدث ذات يوم أن هذين العاملين أساءا العمل في أحد الأيام واستحقا الطرد. فصرف أحد الصانعين عامله على الرغم من توسلاته، وعجز هذا العامل عن أن يجد شغلاً آخر فمات من العوز. أما الصانع الآخر فقال لعامله: «أنت ضيّعت يوماً من الشغل، ولذلك فأنت مدين لي بيوم عوضاً عنه، ويجب عليك أن تعوّض لي عنه. سأعطيك فرصة لكي تعيد العمل ثانية، فاجتهد لتعمله حسناً لكي تظل معي، وحتى تصل إلى أعلى المراكز هل من الأفضل أن يكون نصيبنا تقرّر إلى الأبد من جراء سنوات قليلة في المحنة، حينما لم تفلح في بلوغ الكمال على الأرض، أم نفضل الخيار الآخر الذي يحمل لنا العزاء ويعطينا الأمل. ليس لنا الحق في أن نعلن رأينا لتأييد أو لمخالفة تعدّد التجسدات، أو أن نفضّل افتراضاً على الآخر. فقد أعطي لنا الخيار، وهل هناك أحد يفضّل حكماً بلا استئناف. يقول أحد الفلاسفة: «إن لم يكن الله موجوداً لكان من الضروري أن نخترعه لسعادة الجنس البشري».

وبهذا المعنى، يصح نفس القول بشأن تعدد التجسدات ولكن، كما قلنا آنفاً، فالله لا يستأذننا ولا يستشيرنا عما نفضّله. فهو الذي يشاء أن تكون الأشياء أم لا تكون. لنر الآن ما هو الأفضل بين الافتراضين، ولندرس الأمر من وجهة نظر أخرى، طارحين جانباً تعليم الأرواح بشأنه لنفحصه كمسألة فلسفية محضة.

إذا لم يكن هناك تعدد التجسدات، فمن الواضح إذن أن هناك حياة جسدية واحدة فقط. وإن كانت حياتنا الجسدية الحالية هي الوحيدة، فهذا يعني أن روح كل إنسان تُخلق معه لدى ولادته، إلا إذا افترض سابقية وجود الروح، وبهذا الافتراض نتساءل ماذا كانت حالتها قبل الولادة، هل كانت تلك الحالة عبارة عن كيان مستقل دون حالة متوسطة: إما أن تكون الروح قبل الجسد وإما هي غير موجودة. فإذا كانت موجودة فكيف كانت حالتها؟ هل كانت مدركة لذاتها؟ وإذا لم تكن مدركة لها، فذلك يشبه عدم وجودها. وإذا كانت لها فرديتها، فهذه الفردية إما تصاعدية أو ثابتة، وفي الحالتين، ما هو مقدار تقدّمها عندما اتحدت مع الجسد؟ فإذا افترضنا، طبقاً للاعتقاد الدارج، بأن الروح تنشأ مع الجسد أو أن لها قبل تجسدها مقدرات سلبية فقط، فنحن نطرح الأسئلة الآتية:

1 ـ لماذا تُظهر الروح مؤهلات متباينة جداً بصدد الأفكار التي اكتسبتها بالتعليم دون أن يكون لها علاقة بتلك الأفكار؟

2 ـ من أين تأتي الأهلية اللاطبيعية عند بعض الأولاد الحديثي السن، لفنّ من الفنون أو لعلم معين بينما غيرهم يظلون طوال حياتهم في مستوى عقلي ضعيف أو عادي؟

3 ـ من أين يأتي لبعض الأشخاص دون غيرهم الأفكار الفطرية أو البديهية؟

4 ـ من أين يأتي لبعض الأولاد تلك الغرائز الباكرة للرذائل أو للفضائل، وتلك المشاعر الفطرية للوقار أو للانحطاط التي تتناقض مع البيئة التي ولدوا فيها؟

5 ـ لماذا يكون بعض الناس أكثر تقدماً من غيرهم، بصرف النظر عن تربيتهم؟

6 ـ لماذا توجد شعوب متوحشة وشعوب متمدنة؟ إذا أحضرتم رضيعاً من بني الهوتنتوت[1] وربيتموه في أشهر مدارسنا، هل تجعلونه يصبح يوماً ما عالماً مثل لابلاس Laplace أو نيوتون Newton؟

---

(1) قبيلة من زنوج أفريقيا الجنوبية الذين يعيشون في الغابات وعاشوا متأخرين جداً في القرن الماضي حينما كتب هذا الكتاب (ملاحظة المترجم).

نحن نسأل: ما هي الفلسفة أو ما هو التعليم الفلسفي اللاهوتي theosophie الذي يستطيع حل هذه المسائل؟ لا شك أن النفوس عند ولادتها إما أن تكون متساوية أو غير متساوية. فإن كانت متساوية، فلماذا تلك الأهليات المتفاوتة جداً بينها؟ يقول بعض الناس إن هذا التفاوت ناجم عن الجهاز العضوي. فإن كان الأمر كذلك، فنحن إزاء أفظع وأسوأ تعليم، ففي هذه الحال يكون الإنسان مجرد آلة أو ألعوبة للمادة، وغير مسؤول عن أعماله، ويجوز له أن يعزو سيئاته إلى نقائصه البدنية. وإذ كانت هذه الأخيرة غير متساوية، فلأن الله خلقها غير متساوية. ولكن في هذه الحال، لماذا هذا التفوّق الفطري الموهوب لبعض الناس دون غيرهم؟ هل يتواءم هذا التحيز مع عدالة الله ورأفته المتساوية لجميع مخلوقاته؟

من الناحية الأخرى، إذا سلّمنا بسلسلة تجسدات سابقة في تقدم متدرج، يكون كل شيء مفسراً. فالناس، عندما يولدون، يجلبون معهم، بديهياً، المعارف التي اكتسبوها في ماضيهم. ومقدار تقدمهم متناسب مع عدد الحيوات التي عاشوها، بحسب مقدار ابتعادهم عن نقطة الانطلاق، تماماً مثلما في اجتماع أفراد ذوي أعمار مختلفة، ولكل واحد منهم معارف متناسبة مع عدد السنوات التي عاشها، وهكذا تكون الحيوات المتتابعة بالنسبة إلى حياة الروح، ذات أهمية بالنسبة إلى حياة الجسد. لنفرض مثلاً أنكم تحشدون ذات يوم، ألف شخص معاً، تتراوح أعمارهم من السنة الواحدة إلى الثمانين، ولنفرض أنكم تنزلون ستاراً على أيامهم السابقة، وأنكم من جراء جهلكم تظنون أنهم ولدوا كلهم في يوم واحد. ستتساءلون طبعاً كيف يحدث أن بعضهم كبار والآخرين صغار، وأن بعضهم شيوخ والآخرين شبان، وأن بعضهم متعلمون والآخرين جهلة. أما إذا رفع الستار الذي يحجب ماضيهم وعلمتم حينذاك أنهم عاشوا عدداً متفاوتاً من السنوات، يتفسر كل شيء لكم. ليس من المعقول أن يخلق الله العادل، أرواحاً في درجات مختلفة من الرقي. غير أنه، بتعدد التجسدات، فإن عدم المساواة التي نراها، لا تتناقض مع أقوى مقاييس العدالة. والحقيقة أننا نرى الحاضر فقط ولا نرى الماضي. فهل لهذه الطريقة في تقدير الأشياء، أساس تستند عليه، أم هي مجرد افتراض سخيف؟ كلا، فنحن ننطلق من الأمر الواقع والواضح، الذي لا جدال فيه، والذي هو عدم المساواة في المؤهلات وفي التقدم العقلي والأدبي، ثم نجد طبعاً أن هذا الأمر ليس له تفسير من خلال النظريات السائدة. لكن إذا فسرناه بنظرية تعدد التجسدات نجد تفسيره بسيطاً وطبيعياً ومنطقياً. أمن المعقول أن نُفضّل النظرية التي لا تفسّر الأمر ونتخلى عن النظرية التي تفسّره؟

بشأن السؤال السادس، لا شكّ أن هناك من يجيب عليه قائلاً بأن الهوتنتوت من جنس بشري أكثر تخلفاً منا. فنسأل بدورنا هل الهوتنتوتي إنسان أم لا؟ فإذا كان إنساناً، فلماذا حرمه الله هو وجنسه من الحظوة التي أنعمها على الجنس القوقازي؟ وإذا لم يكن إنساناً، فلماذا يحرصون على تبشيره؟ إن الأرواحية أوسع بكثير من هذه المزاعم، فهي لا تفصل البشر إلى أجناس، بل ترى بشراً فقط، لهم أرواح في حالة تقدم أو تأخر متفاوت، ولكنهم جميعاً جديرون بأن يتقدموا. أليست هذه النظرة أكثر مطابقة لعدالة الله؟

رأينا الروح في ماضيه وفي حاضره. فإذا نظرنا إليه في مستقبله، نجد ذات الصعوبات، ونطرح الأسئلة التالية:

1 ـ إن كانت حياتنا الحاضرة ستقرّر وحدها مصيرنا القادم، فماذا تكون، في الحياة المقبلة، حالة الهمجي وحالة المتمدن؟ هل يكونان في نفس المستوى أم هل يسبق أحدهما الآخر في مقدار السعادة الأبدية؟

2 ـ الإنسان الذي اجتهد طوال حياته ليرتقي أدبياً، هل يكون في نفس مرتبة الإنسان الذي يبقى في حالة تأخر، ليس برغبة منه، بل لأنه لم يجد الوقت ولم يتيسر له أن يتطور؟

3 ـ بخصوص الإنسان الذي يسيء في أعماله لأنه لم يتمكن من أن يستنير، هل هو مسؤول عن الأمور التي لم تنتج من إرادته؟

4 ـ تبذل جهود كبيرة لإنارة الناس وتهذيبهم وتمدينهم، ولكن لكل واحد تنوره، هناك ملايين يموتون كل يوم قبل أن يصل النور إليهم. فما هو نصيب هؤلاء الملايين؟ هل يعاملون كمنبوذين؟ وفي حالة العكس، ما الذي عملوه ليستحقوا أن يكونوا في نفس مرتبة الآخرين؟

5 ـ ما هو نصيب الأولاد الذين يموتون في حداثة السن قبل أن يفعلوا الخير أو الشر؟ فإذا كانوا من المختارين، فلماذا هذه المنّة إذا لم يعملوا شيئاً ليستحقوها؟ بموجب أي امتياز يعفون من شدائد الحياة؟

هل هناك نظرية تستطيع حل هذه المشاكل؟ إذا سلّمتم بنظرية الحيوات المتتابعة، فإن كل شيء يصبح واضحاً وفقاً للعدالة الإلهية، فما لم نتمكن من إنجازه في حياة ما، نعود لننجزه في حياة أخرى. وبهذه الطريقة لا يفلت أحد من سنّة التقدم، وكل واحد سيكافأ بحسب استحقاقه الفعلي ولا يستثنى أحد من السعادة العليا التي يستطيع أن يتوق إليها، مهما كانت العقبات التي يلاقيها في طريقه.

ربما تثار، في هذا الموضوع، مشاكل قد تتعدد إلى ما لا نهاية، إذ لا يحصى عدد المسائل النفسانية والأدبية التي لا نجد حلاً لها إلا في تعدد التجسدات، لكننا اقتصرنا على الحالات التي تطرأ بكثرة. مهما كان الأمر، ربما يقال بأن رجال الدين لا يقبلون سنّة العودة للتجسد لأن قبولها قد يسبب انقلاباً في الدين. ليس غرضنا أن نتناول هذه المسألة الآن، إذ يكفي أنا برهنا أنها سنة سامية جداً، خلقياً ومنطقياً. على أن، ما يطابق السنن السامية والمنطق لا يمكن أن يكون مناقضاً للدين، لأن الدين يعلن أن الله هو الرأفة وهو المنطق في أعلى درجاته. ماذا سيطرأ على الدين لو أن رجاله كانوا قد وقفوا ضد الرأي العام وضد نتائج العلم، وقاوموا الأمر الواضح طاردين من حضن الدين من لا يعتقد بحركة الشمس وبستة أيام الخليقة؟ هل يستحق الدين المبني على أغلاط واضحة يقدّمها كمادة يستوجب الإيمان بها، أن يُصدّق وأن يكون له قوة لدى شعوب مستنيرة؟ عندما جاء البرهان وأثبت ما كان واضحاً، اصطفّ رجال الدين بحكمة إلى جانب ما كان واضحاً. فإذا ثبت أن هناك أموراً تكون مستحيلة دون قاعدة العودة للتجسد، وأن بعض مسائل العقيدة لا يمكن تفسيرها إلا بهذه الطريقة، فلا بد لنا أن نسلّم ونعترف بأن الخلاف بين هذه القاعدة وبين العقائد الدينية، ظاهري فقط. وسنبيّن فيما بعد أن الدين قد لا يكون بعيداً عن هذه السنّة كما يظن، وأنّه لن يصيبه ضرر مثلما أنه لم يصب بضرر لدى اكتشاف حركة الأرض والعصور الجيولوجية التي بدت من أول نظرة، كأنها تُكذّب الكتب المقدسة. وفضلاً عن ذلك، يظهر مبدأ العودة للتجسد في عدة آيات من النصوص المقدّسة، وقد ذكر، على وجه الخصوص، بكل صراحة في الإنجيل:

«وفيما هم نازلون من الجبل (بعد التجلّي) أوصاهم يسوع (أو عيسى) قائلاً: لا تعلموا أحداً بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات. وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا تقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟ فأجاب وقال لهم: حقاً إن إيليا يأتي أولاً ويردّ كل شيء. ولكني أقول لكم إن إيليا جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. هكذا ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم. حينئذ فهم تلاميذه أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان».

(متّى، فصل 17).

بما أن يوحنا المعمدان هو إيليا فقد حدث إذن تجسد روح أو نفس إيليا في جسد يوحنا المعمدان.

ومع ذلك، فمهما يكن رأي الناس تجاه سنّة العودة للتجسد، سواء قبلوها أم لم يقبلوها، فلا بد لهم أن يتحملوها إن كانت موجودة، على الرغم من أية عقيدة تتكرها. والنقطة الأساسية هي أن تعاليم الأرواح مؤيدة لتعاليم المسيح، وهي تستند إلى خلود الروح والمحن والمجازاة المقبلة، وعدالة الله، وحرية إرادة الإنسان، والشرائع الخلقية السماوية، ولذلك لا يمكن اعتبارها مضادة للدين.

وهكذا فقد ناقشنا الأمر بمعزل عن أي تعليم صادر من الأرواح لأنه، في رأي بعض الناس، لا يُعوّل عليه. في حين أننا نحن وأناس كثيرون غيرنا سلّمنا بتعدّد التجسدات، لم يكن إيماننا هذا لأن هذا التعليم صدر عن الأرواح، بل لأنه بدا لنا معقولاً جداً، ولأنه هو فقط يحلّ مشاكل كانت تبدو دون حل، ولو جاءت هذه النظرية إلينا من أي إنسان، لقبلناها بذات الثقة ولما ترددنا لحظة واحدة في تعديل آرائنا الشخصية، فحين يأتي برهان ضد الخطأ، فإن الفرد يخسر عزة نفسه لو تشبث بالخطأ. كذلك فنحن سنرفضها حتى وإن كانت آتية إلينا من الأرواح، لو بدت لنا مضادة للعقل، مثلما رفضنا عدة أفكار أخرى غيرها، لأنا نعرف من التجربة أن علينا ألا نقبل بغير فحص كل ما يصدر منهم، تماماً كما نفعل تجاه كل ما يصدر عن الناس. فنحن نرى قبل أي شيء، الحجة الرئيسية التي تُعضّد هذه السنّة وهي أنها منطقية. هناك حجة أخرى تثبّتت في الوقائع، وأعني وقائع إيجابية، محسوسة، حيث أن دراستها بانتباه وباستعمال المنطق قد تكشف لمن يتحلى بالصبر والمواظبة، وهكذا فإن التشكك بسنّة التجسد المتكرّر غير مبرر. فحينما تثبت الأحداث صحتها كما حدث في مسألة تكوين الأرض وحركتها، سيضطر المناقضون أن يذعنوا للأمر الجلي وستضيع بدون جدوى جهودهم لمقاومتها.

قصارى الكلام، نحن موقنون بأن قاعدة تعدّد التجسدات هي الوحيدة التي تفسّر كل شيء، وأنها معزّية للغاية ومطابقة لمقاييس العدالة، وأنها مرساة السلامة التي أعطاها الله برحمته للعالمين.

وكلمات المسيح نفسها لا تترك مجالاً للشك في هذا الشأن. إليكم ما جاء في الفصل الثالث من إنجيل يوحنا:

3 ـ فأجاب يسوع (عيسى) إلى نيقودمس وقال له: الحق الحق أقول لك إن لم يولد أحد ثانية، فلا يقدر أن يُعاين ملكوت الله.

4 ـ فقال له نيقودمس: كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟

5 ـ أجاب يسوع: الحق الحق أقول لك إن لم يولد أحد من الماء والروح، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله. إن المولود من الجسد إنما هو جسد والمولود من الروح إنما هو روح. لا تتعجب من قولي لك إنه ينبغي لكم أن تولدوا ثانية. (انظر فيما يلي الفصل عن قيامة الجسد، رقم 1010).

لقد ثبت في الأيام الحاضرة العودة للتجسد بواسطة حالات تذكّر بالحيوات السابقة لدى بعض الأطفال، وفي أبحاث التنويم المغناطيسي في عملية تراجع الذاكرة إلى الوراء إلى ما قبل الولادة وإلى الماضي السحيق، وبإعلامات عن ولادات مختلفة مصحوبة بعلامات ودلائل ودقائق عن الماضي ثبتت فيما بعد. رغم أن العلوم الرسمية تتردّد في قبول هذه البراهين، ولكن التعليم الأرواحي يعتبرها حقيقية ويتوقع قبولها الرسمي قريباً من قبل الشعوب المفكّرة.

الفصل السادس : الحياة الأرواحية

1. الأرواح التجوالية.
2. العوالم الاجتيازية أو الانتقالية.
3. أحاسيس الأرواح ومشاعرهم وأعذبتهم.
4. بحث نظري في الحاسة عند الأرواح.
5. اختيار التجارب.
6. العلاقات بين الأرواح بعد الموت.
7. علاقات انجذابية وتنافرية بين الأرواح.
8. تذكّر الحياة الجسدية.
9. ذكرى الأموات. المآتم.

1 ـ الأرواح التجوالية

223 ـ هل تعود الروح إلى التجسد على الفور بعد انفصالها عن الجسد؟

على الفور في بعض الأحيان، إنما غالباً بعد فترات من الزمن طويلة أو قصيرة نسبياً. ففي العوالم السامية تكاد تكون عودتها للتجسد مباشرة في الغالب. بما أن المادة الجسدية في تلك العوالم ليست كثيفة، فتحتفظ الروح المتجسدة فيها بكل مقدراتها كروح تقريباً، وحالتها العادية تشبه حالة المروبصين الصاحين.

224 ـ ماذا تصير الروح في فترة الزمن بين تجسد وتجسد آخر؟

تصير روحاً جائلة تتوق إلى معرفة مصيرها الجديد، فهي في حالة انتظار وترقّب.

224 أ ـ كم تطول مدة هذه الفترات؟

من ساعات قليلة إلى عدة آلاف من القرون. فضلاً عن ذلك، وبحصر المعنى، لا يوجد حد أقصى للحالة التجوالية التي قد تطول أزمنة مديدة جداً، ولكن مع ذلك، فهي ليست أبدية أبداً، إذ أن الروح تجد دائماً فرصة، عاجلاً أو آجلاً، لتعود مرة أخرى إلى حياة جسدية تنتفع منها لتتطهّر من سيئات حيواتها السابقة.

224 ب ـ أتكون هذه المدة بإرادة الروح أم أنها تُفرض عليه ليكفّر عن سيئاته؟

هي نتيجة حرية الاختيار، إذ أن الأرواح يعلمون تماماً ما يفعلون، ولكن هناك أرواحاً تكون المدة عقاباً لهم ينزله الله بهم، ويطلب غيرهم تمديد الزمن لمواصلة دروس لا يمكنهم أن يقوموا بها بنجاح إلا في حالتهم كروح.

225 ـ أيكون التجوال بذاته علامة تأخّر عند الأرواح؟

كلا، إذ أن هناك أرواح جائلة من جميع الطبقات. والتجسد حالة عابرة، وسبق أن قلناه لك بأنه في حالته العادية، يكون الروح متحرراً من المادة.

226 ـ أيصحّ لنا اعتبار جميع الأرواح التي ليست متجسدة أرواحاً تجوالية؟

أجل، فيما يخص الذين يجب عليهم أن يعودوا إلى التجسد. أما الأرواح العليا التي بلغت الكمال، فهي ليست تجوالية، بل هي في حالتها النهائية.

(من حيث السجايا الباطنية، تكون الأرواح من طبقات ودرجات مختلفة، يجتازونها تتابعاً بمقدار ما يتنقّون. أما بخصوص حالتهم، فهم: إما متجسدون أي

متحدون بجسد مادي، أو جائلون أي أنهم تخلّصوا من الجسد المادي وينتظرون تجسداً جديداً، ليرتقوا، أو أرواح طاهرة أي في درجة الكمال ولا حاجة لهم للتجسد).

227 ـ بأية طريقة تتعلم الأرواح الجائلة؟ لا ينتظر بالطبع أن يتعلموا كما نحن نتعلم؟

تدرس الأرواح ماضيها وتبحث عن الوسائل لترتقي. فهي تبصر وتراقب كل ما يحدث في الأماكن التي تمر بها، وتصغي إلى ما ينطق به رجال مستنيرون، وإلى نصائح الأرواح الأعلى منها، وهكذا تكتسب أفكاراً جديدة لم تعرفها من قبل.

228 ـ هل تحتفظ الأرواح ببعض الأهواء البشرية؟

الأرواح السامية، بانفصالها عن غلافها الجسدي، تترك الأهواء الرديئة وتحتفظ بميلها إلى الخير فقط. أما الأرواح المتدنية الدرجة، فهي تحتفظ بالشهوات الجسدية، لأنها لو لم تحتفظ بها لكانت من الدرجة الأولى.

229 ـ لماذا لا تترك الأرواح كل شهواتها الرديئة عندما تبرح الأرض، نظراً إلى أنها ترى أضرارها لها؟

يوجد بينكم أناس بالغو الحسد مثلاً. فهل تعتقد أنهم حالما يبرحون العالم المادي يتخلصون من هذا العيب؟ كلا، فهو يبقى معهم بعد ذهابهم منه، وعلى الأخص أولئك الذين كان لهم شهوات معينة شديدة التأثير، وأعني أنه كان لهم جو نفساني يحيط بهم يحوي كل هذه الميول الرديئة، إذ أن الروح لم يتخلص تماماً من تأثير المادة، ولا يستشف الحقيقة إلا في بعض الأحيان، كأنها تريه السبيل السوي.

230 ـ هل يتقدم الروح خلال حالته التجوالية؟

يمكنه أن يتحسن كثيراً، وذلك دائماً بمقدار قوة إرادته وشدة رغبته بالتقدم، لكنه يحتاج إلى الحياة في الجسد ليطبق خلالها الأفكار الجديدة التي اكتسبها.

231 ـ هل الأرواح الجائلة سعيدة أم تعيسة؟

حالتهم متناسبة مع استحقاقهم. فهم إما يعانون من الأهواء التي احتفظوا بأثرها فيهم، أو يغتبطون بقدر ما تحرروا من تأثير المادة فيهم. في الحالة التجوالية يستشف الروح ما يعوزه كي تزيد سعادته، ويبحث حينئذ عن الوسائل اللازمة ليصل إليها. إلا أنه قد لا يسمح له دائماً أن يعود إلى التجسد كما يشاء، وإذ ذاك، يكون هذا عقاباً له.

232 ـ في الحالة التجوالية، هل بوسع الأرواح الذهاب إلى جميع العوالم الأخرى؟

يتوقف ذلك على درجة الأرواح، إذ أن الروح بمفارقته لجسده، لا يتخلص، من جراء ذلك، من تأثير المادة بالتمام، ولا يزال متعلقاً بالعالم الذي عاش فيه، أو بعالم آخر من نفس الدرجة، إلا إذا ارتقى أثناء حياته، وهذا هو الهدف الذي يجب عليه أن يتوق إليه، والذي من دونه لن يبلغ الكمال أبداً. على أنه يستطيع الذهاب إلى بعض عوالم سامية، ولكنه في هذه الحال، سيرى نفسه كغريب فيها، وبذلك نعني أنه يستشفها فقط. فسوف يثير ذلك فيه الرغبة ليتحسن ويكون أهلاً للسعادة التي يتمتع بها سكانها، وليستطيع أن يسكنها فيما بعد.

233 ـ الأرواح التي أتمت تنقيتها، هل تزور العوالم المتأخرة؟

كثيراً ما يذهبون إلى هذه العوالم ليساعدوها على الارتقاء. إذا لم يكن الأمر هكذا، فستظل هذه العوالم متروكة وشأنها، دون مرشدين لهدايتها.

2 ـ العوالم الاجتيازية أو الانتقالية

234 ـ أتوجد، كما ذكرتم، عوالم تعمل بمثابة محطات أو أماكن للاستراحة للأرواح الجائلة؟

أجل، توجد عوالم معدّة خصوصاً للأرواح الجائلة لكي تسكنها مؤقتاً. تكون هذه العوالم بمثابة مستراحات أو مقامات للتعافي من تجوال دام زمناً مديداً، والذي ينتج عنه إلى حد ما نتائج شاقة عادة. هذه العوالم هي مراكز متوسطة بين العوالم الأخرى، وهي مدرّجة لتناسب طبيعة الأرواح الذين يتأهلون للذهاب إليها، فيجدون فيها راحة كبيرة نوعاً ما.

234 أ ـ هل بإمكان الأرواح الذين يسكنون هذه العوالم أن يبرحوها حسب مرادهم؟

أجل، بإمكان الأرواح الموجودين في هذه العوالم أن يبرحوها ليذهبوا أينما يتوجب عليهم أن يذهبوا. وبهذا الصدد فهم يشبهون الطيور الرحالة التي تلجأ إلى جزيرة، ريثما تستعيد قواها لتواصل رحيلها إلى مقصدها.

235 ـ هل ترتقي الأرواح خلال توقفها في العوالم الاجتيازية؟

دون شك، إذ أن الأرواح التي تجتمع لهذا الغرض تفعل ذلك لكي تتعلم وتتأهل للذهاب إلى أماكن أحسن من التي عرفتها، ولتحصل على المرتبة التي يصل إليها المختارون.

236 ـ العوالم الاجتيازية، بسبب طابعها الخاص، هل هي عوالم مخصصة على الدوام للأرواح الجائلة؟

كلا، فمقامها مؤقت فقط.

236 أ ـ هل تسكنها في نفس الوقت كائنات ذوات جسد؟

كلا، لأن سطحها قاحل والذين يقطنون فيها لا يعوزهم شيء.

236 ب ـ هل قحلُها هذا مستديم وهل له علاقة بطابعها الخاص؟

كلا، هي قاحلة من جراء حالتها المؤقتة.

236 جـ ـ هذه العوالم إذن خالية من جمال الطبيعة؟

تتجلى الطبيعة في روعة أرجائها الشاسعة التي ليست أقل جمالاً مما تسمونه بجمالات الطبيعة.

236 د ـ بما أن حالة هذه العوالم مؤقتة، فهل تكون أرضنا مثلها في زمن ما في المستقبل؟

كانت مثلها في الماضي.

236 هـ ـ في أي عصر؟

أثناء تكوينها.

(لا يوجد شيء بلا فائدة في الكون، ولكل شيء غرض ومقصد. لا مكان خالٍ وكل مكان مسكون، لأن الحياة موجودة في كل مكان. هكذا، خلال سلسلة العصور المديدة التي تتابعت قبل ظهور الإنسان على سطح الأرض، وأثناء الأزمنة الانتقالية البطيئة الانصرام التي تشهد لها الطبقات الجيولوجية، وحتى قبل تكوين الكائنات العضوية الأولية على سطح تلك الكتلة العديمة الشكل، وفي ذلك الخواء القاحل حيث كانت الأركان متداخلة، لم تكن الحياة متغيّبة، إذ أن كائنات لم يكن لها احتياجاتنا المادية ولا مشاعرنا الجسدية، كانت تجد على الأرض ملجأ لها. لقد شاء الله أن تكون أرضنا مكاناً نافعاً لشيء، وحتى في تلك الحالة الناقصة، وإذ ذاك، فمن يجترئ على القول إن بين هذه الآلاف ملايين من العوالم التي تتنقل في الفضاء الشاسع، يوجد عالم واحد فقط وهو من أصغرها، وضائع بين ذلك الجمع الغفير من الأجرام، يمتاز هو وحده، وباستثناء الآخرين، بأنه مسكون؟ ما هي إذن منفعة الكواكب الأخرى؟ هل ترى خلقها الله لا لشيء سوى متعة بصرنا بها؟ إن افتراضاً كهذا مضاد للمنطق ولا يتواءم مع الحكمة الظاهرة في كل صنائع الله، ولا

يقبله أحد، وحينما نفكر بجميع أولئك الذين لا نراهم. لن يستطيع أحد إذن أن يدعي بفكرة العوالم التي لا تصلح بعد للحياة المادية، فرغم ذلك هي مسكونة بكائنات حية ملائمة لتلك البيئة، وهذه فكرة تحوي شيئاً من العظمة والسمو، وربما تحل مسائل عديدة غامضة.

3. أحاسيس الأرواح ومشاعرهم وعذاباتهم

237 ـ هل تحفظ الروح بعد عودتها إلى عالم الأرواح، بالأحاسيس التي كانت تشعر بها أثناء حياتها على الأرض؟

أجل، وأحاسيس أخرى لم تكن تحس بها، لأن جسدها كان يعمل كحجاب يخفيها. والذكاء خاصية من خصائص الروح، ولكنه يتجلى بحرية حينما لا يكون مقيداً.

238 ـ هل لأحاسيس الأرواح ولمعارفها حدود، أو باختصار، هل تعرف الأرواح كل شيء؟

بقدر ما تتقرّب من الكمال، تزداد معارفها، فإن كانت أرواحاً سامية، فهي تعرف الكثير. أما الأرواح المتدنية، فهي جاهلة نسبياً في كل شيء.

239 ـ هل تعرف الأرواح مبدأ الأشياء؟

يتوقف ذلك على درجة رفعتها وطهارتها، فإن الأرواح الواطئة لا تعرف أكثر مما يعرفه البشر.

240 ـ أتدرك الأرواح الزمن كما نحن ندركه؟

كلا، وذلك هو ما يجعلكم أحياناً لا تفهموننا في حالة تحديد التواريخ أو العصور.

(تعيش الأرواح خارج الزمن كما نحن نفهمه. يجوز القول إن مدة الزمن تتمحي بالنسبة إليهم، والعصور التي تتراءى لنا طويلة، لا تعدو في نظرهم لحظات تذوب في الأزل، مثلما تمّحي وعورات الأرض وتزول لمن يصعد إلى الفضاء.

241 ـ هل للأرواح فكرة عن الحاضر أدق وأصح مما لنا عنه؟

تقريباً كمن يرى بعينيه بوضوح، فإن له فكرة عن الأشياء، أصح مما للأعمى. ترى الأرواح ما لا ترونه أنتم، ولذلك فهم يحكمون في الأشياء بآراء مغايرة لآرائكم. لكن نذكركم بأن ذلك يتوقف على درجة سموهم.

242 ـ كيف تعلم الأرواح الماضي، وهل علمهم به بلا حد لهم؟

عندما تلتفت إلى الماضي، يصبح كأنه الحاضر، تماماً مثلما أنت تتذكر شيئاً أثر عليك خلال منفاك. لكن، حين يسقط عنك الحجاب المادي الذي يحجب ذكاءك، فأنت تتذكر الأشياء التي امّحت من ذاكرتك. على أن الأرواح لا يعرفون كل الأشياء، وأولها كيف خلقوا.

243 ـ هل تعلم الأرواح المستقبل؟

يتوقف ذلك أيضاً على درجة رقيّهم، فهم كثيراً ما يستشفوّنه، ولكن لا يسمح لهم دائماً بإعلانه، وعندما يرونه يلوح لهم كأنه الحاضر. يرى الروح المستقبل بوضوح بمقدار ما يقترب من الله. بعد الموت، كما يرى الروح بنظرة شاملة كل ترحّلاته الماضية، ولكنه لا يستطيع أن يرى ماذا ينوي الله له. فلمعرفة المستقبل يجب على الروح أن يندمج اندماجاً كلياً في الله بعد الكثير من التجسدات.

243 أ ـ الأرواح الذين وصلوا إلى الكمال المطلق، هل لهم علم كامل بالمستقبل؟

كامل ليست هي الكلمة الصائبة، إذ أن الله تعالى هو العليم الوحيد، ولا يستطيع أحد أن يعادله.

244 ـ هل تُعاين الأرواح الله؟

السامون من الأرواح وحدهم يعاينونه ويفهمونه، أما الذين هم في الدرجات الواطئة فهم يشعرون بوجوده ويتكهّنون به.

244 أ ـ عندما يقول روح من درجة واطئة إن الله يسمح بشيء أو لا يسمح بشيء، كيف نعرف أن ذلك يأتي من الله؟

لا يرى الروح الله بل يشعر بسلطانه، وعندما يواجه شيئاً لا يسمح بعمله أو قولاً لا يسمح بتصريحه، يشعر بما يشابه إدراكاً بديهياً أو إنذاراً خفياً يأمره بألا يفعله. ألا تدركون أنتم ذاتكم أحياناً أن قلبكم يحدثكم بشيء ما كإنذار خفي لكي تفعلوا أو لا تفعلوا هذا أو ذاك؟ يحدث نفس الشيء لنا، وإنما بدرجة أقوى، وأنت تعرف أن جوهر الأرواح لكونه أكثر رقة من جوهركم، فإن بوسعهم أن يدركوا الإنذارات الإلهية بقوة كبيرة.

244 ب ـ أيرسل الله الأمر رأساً إلى الروح أم بواسطة أرواح أخرى؟

لا يأتي الأمر رأساً من الله، فللاتصال به يجب على الروح أن يكون أهلاً لذلك. إن الله يرسل أوامره بواسطة أرواح وصلت إلى الدرجات العليا من الكمال والمعارف.

245 ـ هل البصر عند الأرواح متموضع في مكان معين كما في الكائنات المتجسدة؟

كلا، لأنه يقيم فيهم.

246 ـ هل تحتاج الأرواح إلى الضوء لترى؟

يرون بأنفسهم ولا يحتاجون إلى الضوء الخارجي. ففي حالتهم، لا يوجد ظلمات ما عدا التي قد يكونون فيها بمقتضى التكفير.

247 ـ هل الأرواح بحاجة إلى أن ينتقلوا ليعاينوا في مكانين مختلفين؟ أيستطيعون، مثلاً، أن يعاينوا في نصف الأرض الشمالي وفي نصفها الجنوبي في وقت واحد؟

بما أن الروح ينتقل بسرعة الفكر، فيمكن القول بأنه يرى في كل مكان في نفس الوقت. يستطيع فكره أن يشعّ وينتقل إلى عدة أماكن مختلفة في آن واحد. لكن هذه القدرة تتوقف على درجة طهارته. فكلما قلّت تنقيته، كلما تحدد بصره، وسامو الأرواح فقط هم الذين يستطيعون أن يحيطوا بأماكن كثيرة.

(مقدرة البصر عند الأرواح خاصية ملازمة لطبيعتهم، تقيم في كل كيانهم، مثلما الضوء يقيم في جميع أجزاء جسم مضيء، وهي نوع من استنارة شاملة تمتد إلى جميع الأشياء وتشمل في آن واحد الفضاء والأزمنة والأشياء، وهي استنارة لا تحجبها الظلمات ولا الحواجز المادية. هذا هو الأمر عند الإنسان. يحدث البصر بواسطة عضو يقع عليه الضوء، وإذا زال الضوء يصبح العضو في الظلام. أما عند الروح فبما أن مقدرة البصر هي خاصية الروح ذاته، بصرف النظر عن أي عامل خارجي، لذلك فإن البصر مستقل عن الضوء. (انظر: الوجود في كل مكان في وقت واحد – رقم 92).

248 ـ هل يرى الروح الأشياء بوضوح كما نحن نراها؟

بوضوح أكبر، إذ أن بصره يكتنه ما لا يكتنهه بصركم، ولا شيء يحجبه.

249 ـ هل يسمع الروح الصوت؟

أجل، ويسمع حتى الأصوات التي لا تسمعها حواسكم الغليظة.

249 ـ هل تقيم قدرة السمع في كل كيان الروح، كما هي الحال في قدرة البصر؟

جميع الأحاسيس هي خاصيات الروح وهي جزء من كيانه. عندما يكون مغلفاً بجسد مادي، تصل الأحاسيس إليه عن طريق الأعضاء، ولكن عندما يكون متحرراً من الجسد، لا تعود أحاسيسه مموضعة في أعضاء.

250 ـ بما أن الأحاسيس هي خاصيات الروح نفسه، فهل باستطاعته عدم استعمالها إذا شاء؟

يرى الروح ويسمع فقط ما يريد أن يراه ويسمعه. وهذا القول، بوجه عام يخصّ الأرواح العليا أما فيما يخص الأرواح الناقصة، فهي ترى وتسمع عادة برغم إرادتها، وذلك قد يكون مفيدا لتقدّمها.

251 ـ أتأبه الأرواح بالموسيقى؟

أتقصد موسيقاكم الأرضية؟ كيف يمكن مقارنتها بالموسيقى السماوية؟ ذلك الإيقاع الذي لا شيء على الأرض يقدر أن يعطيكم فكرة ولو ضئيلة عنه؟ فالموسيقى الأرضية هي بالنسبة إلى السماوية كغناء المتوحّشين الغليظ بالنسبة إلى أعذب الأنغام الرفيقة. على أن أرواحاً خشنة قد تشعر ببعض السرور في سماع موسيقاكم، لأن لم يُعطَ لها بعد أن تفهم موسيقى أخرى أرفع منها. تفتتن الأرواح بالموسيقى افتتاناً لا حدّ له، من جراء صفاتها الحاسية الشديدة التطور، وأعني بذلك الموسيقى السماوية التي هي أجمل وأرخم ما يمكن للتصور الروحي أن يتخيله.

252 ـ أتأبه الأرواح ببهجات الطبيعة؟

بدائع الطبيعة في الكواكب مختلفة جداً، إلى درجة أنها ليست معروفة بعد، كفاية. إنهم يأبهون بها بحسب أهليتهم في تقديرها وفهمها. ولكن للأرواح السامية، بدائع تشمل كل شيء، بحيث تكاد تتضاءل أمامها بدائع التفاصيل.

253 ـ هل تقاسي الأرواح مثلنا الحاجات الجسدية والآلام؟

هم يعرفونها، لأنهم كابدوها، ولكنهم لا يشعرون بها مادياً لأنهم أرواح.

254 ـ هل تشعر الأرواح بالتعب وهل تحتاج إلى الراحة؟

لا يمكن أن يشعروا بالتعب مثلما أنتم تفهمونه، ومن ثم، فهم لا يحتاجون إلى نفس استراحتكم الجسدية، إذ ليس لهم أعضاء بحاجة لاسترداد قواها. ولكن يجوز القول بأن الروح يستريح بمعنى أنه لا يقوم بنشاط متواصل، وأنه لا يعمل مادياً، إذ أن

نشاطه كله عقلي واستراحته كلها معنوية، ومعنى ذلك، أن هناك لحظات يكف فكره خلالها عن عمل نشيط، ولا يتوجه إلى شيء معين. وهذا كله استراحة حقيقية له، ولو أنها لا تتشابه مع استراحة الجسد. ونوع التعب الذي قد تشعر به الأرواح متناسب مع درجة تأخرهم، إذ أنه بمقدار ما يرتقون، يقل احتياجهم للاستراحة.

255 ـ عندما يقول روح إنه يتألم، ما هو نوع الألم الذي يشعر به؟

أهوال معنوية تؤلم أكثر من الآلام الجسدية.

256 ـ لماذا إذن اشتكت بعض أرواح بأنها تعاني البرد أو الحر؟

هذا تذكّر لما تحملوه أثناء الحياة، وقد يكون هذا التذكر، في أحيان، أليماً كالمعاناة الحقيقية، وفي أحيان كثيرة، نوعاً من المقارنة ليعبروا بها عن حالتهم. عندما يتذكرون جسدهم، يشعرون شعوراً مماثلاً لما يشعر به أحد عندما يخلع رداءه، ويعتقد أنه ما زال يلبسه زمناً بعد خلعه.

4ـ بحث نظري في الحاسة عند الأرواح

257 ـ الجسد هو أداة الألم، وإن لم يكن علّته الأولية، فهو على الأقل علته المباشرة. تدرك الروح الألم، وهذا الإدراك هو المعلول. قد يكون التذكار الذي تحفظه عن ألمها، مؤلماً جداً، ولكن لا يمكن أن يكون له تأثير مادي عليها. فعلاً، لا يستطيع الصقيع أو الحرارة أن يُفكّكا أنسجة الروح، لأن الروح لا تتجلّد من البرد ولا تحترق من الحرارة. ألا نرى يومياً كيف أن تذكّرنا لألم جسدي أو خوفنا منه يثير فينا آثار الحالة الواقعية، أو بسبب الموت؟ من المعلوم أن الذين قُطع منهم عضو، يشعرون بألم في العضو المفقود. من المؤكد أن هذا العضو ليس مركز الألم، ولا مصدره، وإنما احتفظ المخ بتأثير الألم، وهذا هو التفسير. وهكذا يجوز لنا الاعتقاد بأن هناك حالة مماثلة لها في أوجاع الروح بعد الموت. إن دراسة مُدقّقة لإطار الروح، الذي يقوم بوظيفة هامة جداً في جميع الظواهر الأرواحية، وفي الأشباح البخارية الشكل أو القابلة للمس، وفي حالة الروح عند لحظة الموت، حينما يظن الروح في حالات كثيرة أنه ما يزال حياً، وفي المشهد الشديد التأثير في المنتحرين، وفي المعاقبين بالتعذيب حتى الموت، وفي الذين انغمسوا في الملذات المادية، وفي حالات أخرى عديدة، قد ألقت نوراً جديداً على هذه المسألة وأفسحت المجال للتفاسير التالية التي نقدمها بإيجاز:

إطار الروح هو الرباط الذي يربط الروح بمادة الجسد، وهو يستمد من البيئة المحيطة به، من المائع الكوني، وهو عبارة عن كهرباء ومائع كوني، وإلى حد ما، مادة ساكنة، في آن واحد. يجوز القول بأنه خلاصة تنقية المادة، وإنه مبدأ الحياة العضوية، ولكنه ليس مبدأ الحياة العقلية، لأن الحياة العقلية موجودة في الروح. وفضلاً عن ذلك، فهو عامل الحواس الخارجية. في الجسد، هذه الحواس مموضعة في الأعضاء التي تعمل كقنوات للاتصال بالعالم الخارجي. ولدى فناء الجسد، تتعمّم الحواس، ولهذا السبب، لا يقول الروح إنه يتألم في رأسه أو في رجله. وعلى كل حال، ينبغي علينا أن نكون على حذر، لكي لا نخلط حواس الإطار الباقية بعد موت الجسد، مع حواس الجسد، فنحن لا نقدر أن نعتبر حواس الجسد إلا كأداة للمقارنة، ولا أن نعتبر الاثنين من جنس واحد. فعقب التحرر من الجسد، ربما يعاني الروح ألماً، ولكن هذا الألم ليس ألم الجسد. غير أن هذا الألم ليس معنوياً فقط، مثل تبكيت الضمير مثلاً، أو نظراً إلى أن الروح يشكو من البرد والحر، ولكنه لا يعاني شيئاً، سواء من الشتاء أو من الصيف. لقد رأينا أرواحاً يجتازون لهيب النار دون أن يشعروا بألم، وهكذا، نستنتج بأن الحرارة لا تؤثر عليهم بتاتاً. لذلك، إن ما يشعرون به ليس ألماً مادياً، بحصر المعنى، بل هو شعور باطني مبهم لا يدري به الروح دراية تامة عادة، وذلك، بالضبط لأن الألم غير مموضع، ولم تسببه عوامل خارجية، إنه مجرد تذكار وليس حالة واقعية، ولو أنه تذكار أليم. غير أن هناك أحياناً حالات ألم هي أكثر من مجرد تذكار، كما سنرى.

لقد علمتنا الخبرة أن إطار الروح عند الموت، يتملص من الجسد ببطء على نحو متفاوت بحسب الحالات. فخلال اللحظات الأولى، لا يفهم الروح حالته، ولا يعتقد أنه مات، إذ يشعر أنه حي. فهو يرى جسمه راقداً بجانبه، ويعلم أنه جسمه، ولكنه لا يفهم لماذا يرقد جسمه منفصلاً عنه. تدوم هذه الحالة طالما يكون هناك رباط للجسم بالإطار الهالي. قال لنا أحد المنتحرين: «كلا، أنا لم أمت»، ثم أضاف «ومع ذلك أشعر بالدود يأكلني». من المؤكد أن الدود لم يكن يأكل الإطار، ولا الروح طبعاً، بل كان يأكل الجسد. ولكن، طالما لم يتم بعد انفصال الإطار عن الجسد، ينتج عن ذلك نوع من انعكاس معنوي يجعل الروح يشعر بما يحدث في الجسد. ربما كانت كلمة انعكاس ليست هي الكلمة الصائبة، لكونها قد تشير إلى نتيجة مادية جداً، بل بالأحرى، منظر ما يحدث في جسده، الذي كان لا يزال مربوطاً إلى إطاره، وهذا

المنظر يحدث في الروح وهماً يعتبره حالة واقعية. وبناء عليه، فإن ما حدث، لم يكن تذكاراً، بل كان شعوراً حقيقياً، نظراً إلى أنه أثناء حياته لم يأكله الدود. لنر الآن ما يمكن أن نستنتج من الوقائع بعد فحصها فحصاً دقيقاً. أثناء الحياة، يستقبل الجسد التأثيرات الخارجية ويرسلها إلى الروح عن طريق الإطار الذي يُكوِّن، على الأرجح، ما يسمى بالمائع العصبي. والجسد، ولكونه قد مات، لا يعود يشعر بشيء بتاتاً، لأن الروح لا يسكن فيه الإطار. أما الإطار، فلكونه قد تحرر من الجسد، فهو يشعر، وبما أن هذا الشعور لا يصل إليه عن طريق معين، يكون هذا الشعور شاملاً. ونظراً إلى أن الإطار، في الواقع، هو عامل إرسال، لكون الروح هو الذي يشعر، ينتج عن ذلك أنه لو كان من الممكن أن يوجد إطار دون روح، لما شعر هذا الإطار بأي شيء، كما لا يشعر الجسد بأي شيء عندما يموت. وعلى ذات المنوال، فإذا لم يكن للروح إطار، فهو لا يحس بأية حالة مؤلمة. وهذا هو ما يحدث للأرواح المنقاة تماماً، لأننا نعلم أنه بقدر ما تتحسن تنقيتهم، يصبح جوهر الإطار أثيرياً بذات القدر، وهذا يعني أن تأثير المادة يخفّ بقدر تقدم الروح، أي بقدر ما يصبح الإطار ذاته أقل خشونة.

قد يقول قائل، إن الإطار يرسل إلى الروح الأحاسيس السارة مثلما المزعجة. لكن من حيث أن الروح الطاهرة لا تتأثر بالأحاسيس المزعجة، فلا شك أنها لا تتأثر أيضاً بالأحاسيس الأخرى. وجوابنا هو: أجل، دون شك، بخصوص المشاعر التي تأتي فقط من تأثير المادة التي نعرفها، مثل: أصوات آلاتنا الموسيقية وعطور أزهارنا، فهي لا تحدث أي تأثير على الروح الطاهرة، ومع ذلك، هناك أحاسيس داخلية فاتنة صعبة الوصف تشعر بها ولا نستطيع أن نتصور فتونها، فنحن إزاء ذلك ممن ولدوا عمياناً أمام النور. نعلم أن المشاعر موجودة، ولكن كيف تحدث؟ لا نعلم، لأن العلم توقف هنا ولم يعطنا تفسيراً. نعلم أن الأرواح يملكون الإدراك والحس والسمع والبصر، وأن هذه القدرات تشمل كلية كيان الروح، وليست، كما في الإنسان، مقتصرة على جزء منه. لكن عبثاً نسأل مرة أخرى، بأية واسطة تعمل هذه القدرات؟

ذلك هو ما لا نعلمه. لا تستطيع الأرواح نفسها إفادتنا بشأن ذلك، لأن لغتنا قاصرة عن التعبير عن أفكار تتجاوز حدود معارفنا، مثلما لا تحوي لغة المتوحشين كلمات تعبّر عن الفنون الجميلة والعلوم والمذاهب الفلسفية.

عندما نقول إن مادتنا لا تؤثر على الأرواح، نقصد بذلك الأرواح الرفيعة جداً التي يكون غلافها الأثيري لا مثيل له على الأرض. لكن الحال مختلف بخصوص

الأرواح التي يكون إطارها كثيفاً، فهؤلاء يدركون أصواتنا وروائحنا، لا عبْرَ جزء معين من كيانهم، مثلما في أثناء حياتهم على الأرض. يجوز القول إنهم يشعرون بالذبذبات الجزيئية في كيانهم بأسره، وإن الذبذبات تصل هكذا إلى «المركز الحسي الشامل» الذي هو الروح ذاته، ولو بطريقة مختلفة، وربما بتأثير مختلف أيضاً، ومن ثم يحدث تغيير في الإدراك. فهم يسمعون الأصوات التي ننطق بها، ومع ذلك يفهموننا دون الحاجة إلى سماع الكلام، بمجرد تناقل الأفكار. ما يبرهن على قولنا هذا، هو أن هذا الإدراك يتيسر على الروح بقدر ما يتحرر من المادة. وفيما يخص البصر، فهو مستقل عن الضوء، إذ أن القدرة على الإبصار هي من خواص الروح الجوهرية، وهي لا تتأثر بالظلام، بل هي أكثر امتداداً وإدراكاً عند الأرواح الأكثر تنقية. تحوي الروح إذن في ذات كيانها قدرة تعطيها جميع الأحاسيس. في الحياة الجسدية، وتتعطل هذه الأحاسيس من جراء خشونة أعضائها. في الحياة اللاجسدية، ثم تعود الأحاسيس تدريجياً بقدر ما يتصفّى الغلاف نصف المادي.

بما أن الروح يستمد هذا الغلاف من البيئة المحيطة به، لذلك يتنوع هذا الغلاف طبقاً لطبيعة العوالم. فعند انتقال الأرواح من عالم إلى آخر، يستبدلون غلافهم كما نحن نستبدل ثيابنا عندما ننتقل من الشتاء إلى الصيف، أو من القطب إلى خط الاستواء. ومن ثم، فإن الأرواح السامية جداً، في زيارتها لنا، تكتسي الإطار الأثيري الخاص بالأرض، فتصبح أحاسيسها، بسبب ذلك، مشابهة لأحاسيس الأرواح العامة. غير أنهم كلهم، سواء كانوا من درجة عالية أو واطئة، لا يسمعون ولا يشعرون إلا بما يريدون أن يسمعوه أو يشعروا به. ورغم أنه ليس لديهم أعضاء حسية، فإنهم يقدرون أن يجعلوا أحاسيسهم عاملة أو عاطلة على مرادهم. ليس هناك غير أمر واحد يجبرون على سماعه، وهو إرشادات الأرواح الصالحة. يعمل البصر كل حين عندهم، ولكنهم يستطيعون أن يجعلوا أنفسهم، بالتبادل، لا مرئيين لبعضهم بعضاً. حسب المقام الذي يشغلونه، فهم يستطيعون إخفاء أنفسهم عن الذين هم أقل مقاماً منهم، لا عن الذين هم أعلى منهم مقاماً. وفي اللحظات الأولى التي تعقب الموت، يكون بصر الروح مغشّى وغامضاً، ولكنه يتضح على قدر ما يتخلص من الجسد، وقد يعود إلى نفس الصفاء الذي كان له أثناء الحياة، بغضّ النظر عن قوة اختراقه للأجسام التي هي معتمة أو كثيفة بالنسبة إلينا. أما فيما يخص امتداده عبر الفضاء اللامحدود وفي المستقبل وفي الماضي، فإنه يتوقف على درجة طهارة الروح ورفعته.

قد يقول البعض: «إن هذه النظرية بأسرها لا تطمئن البتة. كنا نظن أننا بعد تخلّصنا من غطائنا الخشن الذي هو أداة شقائنا، لن نعود نشقى أو نتعذّب، وهاأنت تفيدنا قائلاً بأننا لا نبرح نشقى بطريقة أو بأخرى، فلا يزال هناك شقاء أو عذاب». أجل، مع الأسف، فقد نضطر بعد إلى احتمال شقاء أو عذاب، كبير وطويل، ولكنا أيضاً نستطيع ألا نعود إلى الشقاء منذ اللحظة التي نفارق فيها هذه الحياة الجسدية.

في بعض الأحيان، قد لا تكون عذابات هذه الدنيا نتيجة أعمالنا، لكن الكثير منها هي نتيجة إرادتنا ذاتها. ولو بحث المرء عن أصل شقائه أو عذابه، لوجد أن أغلبها ناتج عن أسباب كان بوسعه أن يتجنبها. كم من البلايا، وكم من الماهات، تتأتى من إفراط الإنسان في الأشياء ومن طموحه، وباختصار، من انغماسه في شهواته. أما الإنسان الذي يعيش كل حين معتدلاً وميتعداً عن الإفراط، وبسيطاً في حاجاته، ومتواضعاً فيما يبتغي، فهو يتجنب شدائد شتى. وتحدث نفس الحالة للروح، فإن شقاءه يتأتى دائماً من أسلوب حياته على الأرض. لا شك أنه لن يعود يتعذّب من داء النقرس أو من الصداع، ولكنه سيعاني عذابات أخرى ليست أقل شدة. لقد رأينا أن هذه العذابات ناجمة عن الروابط الموجودة بعد بين الروح والمادة، وبقدر ما يتحرر من تأثير المادة عليه، أي بتعبير آخر، بقدر ما يتلاشى تأثيرها عليه، يقل ما يعانيه من مشاعر أليمة. لكن، يتوقف على اجتهاده، إمكانية تحرره من سطوة المادة عليه حينما كان على الأرض، فهو يتمتع بحرية الاختيار، الاختيار بين فعل شيء أو عدم فعله، وينبغي عليه أن يتغلب على أهوائه الحيوانية، وأن يتحرر من الحقد والحسد والغيرة والكبرياء، وأن يطرح من قلبه الأنانية، وأن يُطهّر نفسه بتغذيتها بالمشاعر السامية، وأن يعمل الخير، وألا يولي إلى أشياء هذه الدنيا أهمية أكبر مما تستحق، فيكون بذلك قد تنقّى حتى وهو في غلافه الجسدي، وتخلّص من سيطرة المادة عليه، فلا تعود تؤثر عليه، وحينما يفارق هذا الغلاف. لا تترك الأوجاع والشدائد التي عاناها في الدنيا أي تذكار أليم، ولا يبقى منها أي أثر مُكدّر، لأنها أصابت الجسد فقط ولم تمسّ الروح. فيغتبط بتخلّصه منها، وارتياح ضميره يُحرّره من أي عذاب معنوي. سألنا آلافاً من الأرواح كانوا في حياتهم الجسدية ينتسبون إلى جميع طبقات المجتمع، وإلى جميع المراتب الاجتماعية، ودرسناهم في كل مراحل حياتهم في عالم الأرواح، منذ اللحظة التي فارقوا فيها جسدهم، ثم تتبعناهم خطوة خطوة في حياتهم بعد الموت، لنعرف التغييرات التي طرأت عليهم في أفكارهم ومشاعرهم، وبهذا الخصوص فإن أرواح الأشخاص

العاديين جداً هي التي وافتنا بإعلامات ذات قيمة كبيرة لدراستنا. لكننا رأينا كل حين أن للشقاء والعذاب علاقة بالسلوك، وأنهما العواقب الناتجة عن السلوك نفسه، وأن هذه الحياة الجديدة، هي منبع سعادة فائقة الوصف للذين نهجوا السبيل السوي. نستنتج مما سبق أن الذين يشقون، فهم يشقون لأنهم أرادوا الشقاء، وأنهم هم وحدهم المسؤولون عن شقائهم، سواء كان في العالم الآخر أو في هذا العالم.

5 ـ اختيار التجارب

258 ـ في الحالة التجوالية، وقبل أن يبدأ حياة جسدية جديدة، هل يدرك الروح الأحداث التي ستطرأ عليه، وهل يتوقّعها؟

يختار هو نفسه نوع التجارب التي يريد أن يقاسيها، ويفعل ذلك بموجب حرية اختياره.

258 أ ـ إذن ليس الله هو الذي يفرض مشقات الحياة كقصاص للروح؟

لا يحدث شيئاً بتاتاً دون إذن الله، إذ أن الله هو الذي أقام جميع السنن التي تتحكّم بالكون. ربما تسألون لماذا أقام الله تعالى هذا القانون وليس غيره. عندما أعطى الله للروح حرية الخيار، جعل مسؤوليته عن أفعاله وعن عواقبها كاملة، فلا شيء يقيّد مصيره، إذ له الخيار بين طريق الصلاح وطريق الشر. ولكنه إذا سقط، يبقى له تعزية، وهي إن سقوطه ليس نهاية كل شيء بالنسبة له، وأن الله، في رأفته، يمنحه الحرية ليعيد ثانية ما أساء إنجازه. وفضلاً عن ذلك، يجب التمييز بين ما يأتي من إرادة الله وما يأتي من إرادة الإنسان. فمثلاً: إذا وجدت نفسك أمام خطر يهدّدك، فلست أنت الذي اختلقت ذلك الخطر وإنما الله هو الذي أوجده، ولكنك تريد أن تُعرّض نفسك له، لأنك رأيت فيه وسيلة للتقدم سمح الله بها.

259 ـ إن كان للروح الحرية لاختيار نوع المحنة التي سيتحملها، فهل يتأتى من ذلك أننا كنا على علم بجميع الشدائد التي تصيبنا في الحياة، وأننا نحن الذين اخترناها؟

جميع الشدائد ليس التعبير الصائب، إذ لا يصح القول إنك اخترت وعرفت سلفاً أصغر دقائق ما سيحصل لك على الأرض، إذ أن ما اخترته هو نوع التجارب فقط. أما الدقائق، فهي ناتجة عن موقفك تجاه الظروف، وغالباً عن أعمالك ذاتها. إذا اختار الروح، مثلاً، أن يولد بين المجرمين، فإنه يعلم بتعرّضه للانزلاق في طريق الإجرام،

ولكنه لا يعلم كل الأفعال التي سيفعلها، إذ أن هذه الأفعال متوقفة على رغبته وحرية اختياره. يعرف الروح أنه باختياره ذلك، سيضطر إلى مواجهة المحن التي تنتج عنها، ومن ثم، فهو يعلم نوع الشدائد التي سيلاقيها في طريقه، ولكنه لا يعلم سلفاً الأحداث التي سيتعرض لها، إذ أن دقائق الأحداث تنشأ عن الظروف الراهنة من قوة الأحوال التي تسببها. فالأحداث الكبيرة التي تؤثر على المصير، هي فقط المدبّرة سلفاً. فإذا سرت في طريق كثير الأخاديد، فأنت تعلم بأنك ستضطر إلى السير بحذر شديد، لأنك معرّض للتعثّر والسقوط، ولكنك لا تعرف أين ستتعثر وتسقط، وحتى لو كنت حذراً كفاية، وإذا كنت ماراً في الشارع وهوت فرميدة على رأسك، فلا تظن أن ذلك مكتوب، كما تقول الناس عادة.

260 ـ ما السبب الذي يجعل الروح يرغب في أن يولد بين أناس سيّئي السيرة؟

طبعاً، لا بد من إرساله إلى بيئة تتيح له تحمّل التجربة التي طلبها. ولذلك، فلا بد من التجانس مع تلك البيئة. ليتغلب على غريزة قطع الطرق التي تكمن فيه، لا بد من أن يعيش بين خلق من هذا النوع.

260 أ ـ إذا لم يكن على الأرض أناس سيئو السيرة، إذن فلن يجد الروح البيئة اللازمة لبعض التجارب؟

أهذا سبب لنشتكي منه؟ هذا هو ما يحدث في العوالم السامية حيث لا يصل الشر إليها، لذلك هي مقر لأرواح صالحة فقط. فاجتهدوا لتصبح أرضكم مثلها في القريب العاجل.

261 ـ التجارب التي يجب على الروح احتمالها ليصل إلى الكمال، هل تتضمن اختبار جميع أنواع الغوايات، والمرور بجميع الأحوال التي قد تثير فيه الكبرياء والحسد والبخل والشهوات الجسدية؟

كلا على الإطلاق، وأنتم تعلمون أن هناك أناساً يسلكون، من البداية، طريقاً يقيهم العديد من التجارب. أما الإنسان الذي ينقاد إلى طريق الضلال، فهو يتعرض لجميع أخطار ذلك الطريق. فمثلاً، قد يطلب الروح الرخاء، وقد يلبى طلبه، وحينئذ، بحسب نزعاته قد يصبح بخيلاً أو مسرفاً، أنانياً أو سخياً، وربما ينغمس في جميع الملذات الشهوانية. لكن ذلك لا يعني أنه سيضطر حتماً إلى المرور بجميع هذه التصرفات ليصل إلى الكمال.

262 ـ كيف يستطيع الروح الذي، في بدايته يكون بسيطاً وجاهلاً ودون خبرة، أن يختار حياة، عن دراية، وأن يكون مسؤولاً عما يختاره؟

يُعوّض الله عن عدم خبرته برسم الطريق الذي ينبغي عليه أن يسلكه، كما أنت تفعل للطفل منذ المهد. لكن يدعه يصبح تدريجياً صاحب الأمر ليختار بنفسه بقدر ما تتطور حرية اختياره فيه. وعندئذ غالباً ما يضل الروح وينتهج السبيل السيئ، فلا يُصغي إلى نصائح الأرواح الصالحة. وذلك هو ما يمكن تسميته بسقوط الإنسان.

262 أ ـ حينما يتمتع الروح بحرية اختياره، أيتوقف اختيار الحياة الجسدية دائماً على إرادته دون تأثير آخر، أم من الممكن أن يفرضها الله عليه كتكفير عن ماضيه؟

الله حليم، ولا يُعجّل بالتكفير. ومع ذلك قد يفرض على الروح حياة، عندما لا يكون الروح، من جراء تأخره أو عدم نيّته للتقدّم، أهلاً ليفهم ما قد يكون الأفضل له، وحينما يرى الله أن هذه الحياة قد تساعده على تطهيره وتقدمه، بينما يجد فيها تكفيراً عن ماضيه.

263 ـ هل يختار الروح الحياة فوراً بعد الموت؟

كلا، لأن عدداً كبيراً من الأرواح يعتقد بأبدية المحن، وقد قلنا سابقاً لك إن هذا الاعتقاد عقاب لهم.

264 ـ ما الذي يوجه الروح في اختيار التجارب التي يريد احتمالها؟

يختار الروح التجارب التي قد تكون له تكفيراً عن سيئاته بحسب نوعها، والتي تعجّل تقدّمه. وبناء على ذلك، قد تفرض بعض الأرواح على نفسها حياة فقر وعوز لتتحمّلها بشجاعة، وتود أرواح أخرى اختبار نفسها بإغراء الثروة والقدرة والشوكة، التي هي ذات خطر كبير من جراء الإفراط بها عادة، وسوء استعمالها، ومن الأهواء السيئة التي تثيرها في الناس. وأخيراً، قد تودّ أرواح أخرى اختبار نفسها بالنضال في بيئة الفساد.

265 ـ إذا اختارت بعض الأرواح بيئة الفساد لاختبار نفسها، ألا توجد أرواح تختار تلك البيئة بدافع انجذاب عاطفي، لأنها ترغب أن تعيش في وسط ملائم لميولها، أو لتتمكن من إطلاق العنان لأهواء مادية؟

توجد تلك الأرواح، دون شك، ولكن ذلك مقتصر على التي لم تتطور سريرتها بعد. تأتي المحنة من ذات المحنة، وتعانيها تلك الأرواح زمناً أطول من المعتاد. ولكنهم

عاجلاً أو آجلاً يفهمون أن في إرضائهم لأهوائهم البهيمية، عواقب محزنة، سوف يتحملونها زمناً طويلاً يلوح لهم أبدياً. وقد يدعهم الله يظلون في تلك الحالة إلى أن يفهموا خطأهم، ويطلبوا من تلقاء نفسهم أن يعوّضوا عنه بتجارب مفيدة.

266 ـ ألا يبدو من الطبيعي اختيار التجارب الأقل شقاء؟

أجل، من وجهة نظركم، لا من وجهة نظر الروح، فعقب تخلّصه من المادة يزول الوهم، وتتغير نظرته إلى الأشياء.

(الإنسان، أثناء وجوده على الأرض، وعندما يكون تحت تأثير الأفكار الشهوانية، لا يرى في تلك التجارب الصعبة سوى الناحية الشاقة منها. فيبدو له من الطبيعي اختيار التجارب التي، حسب نظره، تستطيع أن تقترن بالملذات المادية. لكنه في الحياة الروحية، يقارن بين تلك الملذات الزائلة الغليظة وبين السعادة الثابتة التي يستشفها، وبسبب ذلك يدرك كم هو قليل بعض الشقاء المؤقت مقابل تلك السعادة. وبناء عليه، قد يختار التجربة الأشد قساوة، والحياة الأشد شقاء، على أمل أن يصل سريعاً إلى حالة أحسن من التي هو فيها، مثلما يفضّل المريض أقبح دواء ليحصل على الشفاء سريعاً. فمن يبغي تخليد اسمه بربطه باكتشاف أصقاع جديدة، لا يختار الطريق المُزهّر، ولا تردعه الأخطار التي يلاقيها، وإنما يواجهها في سبيل المجد الذي ينتظره إذا ظفر).

(قاعدة الحرية في اختيار حياتنا وفي اختيار التجارب التي يجب علينا احتمالها، لا تبدو لنا خارقة للعادة، حين نأخذ بعين الاعتبار أن الأرواح المتحررة من المادة، تقدّر الأشياء تقديراً مختلفاً عن تقديرنا لها. فهي تدرك أن أهمية الهدف تفوق بكثير الملذات الدنيوية العابرة، وترى بعد كل تجسد الخطوات التي خطتها إلى الأمام، وتعي مقدار ما ينقصها بعد من التطهر لتبلغ الهدف. ولهذا السبب، ترضى إرادياً باحتمال جميع تقلبات الحياة الجسدية طالبة بنفسها التجارب التي قد تعجّل وصولها إليه بأسرع وقت. وبناء على ذلك، فمن الخطأ التعجب من كون الروح لا يختار لنفسه الحياة المريحة، لأنه يعلم أنه لن يتمتع بتلك الحياة الخالية من المرارة، طالما يظل في حالته المطبوعة بالنقائص. إنه يستشف تلك الحياة، وإذ ذاك، يحاول أن يتحسن، لأنه يرغب بالوصول إليها).

(فضلاً عن ذلك، ألا نرى كل يوم أمثالاً من هذه الاختيارات؟ من يكد بلا ملل ولا توقّف طيلة حياته، ليجمع ما يحتاج لراحته في المستقبل، أليس ذلك الكد

مجهوداً يفرضه على نفسه بقصد مستقبل حسن؟ والجندي الذي يعاني الشقاء لإنجاز مهمة شائكة، والرجل الذي يقتحم مخاطر كبيرة في سبيل العلم أو في سبيل الثراء، ألا تعني هذه الأمثال، شدائد تلقائية تقدم لهم مجداً وربحاً إن عادوا منها ظافرين؟ هل هناك، يا ترى، حدود لما يتجرأ عليه الإنسان، أو لما يعرّض نفسه إليه في سبيل مصلحته أو مجده؟ أليست كل المسابقات تجارب اختيارية يخضع لها الإنسان بقصد الارتقاء في المهنة التي يختارها؟ لا يصل أحد إلى أي مركز اجتماعي سام في العلوم أو الفنون أو الصناعة، إن لم يجتز واحداً بعد الآخر المراكز السفلى، والتي هي تجارب أيضاً. هكذا نرى أن حياة الإنسان هي صورة مطابقة تماماً للحياة الروحية، فنحن نجد فيها على نحو مصغّر نفس تقلبات الحياة بأسرها. فإن كنا خلال الحياة الأرضية نختار عادة التجارب القاسية في سبيل هدف عال، فلماذا تريدون من الروح الذي هو أكثر بصيرة من الجسد في الأشياء، ويعتبر الحياة الجسدية كحادث عابر، لماذا تريدونه ألا يختار حياة شاقة ومتعبة، ولكنها ستوصّله إلى سعادة أبدية؟ أما الذين يقولون لو كان للإنسان الحق في اختيار نوع حياته، لطلبوا أن يكونوا أمراء أو أغنياء أو أصحاب ثروة طائلة، فهؤلاء كقصيري النظر الذين لا يرون إلا ما يلمسونه، أو كأولاد الشوارع الذين، إن سئلوا عن الصنعة التي يفضّلون أن يشتغلوا فيها، يجيبون: صانع القطائف أو حلواني).

(على نفس النحو، حالة المسافر في وسط وادٍ عميق وكثيف الضباب، وهو لا يرى طول طريقه لا أوله ولا آخره. لكن بعد وصوله إلى قمة الجبل، يشمل حينئذ بنظره الطريق الذي اجتازه والطريق الذي ما زال عليه أن يجتازه. فهو يرى هدفه والعقبات التي يجب عليه بعد التغلب عليها، ويستطيع حينئذ أن يُرتّب بصورة أكيدة كيفية الوصول إلى الهدف. إن الروح المتجسد كالمسافر في أسفل الجبل، وعقب تخلّصه من الروابط الأرضية، يشرف على كل شيء كالمسافر الذي بلغ القمة. هدف المسافر هو الاستراحة بعد مشقّة الطريق، وهدف الروح هو الحصول على السعادة العليا بعد الشدائد والتجارب).

(تقول جميع الأرواح بأنها خلال حالتها التجوالية تبحث، وتدرس، وتراقب لتختار نوع حياتها. أليس عندنا مثال من هذا النوع في الحياة الجسدية؟ ألا نسعى، أحياناً، سنوات عديدة وراء الشغل الذي نختاره بإرادتنا، لأننا نظن أن ذلك الشغل هو الأفضل لمستقبلنا؟ وإذا فشلنا بذلك الشغل، نعود ونسعى وراء غيره. وكل شغل

نختاره هو مرحلة من حياتنا أو جزء منها. ألا نقضي كل يوم من حياتنا في البحث عما سنفعله في الغد؟ وإذن، ماذا تعني للروح الحيوات الجسدية المتوالية، طالما أنها مراحل أو أجزاء أو أيام من حياته الأرواحية التي، كما نعلم، هي حياته الحقيقية، لكون الحياة الجسدية مؤقتة وعابرة).

267 ـ هل يستطيع الروح أن يختار خلال حياته الجسدية؟

قد يكون لرغبته تأثير على الاختيار، ولكن ذلك يتوقف على نيته. إلا أنه في حالته كروح غير متجسد، يرى الأشياء عادة بصورة مختلفة جداً. الروح وحده هو من يختار، لكننا نكرر مرة أخرى بأنه يجوز له أن يختار وهو في الحياة المادية، إذ أن للروح دائماً برهات يتحرر أثناءها من تأثير المادة التي يسكن فيها.

267 ا ـ لكن أناساً كثيرين يرغبون بالمراتب السنيّة والثروات، ولا يمكن أن يكون ذلك للتكفير أو للتجربة؟

لا شك أن المادة ترغب بهذه المراتب السنية لتتمتع بها، وأن الروح ترغب بها لتتعرف على تقلباتها.

268 ـ هل يجب على الروح أن يتحمل تجارب على الدوام، إلى أن يبلغ حالة الصفاء التام؟

أجل، ولكن ليست التجارب كما تفهمونها، إذ أنكم تعتبرون المشقات المادية تجارب. إلا أن الروح الذي يبلغ مقداراً حسناً من الرقي الروحي، دون أن يبلغ الكمال، لا يحتاج إليها، ولو أنه لا يزال عليه واجبات لا شقاء فيها، تساعده على الارتقاء، مثل مساعدة الآخرين ليرتقوا بأنفسهم.

269 ـ أمن الممكن أن يخطئ الروح في فاعلية التجارب التي يختارها؟

قد يحدث أن يختار تجربة تتعدى حدود قواه، وحينئذ يسقط تحت الحمل. وقد يختار أيضاً تجربة لا نفع له فيها، كأن يختار حياة كسولة وعديمة الفائدة. لكنه في هذه الحال، وعقب عودته إلى عالم الأرواح، يرى أنه لم يستفد منها بشيء مطلقاً، فيطلب أن يُعوّض الوقت الذي ضيعه.

270 ـ ما الذي يدفع بعض الأشخاص كي يرغبوا بأن يشتغلوا في مهنة معينة وليس في مهنة أخرى؟

أظن أنك تستطيع الإجابة على هذا السؤال بنفسك. أليس ذلك نتيجة كل ما قلناه لك بشأن اختيار التجارب والرقي المنجز في تجسد سابق.

271 ـ في الحالة التجوالية، بينما يدرس الروح مختلف الأحوال التي يستطيع أن يتقدم فيها، كيف يظن أنه سيتقدم في حالة ولادته، مثلاً، بين الشعوب التي تأكل اللحم البشري؟

ليست الأرواح المتقدمة هي التي تولد بين آكلي اللحم البشري، بل أرواح من نفس مستواهم أو من طبقة أدنى منهم.

(نعلم أن آكلي اللحم البشري ليسوا في أدنى درجة من تراتب الرقي الروحي، وأن هناك عوالم أخرى حيث أن بلادة البهائم والوحشية لا مثيل لهما على الأرض. وبناء عليه، فإن تلك الأرواح أدنى من أرواح عالمنا، ومن ثم، فإن مجيئهم بين شعوبنا المتوحشة هو تقدّم لهم، كما هو تقدم لأحد من آكلي اللحم البشري، حين يحترف مهنة تجبره على إراقة الدم. وإذا لم يرتفع نظرهم إلى هدف أعلى، فلأن تأخرهم الخلقي لا يسمح لهم بإدراك تقدم أعلى مما هم فيه. لا يتقدم الروح إلا تدريجياً، ولا يقدر، بوثبة واحدة، أن يجتاز المسافة بين التوحش والتمدن، وفي ذلك العجز نجد أحد الأسباب لضرورة العودة إلى التجسد، التي هي حقاً مطابقة لعدالة الله، فإذا لم يحدث ذلك، فماذا يكون نصيب الملايين من البشر الذين يموتون كل يوم في أسفل درجات الانحطاط، إذا لم تُعط لهم الوسائل ليرتقوا؟ لماذا يحرمهم الله من فضله الذي يمنحه للآخرين؟

272 ـ هل من الممكن لأرواح آتية من عالم هو في الدرك الأسفل، أو من شعب متأخر جداً، كآكلي اللحم البشري، مثلاً، أن يولدوا بين شعوبنا المتمدنة؟

أجل، هناك الذين يضلون برغبتهم في الصعود أعلى مما يسمح لهم قواهم. لكنهم حينذاك، يصبحون أشخاصاً خارج بيئتهم، فهم يعيشون بينكم، ولكن خصائلهم وغرائزهم تصطدم مع مجتمعكم.

(يُقدّم لنا هؤلاء الأشخاص مشهداً محزناً هو مشهد الوحشية وسط المدنية. فإذا رجعوا إلى آكلي اللحم البشري، فلن يكون ذلك انحطاطاً لهم، بل العودة إلى مكانهم، وربما يربحون بعودتهم إلى قومهم).

273 ـ هل من الممكن لشخص من شعب متمدن، أن يعود إلى التجسد بين شعب متوحش، للتكفير عن أفعال ماضية؟

أجل، إنما يتوقف ذلك على نوع التكفير المفروض عليه. فإن كان سيداً قاسياً على عبيده في تجسد سابق، فقد يصبح عبداً بدوره ليعاني نفس المعاملة القاسية التي عامل بها عبيده. ومن كان يأمر على غيره في الماضي، قد يجبر في حياة جديدة أن

يطيع الذين كانوا ينحنون تحت مشيئته. هذا هو التكفير عن أعماله، إذا أساء استعمال سلطانه، وقد يفرض الله ذلك عليه. وقد تشاء روح صالحة اختيار حياة ذات نفوذ بين تلك الشعوب، لتسرع تقدّمهم، وفي هذه الحالة، يكون ذلك التجسد إرسالية.

6 ـ العلاقات بين الأرواح بعد الموت

274 ـ هل تقيم الطبقات المختلفة للأرواح تدرّجاً في السلطة بينها؟ هل هناك بينها من يطيع ومن يأمر؟

أجل، سلطة كبيرة مبنية على التدرج، إذ تسيطر الأرواح على بعضها بعضاً سيطرة متناسبة مع تفوقها الروحي، وتمارس تلك السيطرة بواسطة هيمنة أدبية ومعنوية لا تقاوم.

274 أ ـ هل تقدر الأرواح الواطئة الدرجة أن تتملص من سيطرة الأرواح الأعلى منها؟

قلت إنها سيطرة لا تقاوم.

275 ـ الجاه والاعتبار اللذان كان الإنسان يحظى بهما على الأرض، هل يعطيان تفوقاً له في عالم الأرواح؟

كلا، إذ سيُرفع الصغار ويُحطّ الكبار. اقرأ المزامير.

275 أ ـ كيف يجب أن نفهم هذا الرفع وهذه الحطة؟

ألا تعلم أن الأرواح هي من طبقات مختلفة حسب استحقاقها؟ إذن، فإن صاحب الحل والربط على الأرض قد يكون في أدنى درجة بين الأرواح، بينما يكون عبده في الدرجة الأولى. أتفهم ذلك؟ ألم يقل المسيح: من ينحطّ سيرفع ومن يُرفّع سيحط؟

276 ـ من كان عظيماً على الأرض ثم وجد نفسه في درجة واطئة بين الأرواح، ألا يشعر بالذل؟

كثيراً ما يشعر بذل شديد جداً، وبالأخص إذا كان متكبراً وحسوداً.

277 ـ الجندي الذي يتقابل بعد المعركة مع قائده في عالم الأرواح، هل يعتبره بعد رئيساً له؟

ليست الرتبة بشيء. التفوّق الحقيقي وحده هو كل شيء.

278 ـ هل تختلط أرواح مختلف الطبقات بين بعضها؟

أجل وكلا، أي أنها ترى بعضها بعضاً، ولكنها تتميز عن بعضها. تتهرب أو تتقرب من بعضها، بحسب تجانس أو تنافر مشاعرها، مثلما يحدث بينكم. إنه عالم بأسره وعالمكم هو صورة له مصغرة ومعتّمة. فمن هم من نفس الدرجة يقتربون من بعضهم بعضاً بدافع ما هو عبارة عن تجانس، ويكوّنون جماعات أرواح أو عائلات أرواح يجمعها الانجذاب والغرض الذي يقصدونه: فالأرواح الصالحة تجمعها الرغبة في عمل الخير، والأرواح الشريرة الرغبة في عمل الشر، أو الخجل من سيئاتها، أو احتياجها لتكون بين أرواح تماثلها.

(عالم الأرواح كمدينة كبيرة حيث يعيش أناس من جميع المراتب ومن جميع الأوضاع يرون بعضهم بعضاً ويتقابلون دون أن يختلطوا، وحيث تتآلف الجماعات بحسب تجانس ميولها، وحيث تسير الرذيلة والفضيلة جنباً إلى جنب دون أن تتكلم الواحدة مع الأخرى).

279 ـ هل جميع الأرواح على اتصال ببعضها بعضاً؟

تذهب الأرواح الصالحة أينما تشاء، ويجب أن يكون الأمر هكذا لكي تتمكن من التأثير على الأرواح الرديئة. إلا أن المناطق التي تسكنها الأرواح الصالحة محرّمة على الأرواح الناقصة، لكي لا تجلب البلبلة بأهوائها السيئة إلى هذه المناطق.

280 ـ ما نوع العلاقات بين الأرواح الصالحة والأرواح الشريرة؟

تجتهد الصالحة في محاربة الميول السيئة في الأرواح الأخرى، لتعينها في صعودها، وهذه الإعانة هي رسالة لها.

281 ـ لماذا تسرّ الأرواح السفلى بتحريضنا على الشر؟

من الحسد لكونها لم تستحق أن تكون بين الأرواح الصالحة، فهي تريد بقدر إمكانها أن تمنع الأرواح التي ما زالت قليلة الخبرة، من الوصول إلى السعادة العليا، وتريد أن تتحمل الأرواح الأخرى الشقاء الذي تتحمله هي. ألا ترى ذلك بينكم أيضاً؟

282 ـ كيف تتصل الأرواح بين بعضها؟

بالنظر إلى بعضهم بعضاً يتفاهمون. فالكلام مادي، وهو انعكاس الروح. يقيم المائع الكوني بينهم اتصالاً مستديماً، فهو أداة نقل الفكر، مثلما الهواء هو أداة نقل

الصوت عندكم، إنه عبارة عن تلغراف كوني يصل كل العوالم، ويمكّن الأرواح من أن تتخابر بواسطته من عالم إلى آخر.

283 ـ أتستطيع الأرواح أن تحجب أفكارها عن الأرواح الأخرى؟ أتستطيع أن تتوارى عن بعضها بعضاً؟

كلا، لأن كل شيء مكشوف لهم، خاصة للذين بلغوا الكمال. فهم قد يكونون على بعد كبير، لكنهم يرون بعضهم بعضاً كل حين. على أن هذه القاعدة ليست مطلقة، لأن البعض منهم عندهم القدرة أن يجعلوا أرواحاً أخرى لا تراهم، إذا اعتبروا ذلك ضرورياً.

284 ـ بالنظر إلى أن الأرواح ليس لها جسد، كيف تستطيع أن تعاين فرديتها، وأن تتميز عن الكائنات الروحية الأخرى التي تحيط بها؟

يعاينون فرديتهم بواسطة الإطار الهالي الذي يجعلهم متميزين الواحد عن الآخر، مثلما الجسد يميِّز الأفراد بين البشر.

285 ـ هل تتعرف الأرواح على بعضها بعضاً من كونها تعايشت معاً على الأرض؟ هل يعرف الابن والده والصديق صديقه؟

أجل، وهكذا من جيل إلى جيل.

285 أ ـ الناس الذين كانوا يعرفون بعضهم على الأرض، كيف يتعرّفون على بعضهم في عالم الأرواح؟

نرى حياتنا الماضية ونقرأ فيها كما نقرأ في كتاب مفتوح. عندما نرى ماضي أصدقائنا وماضي أعدائنا، نرى مرورهم من الحياة إلى الموت.

286 ـ عندما يفارق الروح جثّته، هل يرى على الفور أقاربه وأصدقاءه الذين سبقوه في عالم الأرواح؟

ليس على الفور دائماً، إذ كما قلنا، يحتاج الروح إلى وقت ما ليعي بحاله ويطرح عنه الحجاب المادي.

287 ـ كيف تستقبل الروح لدى عودتها إلى عالم الأرواح؟

روح البار كأخ حبيب منتظر منذ أمد مديد، وروح الأثيم كشخص محتقر.

288 ـ ماذا تشعر الأرواح النجسة عندما ترى روحاً سيئة أخرى تصل إليها؟

تسر الأرواح الشريرة برؤية أرواح مشابهة لها ومحرومة، مثلها، من السعادة اللامحدودة، تماماً كما هي الحال على الأرض، عندما يصل اللص النصاب بين أمثاله.

289 ـ هل يحضر أقاربنا وأصدقاءنا أحياناً لاستقبالنا عندما نبرح الأرض؟

أجل، يأتون لاستقبال الروح الذي يشعرون بالمودة نحوه، ويهنئونه كمن عاد من سفر، بعد أن نجا من أخطار الطريق، ويساعدونه على التخلص من الروابط الجسدية. وهذا الترحيب هو لطف للأرواح الصالحة عندما يأتي الذين توددوا إليهم لاستقبالهم، بينما من تدنّس يظل في العزلة، ولا يحاط إلا بأرواح مشابهة له، وذلك هو قصاص له.

290 ـ هل يلتقي الأقارب والأصدقاء بعد موتهم دائماً؟

يتوقف ذلك على درجة رقيّهم الروحي وعلى الطريق الذي يسلكونه لتقدّمهم. إذا كان أحدهم أكثر تقدماً من صديقه وأسرع منه في تقدمه، فلن يستطيعا أن يظلا مع بعضهما. قد يتقابلان أحياناً، ولكنهما لن يعودا إلى الاجتماع الدائم طالما أنهما لا يستطيعان السير جنباً إلى جنب، أو لم يبلغا المساواة في الارتقاء. علاوة على ذلك، قد يكون حرمان الروح من رؤية أقاربه وأصدقائه، قصاصاً له أحياناً.

7 ـ علاقات انجذابية وتنافرية بين الأرواح – القرناء الأبديون

291 ـ علاوة على الانجذاب العام بسبب التشابه، هل تشعر الأرواح بمودة خاصة بين بعضها؟

أجل، كما هو الحال بين البشر، لكن، العلاقة التي تجمع الأرواح أمتن لدى انعدام الجسد، لأنها لا تعود معرّضة لتقلبات الأهواء.

292 ـ هل تشعر الأرواح بالبغض بين بعضها بعضاً؟

لا يوجد بغض إلا بين الأرواح النجسة، وهي التي تدسّ العدوات والفتن بينكم.

293 ـ في حالة عدوّين كانا يتباغضان على الأرض، هل يحفظان ضغينتهما في عالم الأرواح؟

كلا، لأنهما سيفهمان أن تباغضهما كان من الحماقة وأن سببه تافه. الأرواح المتأخرة وحدها، هي التي تحتفظ بما يشبه عداء يطول حتى يتم تنقيتها. فإذا كان سبب شقاقها، مجرد مصلحة مادية، فسوف تنساها تماماً، قبل تحررها الكامل من تأثير المادة. إذا ما كان بينها تنافر، وزال سبب الخلاف، فهي ستتقابل ثانية بسرور.

(كتلميذين عندما يبلغان سن الرشد، يدركان أن مشاجراتهما أثناء صباهما كانت تصرفاً صبيانياً، ولا يعودان يحقدان على بعضهما).

294 ـ أيكون تذكار الخبائث التي اقترفها شخصان الواحد ضد الآخر، عقبة في تجاذبهما؟

أجل، يدفعهما إلى الابتعاد الواحد عن الآخر.

295 ـ ماذا يشعر بعد الموت أولئك الذين أساءا إليهم في هذه الدنيا؟

إن كانوا صالحين، يسامحون بحسب ندمكم. أما إن كانوا أشراراً، فمن الممكن أن يحتفظوا بضغينتهم، ويطاردونكم أحياناً، حتى في حياة أخرى على الأرض. وقد يسمح الله بذلك كعقوبة للمسيء.

296 ـ هل من الممكن أن تتغير المودّات الشخصية بين الأرواح؟

كلا، إذ من المستبعد أن يخطئوا، فما عاد لهم القناع الذي وراءه يتوارى المراءون، ولذلك، لا تتغير مودّاتهم إن كانوا مطهّرين. والود الذي يجمعهم هو مصدر سعادة فائقة لهم.

297 ـ أتستمر حتى في عالم الأرواح، المودة التي تبادلها شخصان على الأرض؟

أجل، دون شك، إذا كانت تستند إلى انجذاب حقيقي. أما إذا كان باعث المودة أسباباً جسدية أكثر من الانجذاب، فيزول الانجذاب مع زوال الجسد الذي يسببه. والمودات بين الأرواح أمتن وأثبت مما هي على الأرض، لكونها لا تتوقف على تقلب المصالح المادية وعلى حب الذات.

298 ـ النفوس التي تتآهب لتقترن، هل اقترانها هذا مقدّر لها سلفاً منذ بدايتها؟ هل لكل واحد منا في مكان ما في الكون قرينته التي سيلحق بها حتماً يوماً ما؟

كلا، ليس هناك اقتران خاص ومحتم بين روحين. الاتحاد موجود بين جميع الأرواح، ولكن على درجات مختلفة بحسب المرتبة التي يشغلونها، أي بحسب درجة الرقي الروحي الذي أحرزوه، فبقدر ما يزداد رقيهم، تزداد ألفة القلوب بينهم. فمن الشقاق تأتي سيئات البشرية، ومن الوفاق تنجم السعادة التامة.

299 ـ ما معنى العبارة «النصف الآخر» التي تستعملها بعض الأرواح للإشارة إلى الأرواح المتجاذبة؟

العبارة غير صحيحة، فلو كان روح ما نصفاً لروح آخر منفصل عنه، لكان روحاً ناقصاً.

300. عقب التحاق روحين متجاذبين جداً ببعضهما، هل تدوم هذه الحالة إلى الأبد، أم من الممكن أن يفترقا ويلتحقا بأرواح أخرى؟

كل الأرواح متحدة قلبياً ببعضها، وأعني هنا أولئك الذين بلغوا الكمال. أما في الدوائر الروحية السفلية، فعندما يرتقي روح، لا يعود له نفس الانجذاب نحو الذين فارقهم.

301 ـ في حالة روحين متجاذبين، هل الواحد منهما هو تكملة الآخر، أم أن هذا التجاذب المتبادل هو نتيجة المطابقة التامة بينهما؟

الانجذاب الذي يجعل روحاً يميل إلى روح آخر هو نتيجة وفاقهما التام في ميولهما وغرائزهما. فإذا كان أحدهما مكمّلاً للآخر، ضاعت شخصيته.

302 ـ أليست المطابقة اللازمة للتجاذب التام، نتيجة مشابهة الأفكار والمشاعر، أم أنها أيضاً نتيجة التشابه في المعارف التي أحرزوها؟

نتيجة المساواة في درجات الرقي.

303 ـ أمن الممكن لأرواح لا تتجاذب في الوقت الحاضر، أن تتجاذب فيما بعد؟

أجل، ستصبح جميع الأرواح متجاذبة. وبناء عليه، فإن الروح الذي هو الآن في منطقة سفلية، سيصل بتطوره إلى المنطقة التي يقطن فيها روح سام. سيحدث الالتقاء سريعاً، وإذا ظل الروح السامي بلا تقدم، من جراء عدم تحمله، التجارب التي قبلها سابقاً.

303 أ ـ أمن الممكن لروحين متجاذبين أن يصبحا لا متجاذبين فيما بعد؟

دون شك، إذا كان أحدهما كسولاً ولا يرتقي.

(نظرية القرناء الأبديين هي صورة تعبر عن ألفة روحين متجاذبين، وهي عبارة مستعملة حتى في الكلام الدارج، ويجب ألا تفسر بالحرف. والأرواح الذين استعملوها لا ينتسبون بكل تأكيد إلى طبقة عالية. من المؤكد أن مستوى أفكارهم محدود، ومن ثم، فقد عبروا عن آرائهم بالعبارات التي كانوا يستعملونها أثناء حياتهم الجسدية. لذلك، ينبغي علينا رفض هذه الفكرة القائلة: بأن روحين خلقا الواحد للآخر، يجب حتماً أن يلتحقا يوماً ما ببعضهما في الحياة الأبدية، بعد أن كانا مفترقين أثناء فترة زمنية، قصيرة كانت أو طويلة).

8 ـ تذكّر الحياة الجسدية

304 ـ هل يتذكر الروح حياته في الجسد؟

أجل، وأعني أنه، لكونه عاش مرات عديدة كإنسان، يتذكر ما كان في الماضي، وصدقني أنه، أحياناً، يضحك بأسف من حماقة تصرفه.

(كالإنسان الذي بلغ سن الرشد، يضحك من جنون شبابه، أو من أعماله الصبيانية في طفولته).

305 ـ هل يمكن للروح بعد موته، تذكّر حياته الجسدية بشكل كامل فجأة؟

كلا، يعود إليه التذكّر بها رويداً، كشيء يخرج من الضباب، وبقدر ما يركّز انتباهه فيه.

306 ـ هل يتذكّر الروح بإسهاب، جميع وقائع حياته، وهل يشملها كلها بنظرة استذكارية واحدة؟

يتذكّر الأشياء بالنظر إلى العواقب التي نتجت عنها على حالته كروح. لكنك تعرف أن هناك أحوالاً في حياته لا يعطيها الروح أية أهمية، ويحاول حتى أن لا يتذكرها؟

306 أ ـ أيستطيع أن يتذكرها إذا شاء؟

يستطيع أن يتذكر أدق التفاصيل والأحداث التي أحاطت بالوقائع، أو أحاطت حتى بأفكاره. لكن إذا كان ذلك بلا منفعة، فهو لا يحاول أن يتذكرها.

306 ب ـ هل يستشفّ الروح غرض الحياة الأرضية بالنسبة إلى الحياة المقبلة؟

لا شك أنه يراه ويفهمه بشكل أوضح مما كان خلال وجوده في الجسد. فهو يفهم أن تنقيته ضرورية للوصول إلى اللانهاية، ويعلم أن في كل حياة يتطهّر من بعض الدنس.

307 ـ كيف تتبسط الحياة الماضية أمام الروح في ذاكرته؟ هل بمجهود من خياله أم كصورة أمام عينيه؟

الاثنان، فإن كل الأفعال التي من صالحه أن يتذكرها، تبدو له كما لو كانت في الحاضر. أما الأفعال الأخرى فتبقى في غيوم الفكر أو ينساها تماماً. وبقدر ما يزداد تحرره من أثر المادة، تقلّ الأهمية التي يعطيها للأشياء المادية. أنت تستدعي مراراً روحاً جائلاً برح الأرض حديثاً، ولا يتذكر أسماء الأشخاص الذي كان يحبهم، ولا تفاصيل تبدو لك مهمة. فهو لا يكترث كثيراً لها فذلك يطويه النسيان. ما يتذكره جيداً، هي الوقائع الرئيسية التي تساعده في تقدمه.

308 ـ هل يتذكر الروح جميع الحيوات التي عاشها قبل حياته الأخيرة، التي انتهت حديثاً؟

ينبسط ماضيه بأسره أمامه، مثلما يرى المسافر المراحل التي اجتازها. لكنه، كما سبق أن قلنا، لا يتذكر بشكل مطلق كل أفعاله، فهو يتذكرها بالنظر إلى الأثر الذي كان لها على حالته الحاضرة. أما بشأن الحيوات الأولية، تلك الحيوات التي يمكن اعتبارها كطفولة الروح، فتضيع في غيوم الذاكرة وتزول في ظلام النسيان.

309 ـ كيف ينظر الروح إلى الجسد الذي فارقه منذ قليل؟

كلباس كان يضايقه ويغتبط بالتخلص منه.

309 أ ـ ماذا يشعر الروح لدى مشاهدة جسده وهو ينحلّ؟

يشعر بلا مبالاة في أغلب الأحيان، وكشيء لا يعود يهمه.

310 ـ عقب فترة من الزمن، هل يتعرف الروح على العظام أو الأشياء الأخرى التي كانت له؟

أحياناً، لأن ذلك يتوقف على مقدار السمو في نظرته إلى الأشياء الأرضية.

311 ـ الاحترام الذي نبديه للأشياء المادية التي تبقت بعد تحرر الروح، هل يلفت انتباهه إلى تلك الأشياء ذاتها، وهل يُسرّ عندما يرى هذا الاحترام؟

يُسرّ الروح دائماً من كون أحد يتذكّره، والأشياء التي كانت له، ويحتفظ أحد بها تحفظ ذكراه في الذاكرة، ولكن ما يجذبه إليكم هو كونكم تُفكّرون به وليس بتلك الأشياء.

312 ـ ألا تتذكر الأرواح العذابات التي عانتها أثناء حياتها الأخيرة؟

كثيراً ما يتذكرونها، وتذكارها هذا يجعلهم يقدرون ثمن السعادة التي في إمكانهم أن يتمتعوا بها كأرواح.

313 ـ من كان سعيداً في هذه الدنيا، أيتحسر على المتع التي يتركها بعد أن يبرح الأرض؟

الأرواح السفلية هي الوحيدة التي قد تتحسر على أفراح تطابق طبيعتها النجسة والتي تكفّر عنها بالعذاب. أما الأرواح السامية، فالسعادة الأبدية ألف مرة أفضل لها من الملذات الأرضية الزائلة.

(كمن بلغ سن الرشد يحتقر الألاعيب التي كان يتلذذ بها في طفولته).

314 ـ من بدأ أعمالاً هامة لفرض مفيد، ويراها متوقفة بموته، هل يأسف في العالم الآخر من كونه تركها دون أن يتمّمها؟

كلا، لأنه يرى أن آخرين خُصّصوا لإتمامها. بالعكس، سيحاول أن يؤثر على أرواح بشرية أخرى لتواصل العمل فيها. لقد كان مقصده على الأرض، العمل لصالح الإنسانية. وهذا المقصد هو ذات مقصد عالم الأرواح.

315 ـ من يترك أعمالاً في الفنون الجميلة أو في التأليف، هل يدوم شغفه بها كما كان أثناء حياته على الأرض؟

يحكم فيها بنظرة أخرى، بحسب رقيه الروحي، وفي أحيان كثيرة يذمّ ما كان أشد موضوع إعجابه.

316 ـ أيهتم الروح بعد بالأعمال التي تنجز على الأرض، وبتقدم الفنون والعلوم؟

يتوقف ذلك على درجة رقيه الروحي أو على نوع المهمة التي قد يضطر إلى إنجازها. ما يبدو لك عظيماً قد يكون، في أحيان كثيرة، قليل الأهمية في نظر بعض الأرواح، وهم يجدون روعة تلك الأعمال، مثلما يجد العلامة روعة في تأليف تلميذ في المدرسة. فيفحص الروح ما يثبت رقيّ الأرواح المتجسدة وتقدمها.

317 ـ هل تداوم الأرواح على حبها للوطن، بعد الموت؟

على نفس المبدأ، أي أن للأرواح السامية وطنها هو الكون. أما على الأرض فوطنها هو حيث لها أكبر عدد من الأشخاص المنجذبين إليها.

(حالة الأرواح وكيف ينظرون إلى الأشياء تختلف إلى ما لا نهاية له، بمقدار درجة تطورهم الأدبي والعقلي. وعادة، لا تمكث الأرواح الرفيعة الدرجة على الأرض إلا مدة قصيرة، إذ ترى أن كل أعمال الإنسان تافهة وخسيسة إزاء عظمة اللانهاية وبهجتها، والأشياء التي يعطيها الإنسان أهمية كبيرة، هي صبيانية جداً في نظرهم إلى درجة أنهم لا يجدون فيها أي شيء يجذبهم إليها، إلا إذا كانوا مدعوّين ليساهموا في تقدم الإنسانية. أما الأرواح المتوسطة الدرجة، فعدد إقاماتها على الأرض أكبر من الأولين، ولو أنهم ينظرون إلى الأشياء بنظرة أعلى مما كانوا ينظرون إليها خلال حياتهم. وفيما يخص الأرواح العامة، فهي تبدو نوعاً ما كأنها مقيمة على الأرض، تُكوّن سواد الشعب اللامرئي المحيط بنا، وتحفظ إلا قليلاً، نفس الآراء ونفس الميول ونفس الأفكار التي كانت لها تحت غلافها الجسدي، فهي تتدخل في أعمالنا، وتختلط باجتماعاتنا وألهياتنا، وتشترك فيها بالفعل إلى حد ما، بحسب طباعها، وبما أنها لا تستطيع إرضاء أهوائها، فهي تسرّ من الذين يستسلمون لأهوائهم وتشجعهم عليها. وفي عدادها، يوجد أرواح جادة تشاهد وتراقب لتتعلم وتتحسن.

318 ـ هل تتغير أفكار الأرواح في حالتهم كأرواح؟

كثيراً، إذ يطرأ عليهم تغيير كبير جداً بقدر ما يقلّ تأثير المادة على الروح. قد يبقى الروح أحياناً في نفس الأفكار مدة طويلة، لكن شيئاً فشيئاً يزول تأثير المادة، ويرى الأشياء بوضوح، وعندئذ يبحث عن الوسائل ليرتقي.

319 ـ بما أن الروح عاش الحياة الروحية قبل تجسده، لماذا يندهش عند رجوعه إلى عالم الأرواح؟

ذلك هو مفعول اللحظة الأولى، والارتباك الذي يتبع الإفاقة. أما فيما بعد فهو يعرف نفسه تماماً بقدر ما يعود إليه تذكار الماضي، ويمّحي أثر الحياة الأرضية فيه. (انظر 163 وما بعده).

9ـ ذكرى الأموات – المآتم

320 ـ هل تأبه الأرواح بتذكار الأشخاص الذين أحبتهم على الأرض؟

أكثر بكثير مما تظنون. وهذا التذكار يزيد سعادتها إذا كانت سعيدة، وإذا كانت شقية فيخفف شيئاً من شقائها.

321 ـ هل ليوم ذكرى الأموات معنى احتفالي للأرواح؟ هل يستعدون لزيارة أولئك الذين يذهبون ليصلوا قدّام قبرهم؟

تأتي الأرواح تلبية لنداء الفكر في ذلك اليوم وفي أي يوم آخر.

321 أ ـ هل هذا اليوم هو ميعاد قرب قبورهم؟

في هذا اليوم يأتون بكثرة، لأن عدداً كبيراً من الأشخاص ينادونهم. إلا أن كل واحد منهم يأتي لأصدقائه فقط، وليس لجمع اللامبالين.

321 ب ـ بأي شكل يأتون وكيف نراهم لو أمكنهم أن يجعلوا أنفسهم منظورين؟

بالشكل الذي عرفوا به في حياتهم؟

322 ـ الأرواح الذين لا يتذكرهم أحد ولا أحد يزور قبورهم، هل يأتون برغم ذلك، وهل يشعرون بأسف لعدم وجود صديق يتذكرهم؟

ماذا تعني الأرض لهم؟ لا يتعلق أحد بها إن لم يكن بالقلب. إذا ما كان الود موجوداً، فلا يوجد شيء يربط الروح بها، وله الكون بأسره أمامه.

323 ـ هل تجلب زيارة القبر للروح سروراً أكبر من الصلاة لأجله في البيت؟

زيارة القبر هي طريقة الناس ليظهروا أنهم يفكرون في الروح الغائب، وهي صورة الود للشخص الراحل.

قلت لك، الصلاة هي التي تقدّس إحياء الذكرى. لا يهمّ المكان، طالما الصلاة تأتي من القلب.

324 ـ أرواح الأشخاص الذين يقام لهم تماثيل أو أنصاب، هل تحضر حفلات تدشينها، وهل تسرّ برؤيتها؟

يأتي عدد كبير منهم إليها إذا استطاعوا، لكنهم يأبهون بالتكريم أقل مما يأبهون بالتذكار.

325 ـ ماذا يجعل بعض الأشخاص يرغبون في أن يدفنوا في مكان بدلاً من آخر؟ هل يعود ذلك عليهم بسرور بعد وفاتهم؟ هذه الأهمية التي تعطى لأمر مادي، أهي دلالة على تأخر الروح؟

تميل الروح إلى بعض الأماكن يدل على التأخر الأدبي. ماذا يعني تفضيل قطعة أرض على غيرها للروح السامي الدرجة؟ ألا يعلم أنه سيجتمع مع من يحبهم، حتى لو كانت بقاياهم مشتتة.

325 أ ـ هل يعتبر جمع البقايا الجسدية لجميع أفراد أسرة في ضريح واحد، فكرة تافهة؟

كلا، لأنه عرف تقيّ وبرهان على المودة للذين أحببتموهم. ولكن هذا الجمع يعني قليلاً للأرواح، فهو ينفع الناس، لأن تذكار الذين رحلوا يبعث على الخشوع.

326 ـ الروح الذي يعود إلى الحياة الروحية، هل يأبه بالتكرمات التي تقام لبقاياه الجسدية؟

حينما يصل الروح إلى درجة ما من الرقي، لا يعود يكون له زهو دنيوي، ويفهم تفاهة هذه الأشياء كلها. لكن، ليكن في علمك أن هناك أرواحاً، في أحيان كثيرة، وفي أول لحظة من موتهم المادية، يستطيبون جداً تكريم الناس لهم، أو يسأمون من إهمال الناس لغلافهم، إذ أنهم ما زالوا يحتفظون ببعض الأفكار الدنيوية.

327 ـ هل يحضر الروح جنازته؟

يحضرها في جنازات كثيرة جداً، لكنه في بعض الأحوال، لا يدري بما يحدث فيها، إذا كان ما يزال بعد في الاضطراب.

327 أ ـ هل يشعر بزهو من جرّاء اشتراك الحاضرين في جنازته؟

إلى حدّ ما بحسب الشعور الذي يدفعهم للحضور.

328 ـ روح الشخص الذي مات عن قريب، هل يحضر اجتماعات الوارثين؟

يحضر في أغلب الأحيان، وبشاء الله ذلك لتعليم الروح ولمعاقبة المذنبين. ففي هذه الاجتماعات يقدّر قيمة عباراتهم السابقة في التعبير عن وفائهم وصداقتهم له، وتتكشف له جميع مشاعرهم الحقيقية، والخيبة التي يشعر بها حينما يرى شراهة الذين يتقاسمون ما ترك، تطلعه على مشاعرهم الحقيقية نحوه. ولكن سيأتي دورهم أيضاً.

329 ـ الاحترام الغريزي الذي أظهره الإنسان للأموات، في جميع الأجيال وفي جميع الشعوب، أهو نتيجة شعوره البديهي بالحياة المقبلة؟

هو نتيجته الطبيعية. ولو لم يكن كذلك، لكان هذا الاحترام بلا معنى.

الفصل السابع : العودة إلى الحياة الجسدية

1 ـ الاستعداد للعودة.

2 ـ انضمام الروح إلى الجسد، الإجهاض.

3 ـ المقدرات الأخلاقية والعقلية.

4 ـ تأثير الجسد على الروح.

5 ـ البلاهة والجنون.

6 ـ الطفولة.

7 ـ الانجذاب والنفور بين الناس.

8 ـ نسيان الماضي.

1 ـ الاستعداد للعودة

330 ـ هل تعرف الأرواح متى ستعود إلى التجسد؟

تشعر بدنو الأوان مثلما يشعر الأعمى بالنار عندما يقترب منها. تعلم بضرورة الانضمام إلى جسد جديد، مثلما أنتم تعلمون أنكم ستموتون يوماً ما، ولكنكم تجهلون متى ستموتون (راجع سؤال 166).

330 أ ـ إذن هل العودة للتجسد هي من ضرورات الحياة الأرواحية مثلما أن الموت هو من ضرورات الحياة الجسدية؟

أكيد، وهو كذلك.

331 ـ هل تكترث جميع الأرواح لعودتها إلى التجسد؟

هناك أرواح لا تفكّر في الأمر بتاتاً، وحتى لا تفهم شيئاً عنه، إذ يتوقف ذلك على مقدار تقدمها. أما حيرة بعض الأرواح تجاه المستقبل، فهي قصاص لها.

332 ـ هل يستطيع الروح تعجيل أو تأجيل أوان تجسده؟

قد يستطيع تعجيله إذا رغب بشدة. وقد يستطيع أيضاً تأخيره إذا تراجع أمام التجربة، إذ أن بين الأرواح يوجد أيضاً جبناء، والذين لا يبالون بشيء، ولكن الروح لا يفعل ذلك بلا عقاب، إذ أنه يتعذب من جراء موقفه كالمريض الذي يرفض الدواء الناجع الذي قد يكون فيه شفاؤه.

333 ـ إذا كان الروح سعيداً بحالة متوسطة بين الأرواح التجوالية، ولا يطمح أن يرتقي، هل يستطيع إطالة حالته هذه على الدوام؟

لا على الدوام، لأن الارتقاء ضرورة يشعر بها الروح عاجلاً أو آجلاً، ولأنه يجب على جميع الأرواح أن يصعدوا، لأن الصعود هو مصيرهم.

334 ـ هل اتحاد الروح مع جسد معين، أو مع جسد ما، هو أمر مقدّر سلفاً، أم يحدث الاختيار في آخر لحظة فقط؟

يحدد الروح سلفاً في جميع الأحوال، باختياره للتجربة التي يرغب احتمالها، فهو يطالب أن يتجسد، والله لكونه يعلم كل شيء ويرى كل شيء، يعلم ويرى سلفاً أن ذلك الروح سيتحد مع ذلك الجسد.

335 ـ هل يتاح للروح أن يختار الجسد الذي سيدخل فيه، أم يختار فقط نوع الحياة التي تصلح للتجربة اللازمة له؟

يجوز له أيضاً اختيار الجسد، لأن نقائص ذلك الجسد هي تجارب تساعده ليرتقي، إذ يتغلب على العراقيل التي تتصدى له. إلا أن الاختيار لا يتوقف على إرادته دائماً، ولكن يجوز له أن يطلب ذلك.

335 أ ـ هل يجوز للروح أن يرفض، في آخر لحظة، الدخول في الجسد الذي اختاره؟

إذا فعل ذلك فسوف يشقى أكثر بكثير من الروح الذي لم يطلب أية تجربة؟

336 ـ أمن الممكن لطفل أوشك أن يولد، أن لا يجد روحاً يقبل أن يتجسد فيه؟

الله يدبر اللازم. فعندما تكون ولادة الطفل لا مانع فيها، فهناك دائماً روح مخصصة سلفاً له، إذ لا يخلق شيء دون مقصد له.

337 ـ أمن الممكن أن يفرض الله انضمام الروح إلى جسد معين؟

قد يفرضه الله كما قد تفرضه مختلف التجارب اللازمة، لا سيما إذا لم يكن الروح أهلاً ليختار بنفسه، عن دراية. وللتكفير عن ماضيه، قد يجبر الروح أن يتحد مع جسد طفل معين ليكون، من جراء منشئه ومركزه القادم في المجتمع، أداة عقاب له.

338 ـ لو حدث أن عدة أرواح تقدمت للتأنس في جسد واحد أوشك أن يولد، كيف يخصص لواحد منهم؟

من الممكن أن تطلب أرواح عديدة ذلك التأنس. في هذه الحالة، والله هو الذي يقرر من هو الأكفأ لإنجاز المهمة المخصصة لذلك الولد، ولكن سبق لي القول إن الروح يعيّن الأوان الذي سينضم فيه إلى الجسد.

339. هل يرتبك الروح في ساعة تجسده ارتباكاً مماثلاً للذي يحدث عند خروجه من الجسد؟

يعاني ارتباكاً أشد منه وأطول منه، فعند الموت يخرج الروح من العبودية، أما عند الولادة، فيدخل فيها.

340. هل الحين الذي يوشك فيه الروح على التجسد، هو حين مهيب له؟ هل يقوم بهذه العملية كمن يفعل شيئاً خطيراً وهاماً لنفسه؟

هو كالمسافر الذي يركب البحر في سفرة خطيرة، ولا يعلم إذا كان سيجد فيها حتفه بين الأمواج التي سيواجهها.

(يعرف المسافر الذي يركب البحر الأخطار التي يتعرض لها، ولكنه لا يعرف إن كان سيغرق أم لا. هكذا هي حال الروح، فهو على علم بنوع التجارب التي رضي بها، ولكنه على جهل إذا كان سيفشل أم لا، تحت حملها).

(مثلما أن موت الجسد هو عبارة عن عودة الروح إلى الحياة، كذلك فإن العودة للتجسد هي عبارة عن موت الروح، أو بالأحرى نفيه أو احتجازه. فهو يبرح عالم الأرواح ليدخل في العالم الجسدي، مثلما يبرح الإنسان العالم الجسدي ليدخل في عالم الأرواح. يعلم الروح أنه سيعود إلى التجسد، كما يعلم الإنسان أنه سيموت، ولكنه، كالإنسان، لا يدري بدنوّ الوقت إلا في آخر لحظة، عندما يحين الوقت المقدر له. وحينئذ، وفي تلك اللحظة الأخيرة، يعتريه الاضطراب، كالإنسان الذي يحتضر، ويدوم هذا الاضطراب إلى أن يتكون الكيان الجديد بالتمام. أما دنوّ العودة للتجسد فهو عبارة عن احتضار للروح).

341 ـ حيرة الروح إزاء احتمال فشله في التجارب التي سيتحملها في الحياة، هل تحدث قلقاً فيه قبل تجسده؟

قلقاً كبيراً جداً، إذ أن تجارب حياته سوف تعجّل أو تؤجل ارتقائه، تبعاً لاحتماله لها حسناً أو سوءاً.

342 ـ هل يصحب الروح بعض أصدقائه الأرواح في إبان تجسده، وأعني هل يأتون لحضور ذهابه من العالم الأرواحي كما يأتون لاستقباله عند عودته إليه؟

يتوقف ذلك على الدائرة التي يسكنها الروح. فإذا كان من الدوائر التي تسود فيها المودّة، فستصحبه حتى آخر لحظة، الأرواح التي تحبه لتشجعه، والتي عادة تتبعه في الحياة.

343 ـ الأرواح الصديقة التي تتبعنا في الحياة، أهي أحياناً تلك التي نراها في أحلامنا، والتي تعبر عن مودتها لنا، وتظهر لنا بوجوه لا نعرفها؟

أجل، هي ذاتها في أغلب الأحيان، فهي تأتي لزيارتكم كما أنتم تذهبون لزيارة شخص محبوس في السجن.

2ـ انضمام الروح إلى الجسد

344ـ في أي وقت ينضمّ الروح إلى الجسد؟

يبدأ هذا الانضمام عند الحبل، لكنه لا يتم إلا في لحظة الولادة. منذ لحظة الحبل، يقترب الروح المعين ليسكن ذلك الجسد، ويتصل به بواسطة صلة مائعية تتوثّق أكثر فأكثر، على مر الأيام، حتى اللحظة التي فيها يبصر الطفل النور. الصرخة التي تنطلق من الطفل حينئذ، تعلن أنه صار واحداً من الأحياء ومن عباد الله.

345ـ هل اتحاد الروح مع الجسد هو اتحاد نهائي منذ لحظة الحبل؟ وخلال هذه الفترة الأولى، هل يجوز للروح أن يمرض عن السكنى في الجسد المعين له؟

الاتحاد نهائي بمعنى أن لا يجوز لروح آخر أن يأخذ مكان الروح المعين لذلك الجسد. لكن، بما أن الصلات التي تصله به ضعيفة جداً، فمن الممكن أن تقطع بسهولة، وقد يحدث ذلك بإرادة الروح الذي يتراجع أمام التجربة التي اختارها. وفي هذه الحالة لا يعيش الطفل.

346ـ ماذا يحدث للروح إذا مات الجسد الذي اختاره قبل الولادة؟

يختار جسداً آخر.

346أ ـ ما منفعة هذه الميتات الباكرة؟

نواقص المادة هي، في أغلب الأحيان، سبب هذه الميتات الباكرة.

347ـ ماذا ينفع الروح تجسده في جسد يموت بعد أيام قليلة من ولادته؟

في هذه الحالة، لا يعي الكائن وعياً كافياً بكيانه. لذلك يكاد يكون موته بلا أهمية، وكما سبق أن قلنا، فهذه هي، في أغلب الأحيان، تجربة للوالدين.

348ـ هل يعلم الروح سلفاً أن الجسد الذي يختاره لم يقدّر له أن يعيش؟

يعلم ذلك أحياناً. إلا أنه، إذا اختار ذلك الجسد لهذا السبب، فلأنه يتراجع أمام التجربة.

349ـ عندما يفشل التجسد لسبب ما، هل يُعطى للروح، على الفور تجسد آخر يعوّض عنه؟

ليس دائماً على الفور، لأن الروح يحتاج إلى فترة من الزمن ليختار ثانية، إلا إذا كانت العودة الفورية للتجسد ناتجة من قرار سابق.

350 ـ بعد أن يتم اتحاد الروح مع جسد الطفل، ويصير من المستحيل أن يرجع الروح عن اختياره، هل يندم أحياناً من كونه اختار هذا الجسد؟

إذا كان سؤالك هو هل يشتكي، كإنسان، من الحياة التي يعيشها؟ وإذا كان يودّ أن تكون مختلفة عما هي؟ فالجواب: نعم. أما إذا كنت تعني أنه يندم من اختياره؟ فالجواب هو: كلا، لأنه لا يعلم أنه هو الذي اختاره. ولأن من المستحيل على الروح، بعد تجسده أن يندم على اختيار لا يدري به. على أنه قد يجد الحِمْل ثقيلاً جداً، وإذا اعتقد أنه أشقّ مما يستطيع أن يحتمله، فيلجأ حينئذ إلى الانتحار.

351 ـ في الفترة بين الحبل والولادة، هل يحتفظ الروح بجميع قدراته؟

بعضها أو كلها تبعاً لطور الحبل، لأن الروح ليس متجسداً بعد، بل مرتبطاً فقط. ومنذ لحظة الحبل، يبدأ الاضطراب يتسلط على الروح بعد أن حان الأوان ليبتدئ حياة جديدة. ثم يزيد هذا الاضطراب تدريجياً حتى الولادة. وفي هذه الفترة، فإن حالته تقريباً كحالة الروح المتجسد أثناء نوم الجسد. وبمقدار ما يقترب أوان الولادة، تمحي أفكاره، كما يزول أيضاً تذكر الماضي، فلا يعود له وعي به، كإنسان، عقب دخوله الحياة المادية، إلا أن هذا التذكر يعود إلى ذاكرته شيئاً فشيئاً في حالته كروح متحرّر.

352 ـ هل يستعيد الروح حالاً، عند الولادة، قدراته كاملة؟

كلا، لأنها تنمو تدريجياً مع نمو الأعضاء. هذه هي حياة جديدة يبتدئها، ولا بد له أن يتعلم استعمال أدواته. ولكن تعود له أفكاره شيئاً فشيئاً كما يحدث لمن يستيقظ من النوم، فيرى نفسه في وضع مختلف عن الوضع الذي كان فيه عشيّة أمس.

353 ـ بما أن انضمام الروح إلى الجسد لا يكتمل ولا يتم نهائياً إلا بعد الولادة، أيجوز أن نعتبر الجنين كائناً ذا روح؟

الروح التي ستحييه موجودة خارج الجسد، نوعاً ما. إذن ليس للجسد روح، بدقة التعبير، ذلك أن عملية التجسد لا تزال جارية. إلا أنه مربوط بالروح التي ستكون له.

354 ـ ما هو تفسير الحياة داخل الرحم؟

مثل حياة النبات الراكدة. يعيش الجنين حياة حيوانية أيضاً، إذ أن الإنسان يحوي في ذاته الحياة الحيوانية والحياة النباتية، ويستكملهما بالحياة الروحية عند الولادة.

355 ـ هل هناك، كما يقول لنا العلم، أولاد منذ أن يتشكلوا في رحم الأم، يكون فيهم مانع من أن يولدوا؟ وما الغرض من ذلك؟

يحدث ذلك كثيراً، ويسمح الله به كتجربة، إما للأبوين أو للروح المعين ليحل في الجسد.

356 ـ هل هناك أطفال يولدون ميتين ولا يخصص لها روح ليتجسدوا فيها؟

أجل، هناك أطفال لم يخصص لهم أبداً روح لجسدهم، إذ لم يقدّر لهم أبداً إنجاز شيء، يكون هؤلاء الأولاد فقط كتجربة للوالدين.

356 أ ـ أمن الممكن أن يصل كائن كهذا إلى الولادة؟

أجل، في بعض الأحيان، ولكنه لا يعيش في هذه الحالة.

356 ب ـ إذن فكل ولد يعيش بعد الولادة فلا بدّ حتماً أن يكون له روح متجسدة فيه؟

وماذا يكون إن لم يكن له روح؟ لا يكون كائناً بشرياً.

357 ـ ما هي عواقب الإجهاض على الروح؟

هي حياة ضاعت ويجب عليه أن يسعى وراء حياة أخرى ثانية.

358 ـ هل الإجهاض الإرادي جريمة في أي طور من الحبل؟

هناك جريمة كلما خالفتم سنّة الله. يرتكب جريمة كل من يقضي على حياة الجنين قبل الولادة، سواء كانت الأم أم أي شخص آخر، لأنه يمنع الروح من تحمّل التجارب التي كان الجسد مخصصاً ليكون أداة لها.

359 ـ إن كانت ولادة الطفل تعرّض حياة الأم للخطر، هل هناك جريمة من التضحية بحياته لخلاص الأم؟

من الأفضل تضحية الكائن اللاموجود، لسلامة الكائن الموجود.

360 ـ أيصحّ أن يراعى الجنين بنفس المراعاة التي يراعى بها جسد الطفل الذي يحتمل أن يعيش؟

في تعاملكم مع كل هذه الأحوال، راعوا مشيئة الله وصنيعته. لذلك فعليكم أن لا تعاملوا باستخفاف أشياء ينبغي أن تحترموها. لماذا لا تحترمون صنائع الخليقة التي ليست كاملة أحياناً بإرادة الخالق؟ تخضع هذه الحالات إلى أغراضه، ولا أحد له الحق أن يحكم فيها.

3 ـ المقدرات الأخلاقية والعقلية

361 ـ من أين تأتي للإنسان مزاياه الخلقية الحسنة أو السيئة؟

هذه هي صفات الروح المتجسدة فيه. كلما ازداد الروح طهارة، كلما ازداد الإنسان ميلاً إلى الخير.

361 أ ـ يبدو لنا إذن، أن الإنسان الصالح هو من تجسدت فيه روح صالحة، والفاسق من تجسدّت فيه روح شريرة؟

أجل، ولكن قُل بالأحرى إنه روح متأخرة، وإلا فقد يُظن أنه من الأرواح التي تداوم على الشر والتي تسمونها بالشياطين.

362 ـ ما طبع الأفراد الذين تتجسد فيهم الأرواح المزّاحة والطائشة؟

لاهون وطائشون (عفاريت) وأحياناً أشخاص مؤذون.

363 ـ هل للأرواح أهواء غريبة عن الأهواء البشرية؟

كلا، وإلا لكانوا نقلوها إليكم.

364 ـ أهو الروح ذاته الذي يُعطي للإنسان المزايا الأخلاقية والعقلية؟

بلا شك أنه هو نفسه، وذلك نظراً إلى درجة الرقي التي وصل إليها، لأن للإنسان روحاً واحدة لا روحين.

365 ـ لماذا يكون أناس أذكياء جداً، وهو ما يدل على أن فيهم روح متقدمة، يكونون أيضاً في بعض الأحيان فسقة جداً؟

ذلك لأن الروح المتجسدة ليست طاهرة كفاية، مما يجعل الإنسان يصغي إلى إيحاء أرواح أخرى أردأ منه. يتقدم الإنسان في سير متصاعد لا يشعر به، ولكنه لا يتقدم في كل الاتجاهات في آن واحد، ففي فترة قد يتقدم في العلم، وفي فترة أخرى في الخلق.

366 ـ ما قيمة الرأي القائل إن مختلف المقدرات العقلية والخلقية الموجودة في الإنسان قد تكون حصيلة عدد معادل لها من أرواح مختلفة متجسدة فيه، وإن لكل واحد منهم أهلية خاصة؟

بالتفكير، سترون أن لا أساس لهذا الكلام. يحتاج الروح إلى جميع المؤهلات. ليتقدم، لا بد له من إرادة واحدة فقط. فلو كان الإنسان خليط أرواح، لانعدمت هذه

الإرادة، ولا يعود له فردية، وإلا لكانت كل هذه الأرواح كسرب طيور يفرّ من القفص عند موته. كثيراً ما يشكو الإنسان من أنه لا يفهم بعض الأشياء، ولكنه هو ذاته يزيد المصاعب، فبينما يكون في متناوله تفسير الأشياء تفسيراً بسيطاً وطبيعياً للغاية. فهو كمن يتخذ المعلول علّة، ويعمل مثلما كان الوثنيون يعملون تجاه الله. كانوا يعتقدون بأن هناك آلهة بقدر ما هناك ظواهر في الكون. ولكن الفهماء بينهم، كانوا لا يرون في هذه الظواهر سوى نتائج لباعث واحد هو الله الوحيد.

(يُقدّم لنا العالم المادي والعالم الأخلاقي، في هذا الصدد، مواضع عديدة للمقارنة. لقد اعتقد الناس بتعدّد وجود المادة إلى درجة أنهم نظروا إلى الناحية الخارجية من الظواهر. أما اليوم فهم يدركون بأن هذه الظواهر المتنوعة للغاية ليست سوى تحولات لمادة أولية وحيدة. ومختلف المقدرات هي تجليات لباعث واحد هو النفس أي الروح المتجسدة، وليس تجليات لعدة أرواح، كما أن مختلف أصوات الأرغن هو حصيلة نوع واحد من الهواء، وليس حصيلة أنواع من الهواء بقدر ما يكون هناك أصوات. ومن هذه النظرية ينجم أنه عندما يفقد أو يكتسب أحد بعض مؤهلات أو بعض نزعات، فقد يكون السبب عدداً معادلاً لها من الأرواح يأتون أو يذهبون، الأمر الذي يجعله كائناً متعدداً وبلا فردية، ومن ثم، بلا مسؤولية. وفضلاً عن ذلك، تتناقض هذه النظرية مع أنواع التجليات العديدة التي تثبت الأرواح بها شخصيتها وهوّيتها).

4ـ تأثير الجسد على الروح

367 ـ بانضمامه إلى الجسد، هل يتماثل الروح مع المادة؟

لا تعدو المادة كونها غطاء للروح، كما اللباس يكون غطاء للجسد. الروح، باتحاده مع الجسد، يحفظ خاصيات الطبيعة الروحية.

368 ـ هل يمارس الروح مقدراته بحرية تامة بعد انضمامه إلى الجسد؟

تتوقف ممارسة المقدرات على الأعضاء التي تقوم كأداة لها، ولكن هذه المقدرات تصير ضعيفة من جراء خشونة المادة.

1368 ـ بحسب ما تقولون، فالغطاء المادي إذن هو عائق في تجلي مقدرات الروح بطلاقة، مثلما الزجاج المعتّم يعاكس مرور النور بطلاقة؟

أجل، ومعتّم جداً.

(يجوز تشبيه تأثير المادة الجسدية على الروح، بتأثير الماء المتوحّل الذي يعوق الجسد الغائص فيه عن التحرك بطلاقة).

369 ـ هل يتوقف على تطور الأعضاء، ممارسة مقدرات الروح ممارسة حرة؟

الأعضاء هي الأدوات التي بها تظهر مقدرات الروح. يتوقف هذا الظهور على تطور هذه الأعضاء، وعلى درجة إحكامها وإتقانها، كما يتوقف العمل الجيد على استعمال آلة حسنة.

370 ـ أيصحّ أن نستنتج من تأثير الأعضاء، علاقة بين تطور أعضاء الذهن وتطور المقدرات الخلقية والعقلية؟

لا تخلط بين المؤثر والمؤثر فيه. يحفظ الروح دائماً المقدرات التي هي من خاصياته، ولكن ليست الأعضاء هي التي تُعطي المقدرات، وإنما المقدرات هي التي تدفع إلى تطور الأعضاء.

370 أ ـ بحسبما تقولون، يتوقف تنوع المؤهلات بين الناس إذن على حالة الروح فقط؟

فقط ليس هو التعبير الصحيح بالضبط. فالمبدأ الصحيح هو صفات الروح، فإن الروح قد يكون متقدّماً قليلاً أو كثيراً، ولكن يجب الأخذ بالاعتبار تأثير المادة التي تعُوق نسبياً ممارسة مقدراته.

(عندما يتجسد الروح، يجلب معه بعض النزعات، فإذا افترضنا أن لكل نزعة عضو خصوصي لها في المخ، إذن يكون تطور هذه الأعضاء نتيجة النزعة وليس باعثها. إذا كان مصدر المقدرات موجود في الأعضاء، لكان الإنسان آلة دون حرية، ودون مسؤولية عن أعماله، ولكان علينا أن نسلّم بأن أكبر النوابغ والعلماء والشعراء والفنانين هم نوابغ لا لسبب آخر سوى الصدفة التي منحتهم أعضاء خصوصية ممتازة. وهكذا نستنتج بأنه لو لم يكن لهم هذه الأعضاء لما كانوا نوابغ، وأن أكبر الحمقاء، لو كان مزوّداً ببعض أعضاء ممتازة لصار من أكبر العلماء أو الأدباء أو الفنانين. تنافي هذه النظرية العقل بمقدار أكبر، إذا طُبّقت على الصفات الأخلاقية. فبموجب هذه الفكرة فإن واحداً كالقديس منصور دي بول، ملاك الرحمة والمحبة والتضحية للمنبوذين، إذا وهبته الطبيعة عضواً رديئاً من ذلك النوع، لأصبح مجرماً أثيماً، كما أن أفجر المجرمين لا يحتاج إلا إلى عضو حسن ليصبح ملاك الرحمة والمحبة والتضحية. ولكن إذا سلّمنا بالعكس بأن الأعضاء الخصوصية، إذا صحّ أنها

موجودة، هي نتيجة وليست باعثاً، وأنها تنمو بممارسة المقدرة كما تنمو العضلات بتحريكها، فسنصل إذن إلى شيء معقول. لنأخذ مقارنة دارجة كي نصل إلى الحقيقة: فأنتم تتعرّفون على الإنسان الذي يُدمن الخمر من بعض العلامات الفُراسية. فهل هذه العلامات هي التي تجعله سكّيراً أم سيطرة السكر عليه هي التي تطبع على وجهه تلك العلامات؟ لذلك يجوز القول إن الأعضاء تتطبع بطابع القدرات).

5. البلاهة والجنون

371 ـ هل ثمة أساس للرأي القائل بأنّ البلداء والبله لهم روح من صنف آخر أوطأ من باقي الناس؟

كلا، لهم روح بشرية هي في أغلب الحالات أنبه مما تظنون، ولكنها تعاني نقصاً في الوسائط التي لديها للاتصال، مثلما يعاني الأبكم عدم القدرة على الكلام.

372 ـ ماذا يقصد الله عندما يخلق أشخاص تعساء كالبلداء والبله؟

أرواح معاقبة هي التي تسكن أجسام البله. تقاسي هذه الأرواح من التقييد الذي تشعر به، ومن عجزها على التجلي من جراء أعضاء غير متطورة أو مختلّة.

372 أ ـ إذن ليس من الصحيح القول إن الأعضاء لا تؤثر على المقدرات؟

لم نقل أبداً إنها لا تؤثر على المقدرات، فلها تأثير كبير على ظهور المقدرات، ولكنها لا تُسبّب ظهورها، وهذا هو الفرق. فالموسيقي الماهر الذي يضرب على أوتار آلة موسيقية رديئة، لن ينتج ألحاناً حسنة، ولكن هذا لا يعني بأنه ليس موسيقياً ماهراً.

(يجب التمييز بين الحالة العادية والحالة المرضية. ففي الحالة العادية، تتغلب الحالة المعنوية على العائق الذي تعارضها به المادة. على أن هناك حالات حيث المادة تقدّم مقاومة شديدة، إلى درجة أن تجليات الروح تصبح معوّقة أو ناقصة كما في البلاهة والجنون. تلك هي حالات مرضية، وفي هذه الحال، بما أن الروح لا يتمتع بحرينه الكاملة، تعفيه القوانين البشرية نفسها من مسؤولية أعماله).

373. ما هي منفعة التجسد لكائنات كالبله والبلداء الذين، لكونهم لا يقدرون أن يعملوا لا الخير ولا الشر، لا يقدرون أن يرتقوا؟

تجسدهم هو تكفير يُفرض عليهم بسبب إفراطهم في سوء استعمال بعض مقدراتهم، وهو توقّف زمني في سيرهم.

373 أ ـ إذن قد يحوي جسم إنسان أبله روحاً كان عبقرياً في حياة سابقة؟

أجل، تصبح العبقرية بليّة أحياناً عندما تستعمل بنحو سيئ.

(ليس التفوّق الخلقي دائماً بحسب مقدار التفوّق العقلي، وأكبر العباقرة قد يكون عليهم أن يُكفّروا عن سيئات كثيرة ارتكبوها في ماضيهم، ولذلك فهم كثيراً ما يضطرون أن يعيشوا في مستوى عقلي أوطأ من مستوى الحياة التي أنجزوها، ويعانون من ذلك مشقّات كبيرة. إن العوائق التي تتصدّى للروح كي تتجلى مقدراته هي كالسلاسل التي تقيّد تحركات رجل قوي. يجوز القول إن البليد أو الأبله مصاب بعطب في مخّه، كما الأعرج مصاب في رجليه والأعمى في عينيه).

374 ـ كروح، هل يدري الأبله بحالته العقلية؟

يدري في حالات كثيرة، ويعلم أن السلاسل التي تقيّد انطلاقه هي تجربة وتكفير له.

375 ـ ما هو حال الروح في الجنون؟

الروح عندما لا يكون مقيداً بجسد، يستلم التأثيرات رأساً وبدوره يؤثر رأساً على المادة. ولكن عندما يكون متجسداً، تختلف حالته اختلافاً تاماً، ويعجز أن يؤثر دون مساعدة أعضاء خاصة. فإذا تعطّل جزء من هذه الأعضاء أو كلها، يتعطّل فعل الروح عليها أو تتعطّل التأثيرات الآتية إليه بواسطتها. إذا فقد عينيه فيصبح أعمى، وإذا تلفت أعضاء سمعه، يصبح أطرش، وهلمّ جرّاً. افترض الآن أن العضو الذي يشرف على أعمال الذكاء والإرادة معطوب أو مختل جزئياً أو كلياً، وستفهم بسهولة أن الروح، لكونه لا يملك لخدمته سوى أعضاء ناقصة أو مختلة، سينتج عنه حتماً اختلال يدركه تمام الإدراك، في نفسه وفي صميمه، ولكنه يعجز عن إيقاف سيره.

375 أ ـ إذن فالمتعطّل هو دائماً الجسد وليس الروح؟

أجل، ولكن يجب أن لا تنسى أنه مثلما يؤثر الروح على المادة، تؤثر أيضاً المادة على الروح بمقدار ما، وأن الروح قد يجد نفسه مؤقتاً تحت تأثير الأعضاء المُعطّلة التي بواسطتها يظهر للخارج ويستلم التأثيرات الآتية إليه. مع مر الأيام، حينما يطول الجنون زمناً مديداً، قد يحدث أن تكرار نفس الأفعال يحدث في النهاية أثراً في الروح لا يتخلص منه إلا بعد أن يتحرر تماماً من أي أثر مادي.

376 ـ لماذا يدفع الجنون الإنسان أحياناً إلى الانتحار؟

يتعذّب الروح من التقييد الذي يعانيه ومن عجزه عن التجلي بطلاقة، ولذلك يلجأ إلى الموت كواسطة لكسر قيوده.

377 ـ هل يحتفظ روح المخبول بعد الموت بعواقب اختلال مقدراته؟

قد يحتفظ بها فترة من الزمن بعد الموت إلى أن يتخلص تماماً من أثر المادة، كالإنسان الذي يستيقظ من النوم يحتفظ، فترة من الزمن، بالاضطراب الذي اجتاحه أثناء النوم.

378 ـ كيف يترك تعطيل المخ أثراً في الروح بعد الموت؟

يترك تذكاراً وثقلاً في الروح، وبما أنه يجهل كل ما حدث أثناء جنونه، فهو يحتاج دائماً إلى فترة من الزمن ليطلع عليه. وهكذا، كلما طال جنونه أثناء الحياة، كلما طال الارتباك والتقييد بعد الموت. والروح المتحرر من الجسد يحتفظ فترة من الزمن بأثر قيوده السابقة.

6ـ الطفولة

379 ـ الروح التي تحيي جسد طفل، هل هي متطورة مثل روح شخص بالغ؟

قد تكون أكثر تطوراً منها إن تقدمت أكثر منها. والأعضاء التي لم تتطور بعد، هي التي تمنع الطفل من أن يعلن عن قدراته، ويتصرف الروح بقدر ما تسمح له الأداة التي يستعملها.

380 ـ في الولد الصغير السن، بصرف النظر عن العائق الذي يتصدى لتكشف مواهبه الكامل من جراء نقص الأعضاء، هل يفكّر الروح كولد أم كشخص بالغ؟

عندما يكون ولداً، من الطبيعي أن تعجز أعضاء الذكاء، لكونها لم تتطور بعد، أن تعطيه إلهام الشخص البالغ. لذلك، فذكاؤه محدود فعلاً، ريثما ينضج العمر عقله. والاضطراب الذي يصحب الجسد، لا يكفّ فجأة عند الولادة، بل يتبدد تدريجياً مع نموّ الأعضاء.

(تؤيد المراقبة هذا الجواب، فالأحلام عند الولد ليست لها الطابع الخاص بأحلام الشخص البالغ، إذ أن موضوعها صبياني دائماً، وذلك يدل على نوع الأشياء التي تشغل بال الروح).

381 ـ عندما يموت الطفل، هل يستردّ الروح قوته السابقة في الحال؟

لا بدّ أن يستردها، ما دام قد تخلص من غلافه الجسدي. على أنه لا يستردّ وعيه السابق إلا حينما يتمّ انفصاله عن الجسد، أي حينما لا تبقى أية علاقة بين الروح والجسد.

382 ـ هل يُعاني الروح المتجسد، أثناء الطفولة، من التقييد الذي يفرضه عليه عدم تطور أعضائه؟

كلا، لأن هذه الحالة لازمة له، وهي من طبيعة الأشياء، وطبقاً لأغراض العناية الإلهية: فهي فترة استراحة للروح.

383 ـ ماذا يستفيد الروح بمروره بالطفولة؟

عندما يتجسد بقصد أن يرتقي، يكون الروح، في هذه الفترة، مفتوحاً للتأثيرات التي يتلقاها والتي قد تساعده على تقدمه، ويجب على المسؤولين عن تربيته أن يساهموا في هذا الغرض.

384 ـ لماذا تكون أول صرخات الطفل صرخات بكاء؟

ليثير انتباه الأم وليثير العناية التي يحتاج إليها. ألا تدرك أنه لو أطلق صرخات سرور فقط، بينما هو عاجز بعد عن الكلام، لما اكترث المسؤولون إلا قليلاً بما يحتاج؟ ما أعجب الحكمة الإلهية في كل شيء.

385 ـ ما سبب التغيير الذي يطرأ على الطبع، في وقت ما من العمر، خاصة بعد اجتياز سن المراهقة؟ أهو الروح الذي يتغير؟

هو الروح الذي يستعيد فطرته ويظهر ما كان عليه سابقاً.

أنتم تجهلون السر الذي يكون وراء سذاجة الأولاد، ولا تعلمون من هم في الواقع ولا من كانوا في الماضي، ولا ما سوف يصيرون في المستقبل، ولذلك تحبونهم كما لو كانوا جزءاً منكم، إلى حد أن حبّ الأم لأولادها يعتبر أكبر حب يشعر به أحد لشخص آخر. ما مصدر هذا العطف وهذا الحنان الذي يشعر به حتى الغرباء نحو الأولاد؟ أتعرفون مصدره؟ لا تعرفون. دعوني أشرح لكم سببه.

الأولاد هي الكائنات التي يرسلها الله في تجسدات جديدة. ولكي لا تشتكي من قسوة كبيرة نحوها، يعطيها الله كل مظاهر السذاجة. حتى في الولد السيئ الطبع فإن سيئاته تخفى بعدم الوعي بأفعاله. ليست هذه السذاجة تفوّقاً حقيقياً على ما

كانوا سابقاً، كلا، بل هي صورة ما يجب عليهم أن يصيروا، وإذاً فهم ليسوا كما يجب أن يكونوا، وعليهم وحدهم يقع الجزاء.

ولكن لم يعطهم الله هذا المظهر تقديراً لهم، بل أيضاً وبالأخص من أجل الوالدين لأن حبهم لازم لأولادهم من جراء ضعفهم. هذا الحب قد يقل إلى درجة خطيرة أمام طبع شرس وعنيد، ولكن حين بظنّ الأبوان أن أولادهم طيبون وودعاء، سيعطونهم كل مودتهم وسيحيطونهم بعنايتهم وحنانهم. أما حينما لا يحتاج الأولاد إلى هذه الحماية وإلى هذه العناية التي أعطيت لهم طوال خمسة عشر أو عشرين سنة، فإن طبعهم الشخصي الحقيقي يبدو مُعرّى. فيبقى الولد صالحاً إذا كان صالحاً في أصله. لكنه يتلوّن دائماً بمسحات كانت تخفيها سنوات الحداثة.

أنتم ترون إذن أن تدابير الله هي أفضل التدابير دائماً، وعندما يكون الإنسان صافي القلب، يسهل عليه أن يفهم سبل الله الحكيمة.

فكّروا جيداً فيما سأقوله لكم: أرواح الأولاد الذين يولدون بينكم قد تكون آتية من وسط تعوّدوا منه على عادات مختلفة جداً عن عاداتكم. فماذا تنتظرون أن يكون هذا الكائن الجديد الذي يأتي إليكم مصحوباً بشهوات مختلفة جداً عما في بيئتكم، وبقرائح وميول متعاكسة مع نزعاتكم؟ كيف تريدون أن يندمج في وسطكم إذا ما كان كما أراد الله، قد مرّ بفريال الطفولة؟ في هذا الفريال تختلط جميع أفكار وطباع وأنواع الكائنات التي سببت وجودها هذه البيئات المختلفة التي فيها يلد ويكبر الأشخاص. وأنتم أيضاً، عندما تموتون، ستجدون أنفسكم في نوع من الطفولة بين إخوان جدد. وفي كيانكم الجديد اللاأرضي، ستكونون في حالة جهل بعادات وأعراف وعلاقات ذلك العالم الجديد لكم. ستستعملون بصعوبة لغة لن تكونوا معتادين التكلّم بها، وهي لغة حيّة أكثر مما يكون فكركم حيّاً في الحاضر (319).

للطفولة منفعة أخرى أيضاً، وهي أن الأرواح تدخل الحياة الجسدية لترتقي وتتحسّن، فإنّ ضعف الحداثة يجعلهم مرنين ومنفتحين لنصائح الخبرة ولتوجيه المسؤولين عن تهذيبهم. ففي الطفولة، يمكن إصلاح طبعهم وكبح ميولهم السيئة. هذا هو الواجب الذي ائتمنه الله لأبويهم، وهي مهمّة مقدّسة سيحاسبون عنها في يوم الحساب.

بناء عليه، ليست الطفولة فقط نافعة وضرورية ولا غنى عنها، بل هي أيضاً التابع الطبيعي للقوانين التي أقامها الله والتي تسود على الكون.

7 ـ الانجذاب والنفور على الأرض

386 ـ أمن الممكن لشخصين كانا يعرفان بعضهما وكانا يُحبّان بعضهما أن يلتقيا في حياة جسدية أخرى وأن يتعارفا على بعضهما؟

أن يتعارفا على بعضهما، كلا، ولكن من الممكن أن ينجذبا الواحد إلى الآخر. وفي الكثير من الأحيان، فإن الباعث الوحيد لبعض العلاقات الوثيقة مبنية على مودة صادقة، هو ذلك التجاذب المتبادل. ثمة ظروف طارئة في الظاهر، تُقرّب شخصين الواحد من الآخر، ولكن هذه الظروف، في الواقع، هي تجاذب روحين يفتّشان الواحد عن الآخر بين الناس.

386 أ ـ ألا يكون سرورهما أكبر لو تعارفا على بعضهما؟

لا دائماً، لأن تذكّر التجسدات الماضية قد يكون فيه أضرار أكثر مما تظنون. لكنهما بعد الموت سيتعرفان على بعضهما وسيعلمان كل شيء عن الزمن الذي أمضياه سوية (392).

387 ـ هل سبب التجاذب المتبادل هو دائماً تعارف سابق؟

كلا، لأن روحين يتوافقان الواحد مع الآخر، سيبحثان عن بعضهما بدافع طبيعي دون أن يكون هناك تعارف سابق بينهما أثناء حالتهما كبشر.

388 ـ عندما نلتقي أحياناً ببعض أشخاص وننسب هذا الالتقاء إلى الصدفة، أليس هذا الالتقاء حاصل علاقات تجاذبية نوعاً ما؟

توجد بين الأشخاص المُفكّرين صلات لا تعرفونها بعد. في هذا الصدد، والمغنطة هي التي تقود هذا العلم، وفهمكم له سيزداد فيما بعد.

389 ـ من أين يأتي النفور البديهي الذي يشعر به الإنسان نحو بعض أشخاص من أول لمحة؟

إنها أرواح متنافرة تستشعر بعضها بعضاً وتفهم بعضها دون أن يكلم أحد الآخر.

390 ـ هل النفور البديهي دليل على فطرة سيئة؟

لا يعني التنافر بين روحين أنهما سيئان حتماً. قد ينشأ التنافر من عدم التشابه في الأفكار، ولكن بقدر ما يرتقيان، تمّحي الفوارق ويزول التنافر.

391 ـ هل ينشأ التنافر بين شخصين في أول الأمر داخل روح السيئ أم داخل روح الحسن؟

ينشأ في الاثنين في آن واحد، ولكن تختلف العلل والمعلولات. فالروح السيئ يشعر بنفور نحو من قد يحكم عليه ويفضحه، ويعلم أنه سيلام بمجرد رؤية أحد له لأول مرة. لذلك فهو يتهرب ويتحول ابتعاده إلى حقد وغيرة، ويوحي إليه بالرغبة في الإساءة. أما الروح الصالح فهو يشعر بنفور نحو الروح الشرير لأنه يعلم أنه لن يحصل بينهما تفاهم، ولأن مشاعرهما مختلفة. ولكن لكونه يعلم بتفوّقه على الشرير، فهو لا يشعر إزاءه بالحقد أو الحسد، ويكتفي بأن يتجنبه ويشفق عليه.

8 ـ نسيان الماضي

392 ـ لماذا يفقد الروح المتجسد ذاكرة ماضيه؟

لا يصحّ للإنسان أن يعلم كل شيء، ومن اللازم أن يكون هكذا، وهكذا شاء الله في حكمته. إذا لو لم تحجب عن الإنسان بعض أشياء، لا نبهر، كمن يعبر فجأة من الظلام إلى النور. فبنسيان الماضي، تزيد سيادة الإنسان على نفسه.

393 ـ كيف يكون الإنسان مسؤولاً عن أعمال ويُكفّر عن أخطاء لا يتذكّرها؟ كيف ينتفع من الخبرة التي اكتسبها في تجسدات طواها النسيان؟ ربما نفهم أن محن الحياة هي درس له، لو كان يتذكّر الأسباب التي جلبتها له. لكن، بما أنه لا يتذكرها، تبدو إذن كل حياة له كما لو كانت الأولى، وهكذا هو كمن يبتدئ دائماً. كيف نوفّق ذلك مع عدالة الله؟

لدى كل تجسد جديد، يزداد الإنسان ذكاء، ويتحسن تمييزه بين الخير والشر. أين الاستحقاق إن كان يتذكر ماضيه كله؟ عندما يعود الروح إلى حياته الأصلية (الحياة الأرواحية) تنبسط أمامه حياته الماضية بكليتها، ويرى الزلات التي ارتكبها والتي كانت سبب شقائه، وما كان من الممكن أن يحول دون ارتكابها. يُدرك عدالة حالته الحاضرة، ويسعى إذ ذاك ليحصل على الحياة التي قد تُعوّض عن الحياة التي انقضت حديثاً. يبحث عن تجارب من نفس نوع التي تحمّلها وعن المعارك التي يظنّها ملائمة لارتقائه، ويطلب من أرواح أرقى منه أن تعينه في العمل الجديد الذي سيباشره، إذ أنه يعلم أن الروح الذي سيُخصص له كمرشد في هذه البداهة بالذات ضد الفكرة أو الرغبة الشريرة التي تخطر لكم في أحيان كثيرة وتقاومونها بديهياً، وفي معظم

الأحيان تنسبون مقاومتكم لها إلى المبادئ التي أخذتموها من أبويكم، بينما هي، في الواقع، صوت الضمير الذي يكلّمكم. وهذا الصوت الذي هو تذكّر الماضي، ينذركم بأن لا تقعوا في الأخطاء التي ارتكبتموها من قبل. وعليه، فإن الروح الذي يدخل في هذه الحياة الجديدة، إذا احتمل تجاربها بتجلُّد وصمود، فسيرتقي ويصعد في مراتب الأرواح، عند رجوعه إليهم.

(خلال الحياة الجسدية، إذا لم نتذكّر بوضوح ما كنا وما فعلناه من خير ومن شرّ في تجسداتنا السابقة، فإن لدينا دراية بداهية بها، ونزعاتنا الغريزية هي التذكّر الذي بقي من ماضينا، والتي يُحذّرنا منها ضميرنا، لأنه يعبّر عن رغبتنا المضمرة فينا بأن لا نرتكب نفس الأخطاء).

394 ـ في العوالم التي ارتقت أكثر من عالمنا، وحيث سكانها ليسوا تحت سيطرة ما نعانيه من ضرورات جسدية وأمراض، هل يخطر لسكانها أنهم أسعد منا؟ رغم أن السعادة حالة نسبية عادة، إذ نشعر بها بالمقارنة مع حالة أقل سعادة منا، فصارى الكلام، بما أن بعض هذه العوالم رغم أنها أرقى من عالمنا، لم تصل بعد إلى الكمال، فلا بد أن يكون لساكنيها أمور خاصة بهم تضايقهم. فالغني عندنا، وإن لم يشقَ وراء الاحتياجات المادية كالفقير، فهو مع ذلك عُرضة لشدائد أخرى تعكر حياته. أما سؤالي فهو: ألا يعتقد سكان تلك العوالم أنهم في مقامهم، تعساء مثلنا، ألا يشكون من قسمتهم، نظراً إلى أنهم لا يتذكرون حياة سابقة كان مستواها أدنى من الحياة الحاضرة ليقارنوا بين الاثنتين؟

في هذا الشأن، من اللازم الردّ بجوابين مختلفين: فبين العوالم التي تشير إليها، توجد عوالم يتذكر سكانها تجسداتهم الماضية بوضوح ودقة. أولئك، كما نعلم، يستطيعون ويحسنون تقدير السعادة التي يسمح الله لهم بأن يتمتعوا بها. لكن هناك عوالم أخرى سكانها، كما تقول، رغم أنهم يقيمون في حالات أحسن من حالاتكم، ومع ذلك فهم يعانون من مضايقات كبيرة وحتى بلايا. فهؤلاء لا يقدّرون سعادتهم لكونهم لا يتذكرون حالة أتعس بعد من حالتهم. فإذا لم يقدّروها كبشر، فهم يقدرونها كأرواح.

(ألا يوجد في نسيان تلك التجسدات الماضية، لا سيما وأنها كانت أليمة، شيء ما من العناية الإلهية يكشف لنا حكمة الله؟ فالتجسدات التعيسة تعود إلى الذاكرة بخاصة في العوالم المرتقية روحياً، حينما لا يعود تذكّرها سوى حلم مزعج. أما في

العوالم المتأخرة روحياً، ألا يمكن أن تزداد وطأة الشدائد الحاضرة لو تذكّر الشخص ما تحمّله في الماضي؟ نرى إذن أن كل ما فعله الله مضبوط، وليس لنا الحق في أن ننتقد أعماله، ولا أن نقول كيف كان يجب عليه أن يدبّر شؤون الكون).

(قد يجلب لنا تذكر فرديتنا السابقة مشاكل خطيرة جداً، وفي بعض الحالات قد يُذلّنا بشكل لا ننتظره. وفي أحوال أخرى، قد يدفعنا إلى الكبرياء، ومن ثم، فقد يعوق حرية اختيارنا. لذلك، يعطينا الله لارتقائنا ما يلزمنا بالضبط وما يكفينا، أي: صوت الضمير ونزعاتنا الغريزية، ويبعد عنا ما قد يُضرّنا. إذا تذكرنا أفعالنا الشخصية السابقة، فسنتذكر أيضاً أفعال غيرنا، وتذكّر الماضي قد يجلب عواقب مكدّرة للغاية في العلاقات الاجتماعية. لا شيء يبرّر أن نفتخر بماضينا، فالأفضل في أكثر الأحيان هو أن يُنزل عليه ستار. ينسجم هذا مع تعاليم الأرواح بصدد العوالم الأرقى. ففي تلك العوالم، حيث يسود الصلاح فقط، لا يؤلم البتة تذكّر الماضي، ولذلك يتذكر ساكنوها حياتهم السابقة كما نحن نتذكر ما فعلناه عشية أمس. وبشأن الإقامة التي ربما قضاها الروح في العوالم السفلية، فهي لا تعود سوى حلم مزعج، كما سبق لنا القول).

395 . أمن الممكن أن نحصل على معلومات عن تجسداتنا السابقة؟

في بعض الأحيان. هناك أشخاص كثيرون يعرفون ما كانوا عليه وما كانوا يفعلون. ولو كان يسمح لهم بأن يقولوا جهراً ما يعرفون، لأتوا بأنباء غريبة عن ماضيهم.

396 ـ يعتقد بعض الناس أنهم يتذكرون تذكراً غامضاً عن ماض مجهول يرونه كصورة خيالية سريعة الزوال يحاولون عبثاً أن يدركوا معناها. أليست هذه الفكرة مجرد وهم؟

في بعض الأحيان هي حقيقية، ولكن غالباً ما تكون وهماً، ويجب على المرء أن يحذر منها إذ قد تكون بتأثير خيال مهيّج تهييجاً شديداً.

397 . في الحيوات الجسدية الأرقى من حيواتنا، أيكون تذكّر التجسدات السابقة أوضح؟

أجل، فكلما تقلّ مادية الجسد، كلما يزداد وضوح التذكّر. لذلك فإن تذكّر الماضي أسهل للذين يسكنون عوالم من درجة سامية.

398 ـ بما أن نزعات الإنسان الفريزية هي التذكر الذي بقي من ماضيه، فهل يتأتى من ذلك أنه، بدراسة هذه النزعات، يستطيع معرفة الأخطاء التي ارتكبها؟

بلا شك، ولكن يجب أن يراعى التحسن الذي حدث في الروح وما اعتزم الروح أن يفعله خلال حالته التجوالية. فربما أصبحت حياته الحاضرة أرقى بكثير مما كانت حياته السابقة.

398 أ ـ أمن الممكن أن تكون أسوأ منها، أي هل يمكن أن يرتكب الإنسان في تجسد ما أخطاء لم يرتكبها في التجسد السابق؟

يتوقف ذلك على مقدار تقدمه. فإذا لم يتمكن أن يصبر أمام التجارب، فقد ينجرّ إلى أخطاء جديدة هي نتيجة للموقف الذي يتخذه في الحياة. ولكن بوجه عام، تدلّ تلك الأخطاء بالأحرى على حالة توقف وليس على حالة تقهقر، إذ أن الروح قد يتقدم أو يتوقف، ولكنه لا يتقهقر.

399 ـ بما أن تقلبات الحياة الجسدية هي، في آن معاً، تكفير عن أخطاء الماضي وتجارب لتقوية الروح في المستقبل، فهل يتأتى من ذلك أننا نستطيع، من نوع التقلبات معرفة نوع الكيان السابق؟

ذلك ممكن في أحيان كثيرة جداً، إذ أن الإنسان يعاقب بما أخطأ فيه بالذات. ولكن ينبغي ألا نعتبر ذلك كقاعدة مطلقة. فالنزعات الغريزية هي دليل أكثر صواباً من غيره، إذ أن التجارب التي يتحملها الروح هي للمستقبل كما هي أيضاً للتكفير عن الماضي.

(عند حلول الأجل المحدد من العناية الإلهية لحياة الروح التجوالية، يختار الروح هو نفسه التجارب التي يريد أن يتحملها لتعجيل ارتقائه، أي يختار نوع الحياة التي يعتقد أنها الأفضل لتمدّه بوسائل الارتقاء، وهذه التجارب هي دائماً متناسبة مع الأخطاء التي يجب عليه التكفير عنها. فإذا ظفر بها يرتقي، وإذا فشل فيجب عليه أن يُعيد التجسد).

(يتمتع الروح كل حين بحرية الاختيار، وهو بمقتضى هذه الحرية، في حالته كروح غير متجسد يختار تجارب الحياة الجسدية، ويشاور نفسه عما سيفعله وما لا يفعله، ويختار بين الصلاح والسوء. الجحود بحرية الاختيار لدى الإنسان يعادل جعله مجرد آلة).

(بمجرد عودته إلى الحياة الجسدية، يفقد الروح مؤقتاً ذكر حيواته السابقة كما لو يحجبها ستار عنه. ومع ذلك، فهو يُدركها أحياناً إدراكاً مبهماً. وفي بعض الأحوال قد تتكشف له، ولكن حينذاك، تتكشف فقط بإرادة الأرواح السامية المقام، فيفعلون ذلك من تلقاء نفسهم، لغرض مفيد، وليس لإرضاء فضول لا فائدة منه).

(لا يجوز أن تكشف التجسدات المقبلة في أية حال من الأحوال، لأنها تتوقف على الطريقة التي بها تنجز الحياة الحاضرة، وعلى الاختيار التالي الذي يقوم به الروح).

(ليس نسيان الأخطاء المرتكبة عائقاً في تحسّن الروح، فعلى الرغم من أنه لا يتذكرها بوضوح، فإن ما يعلمه عنها خلال حالته التجوالية ورغبته الشديدة في التعويض عنها، يرشدانه بالبديهة، ويعطيان له فكرة مقاومة الشر. هذه الفكرة هي صوت الضمير الذي بواسطته تساعده الأرواح التي تعضده، إذا أنصت إلى الإلهامات الصالحة التي توعزها إليه).

(إذا لم يعلم الإنسان السيئات بالذات التي ارتكبها في كياناته، فإن في وسعه معرفة نوع الأخطاء التي اقترفها وكيف كان طابعه السائد. لذلك يكفيه أن يفحص نفسه ليعرف نوع الشخص الذي كانه سابقاً، لا بمعرفة ما هو الآن، بل بمعرفة نزعاته).

(تقلّبات الحياة الجسدية هي في آن معاً، تكفير عن أخطاء الماضي وتجارب لتقوية الروح في المستقبل. فهي تُنقّينا وتُرقّينا حسبما نتحمّلها بالاستسلام لمشيئة الله ودون تذمر).

(من نوع التقلّبات والتجارب التي نتحمّلها، نستطيع أن نستدلّ على ما كنا وما فعلناه، كما أننا في هذه الدنيا نستدلّ على أعمال المجرم من نوع العقاب الذي يُحكم به عليه. هكذا سيعاقب فلان بسبب كبريائه بإذلاله في حياة مقبلة تحت أوامر الآخرين، والغني البخيل بحياة في غاية الفقر، ومن كان قاسي القلب سيتحمّل قساوة قلوب الآخرين نحوه، والظالم سيعيش في العبودية، ويعاقب الابن السيئ بأبناء ينكرون نعمه عليهم، والكسلان بالعمل المكره، وهلمّ جرّاً).

ما رتبه الله الرحيم في نظام تعدد التجسدات لارتقاء الروح، يذكرنا إلى حدّ ما بالنظام المدرسي حيث يبتدئ طالبو العلم في الفصول السفلى، ثم يتقدمون رويداً بمجهودهم سنة بعد سنة من الابتدائي إلى الثانوي وإلى الجامعي. وفي هذه المقارنة، فإن كل سنة دراسية هي بمثابة تجسّد. يمكن تشبيه عطلة الصيف السنوية بالاستراحة خلال الحياة في العالم الروحي. أما السنوات التي يجب على التلميذ أن يعيدها ثانية من

جراء فشله في الامتحان السنوي، فهي التجسدات الفاشلة التي ينبغي على الروح أن يعيدها إلى أن ينجز الهدف الذي عزم على الوصول إليه. وهكذا، يصعد التعلم سنة بعد الأخرى إلى أن يبلغ الدراسات العليا، مثلما يصعد الروح الدرجات إلى أن يصل إلى درجة الكمال (ملاحظة المترجم).

الفصل الثامن: تحرُّر الروح

1 ـ النوم والأحلام

2 ـ زيارات أرواحية بين الأحياء

3 ـ نقل الفكر نقل خفي

4 ـ الإسبات[1] والتخشّب[2]. الوفيات الظاهرة

5 ـ التربُّص (الروبصة)

6 ـ الانخطاف

7 ـ البصر الثاني

8 ـ ملخّص نظري في التربُّص والانخطاف والبصر الثاني

---

(1) الإسبات (lethargie) هو حالة مرضية تتميز بسبات عميق ومستفرق، تتباطأ خلاله وظائف الحياة كثيراً إلى درجة أنها تبدو كأنها توقفت (ملاحظة المترجم).

(2) التخشُّب (catalepsie) هو حالة مرضية شبيهة بحالة الموت وذات علاقة بالتمغنط الذاتي او بالهستيريا، وتتميز بتخشّب أعضاء الجسد وبطء التنفّس والنبض وشحوب الوجه والبشرة. قد يدوم التخشّب بضعة أيام، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى الظن بأن المصاب به مات، ومن ثم يدفن وهو لا يزال حياً (ملاحظة المترجم).

1 ـ النوم والأحلام

400 ـ أتسكن الروح المتجسدة بطيبة خاطر في غلافها الجسدي؟

سؤالك هو كمن يسأل إذا كان يطيب للسجين أن يكون مسجوناً. تتوق الروح المتجسدة كل حين إلى تحرّرها، وبقدر ما تزيد خشونة الغلاف، تزيد رغبة الروح في التخلّص منه.

401 ـ خلال النوم، هل تستريح الروح كما يستريح الجسد؟

كلا، لأن الروح لا تتوقف أبداً عن العمل. ففي أثناء النوم ترتخي الروابط التي تربطها إلى الجسد، وبما أن الجسد لا يحتاج إليها، فهي تجوب الفضاء، وتتصل مباشرة بالأرواح الأخرى.

402 ـ كيف نتحقّق من أن الروح تتحرر أثناء النوم؟

من الأحلام. صدّقني، أثناء استراحة الجسد، تكون للروح مقدرات أكثر مما لديها في حالة اليقظة، فتتذكر الماضي وأحياناً تتنبأ بالمستقبل وتزداد قواها، فيسعها حينذاك أن تتصل بالأرواح الأخرى سواء في هذا العالم أو في عالم آخر. وكثيراً ما تقول إنك حلمت حلماً غريباً، أو حلماً مخيفاً، لا أساس معقولاً له البتة. ولكنك على خطأ إذ عادة ما يكون الحلم تذكّر الأماكن والأشياء التي رأيتها أو سوف تراها في حياة أخرى أو في وقت آخر. فبسبب كون الجسد مخدّراً، تحاول الروح أن تكسر قيودها لتكشف عن ماضيها وعن مستقبلها.

مساكين أنتم. ما أقلّ معرفتكم بأبسط مظاهر الحياة. تظنّون أنكم تفهمون الأشياء، بينما أبسط أشياء الحياة تُحيّركم. وعلى سؤال الأولاد لكم: «ماذا نفعل ونحن نائمون؟ وما هي الأحلام؟ تتدهشون».

يحرر النوم جزئياً الروح من الجسد. ففي النوم، يكون الإنسان مؤقتاً في حالة مشابهة لما سيكون على الدوام بعد الموت. والذين يتخلصون من المادة سريعاً بعد موتهم، كان لهم منامات ذكية. وهؤلاء عندما كانوا ينامون، يعودون إلى جماعة الأرواح الأخرى الأعلى درجة منهم، يتأنسون في صحبتهم ويتثقفون، وحتى أنهم يشتغلون في أعمال في عالم الأرواح يجدونها متممة عند وفاتهم. يُريكم ذلك أيضاً بأنه لا يصحّ أن تخشوا الموت، إذ إنكم تموتون كل يوم، كما قال أحد الأولياء.

ذلك هو خاص بالأرواح السامية، أما سواد الناس فعندما يموتون، يبقون ساعات طويلة في ذلك الاضطراب، وذلك التحيّر اللذين حدّثوكم عنهما، وهؤلاء يذهبون إما إلى عوالم أحطّ من الأرض حيث تجذبهم مودّات قديمة، أو للبحث عن ملذات ربما تكون أسفل من التي كانوا منغمسين فيها هنا. فيتشرّبون أفكاراً أدنأ وأحقر وأضرّ من التي جاهروا بها في وسطكم. إن ما يسبب التجاذب بين الناس على الأرض لا يعدو كون الشخص يشعر عندما يستيقظ بأنه مقترب بالقلب من الذين أمضى معهم ثمانية أو تسعة ساعات سعيدة. وما يفسر أيضاً ذلك التنافر الشديد الذي يشعر به شخص تجاه بعض الأشخاص هو أنه يعلم في صميم فؤاده بأن شعور هؤلاء القوم يختلف عن شعوره، لأنه يعرفهم دون أن يكون قد رآهم أبداً من قبل. وهذا يُفسّر أيضاً اللامبالاة في بعض الحالات، لأنا لا نريد أصدقاء جدد، لكوننا نعلم أن لدينا أصدقاء آخرين يحبوننا. قصارى الكلام، فإن للنوم أثر على حياتكم أكثر مما تظنون.

بواسطة النوم، تظل الأرواح المتجسدة على اتصال دائم بعالم الأرواح، وذلك هو ما يجعل الأرواح الرفيعة المقام تقبل دون تردد أن تتجسد بينكم. ولكن شاء الله أثناء احتكاكهم بالدنيئة، أن يتمكنوا من الرجوع ليتصلوا بمنبع الخير فلا يسقطوا هم أيضاً، هم الذين يعلّمون غيرهم. أما النوم فهو الباب الذي فتحه الله لهم ليتصلوا بأصدقائهم الذين في السماء، وهو كالاستراحة بعد العمل، بانتظار يوم الخلاص الكبير، يوم التحرر النهائي الذي سيعيدهم إلى بيئتهم الحقيقية.

فالحلم هو تذكر ما رأته روحكم أثناء النوم. لكن لاحظ إذا كنت لا تحلم دائماً، أو لا تتذكر دائماً ما تراه، أو كل ما تراه خلال نومك. فلأن روحك ليست في أرقى حالات تطورها، بل عادة ما تذكر الاضطراب الذي يرافق ذهابك أو عودتك، يُضاف إليه تذكر ما عملت أو ما يشغل بالك في وقت اليقظة. إذا كان الأمر ذلك، فكيف تفسّر تلك الأحلام التي لا معنى لها والتي يحلمها أعلم الناس وأجهلهم؟ أما الأرواح السيئة فهي تغتنم أيضاً فرصة الأحلام لتقلق الأشخاص الضعفاء والمتخاذلين.

على كل حال، سوف ترى عن قريب نوعاً آخر من الأحلام. يتطور لديك. هذا النوع قديم جداً كالنوع الذي تعرفه ولكنك تجهله، وهو من نوع حلم جان دارك وحلم يعقوب وأحلام الأنبياء اليهود وبعض العرّافين الهنود. وهذا الحلم هو ما تتذكره الروح المتحرّرة تماماً من الجسد، أي ما تتذكره عن تلك الحياة الثانية التي حدثتك عنها قبل قليل.

حاول أن تُميّز بين هذين النوعين من الأحلام التي سوف تتذكرها، حتى لا تقع في تناقضات وأخطاء قد تكون مضرة لإيمانك.

(الأحلام هي نتيجة تحرّر الروح، نظراً إلى أن التحرّر يزيد لدى توقّف حياة العمل وحياة الاتصالات. يتولد عنه بصيرة غير محددة تمتد إلى أبعد الأماكن أو إلى الأماكن التي لم يرها الشخص أبداً من قبل، وحتى أحياناً إلى عوالم أخرى. وينتج عنه أيضاً تذكّر يصور في الذاكرة الوقائع التي حدثت في الحياة الحاضرة أو في الحيوات السابقة. ففرابة صور ما يجري حدوثه الآن أو ما حدث في عوالم مجهولة، مخلوطة بأشياء العالم الحالي هي ما تكوّن هذه المجموعات الخارقة والغامضة التي تبدو لنا عديمة المعنى والغرض).

(يتفسّر أيضاً عدم تماسك الأحلام بالفراغات الناجمة من تذكّر ناقص لما ظهر لنا في الحلم. وهكذا، قد تجري قصة يحذف منها بلا قصد جمل كاملة أو أجزاء جمل، وحتى لو جمعت الأجزاء الباقية تبدو القصة بلا معنى معقول).

403 ـ لماذا لا نتذكر الأحلام دائماً؟

لا يعدو ما تسميه بالنوم كونه استراحة الجسد فقط، لأن الروح في حركة دائمة. في النوم تستردّ الروح شيئاً من حريتها، وتتخابر مع الذين تُعزّهم سواء كانوا في هذا العالم أو في عوالم أخرى. ولكن نظراً إلى أن الجسد مادة ثقيلة وغليظة، فيحفظ بصعوبة التأثيرات التي تصل إلى الروح، لأن الروح لم تتسلمها عبر أعضاء الجسد.

404 ـ ما رأيكم عما يقال عن ماهية الأحلام؟

ليست الأحلام حقيقية كما يقول عنها مفسرو الأحلام إذ أن ما يُخالف المنطق الاعتقاد بأن الحلم بشيء يُعلن عن حدوث الشيء. لكن الأحلام حقيقية بمعنى أنها تقدّم صوراً واقعية للروح، ولو أن هذه الصور في أحيان عديدة لا صلة لها بما يحدث في الحياة الجسدية. قد تكون أيضاً في كثير من الأحوال تذكّر الماضي كما سبق لنا القول. وأخيراً قد تكون استشعاراً بالمستقبل، إن يأذن الله به، أو رؤية ما يحدث في تلك اللحظة في مكان آخر الذي تنتقل إليه الروح. هناك حالات عديدة يظهر فيها أشخاص في المنام ليخطروا أقاربهم أو أصدقائهم بما يحدث لهم؟ فما هي هذه الأشباح، إذا لم تكن نفوس أو أرواح أولئك الأشخاص الذين يأتون ليتصلوا بروحكم؟ عندما تتثبّتون فيما بعد، من أنّ ما رأيتم قد حدث فعلاً، أليس ذلك برهاناً على أن الخيال لا دخل له في ذلك، لا سيما إن كان ذلك الأمر لم يكن في فكركم أثناء عشية الأمس؟

405 ـ نرى في أحيان كثيرة في المنام أشياء يلوح لنا أنها هواجس بحوادث، ولكنها لا تتحقق فيما بعد. من أين يأتي ذلك؟

قد تتحقق للروح إذا لم تتحقق للجسد، ومعنى ذلك أن الروح ترى الشيء لأنها تذهب إلى ملاقاته. ففي أثناء النوم تظلّ الروح كل حين وإلى درجة ما، تحت تأثير المادة، وهي لا تتحرر أبداً بالتمام من الأفكار الأرضية. ينجم عن ذلك أن ما كان يشغل البال عشية الأمس قد يؤدي إلى أن يرى النائم مشهداً ما يرغبه أو يخشاه. ذلك هو في الحقيقة ما يمكن أن يُدعى بمفعول الخيال. لأنه عندما تشغل فكرة بال أحد بشدة، فهو يربط بها جميع ما يراه.

406 ـ عندما نرى في المنام أشخاصاً أحياء نعرفهم تمام المعرفة، يقومون بأعمال لا يفكّرون بها مطلقاً، أليس ذلك من مفعول الخيال المحض؟

تقول لا يفكّرون بها مطلقاً، كيف تعرف؟ قد تأتي روحهم لزيارة روحك، كما تذهب روحك لزيارة روحهم، دون أن تعلم كل حين بم يفكّرون. فضلاً عن ذلك، أنت أيضاً تطبّق عادة على أشخاص تعرفهم، ووفقاً لما تبتغيه، ما حدث أو يحدث في تجسدات أخرى.

407 ـ هل النوم العميق ضروري لتحرّر الروح؟

كلا، لأن الروح تستعيد حريتها عندما تفتر الحواس، وتغتنم كل لحظات الاستراحة التي يعطيها الجسد لها. وحالما تنحطّ القوى الحيوية، تتملّص الروح من الجسد، وقدر ما يضعف الجسد، قدر ما يزيد تحرّر الروح.

(هكذا تقدّم الغفوة أو مجرد فتور الحواس، في أحيان كثيرة، نفس صور الحلم).

408 ـ يلوح لنا أحياناً أنا نسمع في صميمنا كلمات ملفوظة بوضوح ولا صلة لها بتاتاً بما يشغل فكرنا. ما سبب ذلك؟

فعلاً، وتسمعون حتى جملاً كاملة، وبخاصة عندما تبدأ الحواس تفتر. ذلك هو أحياناً صدى ضعيف لصوت روح يودّ الاتصال بك.

409 ـ في أحيان كثيرة، بينما نكون في حالة ليست هي الغفوة بعد، وأعيننا مغمضة، نرى صوراً واضحة وأشكالاً نفطن لأدقّ تفاصيلها. أهي من مفعول البصر أو مفعول الخيال؟

من كون الجسد فاتراً، تحاول الروح أن تُحطّم قيودها، فتنتقل وترى. ولو كان النوم عميقاً لكان حلماً.

410 ـ أثناء النوم أو في الغفوة تأتي أحياناً إلى خلدنا أفكار تبدو أنها حسنة جداً، ثم تتمحي من ذاكرتنا برغم مجهودنا لنتذكرها. من أين تأتي تلك الأفكار؟

هي نتيجة تحرّر الروح، لأن الروح تتحرر وتتمتع بمقدراتها بقدر أكبر خلال هذه الفترة. وهي أيضاً في أحيان كثيرة، إرشادات آتية من أرواح أخرى.

410 أ ـ ما منفعة هذه الأفكار وهذه الإرشادات، ما دمنا لا نتذكرها ولا نستطيع الانتفاع منها؟

هذه الأفكار تخصّ أحياناً عالم الأرواح أكثر مما تخص عالم الجسد، ولكن في معظم الأحيان، إن كان الجسد ينساها فالروح تتذكرها، وتعود الفكرة في الوقت اللازم كإلهام يطرأ في تلك اللحظة.

411 ـ في اللحظات التي تكون فيها الروح المتجسدة متحررة من المادة وتتصرّف كروح، هل هي تعلم أوان موتها؟

كثيراً ما تستشعره، وأحياناً تشعر به بشكل جليّ جداً. ذلك هو ما يعطيها، في حالة اليقظة دراية بداهية به، وما يجعل أحياناً أشخاص يتنبأون بموتهم بدقة كبيرة.

412 ـ أمن الممكن أن نشاط الروح أثناء استراحة الجسد أو أثناء النوم، يجعل الجسد يشعر بالتعب؟

أجل، لأن الروح مرتبطة بالجسد كما المنطاد مرتبط بالعمود، وبما أن هزّات المنطاد تهزّ العمود، فإن نشاط الروح يُحدث ردّ فعل على الجسد، وقد يجعل الجسد يشعر بالتعب.

2ـ زيارات أرواحية بين الأحياء

413 ـ من نظرية تحرر الروح أثناء النوم، يبدو لنا أنا نعيش حياة مزدوجة في نفس الوقت، حياة الجسد التي تمدّنا بحياة الاتصالات الخارجية، وحياة الروح التي تمدّنا بحياة الاتصالات الخفية. أهذا الاستنباط صحيح؟

خلال التحرّر تُخلي حياة الجسد الجو لحياة الروح، ولكنهما ليستا، بحصر المعنى، حياتان، بل بالأحرى مرحلتان من نفس الحياة، إذ أن الإنسان لا يعيش مزدوجاً.

414. أمن الممكن لشخصين يعرفان بعضهما أن يزورا بعضهما خلال النوم؟

أجل، وعدد كبير غيرهم يعتقدون بأنهم لا يعرفون بعضهم، يجتمعون ويتحادثون. قد يكون لك أصدقاء في بلد آخر دون أن تدري. وهذه الزيارات أثناء النوم للأصحاب والأقارب والمعارف وللذين في إمكانهم مساعدتكم، تحدث بتكرار كبير إلى درجة أنكم تكادون تقومون بها كل ليلة.

415. ما هي منفعة هذه الزيارات الليلية ما دمنا لا نتذكرها؟

عادة بعد الاستيقاظ يتبقّى منها بداهة في الذهن، وكثيراً ما يكون ذلك مصدراً لبعض الأفكار التي تأتي إليكم تلقائياً دون أن تفهموا كيف أتت، والتي ليست سوى ما اقتبس من تلك المحادثات.

416. هل بوسع الإنسان أن يحقق حدوث الزيارات الأرواحية إرادياً؟ هل بإمكانه مثلاً أن يقول عندما يرقد لينام: هذه الليلة أريد أن التقي كروح مع فلان وأتكلم معه وأقول له ذلك الشيء؟

هذا ما يحصل في الواقع: يرقد الإنسان لينام فتستيقظ روحه، ولكن ما صمّم الإنسان بأن يعمله، غالباً لا تمر الروح عليه، إذ أن حياة الإنسان تهمّ الروح قليلاً عندما تكون خارج المادة. ولكن يحدث هذا للذين حصلوا على ارتقاء روحي لا بأس به. أما الآخرون فيقضون حياتهم الروحية بوجه مختلف جداً. ينقطعون إلى أهوائهم أو لا يفعلون شيئاً بتاتاً. وهكذا، فبحسب الغرض الذي يقصده الإنسان، قد يحدث أن تذهب الروح لتزور الأشخاص الذين تريد أن تزورهم. لكن ما يرغبه الإنسان وهو يقظ ليس سبباً يلزم الروح به.

417 ـ أمن الممكن أن يجتمع كذا عدد من الأرواح المتجسدة ويكوّنون محافل؟

دون شك، فروابط الصداقة، سواء كانت قديمة أم جديدة، في أحيان كثيرة، تجمع كذا أرواحاً مختلفة تسرّ باجتماعها سوياً.

(ما يُقصد بكلمة «قديمة» هو روابط الصداقة التي كانت تربط الأشخاص في حيوات أخرى سابقة. فنروي عندما نستيقظ بداهة الأفكار التي اقتبسناها في تلك المحادثات الخفية رغم أننا نجهل مصدرها).

418 ـ إذا كان أحد يعتقد بأن أحد أصدقائه مات بينما هو لا يزال حياً، أمن الممكن أن يلتقي به كروح ويعلم هكذا بأنه حيّ؟ في هذه الحالة أمن الممكن أن يعلم حالته بداهياً عندما يستيقظ؟

كروح، يستطيع دون شكّ أن يراه وأن يعرف مصيره. إذا ما فرض عليه كتجربة أن يعتقد بموت صديقه، فسوف يستشعر أنه على قيد الحياة، كما قد يستشعر أيضاً أنه مات.

3ـ نقل الفكر نقل خفيّ

419 ـ كيف يحصل أن نفس الفكرة – فكرة اكتشاف جديد مثلاً – تظهر في عدة أماكن معاً؟

سبق لنا القول أنه في أثناء النوم، تتصل الأرواح ببعضها، وعندما يستيقظ الجسد تتذكر الروح ما تعلّمته، ويظن الإنسان أنه هو الذي جاء بالاختراع. هكذا، قد يكتشف عدة أشخاص الشيء نفسه في آن معاً. فعندما تقولون إن هناك فكرة في الهواء، فهذا مجاز أصدق مما تظنون، ويساهم كل فرد في انتشاره دون أن يدري.

(هكذا، في أحيان كثيرة، تكشف روحنا هي نفسها لأرواح أخرى وعلى غفلة منا، ما كان يشغل بالنا أثناء عشية أمس).

420 ـ هل تقدر الأرواح أن تتصل ببعضها إن كان الجسد يقظاً تماماً؟

ليست الروح محبوسة في الجسد كما لو كانت في علبة، فهي تشعّ إلى جميع الجهات من حولها، ولذلك تستطيع أن تتصل بأرواح أخرى حتى في اليقظة، ولو أنها تفعل ذلك بصعوبة.

421 ـ كيف يحدث أنه في أحيان عديدة ترد إلى شخصين يقظين تماماً نفس الفكرة فجأة؟

هما روحان متجاذبان يتناقلان الأفكار، ويرى كل واحد منهما ما يفكّر به الآخر، حتى عندما لا يكون جسداهما نائمين.

(بين الأرواح المتوائمة بالذهن، يوجد تناقل متبادل للأفكار يجعل شخصين يريان بعضهما بعضاً ويتفاهمان دون الحاجة لعلامات التخاطب الخارجية. يجوز القول إنهما يتكلمان مع بعضهما بلغة الأرواح).

4ـ السبات والتخشّب والوفيات الظاهرة

422 ـ يرى ويسمع عادة المسبتون والمتخشّبون ما يحدث حولهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يظهروه. هل هم يرون ويسمعون بأعين وآذان الجسد؟

كلا، بل بالروح إذ أن الروح واعية ولكنها تعجز عن الاتصال بمن يحيط بها.

1422 ـ لماذا لا تستطيع الاتصال؟

لأن حالة الجسد تمنعها. هذه الحالة الخاصة التي تطرأ على الأعضاء هي البرهان على أنه يوجد في الإنسان شيء آخر غير الجسد، نظراً إلى أن الجسد توقف عن العمل وأن الروح لا تزال تعمل.

423 ـ في السبات، هل تستطيع الروح أن تنفصل عن الجسد بالتمام، بحيث يأخذ الجسد كل مظاهر الموت ثم تعود إليه فيما بعد؟

في السبات، لا يموت الجسد إذ أن هناك وظائف عاملة، والحيوية موجودة فيه في حالة كامنة، ولكنها لا تنعدم. والروح تظلّ مرتبطة بالجسد طالما فيه حياة، ولكن حينما تتقطع الروابط بحدوث الموت الحقيقي وبتفكّك الأعضاء، يصبح الانفصال كاملاً ولا تعود الروح إلى الجسد ثانية. وعندما يعود إلى الحياة شخص كانت فيه مظاهر الموت، فلأن الموت لم يتم.

424 ـ أمن الممكن، إذا أسعف الشخص بوقته، أن تربط ثانية روابط أوشكت أن تتقطع وتعاد الحياة إلى كائن كان سيموت فعلاً لو لم يسعف؟

نعم، دون شك، وترون البرهان على ذلك كل يوم. في هذه الحالة، فإن المغنطية هي عادة عامل قوي لإعادة المائع الحيوي الناقص في الجسم والذي كان غير كاف لصيانة وظيفة الأعضاء.

(السبات والتخشّب هما من مبدأ واحد، هو فقدان الحاسية والحركة مؤقتاً. وينجم هذا الفقدان من تعطيل في وظائف الأعضاء، سببه لم يوضّح بعد. والفرق بينهما هو أنه في السبات يكون، توقّف القوى الحيوية شاملاً ويُعطي للجسد كافة مظاهر الموت. أما في التخشّب، فالتوقف محلّي وقد يصيب جزءاً كبيراً نسبياً من الجسد إلى درجة أنه يسمح للعقل بأن يظهر، ولكن ذلك لا يمنع من أن يُظنّ بأن الشخص قد توفّي. ويحدث السبات طبيعياً دائماً، بينما يحدث التخشّب فجائياً في بعض الأحيان، غير أن من الممكن إحداثه والتخلص منه اصطناعياً بفعل المغنطية).

5. التروبص (الروبصة)

425 ـ هل هناك علاقة بين التروبص الطبيعي والأحلام؟ كيف يمكن تفسيره؟

في التروبص تكون النفس متحررة تحرراً أكمل مما تكون في الحلم، وإذ ذاك، تكون مقدراتها متطورة أكثر، فتُدرك ما لا تدركه في الحلم، لأن الحلم هو تروبص ناقص.

في التروبص تكون الروح بكاملها مستقلة، بينما الأعضاء المادية، لكونها في حالة تخشّب نوعاً ما، فهي لا تتلقى التأثيرات الخارجية. تظهر هذه الحالة بالأخص أثناء النوم، لأن النوم هو الوقت الذي تستطيع الروح خلاله أن تُغادر الجسد مؤقتاً، نظراً إلى أن الجسد قد استسلم إلى الراحة التي لا تستغني عنها المادة. وعندما تقع أحداث التروبص، فذلك لأن الروح، لكونها مشغولة البال بأمر ما، تعكف على عمل ما يحتاج إلى استعمال جسدها، وإذ ذاك فهي تستعمل الجسد بشكل يشبه عملية استعمال المائدة أو أي شيء مادي آخر في ظاهرة التخاطبات المادية، أو في عملية استعمال يد الوسيط في ظاهرة المخابرات الكتابية. وفي الأحلام التي يشعر بها الشخص، تبدأ الأعضاء بالاستيقاظ، بما فيها أعضاء الذاكرة، فتتلقى بشكل غير كامل التأثيرات التي أحدثتها الأشياء أو المصادر الخارجية، وتنقلها إلى الروح، ولكون الروح ذاتها تكون في سكون حينذاك، فلا تُدرك إلا أحاسيس غامضة وغير مترابطة عادة، وبلا مبرّر ظاهر لها، تتخلّلها تذكّرات مبهمة من هذه الحياة أو من حيوات سابقة. حينئذ يتسنى لأحد أن يفهم لماذا لا يتذكر المتروبصون شيئاً البتة، ولماذا تكون الأحلام التي يتذكرونها لا معنى لها عادة. أقول «عادة»، لأنه يحدث أن تكون نتيجة تذكّر دقيق لوقائع حدثت في حياة سابقة، وأحياناً نوعاً من البداهة فيما سيحدث في المستقبل.

426 ـ هل هناك علاقة بين التروبص المسمى بالتروبص المغناطيسي وبين التروبص الطبيعي؟

لا فرق بينهما عدا أن الأول يُثار والثاني طبيعي.

427 ـ ما نوع العامل المسمى بالمائع المغناطيسي؟

هو مائع حيوي وكهرباء منشّطة بالحيوية، ويشكلان تقلّب المائع الكوني.

428 ـ ما الذي يسبب الجلاء البصري؟

سبق لنا القول إن الروح هي التي ترى.

429 ـ كيف يستطيع المروبص أن يرى عبر الأجرام الكثيفة؟

ليس هناك أجرام كثيفة إلا لأعضائكم الغليظة. ألم يسبق لنا القول إن المادة ليست عائق للروح، إذ أن الروح تخترقها بغاية السهولة؟ كثيراً ما تقول لكم الروح إنها ترى بجبينها أو بركبتها.. الخ، فأنتم لكونكم في المادة برمّتكم، لا تفهمون أن الروح تستطيع أن ترى دون مساعدة الأعضاء. والروح ذاتها، مؤثّرة بعقليتكم، أنت تظنّ بأنها بحاجة إلى هذه الأعضاء لترى، ولكن إذا تركتموها حرة، لعرفتم أنها ترى بكل أجزاء جسدها، أو على الأصحّ، أنها ترى من خارج جسدها.

430 ـ بما أن جلاء بصر المروبص هو جلاء بصر نفسه أو روحه، لماذا لا يرى كل شيء، ولماذا يخطئ كثيراً؟

أولاً، لم يُعطَ للأرواح الناقصة أن ترى وتفهم كل شيء، وأنتَ تعلم جيداً بأنها لا تزال تشاركم في أغلاطكم وتحيّزاتكم. وثانياً، عندما تكون متعلّقة بالمادة، فهي لا تتمتع بكل مقدراتها كروح. منح الله الإنسان هذه المقدرة لغاية مفيدة وجادة، لا ليعلم ما لا يلزم أن يعرفه. لهذا السبب لا يستطيع المروبصون أن يُخبروا بكل شيء.

431 ـ ما هو مصدر الأفكار الفطرية في المروبص، وكيف يستطيع أن يتكلّم بدقة عن أمور يجهلها في حالة اليقظة، وحتى أعلى من قدرته العقلية؟

قد يحدث أن يكون للمروبص معارف أكثر مما أنت تعلم عنه، إلا أنها غافية، لأن غلافه في حالة نقص كبير، ومن ثم فهو لا يستطيع أن يتذكر كل ما يعرفه. قصارى الكلام، من هو المروبص؟ هو روح متأنا، متجسد في المادة لإنجاز مهمته، والحالة التي يدخل فيها، توقظه من هذا السبات. قلنا لك مراراً بأننا نعود لنعيش مرات عديدة. وهذا التغيير هو الذي يجعله يفقد مادياً ما تعلّمه في حياة سابقة. عندما يدخل فيما أنت تسمّيه بأزمة، يتذكر ما يعرفه، ولو بشكل ناقص عادة. فهو يعرف ولكنه يعجز أن يقول كيف يعرف ولا من أين حصل على هذه المعارف. بعد زوال الأزمة، لا يتذكر عنها أي شيء ويعود إلى الظلام.

(يُرينا الاختبار أن المروبصين يتلقون أيضاً إخبارات من أرواح أخرى تنقل إليهم ما يجب أن يقولوا، وتعوّض نقصهم. يشاهد ذلك بخاصة في الوصفات الطبية، إذ ترى روح المروبص المرض ولكن روحاً آخر هو الذي يصف الدواء. وهذا العمل المزدوج في بعض الأحيان واضح جداً، ويظهر من ناحية أخرى من عبارات كهذه: «يقولون لي أن أقول» أو «لا يسمحون لي أن أقول». في هذه الحالة الأخيرة، يوجد خطر حين يُلحّ الشخص لمعرفة شيء رفض إفشاءه له، لأن الأرواح الطائشة حينذاك تُعطى الفرصة للتدخل فتتكلم في كل الأمور باستهتار ودون مبالاة بالحقيقة.

432 ـ كيف يفسّر البصر عن بُعد لدى بعض المروبصين؟

ألا تنتقل الروح أثناء النوم؟ يحدث نفس الشيء في الروبصة.

433 ـ هل إن تطوّر الجلاء البصري في حالة الترويص تطوُّراً كبيراً يتوقف على الجهاز الجسدي أم على نوع الروح المتجسدة؟

على الاثنين، لأن هناك مواهب جسدية تُيسّر للروح أن يتملّص نوعاً ما بسهولة من المادة.

434 ـ هل المقدرات التي يتمتع بها المترويص هي مقدرات الروح ذاتها بعد الموت؟

أجل، إلى حد ما، إذ يجب أن يُراعى تأثير المادة التي لا تزال الروح موصولة بها.

435 ـ هل يستطيع المروبص أن يرى الأرواح الأخرى؟

يراهم أغلب المروبصين تماماً، وذلك يتوقف على درجة صحوهم ونوعه. لكنهم، في بعض الأحيان لا يدركون الأمر في البداية ويظنون أنهم أشخاص ذوو جسد. يحصل ذلك بالأخص لدى المروبصين الذين لا يعرفون أي شيء عن الأرواحية. فهم لا يفهمون كنه الأرواح فيندهشون مما يرون، ولذلك يظنون أنهم يرون أحياء.

(يحدث نفس المفعول، ساعة الموت، للذين يظنون أنفسهم أحياء بعد. إذ يلوح لهم أن لا شيء تغيّر حولهم، وتبدو لهم الأرواح بأنها ذات أجساد مماثلة لأجسادنا، فيظنون جسدهم بأنه جسد حقيقي).

436 ـ المروبص الذي يرى عن بعد، هل يرى من المكان الذي يوجد فيه جسده أم من المكان الذي توجد فيه روحه؟

لماذا هذا السؤال ما دام الروح هي التي ترى وليس الجسد.

437 ـ ما دام الروح هي التي تتنقل، فكيف يشعر المروبص في جسده بالحرّ والبرد من المكان الذي توجد فيه روحه والتي هي، أحياناً، بعيدة جداً عن جسده؟

لا تُغادر الروح الجسد بالتمام بل تظل دائماً متصلة به بواسطة الرباط الذي يصلها به. هذا الرباط هو موصّل الحواس. عندما يتخابر شخصان من مدينة إلى أخرى بفضل الكهرباء، فالكهرباء هي الرباط الذي يصل أفكارهما، ولهذا السبب يتخاطبان كما لو كان الواحد بجانب الآخر.

438 ـ كيفية استعمال المتربّص لمقدرته، هل تؤثر على حالة روحه بعد موته؟

تؤثر تأثيراً كبيراً، كما يؤثر الاستعمال الحسن أو السيئ لأية مقدرة يهبها الله للإنسان.

6. الانخطاف

439 . ما الفرق بين الانخطاف والترويص؟

الانخطاف هو ترويص أكثر تقنية، لأن روح المنخطف متحررة أكثر بعد من روح المترويص.

440 . هل تتوغّل حقاً روح المنخطف في العوالم السامية الدرجة؟

أجل، فهي ترى تلك العوالم وتفهم سعادة الذين يقطنون فيها، ولذلك تودّ البقاء فيها. على أن هناك عوالم ليست في متناول الأرواح التي لم تتنقّ كفاية.

441 . عندما يُبدي المنخطف رغبته في أن يهجر الأرض، هل هو يتكلم جدياً؟ الا توقفه عن ذلك غريزة البقاء هنا؟

يتوقف ذلك على درجة تنقية الروح، فإذا رأى مقامه القادم أحسن من حياته الحاضرة، فسيجتهد في قطع القيود التي تربطه إلى الأرض.

442 . لو ترك المنخطف في حاله، أمن الممكن أن تهجر روحه الجسد نهائياً؟

أجل، من الممكن أن يموت، ولذلك يجب أن تجعلوه يعود مستعملين كل ما يربطه بهذه الدنيا، بجعله يستشفّ أنه إذا حطّم القيود التي تربطه إلى الأرض، فقد يكون ذلك فعلاً سبباً لكي لا يمكث في العوالم التي يرى أنه سيكون سعيداً فيها.

443 . هناك أشياء يدّعي المنخطف أنه يراها، وهي بلا شك آتية من خياله المتأثر بعقائد وتحيزات الأرض. إذن، فإن جميع ما يراه قد لا يكون حقيقياً؟

ما يراه حقيقي بالنسبة له. لكن بما أن روحه متأثرة كل حين بأفكار الأرض، فقد يراه على شاكلته أو بالأصحّ قد يُعبّر عنه بتعبير مناسب لتحيّزاته وللأفكار التي تربّى عليها، أو لأفكاركم، لكي تفهموه بشكل أفضل. في هذا المعنى فإنه قد يخطئ.

444 . إلى أية درجة يجوز لنا أن نثق بما يفشي به المنخطفون؟

قد يخطئ المنخطف في أحيان عديدة جداً، خاصة عندما يريد أن يكتمه ما يجب أن يبقى سراً للإنسان، وحينئذ يستسلم لأفكاره الشخصية أو تتلاعب به الأرواح الخدّاعة التي تغتنم فرصة حماسته لتفتنه.

445 ـ ماذا يصحّ أن يستنتج من ظواهر الترويض والانخطاف؟ ألا يكشفان لنا نوعاً ما أسرار الحياة المقبلة؟

والأصح أن يقال بفضلهما يستشفّ الإنسان الحياة الماضية والحياة المقبلة. فليدرس الإنسان هاتين الظاهرتين، وسيجد في دراستهما الحلّ لعدة أسرار يحاول عقله عبثاً أن يكتنهها.

446 ـ أمن الممكن لظاهرتي الترويض والانخطاف أن تتفقا مع المادية؟

من يدرسهما بنية سليمة ودون تحيّز ضدهما، لا يمكن أن يكون مادياً ولا زنديقاً.

7ـ البصر الثاني

447 ـ الظاهرة المسماة بالبصر الثاني[1] هل لها علاقة بالحلْم والترويض؟

الاثنان شيء واحد، ما تسميه بالبصر الثاني هو أيضاً الروح في حالة تحرّر أكبر، وحتى لو كان الجسد ليس نائماً. فالبصر الثاني هو بصر الروح.

448 ـ هل البصر الثاني مستديم؟

المقدرة دائمة، أما ممارستها فغير دائمة. ففي العوالم الأقل مادية من عالمكم، تتملّص الأرواح من أجسامها بسهولة أكبر مما هو عندكم، وتتخابر بالفكر فقط دون الاستغناء، مع ذلك، عن التكلّم المنطوق، إضافة إلى أن البصر الثاني مقدرة دائمة للكثرة الكاثرة من السكان، وحالتهم العادية تتشابه بحالة المروبصين الواعين عندكم. لهذا السبب أيضاً تتكشف لكم هذه الأرواح بسهولة أكبر من الأرواح المتجسدة في أجسام خشنة.

449 ـ هل يتطور البصر الثاني تلقائياً أم بإرادة من وهب به؟

في أغلب الأحيان تلقائياً، ولكن كثيراً ما تقوم أيضاً الإرادة بدور كبير في ظهوره. خذ مثلاً أولئك الذين يُقال إنهم يضربون الفأل، والذين يملكون هذه المقدرة فعلاً، وسترى أن إرادتهم هي التي تُساعدهم للكشف عن البصر الثاني، وإلى ما تدعوه أنت بالرؤية.

---

(1) استعمل ألن كاردك التسميتين «البصر الثاني» و «البصر المزدوج»، ولكنه كان يفضّل التسمية الأولى. من جهة أخرى، في اللغة العربية، التسمية الأولى داوجة أكثر من الثانية. لذلك فضّلنا الأولى أيضاً في الترجمة (ملاحظة المترجم).

450 ـ هل من الممكن تنميته بالتمرين؟

اجل، لأن العمل يجلب التقدم دائماً، ويُخفّف شدة الضباب الذي يحجب الأشياء.

450 أ ـ هل لهذه المقدرة علاقة بالجهاز الجسدي؟

لا شك أن للجسد تأثيراً في ظهورها. ومع ذلك فهناك أجساد تستعصي عليها.

451 ـ يبدو أن البصر الثاني وراثي في بعض العائلات. كيف يحدث ذلك؟

هو تشابه في الأجهزة الجسدية يتناقل في العائلة من جيل إلى جيل كالميزات الجسدية الأخرى، فتتطوّر المقدرة نتيجة لتربية تتناقل أيضاً من جيل إلى جيل.

452 ـ هل هو صحيح أن بعض الحالات تساعد على تطوّر البصر الثاني؟

المرض ودنوّ الخطر والصدمة النفسية الشديدة قد تجعلنه يتطوّر. فالجسد أحياناً يكون في حالة خاصة تسمح للروح أن ترى ما لا تستطيعون أن تروا بعيني الجسد.

(حالات الأزمة والكوارث والانفعالات الشديدة والحالات التي تهيّج المعنويات للغاية، تسبّب أحياناً ظهور البصر الثاني. ويبدو أن العناية الإلهية، إزاء الخطر، تَمُدّنا بالوسيلة لنتجنّبه. إن جميع الشيّع وجميع الأحزاب المضطهدة تقدّم لنا أمثلة عديدة عنه).

453 ـ أيشعر الموهوبون بالبصر الثاني عادة بمقدرتهم؟

لا عادة، فهم يعتبرونه أمراً طبيعياً، وعدد كبير منهم يعتقد أنه لو تطلّع كل إنسان إلى داخل نفسه لوجد أنه مثلهم.

454 ـ أيجوز أن نعتبر بصيرة بعض الأشخاص كنوع من البصر الثاني، برغم أنه ليس فيهم أي شيء خارق العادة، فهُم يحكمون في الأمور بدقة أكبر من غيرهم؟

ذلك بسبب أن الروح تُشِعّ بحرّية أكبر، وتحكُم في الأمور خيراً مما تحكم فيها تحت غطاء المادة.

454 أ ـ أمن الممكن، في بعض الأحوال، أن تصل هذه المقدرة إلى التكهُّن بالأشياء؟

نعم، وأيضاً تُعطي قدرة الاستشعار، إذ أن هناك درجات عديدة ضِمْن هذه المقدُرة، ونفس الشخص قد يملك كل الدرجات أو بعضها فقط.

8 ـ بحث نظري ملخَّص في التروبص والانخطاف والبصر الثاني

455 ـ تحدث ظواهر التروبص الطبيعي تلقائياً، وليس لها علاقة بأي مسبِّب خارجي معروف. ومع ذلك، فإن بعض أشخاص موهويون جهازاً جسدياً خاصاً، ومن الممكن إحداثها اصطناعياً بفعل العامل المغناطيسي.

الظاهرة التي سُمِّيت بالتروبص المغناطيسي لا تختلف عن التروبص الطبيعي إلا في أنها تُثار بينما الأخرى تلقائية.

التروبص الطبيعي حادث شائع، ولا أحد يفكّر في أن يرتاب منه، برغم العجب الذي تأتي به ظواهره. هل هناك شيء غريب أو لا منطقي في التروبص المغناطيسي لكونه يُثار اصطناعياً كما تُثار أشياء عديدة أخرى؟ يقول بعض الناس إن الدجّالين استغلّوه، ونحن نجيب عليهم قائلين بأن ذلك سبب كافٍ لكي لا نتركه بين أيديهم. فحينما يضع العلم يده عليه، سوف يقلّ كثيراً تصديق العامة بالدجّالين. ولكن، خلال ذلك، بما أن التروبص الطبيعي أو الاصطناعي حقيقة راهنة، وأن لا جدوى من مناقشة حقيقة راهنة، يُصدق الناس به رغم أن البعض يرفضونه، وذلك في ذات الدوائر العلمية التي يدخلها من ثغرات عديدة بدلاً من أن يدخل من الباب الرسمي. وحينما يتمّ دخوله في تلك الدوائر، فسيتحتّم الاعتراف به.

بالنسبة للأرواحية، ليس التروبص مجرّد ظاهرة من وظائف الجسد فحسب، بل هي ضوء ألقي على علم النفس، إذ بواسطة هذا الضوء، من الممكن دراسة الروح لأنها تظهر مكشوفة فيه، لكن إحدى الظواهر التي تتصف بها الروح هي الجلاء البصري الذي لا علاقة له بأعضاء البصر العادية. والذين يعارضون هذه الحقيقة يستندون إلى ما لا يراه المروبص كل حين، وإلى إرادة من يُجرى الاختبار كما لو كان يرى بالعينين. هل هناك ما نتعجّب له لأنه إذا كانت الوسائل مختلفة، صارت النتائج مختلفة؟ هل من المعقول أن نطلب نتائج متماثلة إذا زالت الآلة من الوجود؟ إن للروح خاصيّاتها كما للعيون خاصيّاتها، ويجب أن نحكم فيها في ذاتها، لا بقياس التشابه.

إن مُسبِّب الجلاء البصري في المروبص المغناطيسي وفي المروبص الطبيعي واحد لا غير: وهو خاصيّة من خواصّ الروح، أي مقدرة تُلازم جميع أجزاء الكائن اللاجسدي القاطن فينا، والتي لا حدود لها سوى الحدود المعيّنة للروح ذاتها. يرى المروبص أينما تستطيع روحه أن تنتقل، مهما كانت المسافة.

وفي البصر عن بُعد ، لا يرى المروبص الأشياء من المكان الذي يوجد فيه جسده. او كمن يرى أشياء بعيدة بالناظور، فهو يراها موجودة أمامه، كأنه موجود في ذات المكان حيث الأشياء موجودة، وذلك لأن روحه تذهب هناك فعلاً. لهذا السبب يكون جسده كأنه منعدم ويبدو بلا شعور، حتى تعود الروح إليه وتتملكه ثانية. هذا الانفصال الجزئي، انفصال الروح عن الجسد، هو حالة غير عادية قد تكون مدتها طويلة أو قصيرة نسبياً، ولكن لها أجلاً. وهي سبب التعب الذي يشعر به الجسد بعد وقت، خاصة عندما تقوم الروح بعمل يحتاج إلى نشاط كبير.

بما أن بصر النفس أي بصر الروح غير محدّد وليس هناك مركز معيّن له، فهذا يفسّر لماذا لا يستطيع المروبصون أن يحدّدوا له عضواً خاصاً، فهم يرون لأنهم يرون، دون أن يعرفوا لماذا يرون وكيف يرون، إذ أن البصر ليس له بؤرة ذاتية لهم كروح. فإذا أشاروا إلى جسدهم، تلوح لهم هذه البؤرة كما لو أنها في المراكز حيث يكون أكبر نشاط حيوي، وبالأخص في المُخ أو في المنطقة الشرسوفية، أو في العُضو الذي هو في نظرهم نقطة الاتصال الأكثر تشبثاً، بين الروح والجسد.

ليست قوة البصيرة التروبصية بلا حدود. وحتى عندما تكون الروح طليقة تماماً، فهي محدودة في مقدراتها ومعارفها وفقاً لدرجة الارتقاء الروحي الذي وصلت إليه. ويزداد هذا التقييد عندما تكون مرتبطة بالمادة وتحت تأثيرها. لهذا السبب، يشمل الجلاء البصري جميع المروبصين، وليس معصوماً عن الخطأ. ويزيد هذا التعرُّض للخطأ بقدر ما يُحاد عن الغرض الذي خصّصته له الطبيعة أو حين يصبح موضوع فُضول واختبار.

أثناء حالة التحرّر التي تكون فيها روح المروبص، تتصل الروح وتتخابر بسهولة مع الأرواح الأخرى المتجسدة أو اللامتجسدة. وينشأ هذا الاتصال من احتكاك الموائع التي تتكوّن منها إطارات الأرواح والتي تقوم بنقل الفكر كالسلك الكهربائي. ولذلك، لا يحتاج المروبص أن يتكشف له الفكر بالكلام، فهو يشعر به ويحزره، وذلك هو ما يجعله إلى أقصى درجة سهل التأثر ومفتوحاً لتأثيرات البيئة المعنوية التي تحيط به. لهذا السبب أيضاً فإن جمعاً غفيراً من المشاهدين وبخاصة من الفضوليين السيئي النيّة نوعاً ما، يعرقل جوهرياً نمو مقدراته، فتنكمش على نفسها إلى حدٍّ ما ولا تنبسط بطلاقة كاملة إلا بين الحميمين وفي وسط لطيف. لأن وجود أشخاص سيئي النيّة نحوه أو ينفُر هو منها يُحدث فيه مفعول احتكاك اليد بنبات المستحية.

يرى المروبص روحه وجسده في آن معاً. ككائنين يمثلان له الوجود المزدوج الروحي والجسدي، ومن ثم يختلطان بالروابط التي تجمعهما. لا يدري المروبص دائماً بهذه الحالة، وهذا الازدواج يجعله يتكلّم عن نفسه في أحيان كثيرة كمن يتكلّم عن شخص غريب عنه، فهو تارة الكائن الجسدي الذي يخاطب الكائن الروحي، وتارة الكائن الروحي الذي يخاطب الكائن الجسدي.

يكتسب الروح زيادة في المعرفة والخبرة في كل من حياته الجسدية، وينساها بعض الشيء خلال تجسده في مادة خشنة جداً، ولكنه يتذكّرها كروح. هكذا يُظهر بعض المروبصين معارف أعلى من مستواهم العلمي، وحتى أعلى من قدرتهم العقلية الظاهرة. والنقص العقلي والعلمي في المروبصين، أثناء اليقظة لا يقلّل شيئاً من قيمة المعارف التي قد يظهروها في الحالة البصيرة. تبعاً للظروف والغرض المقصود، فالمروبص يستطيع أن يستمدّها من خبرته الشخصية أو من جلاء بصره في الأشياء الحاضرة أو من نصائح يأخذها من أرواح أخرى. ولكن بما أن روحه قد تقدّمت إلى حدّ ما، فقد يقول أشياء مضبوطة إلى حدّ ما.

من خلال ظواهر التروبص سواءً كان طبيعياً أو مغناطيسياً، تُعطينا العناية الإلهية البرهان على وجود الروح واستقلالها، وتجعلنا نرى مشهداً سامياً وجليلاً هو مشهد تحرُّرها، وبواسطته تفتح لنا كتاب مصيرنا. عندما يصف المتروبص ما يحدُث عن بعد، فلا شك أنه يراه، ولكن لا بعيني الجسد، بل يرى نفسه هناك ويشعر بأنه انتقل إلى ذلك المكان فعلاً. يوجد هناك إذن شيء ما منه في ذلك المكان، وبما أن هذا الشيء ليس هو جسده، فلا بدّ أن تكون نفسه أو روحه. وبينما يتيه الإنسان في دقائق الميتافيزيك المجرّدة والمبهمة للبحث عن أسباب وجوده الخُلُقي، يضع الله يومياً أمام عينيه وفي مناله وسائل بسيطة وبيِّنة للغاية لدراسة النفسية اختبارياً.

أما الانخطاف فهو الحالة التي فيها يظهر تحرُّر الروح من الجسد بشكل محسوس للغاية ويصبح التحرر ملموساً نوعاً ما.

في الحلم والروبصة، تتجوَّل الروح في العوالم الأرضية. أما في الانخطاف فهي تدخل إلى عالم مجهول هو عالم الأرواح الأثيرية وتتخاطب معها، دون أن تتخطّى مع ذلك بعض حدود لا يجوز لها أن تجتازها قبل أن تقطع كلياً الروابط التي تقيِّدها إلى الجسد. فتُحيط بها حالة بهيَّة لم تعرفها من قبل، وتُطْرِبُها ألحان مجهولة على الأرض، وتكتنفها غبطة لا تُوصف. فتتمتّع سلفاً بالسعادة السماوية، ويصحّ القول بأنها تضع قدماً على عتبة الأبد.

أثناء حالة الانخطاف، يكاد انعدام الجسد يكون كاملاً، ولا يبقى فيه، إن صحّ القول، إلا الحياة العضوية، فتبدو النفس كأنها مُعلّقة بخيط قد ينقطع بأدنى مجهود، انقطاعاً بلا عودة.

في هذه الحالة، تزول كل الأفكار الأرضية لتفسح المجال للشعور المطهَّر الذي هو ذات كنه كياننا اللامادي. وإذا المنخطف برُمَّته في تلك المشاهدة الرائعة يعيش الحياة كوقفة مؤقّتة، وأن أمتعة هذه الدنيا وشرورها وملذّاتها البهيمية ونكباتها لا تعدو كونها حوادث تافهة في رحلة يُسرُّ لدنوّ أجلها.

يحدُث نفس الشيء في المنخطفين والمتروبصين. قد تكون بصيرتهم جيِّدة كثيراً أو قليلاً، وروحهم، تبعاً لدرجة ارتقائها، هي جديرة أيضاً، كثيراً أو قليلاً، لتعرف الأشياء ولتفطن لها. ويكون فيهم أحياناً حماسة أكثر مما فيهم بصيرة حقيقية، أي بتعبير أحسن، حماستهم تُضيرّ ببصيرتهم. ولهذا السبب، كثيراً ما تكون إفشاءاتهم خليطاً من حقائق وأغلاط، وأشياء رفيعة مع أشياء غير معقولة وحتى مضحكة. ذلك لأن أرواحاً سفلية في أحيان كثيرة تغتنم هذه الحماسة لتتسلّط على المنخطف، ونظراً لأن الحماسة هي دائماً سبب ضعف للمنخطف عندما لا يعرف كيف يتغلّب عليها. فإن هذه الحالة تشكل عقبة له، ولكن ليس كل المنخطفين كذلك، ولنا الأمر أن نحكم في إفشاءاتهم بحذر وأن نقدِّر قيمتها في ميزان العقل.

يظهر تحرّر الروح أحياناً في حالة اليقظة ويُنتج الظاهرة المسمّاة بالبصر الثاني، الذي يُعطي للذين وهبه الله لهم أن يروا ويسمعوا ويحسّوا بما وراء حدود حواسنا. فهُم يحسّون بالأشياء الغائبة أينما امتدّ فعل الروح، فيرونها، إن صحّ القول، كما لو عبْر البصر العادي، وكشيء يشبه السراب.

عندما تحدُث ظاهرة البصر الثاني، يتغيّر المظهر تغيراً محسوساً، فتكون العين شاردة نوعاً ما، كمن ينظر دون أن يرى، وجميع الملامح توحي بما يشبه الحماس. ويلاحظ أن لا دخل لأعضاء البصر في الظاهرة لكون البصر يستمرّ رغم أن العينين مغمضتان.

هذه المقدرة لدى الذين وهبها الله لهم، تبدو طبيعية كمقدرة البصر، وهم يعتبرونها إحدى خواصّ كيانهم، ولا تبدو لهم ظاهرة شاذة. وعادة يلي النسيان هذه البصيرة المؤقتة، فيغيم ذكرها أكثر فأكثر إلى أن يزول، كما يحدُث في الحلْم.

تتنوّع قوة البصر الثاني بين الحسّ المبهم والإدراك الواضح والدقيق للأشياء الحاضرة والغائبة. وعندما تكون في الحالة البدائية، تُعطي لبعض الناس الحصافة وحدّة الذُهن وما يشبه ثقة كبيرة بأفعالهم يصحّ أن تدعى بصواب النظرة المعنوية في الأشياء. وعندما تكون متطورة، تُوقِظ الاستشعار بالأشياء والحوادث. وعندما تكون متطورة أكثر، ترى الحوادث المنقضية أو التي على وشك أن تنقضي.

لا يعدو التربُّص الطبيعي والاصطناعي والانخطاف والبصر الثاني كونها أشكالاً وتقلّبات لمُسبِّب واحد. وهذه الظواهر، وكذلك الأحلام، هي في طبيعة الأشياء، ولذلك وُجِدت في جميع الأزمنة. يخبرنا التاريخ أنها كانت معروفة وحتى مستغلّة منذ الماضي السحيق، ويمكن بواسطتها تفسير وقائع عديدة، إلا أن تَحيُّزات الفكر جعلت الناس تعتبرها خارقة الطبيعة[1].

(1) برهنت الأبحاث النفسانية الحديثة في «البرابسيكولوجية»، علمياً، اليوم تفاسير كتاب الأرواح بخصوص هذه الظواهر أجمعها، رغم محاولة بعض الباحثين توفيقها مع المادية. راجع الرد على السؤال 446 بشأن هذا التوفيق (ملاحظة المترجم).

الفصل التاسع

تدخُّل الأرواح في عالم الجسد

1 ـ معرفة الأرواح لأفكارنا

2 ـ الأرواح وتأثيرهم الخفيّ على أفكارنا وأفعالنا

3 ـ المسكونون (المُسيطر عليهم)

4 ـ التشنّجيُّون

5 ـ تودُّد الأرواح إلى بعض أشخاص

6 ـ الملائكة الحارسة – الأرواح الحامية والعشيرة والمُنجذبة

7 ـ تأثير الأرواح على أحداث الحياة

8 ـ تأثير الأرواح على ظواهر الطبيعة

9 ـ الأرواح أثناء المعارك

10 ـ التعاقد مع الأرواح

11 ـ القوة الخفية – الطلاسم – السحَّارون

12 ـ البركات واللعنات

1ـ معرفة الأرواح لأفكارنا

456 ـ هل ترى الأرواح جميع ما نفعله؟

يستطيعون إن شاؤوا ، إذ أنهم يحيطون بكم على الدوام. إلا أن كل واحد منهم يرى فقط الأشياء التي يُوجّه إليها انتباهه، إذ أنه لا يلتفت إلى الأشياء التي لا تهمّه.

457 ـ هل تقدر الأرواح أن تعرف دخائل أفكارنا؟

كثيراً ما تعرف حتى ما كنتم تودّون أن تخفوه على أنفسكم، إذ لا يمكن أن تخفوا عن معرفتهم لا أعمالكم ولا أفكاركم.

457 أ ـ بناء على ما تقولون، إذن فإن إخفاء أمر ما عن شخص حيّ أسهل من إخفائه عن الشخص ذاته بعد موته؟

دون شك، وعندما تظنون أنكم تعملون شيئاً في خفاء تام، كثيراً ما يكون بجانبكم عدد غفير من الأرواح يشاهدونكم.

458 ـ ماذا تظن عنا الأرواح التي تحيط بنا وتراقبنا؟

يتوقف ذلك على نوعها، فالأرواح المُهرِّجة تسرّ من الإزعاجات التي تُثيرها لكم، وتهزأ من قلة صبركم عليها. أما الأرواح الرزينة فهي تشفق على تخبُّطكم وتحاول أن تساعدكم.

2ـ الأرواح وتأثيرهم الخفي على أفكارنا وأفعالنا

459 ـ أتؤثر الأرواح على أفكارنا وأفعالنا؟

نعم، إن تأثيرهم أكبر مما تظنون، إذ أنهم عادة هم من يقودونكم.

460 ـ هل تطرأ علينا أفكار آتية منا وأخرى مَوْحاة إلينا؟

النفس هي روح مفكّرة، وأنتم تعلمون أن عدة أفكار تأتي إليكم في آن واحد في الأمر ذاته، وكثيراً ما يكون البعض منها متناقضاً مع البعض الآخر. والسبب هو أن بعضها منكم والأخرى منا، وذلك هو ما يجعلكم ترتابون لأنكم أمام رأيين يتصارعان.

461. كيف نُميّز بين الأفكار الآتية منا والأفكار الموحاة إلينا؟

عندما توحى إليكم فكرة فهي كصوت أحد يكلّمكم. أما الأفكار الآتية منكم فهي التي تخطر عادة ببالكم أولاً. على كل حال، ليس هناك منفعة كبيرة لكم في هذا التمييز، ومن الأفضل للإنسان أن لا يعلم ذلك، لأنه إذ ذاك يتصرّف بحرية كبيرة. فإن قرّر أن ينتهج سلوكاً صالحاً فهو يفعل ذلك عن رضى، وإن انتهج طريق الضلال تكون كل المسؤولية عليه.

462. أيستلهم الأذكياء والعباقرة أفكارهم دائماً من دخيلتهم؟

تأتي الأفكار إليهم أحياناً من روحهم ذاتها، ولكن في الكثير من الأحيان توحيها إليهم أرواح أخرى تعتبرهم جديرين بفهم تلك الأفكار ومؤتمنين على إذاعتها. عندما لا يجد الأذكياء والعباقرة الأفكار فيهم، ينادون الوحي فتكون مناداتهم بمثابة استحضار الأرواح دون أن يدروا.

(لو كان هناك منفعة في أن نُميّز بوضوح بين أفكارنا الشخصية والأفكار التي توعز إلينا، لأعطانا الله الوسيلة اللازمة لذلك، كما يُعطينا الوسيلة لنُميّز بين النهار والليل. فعندما يكون شيء في غُموض، فلأن ذلك الغموض أفضل لنا).

463. يُقال أحياناً إن أول حركة هي دائماً حركة حسنة. أهذا صحيح؟

قد تكون حسنة أو سيئة بحسب نوع الروح المتجسّد. فهي حسنة دائماً في من يُصغي إلى إيحاء الصلاح.

464. كيف نُميِّز إذا كانت الفكرة الموحاة إلينا تأتي من روح صالح أو من روح شرير؟

ادرسوا الفكرة. ترشد الأرواح الصالحة دائماً إلى الصلاح. فعليكم أن تُميِّزوا.

465. لأي غرض تدفعنا الأرواح المتأخرة إلى الشر؟

لتجعلكم تَشْقُون مثلها.

465 ا. هل ذلك يقلّل شقائهم؟

كلا، وإنما يفعلون ذلك لأنهم يغارون عندما يرون أناساً سعداء.

465 ب. ما نوع الشقاء الذي يريدون أن نقاسيه؟

النوع الذي ينجم من كونهم من درجة دنيا ومبتعدين عن الله.

466 ـ لماذا يسمح الله للأرواح أن تدفعنا إلى الشر؟

الأرواح المتأخرة هي أدوات لاختبار إيمان الناس وثباتهم في الصلاح. أنت، لكونك روحاً، يجب عليك أن تتقدّم في علم اللانهاية، ولهذا السبب تمرّ بتجارب الضلال لتصل إلى الصلاح. مهمّتنا هي أن نقودك إلى السبيل الصالح، وعندما تطرأ عليك تأثيرات شريرة، فلأنك تناديها برغبتك بالشر، إذ أن الأرواح الدنيا تأتي لإعانتك على الشر عندما تريد أن ترتكبه، ولا تستطيع أن تعينك على الشر إلا إذا أردت الشر. فإذا كنت ميالاً إلى القتل، فسيأتي إليك سرب أرواح ليحفظوا هذه الفكرة ساخنة فيك، ولكن سيأتي إليك أيضاً غيرهم يحاولون أن يؤثروا عليك تأثيراً صالحاً. وهذا يعيد التوازن بين التأثيرين ويجعلك صاحب الاختيار.

(هكذا يدع الله ضميرنا يختار الطريق الذي سنسلكه، ويعطينا الحرية لأن نذعن إلى أحد التأثيرين المتناقضين اللذين يؤثران علينا).

467 ـ أنستطيع أن نتحرّر من تأثير الأرواح الذين يراودوننا على الشر؟

أجل، لأنهم يلحقون فقط بالذين يستحضرونهم بشهواتهم أو يجتذبونهم بأفكارهم.

468 ـ إن قاومنا تأثير الأرواح علينا بقوة إرادتنا، هل يقلعون عن محاولاتهم؟

وماذا تُريد أن يفعلوا إذن؟ عندما يرون أنهم لن يحصلوا على شيء، يتركون المكان وينسحبون إلا أنهم يترقّبون الفرصة المناسبة كالقط يترقّب الفأر.

469 ـ كيف نُبطل تأثير الأرواح الشريرة علينا؟

بعمل الخير وبوضع كل ثقتكم بالله تقاومون تأثير الأرواح الدنيا وتهدمون محاولاتهم للسيطرة عليكم. احذروا من الإنصات إلى إيعازات الأرواح التي تخلق فيكم أفكاراً سيئة، وتُحرّضكم على الخلاف بينكم وتُثير فيكم جميع الأهواء الرديئة. احترسوا بالأخصّ من الأرواح التي تُعظّمكم لإثارة كبريائكم، إذ تصيبكم في نقطة ضعفكم. وهذا هو السبب الذي جعل المسيح يعلّمكم أن تقولوا في الصلاة الربّانية: «لا تُدْخِلْنا في التجارب، لكن نجنا من الشرير».

470 ـ الأرواح الذين يحاولون أن يدفعونا إلى الشر ويزعزعوا ثباتنا في الصلاح، هل كُلّفوا بهذه المهمة؟ وإن كانت مهمةً ينجزونها، فهل هم مسؤولون عنها؟

لا يُكلّف أي روح بمهمة التحريض على الشر. فعندما يُضلّل أحد، فهو بإرادته الشخصية، ومن ثمّ سيتحمّل عواقب فعله. قد يسمح الله للروح بذلك لتجربتكم، ولكن الله لا يأمره بذلك، وعليكم أنتم أن تردّوه.

471 ـ عندما نشعر بحالة قلق شديد وبهمٍّ لا يُفسّر نوعه أو بحالة اغتباط باطني دون سبب معروف، هل ينجم هذا الشعور من حالة جسدية فقط؟

في غالبية الأحيان، هي اتصالات تحدث مع الأرواح دون علمكم أو مخابرات حدثت معهم أثناء النوم.

472 ـ الأرواح الذين يريدون أن يحثّونا على الشر، هل يستغنمون الظروف التي نحن فيها فقط، أم يسببونها أحياناً؟

يستغنمون الظروف، ولكن كثيراً ما يثيرونها فيكم بدفعكم نحو ما تبتغونه دون علمكم. فمثلاً، إذا وجد رجل في طريقه مبلغاً من المال. فلا تظن أن الأرواح هم الذين جلبوا المبلغ إلى ذلك المكان، ولكن من الممكن أن يدخلوا في روعه الفكرة بأن يتجه إلى تلك الناحية، وحينئذ، يوحون إليه فكرة الاستيلاء على المال، بينما توحي إليه أرواح أخرى بتسليمه إلى صاحبه. ويحدث نفس الحال في كافة التجارب.

3ـ المسكونون (المُسَيْطَر عليهم)

473 ـ هل يقدر روح أن يكتسي مؤقتاً بالغلاف الجسدي لشخص حيّ، أعني أن يدخل جسداً يُنعشه روح، ويتصرّف فيه في مكان الروح المتجسّد فيه؟

لا يدخل الروح الجسد كما تدخل أنت بيتاً، بل يندمج مع روح متجسّد يكون فيه ذات الشوائب وذات الخصال ليعملا معاً. لكن الروح المتجسد هو دائماً من يؤثر كما يشاء على المادة التي تكسوه. ولا يستطيع روح أن يأخذ محل الروح المتجسّد، إذ أن الروح والجسد مربوطان سوياً إلى أن يحين الوقت المعين لانتهاء الحياة الجسدية.

474 ـ إذاً ليس هناك تسلّط بمعنى الكلمة، أي تساكن روحين في جسد واحد، أمن الممكن لروح أن يكون تحت تبعية روح آخر بحيث يصبح مسيطراً عليه أو محاصراً له، إلى درجة أن إرادته تتشل نوعاً ما؟

دون شك، وهؤلاء هم المسكونون[1] الحقيقيون. ولكن، ليكن في علمك أن هذه السيطرة لا تحدث أبداً دون اشتراك ممن يقاسيها، إما من ضعفه وإما برغبته. وفي أحيان كثيرة ظنّ الناس أن الصرعيّين أو المجانين هم أشخاص سكنهم شيطان، بينما هم في الواقع يحتاجون إلى طبيب وليس إلى تعزيم.

---

(1) في اللغة الدارجة، يُقال بين العامة عن المسكون: سكنه أو ركبه أو لبسه عفريت أو شيطان (ملاحظة المترجم).

(يُفترض في عبارة «سكن فيه شيطان» باصطلاحها الدارج، وجود شياطين أي وجود طبقة كائنات ذوي فطرة شريرة يُفترض أن تساكن روح أحد هذه الكائنات في جسد شخص. وبما أنه لا يوجد شياطين بهذا المعنى، ويستحيل لروحين أن يسكنا معاً في جسد واحد، إذن فليس هناك مسكونين كما يُفهم من الفكرة المرتبطة بهذه الكلمة. يجب أن يُفهم من كلمة «مسكون» مُجرّد التبعية المطلقة التي يكون الروح فيها إزاء أرواح متأخّرة متسلّطة عليه).

475 ـ أمن الممكن لشخص أن يُبعد بنفسه الأرواح الشريرة، ويتخلّص من سيطرتها عليه؟

من الممكن كل حين أن يتمرّد على سيطرتها إن عزم على ذلك عزماً شديداً.

476 ـ أمن الممكن أن يحدث أن الفتون الذي يُمارسه الروح الرديء على شخص يصل إلى درجة أن هذا الشخص المتسلط عليه لا يدري به. حينذاك هل يستطيع شخص ثالث أن يُوقف هذه العبودية؟ وفي هذه الحالة، ماذا يلزم له ليقوم بذلك؟

إن كان شخصاً صالحاً، فإرادته قد تساعد على اجتذاب الأرواح الصالحة، إذ أنه كلما كان أحد شخصاً صالحاً، كلما ازدادت قدرته على إبعاد الأرواح المتأخرة واجتذاب الأرواح الصالحة. ومع ذلك، قد يعجز إذا كان المتسلّط عليه لا يرضى بالمساعدة. لأن هناك أشخاصاً تطيب لهم التبعية وتروق لأذواقهم وشهواتهم. وعلى كل حال، من ليس طاهر القلب فليس له نفوذ، تزدريه الأرواح الصالحة ولا تهابه الأرواح الشريرة.

477 ـ هل لعبارات التمزيم أية فاعلية على الأرواح الشريرة؟

كلا، وعندما ترى تلك الأرواح أحداً يحمل الأمر على محمل الجدّ، تهزأ منه وتتشبّث في تسلّطها.

478 ـ هناك أشخاص ذوو نيّة خالصة ومع ذلك فهم محاصرون. ما هي أحسن وسيلة ليتخلصوا من الأرواح المحاصِرة؟

إملال صبر المحاصِرين وعدم المبالاة بإيعازاتهم، وجعلهم يرون أنهم يضيّعون وقتهم، فعندما يتيقّنون من عجزهم سينسحبون.

479 ـ هل الصلاة وسيلة فعّالة لتخليص أحد من المحاصَرة؟

في الصلاة إسعاف كبير في كل شيء، ولكن صدّقنا، لا يكفي أن تهمس ببعض كلمات للحصول على ما يُراد. يُعين الله الذين يعملون وليس الذين يطلبون فقط. إذن ينبغي على المحاصَر، أي المُضيَّق عليه، أن يعمل من ناحيته ما يلزم ليزيل عنه السبب الذي يجتذب الأرواح السيئة إليه.

480 ـ ما رايكم عن طرد الشياطين المذكور في الإنجيل؟

يتوقّف ذلك على كيفية تفسير العبارة. إن كنت تسمّي بالشيطان روحاً شريراً متسلّطاً على أحد، فعندما تُبطل سيطرته، يمكن القول إنه طرد حقاً. وإذا نسبت مرضاً إلى الشيطان، وعندما تشفي المرض تقول بأنك طردت الشيطان. قد يكون أي شيء حقاً أو باطلاً تبعاً للمعنى الذي يُعطي لتفسير الكلمات. قد تبدو أكبر الحقائق غير معقولة عندما تنظرون إلى الظاهر فقط، وعندما تتخذون الاستعارة بديلاً عن الواقع. افهم كلامي بالتمام ولا تنسه، فهو ينفع لتطبيق شامل.

4ـ التشنُّجيُّون

481 ـ أتلعب الأرواح دوراً في الظواهر التي تحدث في الأفراد المدعوّين بالتشنُّجيين؟

أجل، وتلعب دوراً كبيراً كذلك المغناطيسية التي هي مصدر التشنج، غير أن المشعوذين استغلوا نتائجها، وبالغوا فيها حتى جعلوها ضحكة للناس.

481 أ ـ ما هو، عادة، نوع الأرواح التي تساهم في إحداث هذا الصنف من الظواهر؟

أرواح غير مترقية، أتظن أن أرواحاً سامية تتسلّى بأمور كهذه؟

482 ـ الحالة الشاذة التي تحدث في التشنّجيين وفي الذين يهتزّون بنوبات عصبية، كيف تتطوّر فجأة وتصيب بلدة بأسرها؟

بسبب مفعول تجاذبي، لأن الاستعدادات المعنوية تتناقل بسهولة كبيرة في بعض الأحوال. أنت تعرف المفاعيل المغناطيسية كفاية لتفهم ذلك، وتعرف قسط المساهمة التي يجب على بعض أرواح أن تُعطيها بدافع تجاذبها إلى الأرواح التي تُثيرها.

(من بين القدرات الغريبة التي نشاهدها في التشنّجيين، نتعرّف بسهولة على قدرات عديدة كالتي تقدّمها الروبصة والمغناطيسية: ومن بينها عدم الحسّ الجسدي ومعرفة الأفكار وتناقل الأوجاع بالتجاذب.. الخ. لا شك إذن بأن الذين يهتزّون بنوبات عصبية هم في حالة روبصة صاحية، سبّبها التأثير الذي يمارسه بعضهم على غيرهم. فهم في ذات الوقت مُمغنِطون ومُمغنَطون دون أن يدروا.

483 ـ ما سبب عدم الحسّ الجسدي الذي نشاهده في بعض التشنُّجين أو في أشخاص آخرين عذبوا أقسى التعذيب؟

هو في البعض منهم مفعول مغناطيسي بحت يؤثر على الجهاز العصبي على شاكلة تأثير بعض العقاقير. في غيرهم، يرهق حماس الفكر الإحساس لأن الحياة تبدو كأنها انسحبت من الجسد وانتقلت إلى الروح. ألا تعلم أنه عندما يكون الروح منشغلاً جداً بأمر ما، لا يحسّ الجسد بأي شيء ولا يرى ولا يسمع أيضاً؟

(تُقدّم حرارة التعصّب وشدّة الحماس في أحيان كثيرة مثالاً على الهدوء ورباطة الجأش، اللذين يتغلّبان على ألم حاد، إذا ما سلّمنا بأن الإحساس يبطل بفعل مخدّر ما. نحن نعلم أنه في ساحة القتال، في أحيان كثيرة، لا يشعر المقاتل بجرح بليغ، بينما في الظروف العادية، ينزعج الإنسان من خدش بسيط).

(بما أن هذه الظواهر تتوقف على مسبّب عضوي أو على فعل بعض أرواح، يصحّ أن نتساءل كيف يتوقّف إبطالها على الإرادة في بعض حالات. الجواب بسيط، وهو أن فعل الأرواح في الظاهرة ثانوي، فهم يستفيدون ببساطة من استعداد طبيعي. لماذا تلغي عاملاً، جعلته كامناً، وحسناً فعلت فمن هذه الحالة تنتج المغالاة والفضيحة. على كل حال، فنحن نعلم أن ذلك التدخّل عاجز عن فعل أي شيء عندما يكون عمل الأرواح مباشراً وتلقائياً).

5 ـ تودُّد الأرواح إلى بعض الأشخاص

484 ـ هل تتودّد الأرواح بخاصة إلى بعض الأشخاص؟

تنجذب الأرواح الصالحة إلى الأشخاص الصالحين أو الجديرين لتتحسن، وتنجذب الأرواح الدنيا إلى الأشخاص الفاسدين أو الخليقين بالفساد. هذا هو سبب تعلّق الأرواح في الحالتين، أي لتشابه المشاعر.

485 ـ هل تودُّد الأرواح لبعض الأشخاص هو تودُّد خُلُقي وأدبي فقط؟

ليس في التودُّد الحقيقي غرض جسداني، ولكن عندما يتعلّق روح بشخص، لا يتعلّق دائماً بدافع المودّة، بل قد يدخل في تعلّقه تذكّر الأهواء البشرية.

486 ـ هل تهتم الأرواح بمصائبنا ورفاهيتنا؟ والذين يتمنّون لنا الخير، هل يحزنون لما نقاسيه من المحن أثناء الحياة؟

تفعل الأرواح الصالحة كل الخير الذي يسعها أن تفعله، وتفرح في أفراحكم. لكنها تحزن في محنكم عندما لا تحتملونها باستسلام لمشيئة الله، لأنها تصبح بلا منفعة لكم، إذ أنكم كمريض يرفض الشراب المُرّ الذي فيه شفاءه.

487 ـ ما هو نوع الشر الذي تتكدّر منه الأرواح من أجلنا أكثر: أهو الشر المادي أم الشر الأدبي؟

تتكدّر من أنانيتكم وقساوة قلوبكم فمنهما يصدر كل شيء، وهم يسخرون من جميع أوجاعكم الوهمية التي تنشأ من الكبرياء والطموح، ويبتهجون بالتي ينتج عنها تقصير مدة تجربتكم.

(الأرواح، لكونها تعلم أن الحياة في الجسد، مؤقتة وأن الشدائد التي تصحبها هي وسائل للوصول إلى حالة أسعد، تتكدّر علينا بسبب الشرور الخُلُقية التي تُبعدنا عن تلك الحالة، أكثر مما تتكدّر من المكاره المادية لأنها زائلة).

(تُعطي الأرواح أهمية صغيرة للمصائب التي تؤثّر فقط على أفكارنا الدنيوية، مثلما نكترث نحن قليلاً من تفاهة كُروب الأطفال).

(لكون الأرواح ترى في مصاعب الحياة وسيلة لارتقائنا، فهي تعتبرها أزمة وقتية ضرورية لتعيد الصحة للمريض. فهي تشفق على شقائنا كما نحن نشفق على شقاء صديق لنا).

(لكن بما أنها ترى المصاعب بنظرة صائبة، فهي تُقدّرها بشكل مخالف لتقديرنا لها. وبينما ترفع الأرواح الصالحة همّتنا لصالح مستقبلنا، تحثُّنا الأرواح الأخرى على اليأس بقصد تعريضنا للفشل).

488 ـ أينجذب إلينا أقاربنا وأصدقاؤنا الذين سبقونا إلى العالم الآخر، أكثر من الأرواح الغريبة عنا؟

لا شك في ذلك، وكثيراً ما يحرسونكم كأرواح بقدر ما في وسعهم.

488 أ ـ هل يتأثرون بالمودّة التي نحتفظ بها لهم؟

يتأثرون جداً، ولكنهم ينسون الذين ينسونهم.

489 ـ هل توجد أرواح تتعلّق بشخص معين لتحميه؟

أجل، الأخ الروحي. وهو ما تسمُّونه بالروح الصالح أو الجنّي الصالح.

490 ـ ما معنى كلمة «الملاك الحارس»؟

معناها روح حامٍ من درجة مرتقية.

491 ـ ما هي مهمة الروح الحامي؟

مهمة الوالد تجاه أولاده، أي قيادة محروسه في السبيل السوي، وإعانته بإرشاداته، وتعزيته في شدائده، وشدّ عزيمته في محن الحياة.

492 ـ هل يرتبط الروح الحارس بالشخص منذ ولادته؟

من الولادة حتى الموت، وفي الكثير من الأحيان يصحبه في الحياة الروحية وحتى في عدة حيوات جسدية، إذ أن هذه الحيوات هي مجرد فترات قصيرة جداً بالنسبة إلى حياة الروح.

493 ـ هل مهمة الروح الحامي طوعية أم إلزامية؟

الروح ملتزم بأن يحافظ عليكم لأنه قَبِل هذه المهمة، ولكنه يختار الأشخاص الذين يشعر بانجذاب نحوهم. وهي لبعض الأرواح، مهمة يقبلونها بسرور، ولغيرهم رسالة أو واجب.

493 أ ـ وبارتباطه بشخص، هل يمتنع الروح عن حماية أشخاص آخرين؟

كلا، ولكن يُقلّل عكوفه على حمايتهم.

494 ـ هل الروح الحامي مرتبط نهائياً بالشخص الذي يؤتمن عليه ليحرسه؟

يحدث في أحيان كثيرة أن بعض الأرواح يبرحون مراكزهم لينجزوا مهمات مختلفة، ولكن في هذه الحالة يحصل استبدالهم بغيرهم.

495 ـ أيهجر الروح الحارس محروسه أحياناً إذا كان عاصياً لإرشاداته؟

يبتعد عنه إذا رأى أن إرشاداته غير مؤثرة، وأن الرغبة بالخضوع لنفوذ الأرواح الدنيا قوية، ولكنه لا يهجره أبداً بالتمام، ويسمعه صوته كل حين. وفي هذه الحال فإن الإنسان هو الذي يُسدّ مسامعه. ومع ذلك، فحالما يناديه يرجع إليه.

هناك تعليم يجب أن يقنع بجماله ولطافته أجحد الناس، وهو التعليم القائل بالملائكة الحارسة. والفكرة هي بأن بقربكم كل حين كائنات أسمى منكم، موجودة معكم لترشدكم وتسندكم وتساعدكم في تسلّق جبل الارتقاء الوعر، وهم أصدقاء أخلص وأكثر انقطاعاً لكم من أوثق العلاقات التي يمكن عقدها على الأرض. أليست هذه الفكرة من التعزية بمكان؟ هذه الكائنات موجودة بقربكم بمشيئة الله الذي وضعها بجواركم، وهي في هذا المركز حباً له، تتجز بقربكم مهمة رائعة رغم أنها شاقة. فعلاً، ملاككم الحارس موجود معكم أينما كنتم، سواء في الزنزانات أم في المستشفيات أم في أماكن الخلاعة أم في العزلة، ولا يستطيع أي شيء أن يبعدكم عن هذا الصديق الذي لا تستطيعون أن تروه، رغم أن كيانكم يشعر بألطف بواعثه ويسمع إرشاداته الحكيمة.

لو تيقّنتم من هذه الحقيقة. فكم تعينكم في الساعات الحرجة. وكم تنقذكم من الأرواح الشريرة. وفي يوم الحساب سيضطر هذا الملاك الصالح أن يقول لكم مرات عديدة: ألم أقل لك هذا أو ذاك؟ وأنت أبيت أن تُصت إليّ. ألم أرك الهُوّة؟ ولكنك أهويت بنفسك فيها. ألم أهمس في ضميرك صوت الحق؟ ولكن، ألم تُصْغِ إلى صوت الضلال؟ سلوا ملائكتكم الحارسة، وأقيموا بينكم وبينهم تلك المؤالفة الرقيقة التي تسود بين الأصدقاء المُقرّبين. لا تحاولوا أن تخفوا عنهم شيئاً، إذ أن لديهم بواصر إلهية، فأنتم لا تستطيعون خداعهم. فكّروا في المستقبل، واسعوا لتتقدّموا في هذه الحياة، لكي تقصر تجاربكم وتسعد حيواتكم. شدّوا عزمكم، واطرحوا عنكم بعيداً ونهائياً التحيّزات والأفكار المبيّتة، وادخلوا في الطريق الجديد الذي ينفتح أمامكم. تقدّموا، تقدّموا، فلديكم مرشدون. اتبعوهم، ولن تُخطئوا الهدف، إذ أن هذا الهدف هو الله ذاته.

أما الذين يظنون بأنه يستحيل لأرواح سامية حقاً أن تلتزم بمهمة شاقة ودائمة كهذه، فنجيبهم بأنا نؤثر على أرواحكم مع كوننا على ملايين الفراسخ منكم، لأن الحيّز لا يعني شيئاً لنا، ومع أننا نعيش في عالم آخر، فإن أرواحنا تحفظ اتصالها بعالمكم. نتمتّع بقدرات لا يسعكم أن تفهموها، ولكننا نؤكد لكم أن الله لم يفرض علينا مهمة فوق احتمالنا، لم يتركككم وحدكم على الأرض دون أصدقاء ودون أسناد. لكل ملاك حارس محروسه ليحافظ عليه، كما يحافظ الأب على ابنه، وهو يسعد عندما يراه في الطريق الصالح، ويحزن عندما يراه يتجاهل إرشاداته.

لا تخشوا أن تُملُونا بأسئلتكم، بل كونوا بالعكس على اتصال بنا كل حين، وبذلك فسوف تكونون أقوى وأسعد. فهذه الاتصالات بين أي شخص وروحه الأليف هي التي تجعل جميع الناس وسطاء، وسطاء مجهولين اليوم، ولكنهم سيظهرون في المستقبل وينتشرون كبحر محيط لا حدّ له ليكبح الجحود والجهل. وأنتم يا مُثقفين، علّموا الناس. يا عباقرة، رقّوا إخوانكم. فأنتم تجهلون قيمة العمل الذي تقومون به. هذا عمل في خدمة القطب العالي، يفرضه الله عليكم. لماذا أعطاكم الله الذكاء والمعرفة؟ أليس لتُطْلِعُوا إخوانكم عليها، ولترقّوهم في طريق السعادة والغبطة الأبدية.

مار لويس – مار أغسطينس

(التعليم القائل بالملائكة الحارسة الذين يسهرون على محروسيهم رغم المسافات التي تفصل العوالم، ليس فيه ما يُدهشنا، بل هو بالعكس عظيم وسامٍ. ألا نرى على الأرض والداً يحرس ابنه، حتى لو كان بعيداً عنه، ويساعده بنصائحه بالمراسلة؟ إذن، هل هناك أمر عجيب في أن تُرشد الأرواح الأشخاص الذين تأخذهم تحت حمايتها، من عالم إلى آخر، ما دامت المسافة التي تفصل العوالم، بالنسبة إليهم، أقل من التي تفصل القارات على الأرض؟ وفضلاً عن ذلك، أليس لديهم المائع الكوني الذي يصل كل العوالم ويجعلها متضامنة، أعني الموصّل الواسع الانتشار الذي تتناقل الأفكار فيه، كما الهواء، بالنسبة إلينا، فهو الموصّل الذي يتناقل الصوت فيه؟).

496. الروح الذي يترك محروسه ويكفّ عن العناية بصالحه، أمن الممكن أن يسيء إليه؟

لا تفعل الأرواح الصالحة الشر أبداً، إذ تترك عملها إلى من يأخذ مكانها. حينذاك، تتّهمون سوء الحظ بالمصائب التي ترهقكم، بينما أنتم المخطئون.

497 ـ أمن الممكن أن يترك الروح الحارس محروسه لكي يقع في قبضة روح آخر قد يبغي له الشر؟

تتحد الأرواح الشريرة لإبطال فعل الأرواح الصالحة، ولكن إن أراد المحروس ذلك، فسيُعطي إلى حارسه الصالح كل القوة لكي يعود. قد يجد الروح الصالح في مكان آخر أحداً يُذعن له ليساعده، فيستفيد من ذلك في انتظار عودته إلى جوار محروسه.

498 ـ عندما يدع الروح الحارس محروسه يضلّ في الحياة، أهذا من عجزه في النضال ضد أرواح سيئة أخرى؟

لا من عجزه بل لأنه لا يريد، ولأنه يعلم أن محروسه يخرج من التجارب أكمل وأكثر خبرة. فهو يساعده بإرشاداته بواسطة الأفكار الصالحة التي يوحيها

إليه، ولكن مع الأسف، فقليلاً ما يصغي محروسه إليها. إن ضعف الإنسان ولا مبالاته وكبرياءه هي التي تعطي قوة للأرواح الشريرة، إذ تأتي قوة تلك الأرواح من عدم مقاومتكم لها.

499 . هل يصحب الروح الحارس محروسه كل حين؟ أهناك ظروف يبتعد فيها عنه دون أن يهجره؟

هناك ظروف حيث لا لزوم لوجود الروح الحارس بجوار محروسه.

500 . هل يأتي وقت لا يحتاج فيه الروح إلى ملاك حارس؟

أجل، عندما يصل إلى درجة تجعله يستطيع أن يدير نفسه بنفسه. مثلما يأتي وقت لا يحتاج التلميذ فيه إلى أستاذ. لكن ذلك لا يحدث على أرضكم.

501 . لماذا كان تأثير الأرواح على حياتنا خفيّ، ولماذا عندما يحرسوننا، لا يفعلون ذلك علنياً؟

لو اعتمدتم على عونهم، لما تصرّفتم تصرّفاً ذاتياً، ولما ارتقى الروح. فلكي يرتقي، فهو يحتاج للخبرة، ويجب عليه أن يكتسبها عادة على نفقته. يجب عليه أن يمارس قدراته، وإلا فهو كطفل لا يسمح له أن يخطو خطواته بنفسه. إن تأثير الأرواح الذين يتمنّون الخير لكم مدبّر بحيث يكون لكم حرية الاختيار، فلو لم يكن لكم مسؤولية، فلن تتقدّموا في الصراط الذي يقودكم إلى الله. بما أن الإنسان لا يرى تلك المعونة، فهو يعتمد على قواه الشخصية، غير أن مرشده أثناء ذلك، يسهر عليه، ومن حين إلى آخر، يصرخ في أذنيه ليحذره من الخطر.

502 . الروح الحارس الذي ينجح في قيادة محروسه في الطريق الصالح، هل يشعر بتعويض ما في نفسه؟

إنه استحقاق يحسب له، إما لتقدّمه الشخصي أو لسعادته. فهو يشعر باغتباط عندما يرى عنايته مكلّلة بالنجاح، وأنه منصور مثلما يشعر مؤدب أنه منصور بنجاح تلميذه.

502 أ. هل هو مسؤول إذا فشل؟

كلا، لأنه فعل ما كان في وسعه.

503 . أيشعر بالحزن الروح الحارس الذي يرى محروسه ينهج طريقاً مُضلاً برغم إنذاراته؟ أليس هذا الأمر سبباً للقلق لسعادته؟

إنه يحزن لأخطائه ويشفق عليه، ولكن هذا الكدر لا يتضمن أهوال الأبوّة المعروفة على الأرض، لأنه يعرف أن هناك دواء للداء، وإن من لا يعمل اليوم سيعمل غداً.

504 ـ أمن الممكن أن نعرف اسم الروح الذي يحمينا، أي ملاكنا الحارس؟

كيف تريدون أن تعرفوا أسماء أرواح لا وجود لهم بالنسبة إليكم؟ أتظنون إذن أنه لا يوجد بين الأرواح إلا الذين تعرفونهم؟

504 أ ـ كيف إذن نستغيث به إذا لم نعرفه؟

أعطوه الاسم الذي تريدون، أو اسم روح سام تنجذبون إليه أو تُجلّونه، وسيلبي روحكم الحارس نداءكم، إذ أن كل الأرواح الصالحة أخوة يتعاونون بين بعضهم.

505 ـ الأرواح الحامية التي تتخذ أسماء معروفة، هل هي فعلاً وفي جميع الأحوال الأشخاص الذين كانوا يحملون تلك الأسماء؟

كلا، ولكنها أرواح منجذبة إليهم، تأتي في الكثير من الأحيان تلبية لأوامرهم. وبما أنكم تريدون أسماء، لذلك فهي تأخذ اسماً يبعث الثقة فيكم. فعندما لا تستطيعون إنجاز مهمة بنفسكم، ألا ترسلون شخصاً آخر تثقون به ليتصرف باسمكم؟

506 ـ بعد عودتنا إلى العالم الأرواحي، هل سنتعرّف على روحنا الحارس؟

أجل، إذ أنكم في أحيان كثيرة كنتم تعرفونه قبل أن تتجسدوا.

507 ـ هل جميع الأرواح الحارسة هي من طبقة الأرواح السامية؟ هل من الممكن أن يكون بعضهم من درجة وسطى؟ فمثلاً، أمن الممكن أن يصير أب الروح الحارس لابنه؟

ممكن، ولكن عملية الحراسة تحتاج إلى درجة ما من الارتقاء، وقوة أو فضيلة إضافية يمنحها الله. وقد يعين الوالد الذي يحرس ابنه، روح أرقى منه.

508 ـ هل تقدر الأرواح التي برحت الأرض في حالة حسنة، حماية أحبائها الذين بقوا في التجسد؟

قدرتهم محدودة كثيراً أو قليلاً، إذ أن المركز الذي هم فيه لا يسمح لهم دائماً بحرية العمل التامة.

509 ـ النائم الذين هم في حالة توحُّش أو تأخّر أدبي، هل لهم أيضاً أرواحهم الحارسة؟ وفي هذه الحالة هل هذه الأرواح هي من درجة عالية كالذين يحرسون أشخاصاً متقدّمين جداً؟

لكل شخص روح يحرسه، ولكن المهمات تتناسب مع غرضها. فأنتم لا تخصصون للولد الذي يتعلّم الهجاء أستاذاً في الفلسفة. تتبع درجة تقدّم الروح العشير

درجة تقدم الروح المحروس. فمع أنّ لك أنتَ بالذات روحاً سامياً يحرسك، فقد تصبح أنت بدورك الحارس لروح أدنى منك مكانة، وإعانتك له في الارتقاء ستساهم في ارتقائك. لا يطلب الله من الروح أكثر مما في قدرة طبقته والدرجة التي وصل إليها.

510 ـ عندما يتجسد الأب الذي يحرس ابنه، هل يواصل حراسته عليه؟

تتعسّر الحراسة أحياناً. ولكنه يرجو في لحظة تجرّد، روحاً ودوداً له يساعده في تلك المهمة. فضلاً عن ذلك، لا تقبل الأرواح إلا مهمات تستطيع إنجازها إلى النهاية.

وبوجه خاص ففي العوالم حيث الحياة مادية، يكون الروح المتجسد تحت سيطرة الجسد بشدة، فيصعب عليه أن يكرّس نفسه بالتمام، أعني أن يساعد شخصياً. لذلك فإن أولئك الذين يتقدّمون كفاية، تساعدهم أرواح أعلى منهم درجة، حتى إذا غاب واحد لسبب ما، ينوب عنه روح آخر في المهمة.

511 ـ بجانب الروح الحارس، هل يوجد روح سيئ مرتبط بكل فرد من أجل أن يدفعه إلى الضلال وأن يعطيه فرصة ليكافح بين الصلاح والضلال؟

ليست كلمة «مرتبط» الكلمة الصحيحة. تسعى الأرواح السيئة لتبعد الناس عن الصراط المستقيم كلما وجدت الفرصة، ولكن عندما يرتبط روح سيئ بشخص، فهو يفعل ذلك من نفسه، لأنه يأمل أن يُصغي الشخص إليه. وحينئذ يحصل عراك بين الصالح والسيئ، ويفوز الروح الذي يدعه الإنسان يسيطر عليه.

512 ـ أمن الممكن أن يكون لنا عدة أرواح حارسة؟

لكل إنسان أرواح ودودة ومرتقية كثيراً أو قليلاً، تحبه وتهتم به، كما أن له أيضاً أرواحاً يدفعونه إلى الضلال.

513 ـ هل تعمل الأرواح المنجذبة إلينا بموجب مهمة؟

قد يكونون مكلّفين أحياناً بمهمة وقتية، ولكن في أغلب الأحيان يناديهم تشابه الأفكار والمشاعر، في الخير كما في الشر.

513 أ ـ يلوح لنا من قولكم أن الأرواح المنجذبة إلينا قد تكون صالحة أو شريرة؟

أجل، يجد الإنسان دائماً أرواحاً تنجذب إليه مهما كان طبعه.

514 ـ هل الأرواح العشيرة هي ذات الأرواح المنجذبة إلينا أو الأرواح الحارسة؟

توجد عدة أنواع للحراسة والانجذاب. سمّوها كما تشاؤون. والروح العشير هو بالأحرى صديق العائلة.

(من التفاسير المذكورة أعلاه ومن الملاحظات المعطاة عن صنف الأرواح الذين يرتبطون بالإنسان، يستنتج ما يلي:

الروح الحامي، أو الملاك الحارس أو الجنّي الصالح، هو الذي كُلّف بأن يتبع الإنسان في الحياة وأن يساعده على الارتقاء. وهو دائماً في درجة أعلى نسبياً من درجة المحروس.

ترتبط الأرواح العشيرة أو الأليفة ببعض أشخاص بروابط دائمة إلى حدّ ما بقصد مساعدتهم ضمن حدود قدرتها المحدودة عادة. وهي صالحة، ولكنها أحياناً قليلة الارتقاء وحتى طائشة شيئاً ما. تهتم بطيبة خاطر بدقائق صميم الحياة، ولا تعمل إلا بأمر أو بإذن من الأرواح الحارسة.

الأرواح المنجذبة أو الودودة هي التي تجذبها إلينا مودّات خاصة وبعض التشابه معنا في الأذواق والعواطف، في الصلاح كما في الضلال. تتوقّف عادة مدة صلاتها على الظروف.

الجني الشرير هو روح متأخر أو فاسد يلتصق بالإنسان بقصد إبعاده عن الصلاح. يتصرف هكذا من تلقاء نفسه وليس بموجب مهمة كُلّف بها. تشبّثه بالإساءة متناسب مع مقدار السهولة التي يلقاها في إساءته. إلا أن الإنسان حر في كل حين لينصت إلى صوته أو ليردُّه عنه).

515 ـ ما رأيكم بالأشخاص الذين يظهر أنهم يلتصقون ببعض الأفراد ليدفعوهم بلا مفرّ إلى هلاكهم، أو ليرشدوهم إلى الصراط المستقيم؟

فعلاً، يمارس بعض الأشخاص على غيرهم نوعاً من الفتون يظهر أنه لا يقاوم. عندما يحدث هذا للضلال فلأن هؤلاء الأشخاص أرواح سيئة تستعملهم أرواح سيئة أخرى لإتمام التسلط عليهم، وقد يسمح الله به ليجرّبهم.

516 ـ أمن الممكن أن يتجسّد جنّنا الصالح وجنّنا السيئ ليصحبانا في الحياة بطريقة مباشرة؟

قد يحدث ذلك أحياناً، ولكنهما أيضاً في الكثير من الأحيان يُكلّفان أرواحاً أخرى متجسدة ومنجذبة إليهم لتقوم بهذه المهمة.

517 ـ هل هناك أرواح يرتبطون بعائلة بأجمعها ليحرسوها؟

ترتبط بعض الأرواح بأعضاء أسرة واحدة يعيشون سوياً متّحدين بالمودة. ولكن لا تُفكّر بأنهم أرواح يحرسون عظمة السلالات.

518 ـ نظراً إلى أن الأرواح تنجذب إلى الأفراد من جراء شبهها لهم. هل تنجذب أيضاً إلى اجتماعات أفراد لأسباب خاصة؟

تُفضّل الأرواح أن تذهب إلى حيث يوجد نظراؤها، إذ بجوارهم يكون الأرواح على راحتهم ومتأكدين من أن هؤلاء القوم سينصتون إليهم. يجتذب الإنسان الأرواح إليه بحسب نزعاته سواء أكان وحده أم كان مع جماعة مثل جمعية أو مدينة أو شعب. وهكذا، يوجد جمعيات ومدن وشعوب تساعدها أرواح ذات ارتقاء متناسب مع درجة ارتقاء الطباع والأهواء السائدة في هذه الجماعات. تبتعد الأرواح غير المترقية عن الذين يبعدونها عنهم. فينتج عن ذلك أن تحسين الأخلاق الجماعية مثلما تحسين الأفراد الخُلُقي يساعد على إبعاد الأرواح السيئة، واجتذاب الأرواح الصالحة التي تحثّ على الاستقامة بين الجماهير، مثلما قد تُحرِّض أرواح أخرى على الشهوات الرديئة.

519 ـ هل لتجمّعات الأفراد، كالجمعيات والمدن والشعوب، أرواحها الحارسة الخاصة بها؟

أجل، إذ أن هذه التجمّعات هي فرديات جماعية تسير نحو هدف مشترك وتحتاج إلى توجيه عالٍ.

520. الأرواح التي تحرس جماعات كبيرة، هل هي من مرتبة أعلى من التي ترتبط بالأفراد؟

يتناسب كل شيء مع درجة ارتقاء الجماعات الكبيرة مثلما الأفراد.

521. أيوجد أرواح مساعدة على تقدّم الفنون، لحماية من يشتغل بها؟

توجد أرواح حارسة خاصة، وهي تعين من يناديها إذا اعتبرته جديراً بالمساعدة. ولكن ما تنتظرون أن تفعل بالذين يظنّون أنهم فنّانون، بينما هم ليسوا ما يظنّون؟ لا تجعل الأرواح العميان يرون ولا الطرش يسمعون.

(عمل الأقدمون هذه الأرواح آلهة خاصة. ولا تعدو ربّات الفنون والشعر كونها تشخيصاً مثالياً للأرواح الذين يحرسون العلوم والفنون، مثلما كانوا يسمُّون آلهة البيت للأرواح الذين يحرسون الأسرة. وعند الشعوب العصرية. فإن للفنون ولمختلف الصناعات والمدن والأقطار أيضاً أولياءهم الحارسين الذين لا يعدون كونهم أرواحاً سامية، ولو أنهم معروفون بأسماء أخرى).

(بما أن لكل إنسان أرواحاً تنجذب إليه، فينجم عن ذلك أنه، في المحافل الجماعية، يتناسب عموم الأرواح المنجذبة مع عموم الأفراد، وأن الأرواح الغريبة تنجذب بدافع مشابهة الأذواق والأفكار، وقصارى الكلام، فهذه الجماعات مثلما

هؤلاء الأفراد، محاطون بعدد كبير أو صغير من أرواح تساعدهم وتؤثر عليهم بحسب نوع أفكار الجمع).

(عوامل انجذاب الأرواح إلى الشعوب هي الأخلاق والعادات والطبائع السائدة وخاصة القوانين، لأن طبع الأمة ينعكس على قوانينها. فأولئك الذين يعملون كي تسود العدالة بين الناس، يحاربون نفوذ الأرواح السيئة. وأينما تسمح القوانين بحالات ظالمة ومضادة للإنسانية، تكون الأرواح الصالحة أقلية، بينما تكون عامة الأرواح الرديئة هي التي تتوافد، كي تثبت الأمة على أحوالها وتُشلّ التأثيرات الحسنة الفردية المبعثرة بين الجمع، كسنبلة منعزلة بين الشوك. وكل من يدرس عادات وخُلُق شعوب أو تجمّعات بشرية بأسرها، يسهل عليه أن يتصوّر نوع الشعب الخفيّ الذي يتدخل في أفكارهم وفي أعمالهم).

الاستشعارات

522 ـ هل الاستشعار هو دائماً إنذار من الروح الحارس؟

الاستشعار هو نصيحة صميمة وخفيّة تأتي من روح يودّ الخير لكم. وهو أيضاً بديهة لما اخترتم، فهو صوت الغريزة. إذ يعلم الروح، قبل أن يتجسّد، المراحل الرئيسية التي سيمرّ بها في حياته، وأي نوع من التجارب سيلتزم بها. وعندما يكون في تلك التجارب طابع بارز، فهو يحتفظ بشعور عنه في قرارة نفسه، وهذا الشعور، الذي هو صوت الغريزة، لدى استيقاظه عندما يدنو الوقت، يصبح استشعاراً.

523 ـ نظراً أن للاستشعارات ونصوت الغريزة شيئاً مبهماً دائماً، ماذا يجب علينا أن نفعل خلال حيرتنا؟

عندما تكون في حالة من الإبهام، استنجد بروحك الصالح، أو اطلب من الله، رب الكلّ، أن يرسل إليك أحد رسلائه، أي واحداً منا.

524 ـ هل تهتم إنذارات الأرواح الحارسة بسلوكنا الأدبي فقط، أم تشمل أيضاً المسلك الذي يجب علينا أن نسلكه في أمور حياتنا الشخصية؟

تهتم بجميع الأشياء، إذ أن الأرواح تحاول أن تجعلكم تعيشون بأحسن طريقة ممكنة، غير أنه في الكثير من الأحيان تسدّون أذنيكم للإرشادات الصالحة، فتشقون بذنبكم.

(تساعدنا الأرواح الحامية بنصائحها بواسطة صوت الضمير الذي تجعله يتكلّم في داخلنا. ولكن، نظراً لأننا لا نُعطي لنصائحها الأهمية اللازمة، فهي تلجأ إلى إرشادات مباشرة بواسطة الأشخاص الذين يحيطون بنا. فإذا فحص كل إنسان مختلف الظروف السعيدة والمحزنة في حياته، فسيتضح له أنه في مناسبات عديدة جاءت إليه نصائح ينتفع منها دائماً، وأنه لو كان قد استمع إليها، لكان تجنّب مضايقات عديدة لنفسه.

7 ـ تأثير الأرواح على أحداث الحياة

525 ـ هل تمارس الأرواح تأثيراً على أحداث الحياة؟

دون شك، فهي التي ترشدك.

525 أ ـ هل تمارس هذا التأثير إضافة إلى ما توحيه من الأفكار، أي هل لها تأثير مباشر على حدوث الأشياء؟

أجل، ولكنهم لا يؤثرون على الأشياء أبداً خارج قوانين الطبيعة.

(نتخيّل خطأ أن عمل الأرواح يظهر فقط عبر ظواهر غير عادية، ونريدهم أن يأتوا ليساعدونا بمعجزات، ونتصوّرهم دائماً يحملون عصاً سحرياً. لكن ليس الأمر هكذا، ولهذا السبب يبدو لنا أن تدخّلهم خفيّ، وما يحدث بتأثيرهم يتراءى لنا طبيعياً جداً. وبناء عليه، فإن التقاء شخصين يلوح أنه من قبيل المصادفة، وهم يوحون لأحد بالفكرة ليمرّ بمكان ما، ثم يوجّهون انتباهه إلى تلك الناحية إن كان ذلك يجلب النتيجة التي يقصدونها، حتى يحافظ الشخص على حرية اختياره، وهو يظنّ أنه يُصغي إلى دافعه الشخصي.

526 ـ بما أن الأرواح يؤثرون على المادة، هل بإمكانهم إثارة حالات بقصد أن يقع حادث؟ مثلاً، من اللازم أن يموت رجل، فيتسلّق سلماً، ثم ينكسر السلّم، فيقع الرجل ويموت. هل الأرواح هم الذين جعلوا السلّم ينكسر لكي ينجز مصير هذا الرجل؟

من الحق أن الأرواح يؤثرون على المادة، ولكن، لتحقيق سنن الطبيعة وليس لخرقها بإثارة حادث غير منتظر في مكان معين، ومخالف لتلك السنن. في المثل الذي تذكره، فقد انكسر السلّم لأنه كان مسوساً أو لم يكن قوياً كفاية لاحتمال ثقل الرجل. فإذا كان مصير ذلك الرجل أن يموت بهذه الطريقة، فسيوحون له بفكرة التسلّق على ذلك السلّم الذي سينكسر من ثقله، ويحدث موته حينئذ من سبب طبيعي، ودون اللزوم إلى معجزة لذلك الغرض.

527 ـ لنأخذ مثلاً آخر حيث لا تتدخل مطلقاً حالة المادة الطبيعية في شيء. لنفرض أن من اللازم أن يموت رجل بفعل الصاعقة. فيلتجئ تحت شجرة، فتقصف الصاعقة وتقع عليه وتقتله. هل من الممكن أن الأرواح سبّبت الصاعقة ووجّهتها إليه؟

هي نفس الحالة. فقد قصفت الصاعقة ووقعت على تلك الشجرة، وفي تلك اللحظة، كان ضمن قوانين الطبيعة أن يحدث ذلك. ولم تُوجّه الصاعقة على تلك الشجرة لأن الرجل كان تحتها، وإنما أوحت الأرواح له فكرة الالتجاء تحت شجرة كانت ستقع الصاعقة عليها، فقد كانت الشجرة معرضة للصاعقة، سواء كان الرجل تحتها أو لم يكن تحتها.

528 ـ أطلق رجل سيئ النية على أحد قذيفة لامسته ولم تصبه. هل هو روح صالح الذي أبعد القذيفة؟

إذا لم يُقدَّر للرجل أن يصاب، فسيوحي له الروح الصالح بالفكرة لينحرف، أو سيبهر بصر عدوّه ليفسد تصويبه، إذ أن القذيفة بعد إطلاقها تسير في مسارها المحتّم.

529 ـ ما رأيكم حول الرصاصات المسحورة المذكورة في بعض الأساطير والتي تصيب الهدف حتماً؟

إنه تخيُّل محض. يُحبّ الإنسان الأشياء العجيبة ولا يكتفي بعجائب الطبيعة.

529 أ ـ الأرواح التي تدير أحداث الحياة، هل من الممكن أن تعترض لها أرواح تُريد معاكستها؟

ما يشاءه الله لا محالة منه. فإذا حدث تأخُّر أو مانع، فهو بمشيئته.

530. هل من الممكن أن تُثير الأرواح الطائشة والساخرة الورطات الصغيرة في طريق مشاريعنا وأن تعرقل ترقّباتنا، وبالاختصار، هل تُسبِّب ما نسميه باللغة العامية بالمآزق الصغيرة التي تعتري الحياة البشرية؟

إنها تُسرّ من تلك المُكدِّرات، التي هي تجارب لكم لتمارسوا صبركم، ولكنها تكلّ عندما ترى أنها لا تفلح معكم. على أنه ليس عادلاً ولا مضبوطاً أن تنسبوا إليها جميع خيباتكم، فأنتم أول صُنّاعها من جراء طيشكم. صدقني، إذا انكسر صحنك، فهو من حماقتك وليس من عمل الأرواح.

530ا. هل تعمل الأرواح التي تثير مُكدِّرات، بدافع عداء شخصي أم هي تعتدي على أي شخص يظهر لها، دون سبب معين، وعن رذالة فقط؟

للسببين. فهم أحياناً أشخاص جعلتموهم أعداء لكم، في هذه الحياة أو في حياة أخرى، ولذلك فهم يطاردونكم. وفي أحيان أخرى يفعلون ذلك من غير سبب.

531. هل يزول حقد الأشخاص الذين أساؤوا إلينا على الأرض، بانتهاء حياتهم الجسدية؟

في الكثير من الأحيان، يُقرُّون بظلمهم وبإساءتهم، ولكنهم أيضاً في أحيان عديدة يطاردونكم ببغضهم، إن سمح الله لهم به، ليواصلوا تجربتكم.

531ا. أمن الممكن أن نضع حداً لحقدهم، وبأي طريقة؟

أجل، بصلواتكم من أجلهم، وبمبادلة شرّهم ببرّكم فسيدركون أخيراً أخطاءهم. وعلى كل حال، إذا عرفتم كيف تكونون أعلى من حيلهم، فسيكفّون عندما يرون أن لا جدوى لهم مما يفعلون.

(يدلّ الاختبار على أن بعض الأرواح تطارد عدوّها للثأر من حياة إلى أخرى، هكذا يُكفِّر الإنسان عاجلاً أو آجلاً عما اقترفه من إساءة إلى أحد).

532. أتستطيع الأرواح أن تُبعد المصائب عن بعض الأشخاص، وأن تجلب لهم اليسر؟

لا كلياً، إذ أن هناك مصائب هي من إرادة الله، ولكن الأرواح تخفف أوجاعكم بإعطائكم الصبر والتسليم لمشيئة الله.

ليكن في علمكم أيضاً أنه يتوقف عليكم، في الكثير من الأحيان، أن تبعدوا تلك المصائب أو على الأقل أن تخففوها. فقد وهبكم الله الذكاء لتستعملوه، ففي هذه الظروف تأتي الأرواح لتعينكم بإيحائها إليكم أفكاراً مناسبة للحال. لكنها لا تساعد إلا الذين يساعدون أنفسهم، وهذا هو معنى تلك الكلمات: اطلبوا فتجدوا، اقرعوا فيفتح لكم.

وليكن في علمكم بعد، أن ما يتراءى لكم أنه شرّ ليس هو شر دائماً، وفي الكثير من الأحوال، سوف ينتج عنه خير أكبر بكثير من الشر، وذلك هو ما لا تفهمونه، لأنكم تعيشون فقط في اللحظة الحاضرة أو في شخصكم.

533 ـ هل تستطيع الأرواح أن يجلبوا الرخاء والثراء لو التمسناه منهم؟

أحياناً كتجربة لكم، ولكنهم في الكثير من الأحوال يرفضون، كما يُرفض لولد طلب متهوّر.

533 أ ـ أهي الأرواح الصالحة أم السيئة التي تهب هذه النعم؟

كلاهما، إذ تتوقف التلبية على نية الملتمس، ولكن الأرواح غالباً ما تريد أن تجرّكم إلى الشرّ، إذ أنها ترى في استجابتكم، طريقة سهلة لإسقاطكم بواسطة الملذات التي يوفّرها الثراء.

534 ـ عندما يبدو لنا أن عقبات تعاكس مشاريعنا ولا مفرّ منها، أيكون ذلك من تأثير روح ما؟

أحياناً، من تأثير الأرواح. وفي أحيان أخرى بسبب أخطائكم في إدارة شؤونكم. إذ يؤثر كثيراً المنصب والطبع في ذلك. إن أصررتم على أن تسلكوا طريقاً ليس هو طريقكم، فالأرواح غير مسؤولة عما يحدث لكم، فستكونون أنتم وحدكم جنّكم الشرير.

535 ـ عندما يحدث لنا شيء يسعدنا، أهو روحنا الحارس الذي يجب علينا أن نشكره؟

اشكروا الله بالأخصّ، إذ دون إذنه لا يحدث شيء بتاتاً، ثم أرواح الصلاح لكونهم كانوا وسطاءه فيما حدث.

535 أ ـ ماذا يحصل إن أهملنا أن نشكره؟

يحصل ما يحصل لناكري الجميل.

535 ب ـ لكن، هناك أناس لا يصلّون ولا يشكرون، وناجحون في كل شيء؟

أجل، ولكن يجب أن تنظر إلى نهايتهم، فهم سيدفعون ثمناً كبيراً لهذه السعادة الزائلة التي لا يستحقّونها، فبقدر ما يحصلون على خيرات، بقدر ما عليهم أن يدفعوا.

8 ـ تأثير الأرواح على ظواهر الطبيعة

536 ـ الظواهر الطبيعية العظمى، تلك التي تعتبر اختلالاً في أركان الطبيعة، أهي ناتجة عن أسباب طارئة أم لجمعها غرض تقصده العناية الإلهية؟

كل شيء له تبرير لوجوده، ولا يحدث شيء دون إذن الله.

536 أ ـ هل تقصد هذه الظواهر الإنسان دائماً؟

الإنسان هو أحياناً السبب المباشر لوجودها، ولكن في حالات عديدة لا يعدو غرضها إعادة التوازن بين قوى الطبيعة.

536 ب ـ ندرك تماماً بأن مشيئة الله هي العلّة الأولى، في هذه الظواهر كما في كل الأشياء، ولكن كما أننا نعلم بأن الأرواح يؤثرون على المادة، وأنهم عملاء المشيئة الإلهية، فنحن نسأل إذا لم يمارس البعض منهم تأثيراً على أركان الطبيعة ليحرّكوها أو ليسكّنوها أو ليوّجهوها؟

لكن هذا بديهي، ولا محالة منه. والله لا يعكف على التأثير مباشرة على المادة، لأن لديه عملاءه المخلصين الذين يعملون في جميع الدرجات في تدرج العوالم.

537 ـ كانت أساطير الأقدمين برمّتها مؤسسة على الأفكار الأرواحية، مع فرق واحد، وهو أنهم كانوا يعتبرون الأرواح كآلهة. لكنهم كانوا ينسبون خاصيات خاصة إلى تلك الآلهة، أي إلى تلك الأرواح. فمثلاً كان البعض منهم مسؤولاً عن الرياح، والبعض الآخر عن الصاعقة، ويشرف غيرهم على النباتات، الخ. هل لهذا الاعتقاد أساس؟

ليس له أساس، بل هو أبعد بكثير عن الحقيقة.

537 أ ـ لنفس السبب، من الممكن إذن أن يوجد أرواح تسكن في باطن الأرض وتشرف على الظواهر الجيولوجية؟

لا تسكن هذه الأرواح داخل الأرض بمعنى الكلمة، بل تشرف على شؤونها وتديرها وفقاً لخاصياتها. وفي المستقبل سيُعطى لكم تفسير كل هذه الظواهر وسيزيد فهمكم لها.

538 ـ هل تُكوّن الأرواح التي تشرف على ظواهر الطبيعة، فئة خاصة في عالم الأرواح؟ هل هي كائنات على حدة أم هي أرواح تجسدت مثلنا في الماضي؟

هي أرواح ستتجسد في المستقبل أو تجسدت في الماضي.

538 أ ـ أتنتسب هذه الأرواح إلى الدرجات السامية أم إلى الدرجات الدنيا في التدريج الأرواحي؟

يتوقف ذلك على دورهم في الظواهر، فإذا كان أكثر أو أقل مادية أو ذكاء. فبعضهم يأمر والآخرون يُنفّذون الأوامر. والذين يقومون بالأعمال المادية هم دائماً من درجة دنيا بين الأرواح، كما هو الحال بين البشر.

539 ـ في إحداث بعض ظواهر، كالزوابع مثلاً، هل هو عمل روح واحد أم عمل جماعات عديدة من الأرواح؟

جماعات لا يحصى عددها.

540 ـ الأرواح الذين يمارسون تأثيراً على ظواهر الطبيعة، هل يعملون عملهم عن دراية، وبموجب حرية اختيارهم، أم بدافع فطري أو طائش؟

بعضهم عن دراية، والآخرون دون دراية. أعطيك مثلاً: تصوّر تلك الربوات التي تسكنها الحيوانات التي تبرز شيئاً فشيئاً، من البحر جزائراً وأشباه جزائر. أتظن بأنه ليس هناك غرض تقصده العناية الإلهية في ذلك، وأن تغيير سطح الكرة الأرضية هذا لا ضرورة له للانسجام العام؟ مع ذلك، لا تعدو كونها حيوانات دنيا من أدنى درجات الخليقة، تحدث هذه الأشياء كي تسدّ احتياجاتها دون أن تدري بأنها أدوات الله. على نفس الشاكلة، فإن الأرواح المتأخرة جداً هي نافعة للمجموعة. فبينما هي تتدرّب على الحياة، وقبل أن تعي وعياً تاماً لأفعالها ولحرية اختيارها، تؤثّر على بعض الظواهر، دون أن تدري. فهي تُنفّذ أوامر أولاً، وفيما بعد، حينما تزداد نباهتها، سوف تقود وتدير شؤون العالم المادي. وفي مستقبل أبعد، ستستطيع إدارة شؤون العالم الأدبي الخلقي. وهكذا، فكل شيء ينفع ويتسلسل في الطبيعة، من الذرة الأولية إلى رفيع الملائكة الذي هو بدوره ابتدأ بالذرة. فما أعجب هذه السُنّة، سُنّة التواءم، التي يعجز عقلكم المحدود على أن يفهم مجموعها بعد.

9 ـ الأرواح أثناء المعارك

541 ـ أثناء معركة، هل توجد أرواح تُشاهد وتسند الفريقين؟

أجل، وتحثُّ على شجاعتهما.

(تماماً كما في الماضي، كان الأقدمون يصوّرون الآلهة تتحيّز إلى شعب أو إلى الآخر. وكانت تلك الآلهة لا تعدو كونها أرواحاً مصوّرة بأشكال مجازية).

542 ـ في حرب ما، يكون الحق دائماً مع واحد من الفريقين. فكيف إذن تتحزّب أرواح مع الفريق المخطئ؟

أنت تعلم أن هناك أرواحاً تسعى وراء الخلاف والتخريب. في نظرهم، فإن الحرب هي حرب، ولا تهمهم عدالة القضية.

543 ـ هل يوسع بعض الأرواح أن تؤثر على أفكار القائد في رسم خطة القتال؟

لا شك أن بوسع الأرواح أن تؤثر في هذا الشأن كما في جميع الأمور.

544 ـ أمن الممكن أن أرواحاً سيئة توحي إليه بترتيبات فاشلة بقصد هزيمته؟

أجل، لكن، أليس له حرية الاختيار؟ فإذا لم تسمح له بصيرته أن يميز بين فكرة صائبة وفكرة خاطئة، فسيتحمّل وحده عواقب سوء تمييزه، والأصلح له أن يطيع أوامر لا أن يصدر أوامر.

545 ـ أمن الممكن أحياناً أن يكون القائد مرشداً ببصر ثان نوعاً ما، أو بنظرة بديهية تدلّه سلفاً على نتيجة ترتيباته؟

هذا هو ما يحدث عادة للنابغة، وما يسميه بالإلهام، ويجعله يعمل واثقاً بالنتيجة. يأتي إليه هذا الإلهام من الأرواح الذين يقودونه وينتفعون من المقدرات التي وهبت له.

546 ـ في ضوضاء المعركة ماذا يحدث لأرواح الذين يلقون حتفهم؟ هل يهتمون بالقتال عقب موتهم؟

يهتمّ بعضهم به، ويبتعد عنه غيرهم.

(يحدث في المعارك ما يحدث في جميع حالات الموت الأحمر. ففي أول لحظة ينذهل الروح ويصبح كدائخ، ولا يعتقد بأنه مات. ويتراءى له بأنه ما يزال يشترك في المعركة، فلا تظهر له حقيقة حالته إلا شيئاً فشيئاً).

547 ـ الأرواح الذين كانوا يتحاربون بينما كانوا أحياء، هل يعتبرون أنفسهم أعداء عقب موتهم، وهل يعادون بعد بعضهم بعضاً؟

في تلك اللحظات، لا يكون الروح هادئ البال أبداً. في اللحظة الأولى، قد يكون حاقداً بعد على عدوّه وحتى أنه يريد مطاردته. ولكن حينما تعود إليه أفكاره، ويدري أن عداوته ما عاد لها داع. فقد يحتفظ منها بآثار شديدة أو ضئيلة بحسب طبعه.

547 أ ـ أيسمع بعد موته ضجيج الأسلحة؟

أجل، يسمعه بوضوح تام.

548 ـ الروح الذي يحضر معركة ببال هادئ كمماين، هل يشهد انفصال الروح عن الجسد، وكيف تبدو له تلك الظاهرة؟

الوفيات الفجائية تماماً قليلة. في أغلب الأحيان، إذ لا يدري مباشرة الروح الذي أصيب جسده إصابة مميتة. وعندما يبدأ في التعرف على حالته، من الممكن حينذاك أن يرى الروح يتنقّل بجانب جسده. يبدو ذلك طبيعياً جداً إلى درجة أن رؤية الجسد الميت لا تُحدث أي مفعول مزعج بتاتاً. لكون الحياة كلها انتقلت إلى الروح، فهو وحده فقط يلفت الانتباه، ومعه نتخاطب، أو إليه نوجّه الأوامر.

10 ـ التعاقد مع الأرواح

549 ـ أهناك أساس في مسألة التعاقد مع الأرواح الشريرة؟

كلا، لا يوجد تعاقد، بل أشخاص ذوي فطرة شريرة تنجذب إلى أرواح شريرة. مثلاً: أنت تريد أن تضايق جارك، ولا تعرف كيف تعمل، فتنادي إليك أرواحاً دنيا تريد الإساءة مثلك، لتساعدك، وهي تريد أن تستعملك في مقاصدها. غير أنه لا يترتب على ذلك أن جارك لا يستطيع أن يتخلّص منهم بمؤامرة عكسية وبقوة إرادته. من يرغب بأن يرتكب عملاً شريراً، يدعو بمجرد رغبته، أرواحاً شريرة لتعينه، فيضطر أن يخدمهم مثلما يخدمونه في مقاصده، إذ أنهم أيضاً يحتاجون إليه لأغراضهم الشريرة. وفي ذلك التبادل فقط يكون التعاقد.

(تظهر التبعية التي يكون فيها الإنسان أحياناً تجاه الأرواح الدنيا، عبر استسلامه إلى الأفكار الرديئة التي يوحونها إليه، ولكن ما من مشارطات، بينهم وبينه. والتعاقد، في معناه العامي، هو تمثيل يعبّر عن فطرة شريرة تنجذب إلى الأرواح المؤذية).

550 ـ ما معنى الأساطير الخيالية التي تروي أن أشخاصاً قد باعوا روحهم إلى إبليس لينالوا منه بعض نِعَم؟

تحوي جميع الخرافات تعليماً ومغزى أدبياً. خطؤكم هو أنكم تفسّرونها بنصها الحرفي. إنها تمثيل يمكن تفسيره كما يلي: من ينادي الأرواح ليطلب منهم أن يساعدوه للحصول على الثراء أو على أية نعمة أخرى، فهو في الحقيقة، يتذمّر ويتمرّد على العناية الإلهية، إذ أنه يُفرّط بالمهمة التي أعطيت إليه وبالتجارب التي كان عليه أن يتحمّلها في هذه الدنيا، لذلك سيتحمّل العواقب في الحياة القادمة. لا يعني ذلك أن مصير روحه هو الشقاء على الدوام، ولكن، لكونه ينغمس في المادة أكثر فأكثر بدلاً من أن يتحرّر منها، فكل ما ناله من مسرّات على الأرض، لن يناله في عالم الأرواح، إلى أن يُكفّر عنه بتجارب جديدة، ربما أكبر وأشقّ منها. فهو بحبّه للملذات المادية، يضع نفسه تحت سيطرة الأرواح النجسة، فينشأ بينهم وبينه تعاقد مضمر يقوده إلى خرابه، رغم أن من الممكن كل حين أن يفسخه بمساعدة الأرواح الصالحة، أن عزم على ذلك عزماً حازماً.

11 ـ القوة الخفيّة – الطلاسم – السحَارون

551 ـ هل يستطيع شخص سيئ الإساءة إلى قريبه بممونة روح شرير مخلص له؟

كلا، لأن الله لا يسمح بذلك.

552 ـ ما رأيكم بالاعتقاد القائل بأن لدى بعض أشخاص قوة لينفثوا أسحاراً؟

لدى بعض أشخاص قوة مغناطيسية كبيرة جداً يمكنهم أن يستعملوها للأذى إن كانت روحهم سيئة. وفي هذه الحالة قد تعينهم أرواح سيئة أخرى. لكن لا تصدّقوا بوجود تلك القوة الساحرة التي يقال عنها، لأنها لا توجد إلا في خيال قوم المتطيّرين الذين يجهلون حقيقة سنن الطبيعة. والوقائع التي يُروى عنها هي وقائع طبيعية أسيئت مراقبتها وبخاصة أسيء فهمها.

553 ـ ماذا يكون مفعول الصيغ والشعائر التي بواسطتها يزعم بعض الأشخاص أنهم يتصرّفون كما يريدون بالأرواح؟

المفعول هو أن يثيروا ضحكة الناس، إن كانوا يعتقدون به فعلاً. أما إن كانوا لا يعتقدون به، فهم خدّاعون يستحقّون عقاباً. إن جميع الصيغ شعبذة، وليس هناك أي قول سرّي أو أي رمز سحري أو أي طلسم له تأثير ما على الأرواح، إذ أن ما يجذبهم هو الفكر فقط وليس الأشياء المادية.

553 ا ـ ألم تعمل أحياناً بعض الأرواح صيفاً سحرية؟

أجل، هناك أرواح تدلّكم على رموز وأقوال غريبة، أو تفرض عليكم بعض افعال لتعملوا بواسطتها ما تسمّونه بتعويذات. لكن تأكدوا جيداً أنهم أرواح يسخرون بكم ويهزؤون من سذاجتكم.

554 ـ من يثق، خطأ أو صواباً، بما يسميّه بمفعول الطلسم، ألا يستطيع بهذه الثقة أن يجتذب إليه روحاً، لأن الفكر حينذاك هو الذي يعمل بينما الطلسم هو مجرد رمز يساعده على توجيه الفكر؟

فعلاً، ولكن يتوقّف نوع الروح المجتذب على سلامة الطوية ورفعة المشاعر. ولكن في أغلب الأحيان، من هو بسيط إلى درجة أنه يعتقد بتأثير الطلسم، فغرضه مادي أكثر منه خلقي. وعلى كل حال، يدلّ ذلك على انحطاط وضعف في الأفكار يُعرّضان الشخص لتتسلّط عليه الأرواح المتأخرة والساخرة.

555 ـ ما هو المعنى المقصود عندما يوصف أحد بأنه سحّار؟

أولئك الذين يسمّونهم سحّارين، عندما يكونون أصحاب نية حسنة، هم أناس موهوبون بعض مقدرات كالقوة المغناطيسية والبصر الثاني، وإذ ذاك، فلأنهم يعملون أشياء لا تفهمونها، تظنّون أنهم موهوبون قوة تفوق القوى الطبيعية. ألم يشتهر العلماء كسحّارين في نظر القوم الجُهّال.

(تكشف لنا الأرواحية والمغناطيسية سرّ عدد كبير من الظواهر أحاطها الجهل بخرافات لا نهاية لها، وحيث يبالغ الخيال في وصف الأحداث. ولكن المعرفة الواعية لهذين العلمين اللذين، إن صحّ القول، يعتبران علماً واحداً، تكشف لنا واقعية الأمور وسببها الحقيقي، فهي أفضل واقٍ يقي من الأفكار المُتطيّرة لأنها تزينا ما هو ممكن، وما هو مستحيل، وما هو ضمن قوانين الطبيعة، وما هو مجرد اعتقاد لا أساس له).

556 ـ أهو صحيح أن بعض أشخاص موهوبون مقدرة إبراء الأمراض بمجرّد المسّ؟

قد تصل القوة المغناطيسية إلى هذه القدرة عندما تكون معززة بصفاء المشاعر ورغبة صادقة بعمل الخير، عندئذ تأتي الأرواح الصالحة وتساعد في الإبراء. ولكن يجب الحذر من الطريقة التي يتحدث بها عن الأشياء أشخاص سريعو التصديق وشديدو التحمّس، مستعدون كل حين لرؤية عجائب في أبسط الأشياء وفي الحاجات الطبيعية. ينبغي أيضاً الحذر من الحكايات المغرضة التي يرويها أناس يستغلّون سرعة التصديق لمصلحتهم.

12 ـ البركات واللعنات

557 ـ أتستطيع البركات واللعنات[1] أن تجذب الخير والشر إلى الذين تُوجّه إليهم؟

لا يستمع الله إلى لعنة ظالمة، ويدين من ينطقها. ونظراً إلى أن فينا القريحتين المضادتين، البرّ والشرّ، فقد يوجد تأثير وقتي، حتى على المادة. وعلى أي حال، ففالباً ما يُلعن الأشرار ويبارك الأبرار. لا تستطيع أبداً البركة واللعنة أن تبعد العناية الإلهية عن طريق العدالة، فهي لا تضرب الملعون إلا إذا كان سيئاً، ولا تحمي إلا من يستحقّ حمايتها.

---

(1) تُرينا برضوح مسألة البركات واللعنات (سؤال 557) ومسألة حب الإنسان للأشياء العجيبة (سؤال 529) عقلانية الأرواحية، بينما الذين يجهلون تعاليمها يتّهمونها بأنها مؤسسة على الخرافات. هناك نقطة هي من أهم نقط هذا الفصل، تشير إلى الغريزة (سؤال 522)، وفيها نرى أن النظرة الروحية في الغريزة تشير إلى تذكّر غير واعٍ للتجارب التي اخترناها قبل أن نتجسّد. بناء عليه، فإن صوت الغريزة هو الاستشعار بأحداث وجودنا الحالي البارزة. يتلقى الروح المتجسد إخطاراً باطنياً، ولكنه حر ان ينصت إليه أو أن لا ينصت إليه، وفقاً لحرية اختياره. ينبغي علينا أن لا نخلط هذه النظرة الروحية حول الغريزة، بالنظرة النفسانية الأحيائية في الغريزة كحاجة عضوية. وفي هذا الصدد، ليراجع القارئ السؤالين 589 و590 (ملاحظة المترجم).

الفصل العاشر
أشغال ومهمّات الأرواح

558 ـ الا تشتغل الأرواح بأشغال أخرى إضافة إلى تحسين نفسها الشخصي؟

تساهم الأرواح في تناغم الكون، بتنفيذ مشيئات الله العديدة، لكونهم مندوبيه. الحياة في العالم الأرواحي هي حياة عمل دائم، ولكنها خالية من المشقّات كما على الأرض، إذ ليس فيها لا التعب الجسدي ولا قلق العوز.

559 ـ هل تقوم الأرواح الدنيا والناقصة بدور نافع في الكون أيضاً؟

لجميعهم واجبات يجب عليهم أن يؤدّوها. ألا يساهم البنّاء البسيط مثلما المهندس المعماري في بناء العمارة؟ (سؤال 540).

560 ـ هل لكل واحد من الأرواح خاصيات خاصة به؟

ما أعني هو أن علينا جميعاً أن نسكن في كل مكان، وأن نكتسب معرفة جميع الأشياء، بإشرافنا المتتابع على سائر أشياء الكون. لكن، كما قيل في سِفْر الجامعة: «لكل أمر أوان[1]»، هكذا، ينجز فلان مصيره في هذا العالم وفلان آخر سينجزه أو أنجزه في آن آخر، على اليابسة، أو في الماء، أو في الهواء.. الخ».

561 ـ هل الوظائف التي تقوم بها الأرواح في ترتيب الأشياء، هي وظائف دائمة لكل واحد منهم، وهل هي خصائص حصرية لبعض طبقات منهم؟

يتحتّم على كل الأرواح أن تقطع مختلف درجات التدرج لتتحسّن، إذ لا يعقل أن الله في عدالته، يمنح للبعض المعرفة دون جهد بينما لا يكتسبها الآخرون إلا بالكدّ.

(كما هو الحال بين البشر، لا يصل أحد إلى أعلى درجة من المهارة في أي فنّ، إلا بعد أن يكتسب المعارف اللازمة بممارسة أصغر دقائق ذلك الفنّ.

562 ـ الأرواح الذين ارتقوا إلى أعلى درجة، وما عادوا يحتاجون إلى اكتساب معارف، أيمكثون في سكون كامل أم يقومون بأشغال أيضاً؟

أتريدهم أن يظلّوا عاطلين إلى الأبد؟ العطالة الأبدية قد تكون لهم عذاباً أبدياً.

562 أ ـ ما هو نوع أشغالهم؟

استلام أوامر الله رأساً منه، ونقلها إلى الكون بأسره، والسهر على تنفيذها.

---

(1) الكتاب المقدّس، سفر الجامعة فصل 3 – 1.

563. أتشتغل الأرواح على الدوام؟

على الدوام، أجل، بمعنى أن تفكيرهم في نشاط دائم، إذ أنهم يعيشون حياة فكرية. ولكن يجب أن لا تشبّهوا أشغال الأرواح بأشغال البشر المادية، فإن هذا النشاط ذاته هو متعة لهم لعلمهم أنهم نافعون.

563 أ. يُفهم ذلك بخصوص الأرواح الصالحة، ولكن هل هذه الحالة تنطبق أيضاً على الأرواح المتأخرة؟

تشتغل الأرواح المتأخرة في أشغال ملائمة لطبيعتها. هل تأتمنون أنتم العامل اليدوي أو الجاهل أشغالاً تحتاج إلى أحد مثقّف.

564. بين الأرواح، هل هناك من هم بطالون أو لا يشتغلون بأية حاجة نافعة؟

أجل، ولكن هذه الحالة وقتية وتتوقّف على تطوّر ذكائهم. فعلاً، يوجد بين الأرواح، كما يوجد بين الناس، أرواح يعيشون لنفسهم فقط. إلا أن هذا الفراغ يسئمهم، وعاجلاً أو آجلاً، تجعلهم الرغبة بالارتقاء يشعرون بالاحتياج إلى العمل، ويُسرّون حين يصيروا نافعين لغيرهم. نتكلّم هنا عن الأرواح الذين وصلوا إلى درجة الوعي لنفسهم ولحرية اختيارهم، إذ أنهم في بدايتهم كانوا كأطفال ولدوا حديثاً، وينقادون بالغريزة أكثر مما بإرادة عازمة.

565. هل تنظر الأرواح في أعمالنا في الفنون، وهل تهتم بها؟

تنظر فيما يدلّ على ارتقاء الأرواح وتقدّمها.

566. الروح الذي كان له تخصّص على الأرض، مثلاً، كان رساماً أو مهندساً معمارياً، هل يهتم بالأعمال التي كان يفضّلها أثناء حياته في الجسد؟

يختلط كل شيء في قصد شامل. فإذا كان صالحاً، يهتم بتخصّصه قدر ما يسمح له من أجل مساعدة النفوس لترتقي وتصعد نحو الله. فضلاً عن ذلك، فأنتم تنسون أن الروح الذي مارس فناً ما في الحياة عرف به، ربما مارس فناً آخر في حياة أخرى، إذ ينبغي على الروح أن يعرف كل شيء ليبلغ الكمال. وهكذا، فوفقاً لدرجة تقدمه، قد لا يكون هناك تخصص له، وذلك هو ما كنت أقصده بقولي إن كل شيء يختلط في قصد شامل. لاحظوا أيضاً ما سأقوله: ما تعتبرونه جليلاً، في عالمكم المتأخر، لا يعدو كونه عملاً صبيانياً قرب العوالم المتقدمة عليكم. فكيف تريدون

من تلك الأرواح الذين يسكنون تلك العوالم التي يوجد فيها فنون تجهلونها، أن يعجبوا بما هو في نظرهم، لا يعدو كونه أشغال تلميذ مدرسة ابتدائية؟ سبق لي القول: إنهم ينظرون فيما يدلّ على التقدّم.

566 أ ـ نفهم أن هذا لا بد أن يكون لأرواح متقدمة جداً، ولكنّا نسأل عن الأرواح العادية التي لم ترتقِ بعد أعلى من الأفكار الأرضية؟

لهؤلاء، حالة مختلفة، فإن نظرتهم محدودة، وقد يعجبون بما يعجبكم.

567 ـ هل تمتزج الأرواح أحياناً بأشغالنا وملاهينا؟

الأرواح المتدنية، هي كما تقول، أجل، فهؤلاء يحيطونكم دائماً ويشاركونكم أحياناً مشاركة فعلية فيما تفعلونه بحسب نوعهم. ذلك حتمي منهم ليدفعوا الناس في مختلف طرق الحياة، وليثيروا أو ليهدّئوا أهوائهم.

(تهتم الأرواح بأمور هذا العالم على قدر رُقيّها أو تأخّرها. تستطيع الأرواح السامية، دون شك، أن تتمعن في أدقّ تفاصيل هذه الأمور، ولكنها لا تفعل ذلك إلا على قدر ما يفيد عملية الارتقاء. أما الأرواح المتأخرة، فهي لا تُعير لهذه الأمور إلا أهمية ترتبط بالذكريات التي ما زالت بعد في ذاكرتها، وبالأفكار المادية التي لم تمّحِ منها بعد).

568 ـ الأرواح الذين ينجزون مهمات، هل ينجزونها في الحالة التجوالية أم في حالة التجسد؟

يوجد مهمات في الحالتين. فبعض الأرواح التجوالية، لها شُغل كبير تقوم به.

569 ـ ما هو نوع المهمات التي تُكلّف بها الأرواح التجوالية؟

مهمات متنوعة جداً إلى درجة أن وصفها قد يكون مستحيلاً. فضلاً عن ذلك، هناك مهمات لا يسعكم فهمها، فالأرواح تُنفّذ مشيئات الله، وأنتم لا تستطيعون اكتناه مقاصده.

(تسعى مهمات الأرواح إلى الخير دائماً. سواء كأرواح أم كبشر، فهم مكلّفون بأن يساعدوا على تقدم البشرية والشعوب والأفراد ضمن دائرة أفكار واسعة كثيراً أو قليلاً، وخصوصية كثيراً أو قليلاً، وأن يمهدوا السبل لبعض الأحداث، وأن يسهروا على تتميم بعض الأشياء).

(يقوم بعضهم بمهمات أقلّ اتساعاً، أو مهمات شخصية نوعاً ما، أو محلية كلياً، كإسعاف المرضى والمنازعين والمنكوبين، والسهر على الذين يؤتمنون عليهم، فيصبحون مرشديهم وحارسيهم، ليهدوهم بنصائحهم أو بالأفكار الصالحة التي

يوحونها إليهم. لذلك يصحّ القول بأن هناك أنواعاً من المهمات قدر ما يوجد أنواع من المصالح تحتاج لمن يسهر عليها، في العالم المادي، أو في العالم الأدبي. يتقدم الروح بحسب كيفية تأديته للمهمة التي يؤتمن عليها).

570. هل تفهم الأرواح دائماً المقاصد التي تكلّف بتنفيذها؟

كلا، هناك من هُم آلات عمياء، وأما غيرهم فيعلمون تماماً هدف ما يفعلون.

571. هل تقتصر المهمات على الأرواح السامية فقط؟

تتناسب أهمية المهمات مع طاقات الروح ومستوى ارتقائه. فهو مثلاً، يقوم بمهمة العسكري الساعي الذي يحمل برقية، ولكن مهمته ليست كمهمة القائد.

572. هل تُفرض المهمة على الروح أم تتوقف على إرادته؟

يطلبها هو ذاته، ويسعد من نيله إياها.

572 أ. أمن الممكن أن تطلب عدة أرواح نفس المهمة؟

أجل، يوجد في أحيان كثيرة عدة طالبين، ولكن لا يُقبلون كلهم.

573 ـ ماذا تشمل مهمة الأرواح المتجسدة؟

تعليم الناس وإعانتهم ليرتقوا، وتحسين مؤسساتهم بوسائل مباشرة ومادية. لكن المهمات شاملة وكبيرة نسبياً، فمن يفلح الأرض يؤدي مهمة كمن يحكم أو من يدرّس. ويتسلسل كل شيء في الطبيعة، فبينما يتطهّر الروح بالتجسد، فهو يساهم، بهذا الشكل، في تتميم مقاصد العناية الإلهية. لكل أحد إذن مهمة في هذه الدنيا، لأن في وسع أي شخص أن يكون نافعاً في شيء.

574 ـ ماذا تكون مهمة الناس الذين لا يريدون، عن قصد، أن يكونوا نافعين لشيء على الأرض؟

يوجد فعلاً أناس يعيشون لأنفسهم فقط، عاجزين أن يقدموا نفعاً في أي شيء بتاتاً. هؤلاء هم أناس تعساء يستحقون الشفقة، إذ أنهم سيُكفّرون بقسوة عن عدم فائدتهم المتعمدة، ويبدأ عقابهم عادة في هذا العالم، بالملل وبكره الحياة.

574 أ ـ ما دام لهم حرية الاختيار، فلماذا فضّلوا حياة لا تفيدهم بأي شيء بتاتاً؟

يوجد أيضاً بين الأرواح كسالى يتراجعون أمام حياة الكدّ والعناء، والله يدعهم يعيشون كما يريدون، ولكنهم سيفهمون فيما بعد، على حسابهم، أضرار عدم

فائدتهم، وسيطلبون هم بذاتهم تعويض الوقت الضائع. من الممكن أيضاً أنهم اختاروا حياة نافعة، غير أنهم عندما حان وقت العمل، تراجعوا وتركوا أنفسهم ينقادون إلى إيحاءات الأرواح الذين يحثّونهم على عدم العمل.

575 ـ يبدو لنا أن الأشغال السائدة هي واجبات، وليست مهمات أو رسالات بمعنى الكلمة. فالرسالات، كما نفهم من الفكرة التي تشير إليها الكلمة، تتميز في أهميتها بأنها أقلّ استئثاراً، وبخاصة أقل فردية. بحسب هذه النظرة، كيف نستدل على الإنسان المكلّف فعلاً برسالة على الأرض؟

من الأعمال العظيمة التي ينجزها، ومن كونه يجعل نظراءه في البشرية يرتقون.

576 ـ الأشخاص الذين سينجزون رسالة هامة، هل هم معينون سلفاً لها قبل ميلادهم، وهل هم على علم بها؟

أجل أحياناً، ولكنهم عادة يجهلونها. وعندما يأتون على الأرض، يكون مآربهم مبهماً، إذ أن رسالتهم ترتسم بعد ولادتهم وتبعاً للظروف. فيدفعهم الله إلى الطريق الذي فيه سينجزون مقاصده.

577 ـ عندما يعمل شخص عملاً نافعاً، هل يفعله كل حين بموجب رسالة مخصصة له ومقدّرة سلفاً، أم قد يكلّف برسالة لم تكن في الحسبان؟

ليس جميع ما يفعله الإنسان ناجماً عن رسالة مدبّرة سلفاً، إذ كثيراً ما يكون الإنسان أداة يستعملها روح لكي ينجز شيئاً يعتبره نافعاً. فمثلاً: يظن روح أن من المفيد تأليف كتاب كان سيكتبه هو لو كان متجسداً. فيبحث عن الكاتب الأكثر أهلية ليلتقط وينجز أفكاره، ثم يعطيه الفكرة المقصودة ويقوده في الإنجاز. وهكذا، لم يجئ هذا الشخص إلى الأرض بمهمة تأليف هذا التأليف. مثل ذلك الحال نراها في بعض الأشغال الفنية أو في الاكتشافات. ولا بد أن نقول أيضاً بأنه خلال نوم الجسد، يتصل الروح المتجسد رأساً بالروح المتجوّل ويتفقان معاً على كيفية الإنجاز.

578 ـ أمن الممكن أن يفشل الروح في مهمته أو في رسالته بإرادته؟

أجل، إذا لم يكن روحاً من درجة سامية.

578 أ ـ ما العواقب التي تترتب عليه من فشله؟

يجب عليه أن يعيد العمل، ففي الإعادة عقابه، ثم سيتحمل عواقب الضرر الذي تسبّب من فشله.

579. بما أن الروح يتسلم مهمته أو رسالته من الله، فكيف يكلف الله بمهمة هامة تخصّ الصالح العام روحاً قد يفشل فيها؟

ألا يعلم الله إذا كان القائد سينتصر أو سينهزم؟ يعرف، ولا شكّ في ذلك، ومشروعاته، عندما تكون هامة، لا توكل أبداً إلى الذين سوف يتركون شغلهم في وسط العمل. تتلخص المسألة بالنسبة إليكم، في معرفة المستقبل التي يحوزها الله، بينما لم تُعطَ لكم هذه المعرفة.

580. الروح الذي يتجسد لإنجاز رسالة، هل يعتريه نفس الخوف الذي يعتري من يتجسد ليمرّ بتجارب؟

كلا، لأن لديه الخبرة.

581 ـ الأشخاص الذين هم منارة الإنسانية، يضيئونها بعبقريّتهم، لا شكّ أنهم مكلّفون برسالة، ولكن بينهم الذين يخطئون، وينشرون إلى جانب حقائق كبرى، أغلاطاً فاحشة. كيف يجب أن نعتبر رسالتهم؟

رسالة حرّفوها هم ذاتهم، وليس لديهم الكفاءة اللازمة للمهمة التي أقدموا عليها. إلا أنه لا بد من مراعاة الظروف التي كانوا فيها. لقد اضطر النوابغ أن يتكلّموا بحسب زمنهم، والتعليم الذي يبدو لنا ضالاً أو تافهاً في عصر متقدّم، كان كافياً لعصرهم[1].

582. أيصحّ اعتبار الأبوّة كمهمة؟

هي مهمة بكل تأكيد، وفي ذات الوقت واجب كبير جداً، يربط مسؤولية

---

(1) في كل عصور التاريخ منذ الماضي السحيق، أرسل الله إلى الأرض رسلاً وأنبياء كانت مهمتهم دائماً إنارة الشعوب وقيادتها إلى طريق الحق وإلى الله وإلى السعادة الحقّة في العالم الروحي الدائم. نذكر هنا على سبيل الإفادة، إلى جانب الأنبياء المذكورين في الكتب المقدسة في عهد ما قبل الميلاد، مثل نوح وإبراهيم واسحق ويوسف وموسى، بعض مرسلين آخرين تجسدوا على الأرض قبل الميلاد، هم الفرعون سيزوستريس الرابع (قرن 17) وهرمس (قرن 2) في مصر، ثم كنفوشيوس (قرن 5) ولاوتسي (قرن 6) في الصين، ثم أفلاطون (قرن 6) وسقراطس (قرن 5) في اليونان، ثم زورواستر (قرن 7) في بلاد الفرس، وبوذا (قرن 5) في الهند. كانت رسالة المرسلين منذ القدم هي استنكار الثأر والبغض والقتل والسرقة والرذيلة، وتوصية الناس بالمحبة والتسامح والأخوّة، ليسود بينهم الوئام، بصرف النظر عن الأجناس البشرية أو عن عقائدهم الدينية، ولأن الله هو أبو الكل وهو محبة ورحمة ونور. فإن كل ما تسرّب في تلك الرسالات من مبادئ مضادة لهذه الفضائل، هو بشري المصدر أو موحى من أرواح ذات أفكار دنيوية قليلة الارتقاء (ملاحظة المترجم).

الإنسان بالمستقبل أكثر مما يظنّ. وضع الله الولد تحت وصاية أبويه لكي يوجّهاه في صراط الصلاح، ويسّر لهم مهمتهم بإعطاء الولد جهازاً مرناً ومرهفاً يجعله متقبّلاً لجميع التأثيرات. لكن هناك أناساً يهتمون أكثر بتقويم أشجار حديقتهم لكي تنتج أثماراً جيداً ووفيرة من تقويم طبع ابنهم. فإذا ضلّ الولد فبذنبهم، وسيحتملون الجزاء، وعذابات الولد في الحياة المقبلة سوف تقع على مسؤوليتهم، لكونهم لم يفعلوا من أجله ما كان في وسعهم، ليتقدّم في طريق الصلاح.

583 ـ إذا انحرف الولد إلى الشرّ، برغم عناية والديه، هل هما مسؤولان عن انحرافه؟

كلا، لكن كلما قويت قرائح الولد في الشر، كلما كانت المهمة أصعب، وكلما زاد استحقاقهما إن نجحا في إبعاده عن الطريق السيئ.

583 أ ـ إن صار الولد شخصاً جيداً، برغم إهمال أبويه أو قدوتهما السيئة، هل يستفيدان هما من هذه الحالة؟

الله عادل.

584 ـ ما هو نوع مهمة الفاتح الذي يهدف فقط إلى إرضاء طموحه، والذي من أجل أن يصل إلى غرضه، لا يتراجع أمام البلايا التي يسبّبها أينما يمرّ؟

في معظم الأحيان، لا يعدو كونه أداة يستعملها الله لإنجاز مقاصده، وهذه البلايا هي أحياناً وسيلة تجعل شعباً يتقدّم سريعاً.

584 أ ـ من يكون أداة في هذه البلايا العابرة لا يدري بالخير الذي قد ينجم عنها، فقد كان يقصد منها غرضاً شخصياً فقط. مع ذلك هل سيستفيد من هذا الخير؟

يجازى كل إنسان وفقاً لصنائعه، وللخير الذي أراد أن يفعله، ولاستقامة طويّته.

(للأرواح المتجسدة أشغال تلازم حياتهم الجسدية. أما في الحالة التجوالية أو في حالة الابتعاد عن الجسد، فتكون هذه الأشغال متكافئة مع درجة تقدّمهم).

(يجوب بعضهم العوالم، ويتعلّمون ويستعدّون لتجسّد جديد. وآخرون أرقى منهم، يشتغلون بأمور التقدم، وبتوجيه الأحداث وبإيحاء أفكار ملائمة للتقدم. ويساعدون العباقرة الذين يعملون لرقيّ البشرية).

(وآخرون يتجسدون بمهمة ارتقاء).

(وآخرون يأخذون تحت وصايتهم الأفراد أو الأسر أو الجماعات أو المدن أو الشعوب، ليكونوا ملائكتهم الحارسة أو جانّهم الحامي أو أرواحاً أليفة تعاشرهم).

(وآخرون أخيراً يُشرفون على ظواهر الطبيعة كوسطائها المباشرين).

(تتدمج الأرواح النجسة أو المتأخرة، فهي تنتظر في الشقاء والعذاب المعنوي الأوان الذي يشاء الله فيه أن يمنحهم وسائل ليرتقوا. وهم عندما يفعلون الشر، فذلك نكاية بالخير الذي لا يزالون يعجزون أن يتنعّموا به).

الفصل الحادي عشر: الممالك الثلاث

1ـ الجوامد والنباتات.

2ـ الحيوانات والإنسان.

3ـ التقمّص.

1 ـ الجوامد والنباتات

585 ـ ما رأيكم في تقسيم الطبيعة إلى ثلاث ممالك أو إلى طبقتين: الكائنات العضوية والكائنات اللاعضوية؟ بعض الناس يعتبرون الجنس البشري كطبقة رابعة. أي واحدة من هذه الممالك هي الأفضل؟

كلها جيدة، لأن ذلك يتوقف على وجهة نظر الشخص. تجاه الاعتبار المادي، ولكن لا يوجد سوى كائنات عضوية وكائنات غير عضوية. أما من النظرة الأدبية، فلا شك في أن هناك أربع درجات.

(لهذه الدرجات الأربع مميزات فاضلة، رغم أن أطراف التقسيم تبدو مختلطة. فالمادة العديمة الحركة، التي تكوّن مملكة الجوامد، لا تحوي إلا قوة آلية. والنباتات، مركبة من مادة عديمة الحركة، ولكنها موهوبة حيوية. والحيوانات، مركّبة من مادة عديمة الحركة، موهوبة حيوية، إضافة إلى أن فيها ذكاء غريزياً محدوداً، ولديها الوعي بوجودها. والإنسان، إضافة إلى كل مميزات النباتات والحيوانات، يسيطر على سائر الطبقات الأخرى بذكاء خاص، لا معرّف، يعطيه الوعي بالأشياء اللامادية ومعرفة الله).

586 ـ هل تعي النباتات بوجودها؟

كلا، لأنها لا تُفكّر، فهي تعيش حياة عضوية فقط.

587 ـ هل للنباتات حواسّ؟ أتشعر بألم عندما تُقطع؟

تتلقى النباتات تأثيرات مادية تؤثر على المادة، ولكن ليس لها حواسّ، وبالتالي فهي لا تشعر بالألم.

588 ـ هل القوة التي تجذب النباتات إلى بعضها بعضاً، مستقلة عن إرادتها؟

أجل، لأن النباتات لا تُفكّر، وهذه القوة آلية تخص المادة وتؤثر على المادة، ولا تستطيع النباتات أن تقاومها.

589 ـ بعض النباتات كالمستحية والديونيا مثلاً، لهما تحركات تدلّ على إحساس شديد، وفي بعض حالات، يبدو لها إرادة، فالديونيا تقبض بفصوصها على الذبابة التي

تحطّ عليها لتمصّ عصارتها، كأنها تمدّ فخاً لتقتلها من بعد. هل هذه النباتات موهوبة قدرة التفكير؟ هل لها إرادة وهل هي من طبقة متوسطة بين الطبيعة النباتية والطبيعة الحيوانية؟ هل هذه النباتات هي انتقال من طبيعة إلى أخرى؟

كل شيء هو انتقال في الطبيعة، إذ لا شيء يشبه الآخر، ومع ذلك، فكل شيء يرتبط بآخر. النباتات لا تُفكّر، ومن ثم، فليس لها إرادة. فالصدف الذي ينفتح وجميع أنواع المرجان والإسفنج ليس لديها الفكر، وإنما مجرد غريزة عمياء وفطرية.

(يُعطينا جسم الإنسان أمثلة لحركات مشابهة، أي دون اشتراك الإرادة، كما في الوظائف الهضمية والدورانية، فبوّاب المعدة، عند احتكاكه ببعض الأجسام، يتضيّق ليمنع مرورها. لا بد أن هذه نفس الحالة في المستحية، التي لا تقتضي حركاتها ضرورة الإحساس، وأقلّ أيضاً، الإرادة).

590 ـ ألا يوجد في النباتات، كما في الحيوانات، غريزة بقاء تجعلها تبحث عما قد ينفعها وتتجنب مما يضرّها؟

هي، إذا شئتم، كناية عن غريزة، ويتوقف ذلك على مقدار التوسع في معنى الكلمة، ولكنها غريزة آلية بحتة. داخل العمليات الكيميائية، عندما ترون جسمين يجتمعان، فلأنهما يتوافقان، ويعني ذلك أن هناك تجانس بينهما، ولكن لا تقولون عن ذلك إنه غريزة.

591 ـ في العوالم السامية، هل النباتات، كالكائنات الأخرى، هي من طبيعة أتقن؟

كل شيء هو أتقن، ولكن النباتات هي نباتات، والحيوانات هي حيوانات والناس هم أناس.

2 ـ الحيوانات والإنسان

592. إذا قارنّا الإنسان والحيوانات من زاوية الذكاء، يصعب تحديد الخط الفاصل بينهما، إذ أن بعض الحيوانات، من وجهة النظر هذه، تفوق بعض الناس تفوقاً كبيراً. أمن الممكن تحديد الخط الفاصل بينهما بدقة؟

في هذا الشأن، قلّما يتفق فلاسفتكم، إذ أن البعض منهم يعتبر الإنسان حيواناً والبعض الآخر يعتبر الحيوان إنساناً، ولكنهم جميعاً على خطأ. فالإنسان

كائن على حدة، ينحطّ كثيراً في أحيان، ويستطيع أن يسمو سمواً كبيراً. من جهة الجسد، الإنسان كالحيوان، وأقلّ تجهيزاً من الكثير من الحيوانات، لأن الطبيعة وهبتها جميع ما يكون الإنسان مضطراً إلى أن يخترعه بذكائه، لاحتياجاته ولبقائه. حقاً إن جسده يبلى كما يبلى جسد الحيوانات، ولكن روحه لها مصير، ويستطيع أن يفهم هذا المصير هو وحده، لأنه هو وحده حرّ تماماً. يا لتعاستكم أنتم الذين تنحطون إلى أسفل من البهائم. ألا تعرفون أنكم تتميزون عنهم؟ اعلموا أن الإنسان هو الوحيد الذي يفكّر بالله.

593 ـ أيصحّ القول إن الحيوانات تعمل بدافع الغريزة فقط؟

تلك هي فكرة نظرية أيضاً. حقاً أن الغريزة تسود عند معظم الحيوانات، ولكن، ألا ترى بعضها يعمل بإرادة عازمة؟ وهذه الإرادة تدل على ذكاء، ولو أنه محدود.

(إلى جانب الغريزة، لا يصحّ أن ننكر أن لبعض حيوانات أفعالاً مركّبة ومنظّمة تنمّ عن إرادة للعمل في اتجاه معيّن وبحسب الظروف. يوجد إذن لدى الحيوانات ذكاء، ولكن ممارسة هذا الذكاء تقتصر بالأحرى على خلق الوسائل لسدّ حاجاتها المادية وتدبير بقائها. لدى الحيوانات لا يوجد ابتداع ولا تحسين. مهما يدهشنا تفننهم في أعمالهم، فما كانوا يفعلونه في قديم الزمان يفعلونه اليوم لا أحسن، ولا أردأ، وطبقاً لأشكال ونسب ثابتة لا تتغير. حتى عندما يكون الفرخ منعزلاً عن أفراد جنسه، يبني عشّه على نفس النمط دون أن يعلّمه أحد. وإذا كان بعضها قابلاً لبعض التعليم، فإن تطورها العقلي، المحدود كل حين في حدود معينة، ينتج عن عمل الإنسان وتدريبه، فليس هناك أي تقدم آتٍ منهم، وإنما هذا التقدم المُلقّن زائل وهو فردية محضاً، فالحيوان عندما يترك لذاته يعود سريعاً إلى الحدود التي رسمتها له الطبيعة).

594 ـ هل للحيوانات لغة يتفاهمون بها؟

إن كنت تعني لغة مركّبة من كلمات ومقاطع، فالجواب بالنفي. ولكن إن كنت تعني وسائل للمخابرة بين بعضها بعضاً، فالرد إيجابي، وتتخابر في أشياء أكثر بكثير مما تظن. إلا أن لغتها وأفكارها محدودة، وتقتصر على حاجاتها.

594 أ ـ هناك حيوانات لا صوت لها. يبدو كما لو أنها دون لغة تتخاطب بها؟

تتفاهم بوسائل أخرى. وأنتم البشر، هل لديكم الكلام فقط لتتفاهموا؟ والخرس، ماذا تقول عنهم؟ فالحيوانات لكونها وهبت حياة الاتصال، فلديها وسائل لإنذار بعضها

بعضاً وللتعبير عما تشعر به. أتظن أن الأسماك لا تتفاهم بين بعضها؟ إذن لا يمتاز الإنسان دون غيره بلغة للتفاهم، ولكن لغة الحيوانات غريزية ومقتصرة على دائرة حاجاتها وأفكارها، بينما لغة الإنسان قابلة للإتقان وتتماشى مع مدركات ذكائه.

(الأسماك التي تهاجر في جموع غفيرة، وكذلك طيور السنونو التي تطيع القائد الذي يقودها، لا بدّ أن لديها وسائل لإنذار بعضها بعضاً ولتتفاهم وتتشاور. ربما كان ذلك بحدة بصرها الذي يسمح لها تمييز الإشارات التي تتفاهم بها، وربما أيضاً بالماء الذي هو المُوصِّل الذي ينقل لها بعض ذبذبات. مهما يكن الأمر، لا مراء بأن لديها وسيلة للتفاهم، مثل جميع الحيوانات التي لا صوت لها والتي تعمل معاً. هل من العجيب، إزاء ذلك، أن تتخاطب الأرواح بين بعضها دون الاحتياج إلى الكلام المنطوق؟) (س 282).

595 ـ هل للحيوانات حرية الاختيار فيما تفعل؟

ليست الحيوانات مجرد آلات[1] كما تظنون. ولكن تقتصر حرية عملها على احتياجاتها، ولا يمكن أن تتشبّه بحرية العمل عند الإنسان. لكون الحيوانات في مستوى أدنى بكثير من مستوى الإنسان، فليس لها ذات الواجبات، ولا تتعدّى حريتها حدود حياتها المادية.

596 ـ من أين تأتي قدرة بعض الحيوانات على تقليد كلام الإنسان، ولماذا هذه القدرة موجودة في الطيور بدلاً من أن تكون، مثلاً، في القردة، التي تكون بنيتها هي أكثر تشابهاً ببنية الإنسان؟

تأتي من بنية أعضاء الصوت الخصوصية، إضافة إلى غريزة التقليد، فيقلّد القرد الحركات، وتقلّد بعض طيور الصوت.

597 ـ بما أن للحيوانات ذكاء يعطيها شيئاً من حرية العمل، هل يوجد لديها عنصر مستقلٌ عن المادة؟

أجل، ويبقى هذا العنصر بعد موت الجسد.

---

(1) كان الفيلسوف الفرنسي ديكارت Descartes يؤكد بأن الحيوانات هي مجرد آلات، وأنها تتصرف طبقاً لسنن الطبيعة، لأنها بلا روح. كان هذا الزعم منتشراً بين عدد كبير من المفكّرين، ولا يزال سائداً إلى الآن بين أكثرية الناس. لكن الأرواح عارضوه، كما ترى في هذا الجواب، وتؤيد الاختبارات العلمية الحديثة رأيهم في هذا الشأن. (ملاحظة المترجم).

597 أ ـ هل هذا العنصر هو روح تشبه روح الإنسان؟

هو روح أيضاً إن شئت، وذلك يتوقف على المعنى الذي يعطى لهذه الكلمة، ولكنها روح أقل درجة من روح الإنسان. فالمسافة بين روح الحيوانات وروح الإنسان هي كالمسافة بين روح الإنسان وروح الله.

598 ـ هل تحفظ روح الحيوانات بعد الموت، فرديتها والوعي بنفسها؟

أجل، تحفظ فرديتها ولكنها لا تعي ذاتيتها، وتبقى الحياة الذكية في حالة كامنة.

599 ـ هل لروح البهائم الخيار في التجسد بحيوان ما بدلاً من غيره؟

كلا، إذ ليس لها حرية الخيار.

600 ـ روح الحيوان التي تبقى بعد زوال الجسد، هل هي، بعد الموت، في حالة تجوالية كروح الإنسان؟

هي حالة تجوال، لأنها منفصلة عن جسد، ولكنها ليست روحاً تجوالية. فالروح التجوالية هي كائن يُفكّر ويتصرف بحرية إرادته. ليس لروح الحيوانات هذه المقدرة. إن خاصية الروح الرئيسية هي الوعي بذاتيته. تكلف الأرواح المسؤولة عن روح الحيوان، عقب موته، وتكاد تستعمله على الفور، ومن ثم لا يتّسع له الوقت ليتّصل بكائنات أخرى.

601 ـ هل تسلك الحيوانات سُنّة تصاعدية كالإنسان؟

أجل، ولهذا السبب، ففي العوالم المرتقية حيث الناس أكثر تقدّماً، فإن الحيوانات هي أيضاً أكثر ارتقاء، ولها وسائل اتصال أكثر تطوراً. غير أنها لا تزال أدنى من الإنسان وخاضعة لإرادته، فهي له خُدّام أذكياء.

(لا غرابة في ذلك. لنفرض أن لأذكى حيواناتنا كالكلب والفيل والحصان، بنية ملائمة للأعمال اليدوية، فكم سيؤدون من أعمال تحت إدارة الإنسان).

602 ـ هل ترتقي الحيوانات كما يرتقي الإنسان، بفعل إرادتها! أم بحكم الأشياء؟

بحكم الأشياء ولذلك لا يلزمها أن تُكفّر عن شيء.

603 ـ في العوالم المرتقية: هل للحيوانات علم بالله؟

كلا، الإنسان هو الإله لها، كما كانت الأرواح قديماً آلهة للبشر.

604 . بما أن الحيوانات، ولو أنها محسّنة في العوالم السامية، لا تزال أدنى درجة من الإنسان، فينجم عن ذلك أن الله خلق كائنات ذكية لتظلّ على الدوام مخصّصة للدونية، ويبدو أن ذلك يتعارض مع وحدة المقاصد والارتقاء التي نلاحظها في جميع صنائع الله.

يتسلسل كل شيء في الطبيعة بواسطة روابط لا تستطيعون بعد أن تدركوها، والأمور الأكثر تفاوتاً في الظاهر، تحوي نقط اتصال لن يصل أبداً الإنسان إلى فهمها في حالته الحاضرة. قد يستشفّها بمجهود من ذكائه، ولكن عندما يكتسب هذا الذكاء نموّه الكامل ويتحرر من تحيّزات الكبرياء والجهل، فسوف يرى حينذاك بوضوح صنيعة الله. وحتى ذلك الحين، تجعله أفكاره المحدودة يرى الأمور بنظرة مشوهة وضيقة. ليكن في علمكم إن من المستحيل أن يتناقض الله، وكل شيء في الطبيعة يتواءم بفعل قوانين شاملة لا تخرج أبداً عن حكمة الخالق السامية.

604 أ . إذن فإن الذكاء هو خاصية مشتركة ونقطة اتصال بين روح البهائم وروح الإنسان؟

نعم، ولكن ليس للحيوانات سوى ذكاء الحياة المادية، بينما الذكاء في الإنسان يعطيه الحياة الخُلُقية.

605 ـ إذا أخذنا بنظر الاعتبار جميع نقط الاتصال الموجودة بين الإنسان والحيوان، ألا يصحّ الظن أن للإنسان نفسين: النفس الحيوانية والنفس الأرواحية، ولو لم يكن له النفس الأرواحية، فهو قد يعيش كالبهائم؟ أو بتعبير آخر: فإن الحيوان كائن كالإنسان، ولكن ينقصه النفس الأرواحية، وقد ينجم من ذلك أن غرائز الإنسان الحسنة والسيئة قد تكون بسبب تغلُّب إحدى النفسين على الأخرى؟

كلا، ليس للإنسان نفسان، ولكن الجسد له غرائزه التي هي نتيجة لحاسية الأعضاء. في الإنسان طبيعة مزدوجة: الطبيعة الحيوانية والطبيعة الروحية. فبجسده يشترك في طبيعة الحيوانات وغرائزها، وبروحه يشترك في طبيعة الأرواح.

605 أ . بناء عليه، فإن الروح، علاوة على نقائصه الشخصية التي عليه أن يتخلّص منها، يحتاج بعد إلى مقاومة تأثير المادة؟

نعم، كلما كان الروح أوطأ، كلما كانت الروابط بينه وبين المادة أكثر قوة. ألا ترون ذلك بذاتكم؟ أكرر، ليس للإنسان نفسان، لأن لكل كائن نفس واحدة في

كل حين. تختلف تماماً نفس الحيوان عن نفس الإنسان بحيث أن نفس الواحد منهما لا تستطيع أن تنعش بالحياة الجسد المخلوق للآخر. لكن، إذا لم يكن للإنسان نفس حيوانية تضعه، بأهوائه، في مستوى الحيوانات، فله جسده الذي يُسفلّه في أحيان عديدة إلى درجة الحيوانات، إذ أن جسده كيان موهوب حيوية، وله غرائز سفيهة ومقتصرة على صيانة بقائه.

(الروح، عندما يتجسد في جسد الإنسان، يصطحب معه المبدأ العقلي والخُلُقي الذي يجعله أعلى منزلة من الحيوانات. تعطي الطبيعتان الموجودتان في الإنسان مصدرين مختلفين لأهوائه: بعضها آتٍ من غرائز الطبيعة الحيوانية والأخرى من أدناس الروح المتجسد الذي ينجذب كثيراً أو قليلاً إلى خشونة الشهوات الحيوانية. وبتطهره، يتحرر الروح شيئاً فشيئاً من نفوذ المادة. فهو عندما يكون تحت ذلك النفوذ، يقترب من البهائم، وبتخلّصه من ذلك النفوذ يصعد إلى غايته الحقيقية).

606 ـ من أين تستمد الحيوانات المبدأ الذكي الذي يُكوّن نوع الروح الخاص الذي وهبت به؟

من العنصر الذكي الكوني.

606 أ ـ إذن ينبثق ذكاء الإنسان وذكاء الحيوانات من مبدأ واحد؟

دون شك، ولكن في الإنسان يمرّ بعملية إتقان تجعله يفوق على الذي يُنعش البهائم بالحياة.

607 ـ سبق أن قلتم إن نفس الإنسان في بدايتها، هي كحالة الطفولة في الحياة الجسدية، وإن ذكاءه يتفتّح بالتدريج، وإنه يختبر نفسه في الحياة (س 190). أين تتجز هذه المرحلة الأولى؟

في سلسلة حيوات تسبق المرحلة التي تسمّونها بالتأنس.

607 أ ـ يظهر إذن أن النفس كانت هي المبدأ الذكي للكائنات السفلية الموجودة في الخليقة؟

ألم نقل إن كل شيء يتسلسل في الطبيعة ويرمي إلى الوحدة؟ ففي هذه الكائنات التي لا تعرفونها كلها، يهيأ المبدأ الذكي، ويتفرّد شيئاً فشيئاً ويختبر نفسه في الحياة كما سبق. هذا هو، نوعاً ما، عمل إعدادي كعمل النبت، يطرأ على أثره تحوّل في المبدأ الذكي ويصبح روحاً.

حينذاك، تبدأ الروح مرحلة التأنّس، ومعها مرحلة الوعي بمستقبله، والتمييز بين الخير والشر، ومسؤوليته عن أفعاله، مثلما بعد مرحلة الطفولة تأتي مرحلة المراهقة، ثم مرحلة الشباب، وأخيراً الكهولة. وعلى كل حال، ففي هذا الأصل، لا يوجد بناتاً ما يحُطّ من قيمة الإنسان. هل ينحطّ النابغة من كونه كان جنيناً قبيح الشكل في رحم أمه؟ إذا كان هناك شيء يحطّ من قيمة الإنسان فهو دونيّته أمام الله، وعجزه عن سبر عمق مقاصده وحكمة النواميس التي تنظّم تناغم الكون. اشهدوا لعظمة الله في ذلك التناغم العجيب الذي يجعل كل الأشياء متضامنة في الطبيعة. ومن يزعم أن الله ربما صنع شيئاً ما بلا قصد، وخلق كائنات ذكية بلا مستقبل، يُجدِّف ضد محبّته التي تعمّ جميع مخلوقاته.

607 ب- هل تبدأ على الأرض مرحلة التأنّس هذه؟

ليست الأرض نقطة الانطلاق لأول تجسد كإنسان. تبدأ عادة مرحلة التأنّس في عوالم أدنى درجة من عالمكم. إلا أن تلك القاعدة ليست مطلقة، إذ قد يحدث لروح أن يكون أهلاً ليعيش على الأرض منذ أول تأنّسه. وهذه الحالة نادرة، وقد تكون استثناء.

608 - هل يعي روح شخص، بعد موته، بالحيوات التي سبقت مرحلة تأنّسه؟

كلا، إذ لا تبدأ حياته كروح من تلك المرحلة، حتى أنه يكاد لا يتذكر شيئاً من تجسداته الأولى كإنسان، تماماً كما لا يعود يتذكّر شيئاً عن أول سنوات طفولته، وأقلّ أيضاً، الزمن الذي أمضاه في رحم أمه. لهذا السبب تقول لكم الأرواح إنها لا تعلم كيف بدأت. (س 78).

609 - بعد دخوله مرحلة التأنّس، أيحفظ الروح آثاراً عما كان سابقاً، أعني عن حالته في المرحلة التي سلفت التأنّس؟

يتوقّف ذلك على المسافة الموجودة بين المرحلتين وعلى الارتقاء الذي حصل عليه. طوال بعض أجيال، قد يوجد فيه أثر واضح إلى حدّ ما من الحالة الأولية، ففي الطبيعة لا يحدث شيء بانتقال فجائي[1]. توجد دائماً حلقات وصل بين أطراف سلسلة الكائنات والأحداث. ولكن تزول تلك الآثار مع نمو حرية الاختيار. وخطوات الارتقاء الأولى بطيئة، لأنها ليست معضّدة بالإرادة، ثم تزداد سرعتها تصاعدياً بقدر ما يزداد اكتمالاً وعي الروح لذاته.

---

(1) لا تقفز الطبيعة قفزاً من حالة إلى أخرى، وتحدث التغييرات تدريجياً بتسلسل طبيعي (ملاحظة المترجم).

610 ـ إذن أخطأت الأرواح التي قالت بأن الإنسان كائن على حدة في نظام الخليقة؟

كلا، ولكن لم تكن المسألة قد تطوّرت، وفضلاً عن ذلك يوجد أشياء لا يمكن أن تُكشف إلا في وقتها. الإنسان فعلاً كائن على حدة، إذ أن له مقدرات تُميّزه عن سائر الكائنات، وله غاية أخرى. والجنس البشري هو الجنس الذي اختاره الله لتجسّد الكائنات التي يمكنها أن تعرفه.

3 ـ التقمُّص

611 ـ أليست وحدة الأصل في المبدأ الذكي للكائنات الحية، إقراراً بنظرية التقمُّص؟

قد يكون لشيئين أصل واحد ولا يتشابهان البتة فيما بعد. من يستطيع أن يتعرّف على الشجرة وأوراقها وزهورها وثمارها في النبتة العديمة الشكل، المحتواة في البذرة من حيث خرجت؟ حالما يبلغ المبدأ الذكي الدرجة اللازمة ليصير روحاً، ويدخل في مرحلة التأنس، لا يعود له صلة بحالته الأولية، ولا يعود بهيمة، مثلما الشجرة لا تعود هي الحَبّ. وفي الإنسان، لا يعود فيه من الحيوان سوى الجسد والشهوات التي تنشأ من نفوذ الجسد ومن غريزة البقاء الملازمة للمادة. إذن لا يجوز القول بأن هذا الإنسان أو ذاك هو تجسد روح هذا الحيوان أو ذاك، ومن ثم، فإن التقمُّص، كما هو معروف، ليس صحيحاً.

612 ـ أمن الممكن للروح التي أنعشت بالحياة جسد إنسان أن تتجسد في حيوان؟

كلا، لأن ذلك هو تراجع إلى الوراء والروح لا يتراجع إلى الوراء. إذ لا يعود النهر إلى منبعه (س 118).

613 ـ حتى لو أن الفكرة المرتبطة بالتقمُّص خاطئة، أليست هي نتيجة الشعور البديهي بتجسدات الإنسان المختلفة؟

هذا الشعور البديهي موجود ضمن هذا الاعتقاد كما هو موجود أيضاً في اعتقادات عديدة أخرى، ولكن حرّفه الإنسان كما يُحرّف معظم أفكاره البديهية.

(قد يكون التقمّص صحيحاً إن كان يُقصد بهذه الكلمة تصاعد النفس من حالة أوطأ إلى حالة أعلى حيث تكتسب تطورات تُحوّل طبيعتها. ولكنه يكون خاطئاً عندما يُقصد به ارتحال مباشر من الحيوان إلى الإنسان ومن الإنسان إلى الحيوان، إذ أن هذا يفترض فكرة تراجع إلى الوراء أو اندماج. لكن بما أنه يستحيل حدوث هذا

الاندماج بين كيانات الجنسين الجسدية، فذلك دليل على أنهما في درجات غير قابلة للاندماج، وأن تكون الحالة هي ذاتها أيضاً بشأن الأرواح التي تُنعشها بالحياة. إذا كان ممكناً لذات الروح أن يُنعش بالحياة الجسدين بالمناوبة، لنتج عن ذلك تشابه في الطبيعتين قد يظهر في إمكانية التناسل الجسدي).

(التجسد المتتابع الذي تُعلّمه الأرواح مؤسّس، بالعكس، على مسار الكيان المتصاعد وعلى تقدم الإنسان في ذات جنسه، دون انحطاط لكرامته. مما يحطّ من قيمة الإنسان هو سوء استعماله للمقدرات التي أعطاها له الله لأجل تقدّمه. مهما كان الحال، فإن أقدمية قاعدة التقمّص وعالميتها، والرجال الأجلاء الذين جاهروا بها، تبرهن على أن مبدأ العودة للتجسد له مصدره في الطبيعة ذاتها، وبالتالي تؤيده البراهين ولا تناقضه).

(نقطة انطلاق الروح هي إحدى المسائل التي تتعلق ببدء الأشياء، والتي هي سرّ يكتمه الله. لم يقيّض للإنسان أن يعرفها معرفة مطلقة، ولا يستطيع في هذا الصدد إلا أن يأتي بافتراضات أو يُقيم أنظمة محتملة كثيراً أو قليلاً. تكاد الأرواح ذاتها لا تعرف شيئاً عنها. وبخصوص ما لا تعرفه، قد يكون لها أيضاً آراء شخصية على اختلاف تخميناتها).

(بناء عليه، لا تُقدّم جميع الأرواح ذات الفكرة بشأن العلاقات الموجودة بين الإنسان والحيوانات. يقول بعضهم إن الروح لا يصل إلى مرحلة التأنس إلا بعد أن يتمّ إعداده وتفرده بين مختلف درجات الكائنات السفلية من الخليقة. ويقول آخرون إن روح الإنسان تنتسب منذ البداية إلى الجنس البشري دون أن تمرّ بالسلسلة الحيوانية).

(يمتاز النظام الأول بأنه يُعطي غاية لمستقبل الحيوانات، لأنها سوف تُكوّن أول حلقات سلسلة الكائنات المُفكّرة. أما النظام الثاني فهو أوفق لكرامة الإنسان، ويمكن تلخيصه كما يلي:

لا تأتي أجناس الحيوانات على اختلاف ذكائها، من جنس لتذهب إلى آخر على طريق التقدّم. فمثلاً لا تصير روح الصدفة بالتتابع روح السمكة، ثم روح العصفور، ثم روح الرباعي الأقدام، ثم روح الرباعي الأيدي. كل جنس هو جنس مطلق، جسدياً وأدبياً، ويستمدّ أي فرد منه من المنبع الكوني مقداراً من المبدأ الذكي الذي يحتاج إليه، وفقاً لدرجة إتقان أعضائه، وللعمل الذي هو ملزم بإنجازه في ظواهر الطبيعة، والذي يُعيده إلى الكتلة عند موته. وحيوانات العوالم الأرقى من عالمنا (راجع رقم 188)

هي أيضاً من أجناس مختلفة، ملائمة لاحتياجات تلك العوالم ولدرجة تقدّم الناس حيث تعمل كمساعديهم، ولكنهم لا يأتون البتة من حيوانات الأرض، بالمعنى الروحي. إلا أن الحالة تختلف فيما يخصّ الإنسان. من الوجهة الجسدية لا شك أنه يكوّن حلقة من سلسلة الكائنات الحيّة، أما من الوجهة الأدبية فهناك فاصل بين الحيوان والإنسان، إذ أن الإنسان، كميزة خاصة به، له نفس أو روح، هي شرارة إلهية، تُعطيه الميزة الخُلُقية وفكرة واسعة تنقصان الحيوانات، والتي تشكل فيه الكيان الرئيسي، السابق لوجود الجسد، والباقي بعد زواله، وهو يحتفظ بفرديته. من أين تأتي الروح؟ أين نقطة ابتدائها؟ هل تتكوّن من المبدأ الذكي المُفرّد؟ هذا سرّ من العبث أن نحاول اكتناهه، وكما قلنا، لا يسعنا سوى افتراض نظريات بشأنه. أما ما هو ثابت ومدعوم في آن معاً بالعقل والاختبار، فهو بقاء الروح وحفظ فرديتها بعد الموت، وقدرتها الارتقائية، وحالتها السعيدة أو الشقيّة المتناسبة مع تطورها في طريق الصلاح، مع كافة الحقائق الأدبية الناتجة من هذا المبدأ. وفيما يخص الصلات الخفية الموجودة بين الإنسان والحيوان، فنكرّر إنها سرّ يكتمه الله، مثل أشياء عديدة أخرى، ومعرفتها لا تفيدنا بتاتاً في تقدُّمنا، ومن العبث إطالة البحث فيها).

الفصل الأول :النواميس الخُلُقية

الناموس الإلهي أو الطبيعي

1ـ مُميّزات الناموس الطبيعي

2ـ معرفة الناموس الطبيعي

3ـ الخير (البِرّ والصلاح) والشر

4ـ تقسيم الناموس الطبيعي

1 ـ مُميّزات الناموس الطبيعي

614 ـ ما معنى الناموس الطبيعي؟

الناموس الطبيعي هو ناموس الله، والناموس الوحيد الحقيقي لسعادة الإنسان، لأنه يُريه ما يجب عليه أن يفعل أو أن لا يفعل، ولأن بابتعاده عنه يأتي شقاؤه.

615 ـ هل ناموس الله أزلي؟

هو أزلي ولا يتغيّر كالله ذاته[1].

616 ـ أمن الممكن أن يفرض الله على الناس في عصر، ما حرّم لهم في عصر آخر؟

الله لا يُخطئ، وعلى الناس أن يُغيّروا شرائعهم لأنها ناقصة، بينما نواميس الله كاملة. الوئام الذي يضبط الكون المادي والكون الخُلُقي مؤسس على النواميس التي أقامها الله منذ الأزل.

617 ـ ما هي أغراض النواميس الإلهية؟ أهي تتعلّق بأمور أخرى علاوة على السلوك الخُلُقي؟

جميع نواميس الطبيعة هي نواميس إلهية إذ أن الله هو صانع كل الأشياء. يدرس الباحث العلمي سنن المادة ويدرس الإنسان البارّ سنن النفس ويُمارسها.

617 أ ـ هل بوسع الإنسان التعمُّق بكلتا السنن؟

نعم، ولكن لا تكفي حياة واحدة.

(ماذا تفعل بضعة سنوات لاكتساب كل ما يكوِّن الكائن الكامل، إذا لم ننظر إلا إلى المسافة التي تفرق الهمجي عن المتحضِّر؟ حتى أطول حياة ممكنة لا تكفي لبلوغ الكمال، وبالأخص عندما تُقصَّر، كما هي الحال عند عدد كبير من الناس).

---

(1) بخصوص تصريح الأرواح بأن «الناموس الطبيعي هو ناموس الله والناموس الأزلي الذي لا يتغيّر كالله ذاته»، يتّهم بعض رجال الدين الأرواحية بأن تعاليمها حلولية. تستنكر الأرواحية، بشأن الله، ما تُعلّمه العقائد التي تنسب إليه سجايا بشرية anthropomorphe (كالغضب والسرور والانتقام والحزن والثأر والتوصية بالقتل وبالانتقام، كما لو كان الله إنساناً عادياً)، بل تعلن وحدة الأصل واللاهوت (أي الطبيعة الإلهية) فالجميع نواميس الكون. لا تخلط الأرواحية الطبيعة المادية (أي الكواكب والجبال والأنهار.. الخ) بالطبيعة الإلهية (أي اللاهوت)، بل تقصد الطبيعة الذكية فقط، وتعلن أيضاً الفرق بين نواميس الله واللاهوت ذاته. راجع الفصل الأول من السِفْر الأول الخاص بالله. لا يصح خلط الأرواحية بالحلول، إلا إذا اعتبرنا نظرية الله الأزلي كنظرية حلولية لقوة عظمتها، وفي هذه الحالة يكون رجال الدين المذكورون أعلاه حلوليين (ملاحظة المترجم).

(من بين النواميس الإلهية، بعضها يُنظّم تحرُّكات المادة الخام وصلاتها بعضها ببعض. تلك هي سُنن الطبيعيات، ودراستها هي من حيِّز العِلْم).

(أما السنن الأخرى فهي تتعلّق بالإنسان في ذاته وبصلاته بالله وبنظرائه في البشرية. تشمل قواعد حياة الجسد كما أيضاً قواعد حياة النفس. وهذه السنن هي السنن الخُلُقية).

618 .هل السنن الإلهية واحدة لجميع العوالم؟

بالعقل، لا بد أن تكون ملائمة لطبيعة كل عالم ومتناسبة مع درجة تقدُّم الكائنات التي تسكنها.

2 ـ معرفة الناموس الطبيعي

619 ـ هل أعطى الله لجميع الناس الوسائل لمعرفة ناموسه؟

قد يعرفه جميع الناس، ولكن لا يفهمونه جميعاً. فالذين يحسنون فهمه هم الأبرار والذين يسعون للبحث عنه. إلا أنهم سوف يفهمونه يوماً ما، إذ لا بد أن يتحقّق الارتقاء.

(عدالة مختلف تجسدات الإنسان هي نتيجة هذا المبدأ، إذ أن في كل حياة جديدة ينمو ذكاؤه ويتحسّن فهم ما هو صواب وما هو خطأ. فإذا كان يجب أن يتحقّق كل ارتقائه في حياة واحدة، فماذا قد يكون مصير ملايين غفيرة من الناس يموتون يومياً في بلادة الهمجية أو في ظلمات الجهل، دون أن يتحقق تنوّرهم؟ (717 – 222).

620 ـ أتفهم النفس (أي الروح) قبل اتحادها مع الجسد ناموس الله أحسن مما بعد تجسدها؟

تفهمه وفقاً لدرجة الارتقاء الذي بلغته وتحفظ منه تذكراً بديهياً بعد اتحادها مع الجسد، ولكن غرائز الإنسان الرديئة تجعله ينساه عادة.

621 ـ أين هو مكتوب ناموس الله؟

في الضمير.

621 أ ـ بما أن الإنسان يحمل ناموس الله في ضميره، هل كان من الضروري أن يُكشف له؟

نعم، لأنه نسيه وتجاهله. لذلك شاء الله أن يُذكّره به.

622 ـ هل أعطى الله لبعض الناس مهمة كشف ناموسه؟

أجل، دون شك. في كل العصور، أعطيت هذه المهمة إلى أشخاص هم أرواح سامية تجسدت لتجعل الإنسانية تتقدم.

623 ـ أولئك الذين زعموا تعليم الناس ناموس الله، هل أخطأوا أحياناً، وكثيراً ما ضللوهم بمبادئ خاطئة؟

الذين لم يكونوا ملهمين من الله، وفي طموحهم نسبوا لأنفسهم رسالة لم يؤتمنوا عليها، وهم دون شك قد ضلّلوا الناس. ومع ذلك، فبما أنهم، كانوا نوابغ، فبين الأخطاء التي علّموها، توجد عادة حقائق هامة.

624 ـ ما هي ميزة الرسول الحقيقي؟

الرسول الحقيقي شخص صدّيق موحى من الله. من الممكن معرفته من كلامه ومن أعماله، إذ لا يستعمل الله فم الكذّاب لنشر الحقيقة.

625 ـ من هو أكمل مثال قدّمه الله للإنسان ليكون مرشداً له وقدوة يقتدي بها؟

المسيح.

(المسيح، للإنسان، مثال الكمال الخُلُقي الذي يمكن للبشرية أن تطمح إليه على الأرض. يقدّمه الله إلينا كأكمل قدوة نقتدي بها. والتعليم الذي أفضى به إلينا هو أصفى تعبير عن شرعه، لأن الروح الإلهي كان يحييه، ولأنه أطهر كائن ظهر على الأرض).

(إذا حدث أن بعض الذين زعموا تعليم الإنسان ناموس الله ضلّلوه أحياناً بمبادئ خاطئة، فلأنهم تركوا مشاعر دنيوية جداً تسيطر عليهم، ولأنهم خلطوا السُنن التي تتحكّم بحالات حياة الروح بالتي تتحكّم بحياة الجسد، وقدّم عدد كبير منهم كشرائع إلهية ما كان مجرّد شرائع بشرية اختلقت لإشباع الشهوات والسيطرة على الناس).

626 ـ ألم تكشف النواميس الإلهية والطبيعية للناس إلا بواسطة المسيح، ومن قبله، ألم يعلموا بها إلا بالبديهة؟

ألم نقل إنها مكتوبة في كل مكان؟ جميع الذين تأملوا في الحكمة. استطاعوا فهم النواميس وتعليمها منذ أقدم العصور الغابرة. مع أن تعاليمهم كانت ناقصة، فهم أعدّوا التربة لتقبل البذرة. وبما أن النواميس الإلهية مسجّلة في كتاب الطبيعة، فقد استطاع الإنسان معرفتها عندما أراد أن يبحث عنها. لذلك أعلن أهل البر منذ القدم الأحكام التي هي أثبتتها، ولذلك توجد آثارها في التعاليم الخُلُقية المأثورة عند جميع الشعوب الخارجة من الهمجية، ولو أنها ناقصة ومُحرّفة بسبب تأثير الجهل والخرافات.

627 ـ ما دام المسيح علّم شرائع الله الحقّة، فما منفعة التعاليم التي جاءت بها الأرواح؟ هل لدى الأرواح شيء آخر لتعلّمنا إياه؟

كان تعليم المسيح عادة بأسلوب مثالي وبقصص استعارية، لأنه كان يتكلم وفقاً للأيام وللأماكن. أما الآن فيجب أن تكون الحقيقة سهلة الفهم لجميع الناس. لا بد من شرح هذه الشرائع شرحاً جيداً والتوسّع في تفسيرها، لأن الذين يفهمونها عددهم قليل جداً، والذين يطبّقونها عددهم أقل أيضاً مهمتنا هي فتح الأبصار والآذان لإفحام المتكبّرين وفضح المرائين، أولئك الذين يرتدون رداء الفضيلة والتقوى لإخفاء فواحشهم. ينبغي أن تكون تعاليم الأرواح واضحة ودون التباس، لكي لا يتذرّع أحد بالجهل، ولكي يتمكن كل شخص أن يحكم فيها ويُقدِّر قيمتها بالعقل. نحن مكلّفون بمهمة إعداد مملكة الصلاح التي أعلنها المسيح. لذلك ينبغي أن لا يقوم أي شخص بتفسير شرع الله على حسب أهوائه، أو تحريف معنى شرع مبني كله على الرأفة والمحبّة.

628 ـ لماذا لم تُجعل الحقيقة دائماً في متناول جميع الناس؟

لا بد أن يأتي كل شيء في وقته. الحقيقة هي كالنور، ولا بد أن يعتاد الإنسان عليها شيئاً فشيئاً، وإلا فهي تبهر بصره.

لم يحدث أبداً في الماضي أن سمح الله للإنسان استلام مخابرات بهذا المقدار، كاملة ومثقّفة كالتي تُعطى له اليوم. ففي العصور القديمة، كما تعلمون، كان هناك بعض أفراد يحوزون ما يعتبرونه علماً مقدّساً يتكتمون عليه كسرّ مُحرّم في رأيهم للدنيويين. وبإمكانكم أن تفهموا، بما تعلمون من الشرائع التي تتحكّم بهذه الظواهر، إنهم كانوا لا يتلقون إلا بعض حقائق مبعثرة بين مجموعة مبهمة، وغالباً رمزية. غير أنه لا يوجد للباحث أي نظام فلسفي قديم، وأي تقليد وأي دين يحق له أن يتجاهله، إذ أن كل شيء يحوي بذيرات حقائق هامة، وبينما تبدو هذه الحقائق متنافضة الواحدة مع الأخرى، ومشتّتة لكونها بين ملاحق عديمة الأساس، فهي سهلة التنسيق بفضل ما تعطينا الأرواحية من تفسير لعدد كبير من الأشياء، كانت تبدو لكم حتى الآن دون معنى، والتي ثبتت حقيقتها اليوم بشكل لا يُرَدّ. إذن، لا تتردّدوا، واستمدوا من هذه المواد، مواضيع للبحث، فهي غزيرة بها وتستطيع أن تساهم بشدّة في تثقيفكم.

3ـ الخير (البرّ – الصلاح) والشرّ

629 ـ ما هو التعريف الذي يعبّر عن الشريعة الخُلُقية؟

الشريعة الخُلقية هي قاعدة السلوك الحسن، أي قاعدة التمييز بين البر والشر. والشريعة الخُلقية مؤسسة على اتباع شريعة الله. يسلك الإنسان سلوكاً حسناً، عندما يعمل كل شيء في سبيل الجميع ولمصلحة الجميع، إذ إنه حينئذ يتّبع شريعة الله.

630 ـ كيف نُميّز بين الخير والشر؟

الخير هو كل ما هو مطابق لشريعة الله، والشر هو كل ما يخالفها. بناء عليه، بعمل الخير يطابق الشخص نفسه مع شريعة الله، وبعمل الشر يخالف تلك الشريعة.

631 ـ هل في إمكان الإنسان أن يُميّز بنفسه بين ما هو من الخير وما هو من الشر؟

أجل، فإذا آمن بالله وأراد معرفة ذلك. وهبه الله الذكاء لكي يميّز الواحد من الآخر.

632 ـ بما أن الإنسان مُعرّض للخطأ، أليس ممكناً أن يُخطئ في حكمه فيما هو من الخير وما هو من الشر، معتقداً أنه يفعل حسناً بينما هو في الواقع، يفعل سوءاً.

قاله لكم المسيح: انظروا ما تريدون أن يعمل الناس لكم أو أن لا يعملوه لكم. كل شيء موجود في هذه التوصية، ولن تخطئوا.

633 ـ قاعدة البر والشر التي يجوز أن نُسمّيها بقاعدة المبادلة أو التضامن، لا تطبّق على سلوك الإنسان الشخصي تجاه نفسه. هل يجد الإنسان في الناموس الطبيعي قاعدة لسلوكه الشخصي وإرشاداً مأموناً له؟

عندما تُفرطون في الأكل تشعرون بوجع في البطن، ولكن الله هو الذي يُريكم القدر الذي تحتاجون إليه من الطعام. وعندما تتجاوزونه تعاقبون بالوجع. والحال ذاته في كل شيء. يرسم الناموس الطبيعي للإنسان حدود حاجاته. وعندما يتجاوزها يعاقب بالألم. ولو كان الإنسان، في كل الأشياء، يستمع إلى ذلك الصوت الذي يقول له «كفاية»، لتجنّب أغلب المضارّ التي يتهم بها الطبيعة.

634 ـ لماذا يكون الشر موجوداً في كيان الأشياء؟ أعني الشر الخُلُقي. أما كان الله بقادر على أن يخلق البشرية على حالة أحسن مما هي؟

سبق أن قلنا لك: خُلِقت الأرواح بسيطة وجاهلة (س 115). يُعطي الله للإنسان الحرية لاختيار الطريق الذي يشاء أن يسلكه. سيلقى شقاء إذا سلك طريق الضلال لأن ترحُّله سوف يطول. فلو لم يكن هناك جبال لما عرف الإنسان الصعود والنزول، ولو لم يكن هناك صخور لما عرف أن هناك أجراماً صلبة. لا بد للروح أن تكتسب المعرفة بالاختبار، ولهذا السبب ينبغي عليه أن يعرف الخير والشر، ولهذا الغرض يوجد اتحاد الروح مع الجسد (س 119).

635 ـ تُثير الأوضاع الاجتماعية المختلفة احتياجات جديدة متباينة بين الناس. ألا يلوح من ذلك أن الناموس الطبيعي ليس هو قاعدة متساوية للجميع؟

هذه الأوضاع المختلفة هي من طبيعة الأشياء وطبقاً لشريعة الارتقاء. لا يعوق ذلك وحدة الناموس الطبيعي الذي ينطبق على كل الأشياء.

(تتغيّر أحوال حياة الإنسان طبقاً للأماكن والأيام. فينجم عن ذلك احتياجات مختلفة وأوضاع اجتماعية ملائمة لهذه الاحتياجات. بما أن هذا التنوّع هو من نظام الأشياء، فهو ينسجم مع شريعة الله، ولا يقلّل شيئاً من وحدة الشريعة في مبدئها. فعلى الإنسان أن يُميّز بعقله احتياجاته الحقيقية من احتياجاته المختلفة أو المصطلح عليها).

636 ـ هل الخير والشر عامان لجميع البشر؟

شريعة الله واحدة للجميع، ولكن يتوقّف الشر على إرادة الشخص للإساءة. الصلاح هو الصلاح دائماً، والشر هو الشرّ دائماً، مهما كان وضع الإنسان. والفرق بينهما هو في درجة المسؤولية.

637 ـ المتوحّش الذي يذعن لغريزته في أكل اللحم البشري، هل هو مذنب في عمله؟

سبق لي القول إن الشرّ يتوقف على الإرادة. يزداد ذنب الإنسان إذن على قدر ما يزداد علمه بما يفعل.

(تُعطي الظروف للخير والشر أهمية نسبية. كثيراً ما يرتكب الإنسان أخطاء ليست أقل ذمّاً، لكونها صادرة عن المنصب الذي أقامه فيه المجتمع، ولكن مقدار مسؤوليته متناسب مع الوسائل التي لديه ليدرك ما هو صواب وما هو خطأ. وبناء عليه، فإن الشخص المتنوِّر الذي يقترف ظُلماً صغيراً، هو أكثر مسؤولية، في نظر الله، من المتوحش الجاهل الذي يستسلم لغرائزه).

638 ـ يبدو أن الشر هو أحياناً نتيجة قوة الأحوال. فمثلاً، قد يجد الإنسان نفسه في بعض حالات، في ظروف تستدعي التدمير، حتى تجاه نظيره في البشرية. أيجوز القول إذن إن هناك مخالفة لشريعة الله؟

لا يزال الشر شراً برغم ضرورته. ولكن تزول هذه الضرورة بقدر ما تتصفّى الروح من حياة إلى أخرى. وحينئذ، يزيد ذنب الإنسان عندما يرتكب الشر لأنه يُحسن فهمه.

639 ـ أليس الشر الذي يرتكبه شخص، في أحيان كثيرة، هو نتيجة الوضع الذي أوجده فيه الآخرون، وفي هذه الحالة، من هو الأكثر ذنباً؟

يقع الشر على من يسببه. وبناء عليه، من يُقاد إلى الشر من جراء الوضع الذي أوجده فيه نظراؤه في الإنسانية، هو أقل ذنباً من الذين كانوا سبباً للشر، إذ أن كل واحد سوف يحتمل ليس فقط جزاء الشر الذي يرتكبه، بل أيضاً الشر الذي يُثيره.

640 ـ من لا يفعل الشر بل يستفيد من الشر الذي يفعله شخص آخر، هل هو مذنب بنفس الدرجة؟

ذنبه كذنب من يفعله، إذ أن من يستفيد من الشر يشترك فيه. ربما هو يتراجع أمام ارتكاب السيّئة، ولكنه عندما يجدها قد تحققت، يستفيد منها، ثم يصادق عليها، وربما كان قد فعلها هو ذاته، لو أمكنه ذلك، أو لو اجترأ عليه.

641 ـ هل من يرغب الشر مخطئ كمن يفعل الشر؟

يتوقف ذلك على موقفه. هناك فضيلة لمن يشعر برغبة في ارتكاب الشر ويقاوم رغبته إرادياً، بخاصة إذا كان بإمكانه تحقيق هذه الرغبة. أما إذا لم يُحقّق رغبته لمجرد عدم وجود الفرصة فهو مذنب.

642 ـ هل يكفي للإنسان أن لا يُسيء ليكون في رضى الله ويضمن حالته المقبلة؟

كلا. لا بد أن يحسن إلى نظيره في الإنسانية، بأقصى قواه، فسيحاسب كل شخص عن أي شر قد جناه، بسبب الخير الذي لم يفعله.

643 ـ أيوجد أناس ليس في إمكانهم أن يعملوا الخير، بسبب مركزهم؟

لا يوجد أحد لا يقدر أن يعمل الخير. الأناني، وحده، هو الذي لا يجد أبداً فرصة لعمل الحسنى. يكفي الاتصال بأناس آخرين لتأتي الفرصة لعمل الخير، ولا يوجد يوم واحد لا يُعطي هذه الفرصة لمن لا تُعميه الأنانية، ليس عمل الخير فقط

في أن يكون الشخص محسناً، بل أن يكون نافعاً على قدر طاقته كلما كان هناك أحد يحتاج إلى مساعدة.

644 ـ أليست البيئة التي وجد فيها بعض أشخاص هي المصدر الأول للكثير من الرذائل والجرائم؟

نعم، ولكن هذه الحالة هي أيضاً تجربة اختارها الروح عندما كان متحرّراً، إذ إنه أراد أن يتعرّض إلى الإغواء لينال استحقاق مقاومته له.

645 ـ عندما يكون الإنسان منغمساً نوعاً ما في جو الفساد، ألا يجتذبه الشر اجتذاباً يكاد لا يُقاوم؟

«يجتذبه»، نعم. و«لا يقاوم»، كلا، إذ أن في وسط جو الفساد هذا، تجد أحياناً فضائل سامية. فهؤلاء هم أرواح كان لهم العزم كي يقاوموا، وفي ذات الوقت كانت مهمتهم ممارسة نفوذ حسن على نظرائهم في البشرية.

646 ـ هل الاستحقاق الناتج من الخير الذي يُعمل معلّق ببعض شروط، أو بتعبير آخر، هل توجد درجات استحقاق مختلفة في عمل الخير؟

الاستحقاق متناسب مع الصعوبة في عمل الخير. ليس هناك استحقاق دون مشقّة وتضحية. يجازي الله، الفقير الذي يقسم قطعة خبزه الوحيدة مع غيره، أكثر من الغني الذي يُعطي فقط مما يزيد على حاجته. قال لكم المسيح ذلك في مثل الأرملة والفلْسين.

4 ـ تقسيم الناموس الطبيعي

647 ـ هل ناموس الله كلّه متضمّن في وصية محبّة القريب التي علّمها المسيح؟

دون شك، لأن هذه الوصية تتضمّن جميع واجبات الناس تجاه بعضهم. لكن من اللازم أن نُريهم كيفية تطبيقها، وإلا فهم سيهملونها كما هو الحال في هذه الأيام. فضلاً عن ذلك، يشمل الناموس الطبيعي جميع ظروف الحياة، وهذه الوصية لا تعدو كونها جزءاً منه فقط. يحتاج الناس إلى قواعد مُدقّقة، لأن الوصايا العامة والقليلة الوضوح تدع مجالاً واسعاً جداً لتفاسير مختلفة.

648 ـ ما رأيكم في تقسيم الناموس الطبيعي إلى عشرة أقسام تشمل السنن في العبادة والعمل والتوالد والبقاء والهدم والاجتماع والارتقاء والمساواة والحرية وأخيراً سنّة العدالة والمحبة والإحسان؟

هذا التقسيم لناموس الله إلى عشرة أقسام هو تقسيم موسى، وقد يشمل جميع ظروف الحياة، وإذا كان هذا مهماً، فلا بأس من اتباعه، ولكن دون أن يكون طابعاً مطلقاً، كما يجب أن لا يكون طابعاً مطلقاً لسائر طرق التبويب الأخرى التي تتوقف على وجهة النظر من حيث ينظر الإنسان إلى شيء.

السنّة الأخيرة هي أهم واحدة، إذ بواسطتها يستطيع الإنسان أن يرتقي ارتقاء كبيراً في الحياة الروحية، لأنها تلخص جميع السُنن.

الفصل الثاني: سُنَّة العبادة

(أول سُنن الطبيعة)

1. غرض العبادة
2. العبادة الظاهرة
3. حياة التأمُّل
4. الصلاة
5. الشِرْك
6. الذبائح

1 ـ غرض العبادة

649 ـ ما هو تفسير العبادة؟

العبادة هي رفع الفكر إلى الله. بالعبادة يقترب الروح من الله.

650 ـ هل العبادة ناتجة من شعور فطري، أم من تعليم البيئة؟

من شعور فطري كالإيمان بالله. عندما يُدرك الإنسان ضعفه، ينحني أمام من يقدر أن يحميه.

651 ـ هل وجدت شعوب لم تشعر بتاتاً بضرورة العبادة؟

كلا، لم توجد أبداً شعوب ملحدة. إذ تشعر جميعها بأن هناك كائناً أعلى منها قادراً على كل شيء.

652 ـ أيصحّ القول إن مصدر العبادة موجود في الناموس الطبيعي؟

هي في الناموس الطبيعي، لأنها ناتجة عن شعور فطري في الإنسان. لذلك توجد عند جميع الشعوب ولو بأشكال مختلفة.

2 ـ العبادة الظاهرة

653 ـ أتحتاج العبادة إلى ظواهر خارجية؟

العبادة الحقّة هي في القلب. في جميع أفعالكم، تذكّروا دائماً أن هناك ربّاً ينظر إليكم.

653 أ ـ هل العبادة الظاهرة ضرورية؟

أجل، إذا لم تكن تظاهراً فارغاً، إذ أن هناك دائماً منفعة في إعطاء مثل صالح. أما الذين يمارسونها فقط تكلّفاً واعتزازاً بالنفس، فإن سلوكها يُكذّب تقواهم الظاهرة، وهم يعطون في الحقيقة مثلاً سيئاً، ويُضرُّون أكثر مما يظنون.

654 ـ هل يُفضّل الله الذين يعبدونه على طريقة معينة بدلاً من غيرها؟

يفضّل الله أولئك الذين يعبدونه من صميم القلب، بنيّة خالصة، بعمل البرّ

وتجنّب الشر، يفضلهم على أولئك الذين يظنّون أنهم يكرمونه بطقوس لا تجعلهم أفضل تجاه نظرائهم في البشرية.

كل البشر أخوة وأبناء الله، وهو ينادي إليه كل الذين يسيرون على شرائعه مهما كان الشكل الذي يعبّرون به عنها.

كل من تقواه هي في المظاهر فقط فهو مراء. ومن تكون عبادته متكلّفة متناقضة مع سلوكه، يعطي قدوة سيئة.

من يعلن جهراً إنه يسجد للقطب العالي بينما هو متكبّر وحسود وغيور، وقاس وبلا شفقة للغير، أو يطمع في متاع هذه الدنيا، أقول لكم إن ديانته هي على شفتيه لا في قلبه. سوف يقول الله الذي يرى كل شيء: والذي يعرف الحقيقة، بأنه أكثر ذنباً بمئة مرة بما يفعله، من همجي الصحراء الجاهل، وسيعامل تبعاً لذلك. إن يصطدم بك شخص أعمى فأنت لا تؤاخذه، ولكن إن كان شخصاً بصيراً، فأنت تشكو منه، وأنت على حق.

لذلك، لا تسأل إن كان هناك طريقة عبادة أفضل من غيرها، كأنك إذن تسأل هل يُسرّ الله أن يُعبد بلغة بدلاً من أخرى. أقول لك مرة أخرى: لا تصل الترانيم إليه إلا عن طريق القلب.

655 ـ ايلام من يُمارس شعائر دين لا يعتقد به في صميم نفسه، إن كان يمارسها بسبب حياء بشري ولكي لا يثير استنكار الذين يفكّرون خلافاً له؟

في هذا الأمر كما في أمور أخرى عديدة، النيّة هي قاعدة التقدير. من يقصد مجرّد احترام اعتقادات الآخرين لا يُخطئ، إذ أن تصرفه أفضل من الذي يهزأ منها لأنه يعبّر عن المحبّة. لكن من يمارس الشعائر الدينية للانتفاع منها أو لمطامحه الشخصية، فهو حقير أمام الله وأمام الناس، لا يرضى الله عن الذين يُظهرون التواضع أمامه لمجرد أن ينالوا رضى الناس.

656 ـ هل العبادة المشتركة مُفَضّلة على العبادة الفردية؟

الأشخاص المجتمعون في وحدة أفكار ومشاعر، عندهم قوة كبيرة لاجتذاب الأرواح الصالحة إليهم. ويحدث نفس الحال عندما يجتمعون لعبادة الله. لكن، لا تظنُّوا أن العبادة الفردية ليست مقبولة، إذ يجوز لأي شخص أن يعبد الله بالتفكير به.

3. حياة التأمُّل

657 ـ الذين يمكثون على حياة التأمل ولا يفعلون الشر أبداً، ويفكّرون بالله فقط، هل لهم استحقاق أمام الله؟.

كلا، لأنهم إذا كانوا لا يفعلون الشر فهم لا يفعلون الخير، ومن ثم فهم بلا فائدة. فضلاً عن ذلك، فإن عدم عمل الخير هو في ذاته شر. يريد الله أن نفكّر به، ولكنه لا يريد أن نفكّر به فقط، ما دام ينبغي على الناس أن يؤدوا واجبات على الأرض. من يُهلك نفسه في الصلاة العقلية وفي التأمل، لا يفعل شيئاً ذا استحقاق في نظر الله، لأنه جعل حياته لنفسه فقط، وبلا فائدة للإنسانية، وسيحاسبه الله عن الخير الذي لم يفعله (س 640).

4. الصلاة

658 ـ هل يقبل الله الصلاة؟.

يقبل الله الصلاة دائماً، عندما تصدر من القلب، لأن النية هي أهم شيء عند الله، وصلاة القلب أفضل من الصلاة الجهرية مهما كانت جميلة، التي تقرأها بالشفتين أكثر مما بالفكر. يرضى الله بالصلاة عندما يُصلّي الشخص بإيمان وحرارة وإخلاص. لكن لا تظن أن الله يتأثر بصلاة المُفتري والمتكبّر والأناني، إلا إذا كانت ناتجة عن توبة خالصة وتواضع حقيقي.

659 ـ ما هو طابع الصلاة عامةً؟.

الصلاة هي فعل عبادة. من يصلي يفكر بالله ويدنو منه ويتصل به. بالصلاة يقصد المصلي ثلاثة أغراض: التسبيح والطلب والشكر.

660 ـ هل الصلاة ترقي الإنسان؟.

نعم، فإنَّ من يصلي بحرارة وثقة هو أقوى ضد وساوس الشرير. ويرسل الله أرواحاً صالحة لتسعفه. هذا هو إسعاف لا يُرفض أبداً عندما يُلتَمس بصفاء القلب.

660 1 ـ كيف يحدث أن بعض الأشخاص يصلون كثيراً وهم، مع ذلك، سيئو الطبع وحساد وغيورون وشرسون، ويقصرون في اللطف والسماح وحتى أنهم أحياناً فاسدون؟.

ليس المهم أن تصلوا كثيراً، بل أن تصلوا بنحو صحيح، يظن هؤلاء الأشخاص أن الاستحقاق كلّه هو في طول الصلاة، ويتغافلون عن عيوبهم الشخصية. في نظرهم فإن الصلاة هي شُغلَة وقطع وقت، وليست فحصاً لنفوسهم. ليس الدواء هو الذي لا يجدي نتيجة بل كيفية استعماله.

661 ـ هل هناك فائدة من الصلاة لله ليغفر لنا أخطائنا؟

يستطيع الله التمييز بين الخير والشر، والصلاة لا تدفن الأخطاء. فمن يطلب من الله أن يغفر له أخطاءه لا يحصل على الغفران إلا بتغيير سلوكه. فإن أسمى الأفعال الصالحة هي أفضل الصلوات، لأن الأفعال خير من الكلام.

662 ـ هل هناك فائدة من الصلاة من أجل الغير؟.

روح من يصلي تفعل حين ترغب بعمل الخير. بالصلاة يجذب الشخص إليه الأرواح الصالحة، فتشترك معه في إنجاز الخير الذي يريد أن يفعله

نملك داخلنا، بالفكر وبالإرادة، قدرة عمل تمتد أبعد بكثير من حدود دائرتنا الجسدية. والصلاة من أجل الغير هي فعل تلك الإرادة. إن كانت حارة وصادقة فهي تجتذب إعانة الأرواح الصالحة فتوحي إليه أفكاراً صالحة وتعطي له قوة الجسد والروح التي يحتاج إليها. لكن هناك أيضاً، صلاة القلب التي هي كل شيء وصلاة الشفاه التي هي لا شيء.

663 ـ الصلوات التي نصليها من أجلنا، هل تستطيع أن تغير طبيعة تجارينا وتعدل سيرها؟

تجاربكم بأيدي الله، هو يستوجب احتمالها. وهو يُراعي كل حين الاستسلام لمشيئته. تجتذب الصلاة إليكم الأرواح الصالحة. فتقويكم لكي تحتملوا تجاربكم بشجاعة، فتبدو لكم أخف حملاً. سبق أن قلنا، ليست الصلاة أبداً بلا فائدة، فعندما يصلي المرء بصدق، فإن صلاته تقويه، وهذه نتيجة كبيرة. أنت تعرف إن المثل يقول: قم بقسطك، والله يقوم بالباقي. وفضلاً عن ذلك، لا يستطيع الله أن يغير نظام الخليقة حسب رغبة كل فرد، إذ أن ما هو شر جسيم في نظرتكم القصيرة المدى ونظرة حياتكم السريعة الزوال، هو في أحيان كثيرة خير كبير في نظام الكون العام. ثمَّ إن الإنسان عادة هو نفسه مُسبِّب بلاياه بقصر نظره أو بأخطائه، ولذا فهو يُعاقب من حيث أخطأ. ومع ذلك، تجاب الطلبات العادلة أكثر مما تظنون.

تقولون أحياناً إن صلواتكم ذهبت عبثاً، لأن الله لم يأت لكم بمعجزة، بينما هو يعينكم بوسائل طبيعية جداً إلى درجة أنها تلوح لكم كصدفة أو من طبيعة الأشياء. في أغلب الأحيان، يلقي إليكم بالفكرة اللازمة لتخلّصوا أنفسكم بأنفسكم من الورطة.

664 ـ هل هناك فائدة في الصلاة من أجل الأموات ومن أجل الأرواح المعذبة، وفي هذه الحال، كيف تستطيع صلواتنا أن تخفف عذابهم وتقصر شقاءهم؟ هل يمكن أن تلين عدالة الله؟.

لا يمكن أن ينتج عن الصلاة تغيير في مقاصد الله، لكن الروح الذي تصلون من أجله يشعر بتخفيف عذابه لأن الصلاة تعبر عن اهتمام أحد به، ولأن المسكين يشعر دائماً بسلوى عندما يجد محسنين يشاطرونه آلامه، من جهة أخرى، بالصلاة تثار التوبة في الروح والرغبة لعمل اللازم للحصول على السعادة. وفي هذا المعنى، من الممكن تقصير شقائه، إذا ساهم هو بعزيمته الصادقة. فإن هذه الرغبة بالارتقاء، التي أثارتها الصلاة، تجذب إلى جانب الروح المعذب أرواحاً من درجة سامية تأتي لإنارته وتعزيته وتأميله خيراً. كان المسيح يصلي من أجل الخراف الضالة، فهو يريكم بذلك بأنكم سوف تكونون مذنبين إذا لم تصلوا من أجل الذين هم بحاجة شديدة إليها.

665 ـ ماذا تقولون عن رأي الذين يستنكرون الصلاة للأموات، من كون الإنجيل لم يوص بها؟.

قال المسيح للبشر: «أحبوا بعضكم بعضاً». تتضمن هذه التوصية الواجب على جميع الناس ليعملوا كل ما في وسعهم ويعبروا عن ودهم للأموات، دون أن يدخل في أي تفصيل عن كيفية حصول هذا الهدف. صحيح أنه لا شيء يستطيع أن يدفع الخالق وصاحب العدل ذاته إلى أن يطبق عدله في كل أفعال الروح، ولكنه صحيح أيضاً أن الصلاة التي توجهونها إليه من أجل التودد إليه، هي دليل على التذكر وهو يساعد على تخفيف عذاب الإنسان ويعزيه بها.

حينما يبدي الروح أصغر دليل على ندمه، ففي هذا الحين فقط، يسعف، ولكن يعلم أن شخصاً منجذباً إليه قد اهتم به، إذ يدرك بالفكرة اللطيفة بأن تشفع الآخرين قدم له فائدة. فيشعر هو بمعنوية ومودة نحو من أعطاه برهاناً على حبه له أو شفقته عليه. من ثم، فإن المحبة التي كان يوصي بها المسيح إلى البشر نمت وازدادت

بين الناس، وبالتالي فقد أطاع الاثنان سنة المحبة والاتحاد بين سائر الخليقة، تلك السنة الإلهية التي ستجيء بالوحدة التي هي هدف وغاية الروح[1].

666 ـ أيصح أن نصلي إلى الأرواح؟.

يصح أن تصلوا إلى الأرواح الصالحة بصفتهم رسل الله ومنفذو مشيئاته. إلا أن فائدتهم تتناسب مع درجة ارتقائهم، ويعود الأمر دائماً إلى سيد كل الأشياء، الذي دون إذنه لا يحدث شيء بتاتاً. لذلك، فليس هناك نتيجة من الأدعية الموجهة لهم، إلا إذا رضي الله بها.

5ـ الشرك

667 ـ لماذا الشرك هو إحدى العقائد الأكثر أقدمية والأكثر انتشاراً برغم إنه باطل؟.

كان لا بد لفكرة إله وحيد، أن تكون نتيجة تطور أفكار الإنسان. من جراء جهله، ولعجزه أن يتصور كائناً لا مادياً وبلا شكل معين يؤثر على المادة، أعطى الإنسان لله خصائص الطبيعة الجسدية، أي شكلاً ووجهاً، ومنذئذ، فإن كل ما كان يبدو له إنه يفوق نسب الذكاء السائد، كان إلهاً. وكل ما لا يفهمه، كان لا بد أن يكون صنيعة قوة موجودة فوق الطبيعة، ومن هذا إلى الاعتقاد بآلهة مختلفة بقدر ما كان يرى من محدثات، كان على بعد خطوة واحدة. إلا أنه في جميع الأزمنة، ظهر أناس منورون فهموا استحالة قوى متعددة تحكم الكون دون إرادة عُليا عليها، فارتفعوا إلى فكرة إله وحيد.

668 ـ بما أن الظواهر الارواحية حدثت في جميع الأزمنة وكانت معروفة منذ أقدم عصور العالم، ألم تسبب الاعتقاد بتعدد الآلهة؟.

لا شك في ذلك، فبما أن البشر كانوا يسمون بإله كل ما كان يفوق الحالة البشرية، فقد كانت الأرواح آلهة لهم. لهذا السبب كلما اشتهر احد على سائر الناس بأعماله أو عبقريته أو بقوة خفية لا يفهمها العامة، كانوا يجعلونه إلهاً ويعبدونه بعد موته (س 603).

---

(1) أعطى هذا الجواب روح م. مونو، كاهن بروتستانتي من باريس، مات في شهر ابريل سنة 1856. أعطى الجواب السابق رقم 664 في مارلويس.

كان لكلمة إله عند الأقدمين، معنى واسع جداً، لم تكن، كما في أيامنا الحاضرة تشخيصاً لسيد الخليقة، بل كانت وصفاً شامل المعنى يعطى لأي كائن يُرفع فوق الحالات البشرية. وبما أن التجليات الأرواحية أظهرت لهم وجود كائنات لا جسدية تعمل كقوة من قوى الطبيعة، فقد سموها آلهة كما نحن نسميها أرواحاً. كانت المسألة مسألة تسمية، مع الفرق أنه بسبب جهلهم، الذي حافظ عليه قصداً أولئك الذين كانوا يجدون مصلحتهم فيه كانوا يبنون لهم معابد وهياكل مريحة جداً، بينما هم بالنسبة إلينا، مجرد مخلوقات مثلنا، كاملة كثيراً أو قليلاً، بعد أن خلعت غلافها الجسدي. إذ درسنا باعتناء مختلف صفات الآلهة الوثنية، فسوف نتعرف بسهولة على جميع صفات أرواحنا في كافة درجات التدرج الأرواحي، وعلى حالتها الجسدية في العوالم السامية، وعلى كافة خاصيات إطار الروح، والدور الذي تقوم به في أمور الأرض.

وعندما بعثت المسيحية النور الإلهي على العالم، لم تهدم شيئاً هو من الخليقة، بل جعلت العبادة تتوجه إلى من تتوجب له وحده. أما بخصوص الأرواح، فدام ذكرهم تحت أسماء مختلفة، وفقاً للشعوب، وفسرت بتفاسير شتى مخاطباتهم التي لم تنقطع أبداً، والتي استغلت في أحيان عديدة تحت تأثير الخوف، بينما كان الدين يرى فيها ظواهر عجائبية، وكان الذين لا يصدقون بها يرون فيها شعوذة. أما في عصرنا الحاضر وبفضل دراسات دقيقة أجريت علناً، كشفت لنا الارواحية، بتجريدها من الآراء الخرافية التي حجبتها على مر القرون، مبدأ من أعظم وأجل مبادئ الخليقة.

6. الذبائح

669 ـ ترجع عادة تقديم ذبائح بشرية إلى الماضي السحيق. ما الذي دفع الإنسان إلى الاعتقاد بأن حاجات كهذه قد يرضي الله بها؟

أولاً لأن الإنسان ما كان يفهم الله كمصدر الطيبة. في الشعوب البدائية، وكانت المادة تغلب الروح، فيستسلمون لغرائز الوحوش، ولهذا السبب كانوا قساة القلب عادة، لأن الوعي الأدبي لم يتطور فيهم بعد، ولأن البدائيين كانوا بالتأكيد يعتقدون أن لمخلوق حي قيمة أكبر بكثير في نظر الله من حاجة مادية. ذلك التفكير هو ما دفعهم إلى التضحية بحيوانات في البداية ثم ببشر فيما بعد، إذ أنه تبعاً لاعتقادهم الضال، كانوا يظنون أن قيمة الذبيحة متناسبة مع أهمية الضحية.

في الحياة المادية كما يمارسها أغلبكم، عندما تهدون هدية لأحد، تختارون دائماً هدية قيمتها تعادل مقدار الاعتبار والمودة التي تريدون التعبير عنها، هكذا كان موقف أناس جهلاً إزاء الله.

669 أ ـ يجوز القول إذن إن تضحية الحيوانات سبقت الذبائح البشرية؟

لا شك في ذلك.

669 ب ـ وفقاً لهذا التفسير، من المحتمل أن الذبائح البشرية ما كانت ناتجة من قساوة قلب؟

مضبوط، وإنما من فكرة خاطئة في إرضاء الله. انظر إلى إبراهيم. وفيما بعد أفرط الناس في التضحية بأعدائهم، وحتى بأعدائهم الشخصيين. على كل حال، لم يوجب الله أبداً الذبائح، لا الحيوانية ولا البشرية، إذ لا يجوز تكريم الله بإتلاف خليقته، إتلافاً لا نفع منه.

670 ـ الذبائح البشرية التي أقيمت بدافع الورع، هل كانت غير مقبولة عند الله؟

كلا. أبداً. غير أن الله يحكم حسب النية. وبما أن الناس كانوا جهلاء، فقد اعتقدوا أنهم يفعلون عملاً حميداً بتضحية أحد نظرائهم في البشرية كضحية. في تلك الحالة، كان الله يقبل النية وليس الفعل ذاته. ومع ارتقاء الناس، فقد عرفوا خطأهم واستنكروا تلك الذبائح التي لا يمكن أن تقبلها عقول مستنيرة. أقول مستنيرة، لأن الأرواح كان يحجبها حينذاك الحجاب المادي، ولكن بحرية الإرادة، كانوا يستطيعون أن يلمحوا أصلهم ومقصد حياتهم، وكثير منهم كانوا يدركون، بالبديهة، الشر الذي كانوا يرتكبونه، ولكنهم كانوا لا يقلعون عنه من أجل إرضاء شهواتهم.

671 ـ ما رأيكم بالحروب المسماة بحروب مقدسة؟ ذلك الشعور الذي يدفع الشعوب المتعصبة إلى الفتك بأكبر عدد ممكن من الذين لا يشاركونهم في عقائدهم، بقصد إرضاء الله، يبدو أن ذلك يأتي من نفس المصدر الذي كان يدفعهم إلى التضحية بنظرائهم في البشرية؟

تدفعهم الأرواح الشريرة، وبخوضهم الحرب ضد نظرائهم من البشر، يخالفون مشيئة الله القائلة بأن على كل إنسان أن يحب أخاه في البشرية كما يحب نفسه. وبما أن كل الأديان، أو بالأحرى كل الشعوب تعبد خالقاً واحداً، ولا يهم الاسم الذي يعطى له، فلماذا خوض حرب تفتك بهم، لمجرد أنهم من دين آخر، أو لأن دينهم لم

يصل بعد إلى التقدم الذي وصلت إليه الشعوب المستنيرة؟ الشعوب معذورة لأنها لا تؤمن بكلمة من كان ينعشه روح الله وكان مرسلاً منه، لأنهم لم يروه ولم يشهدوا أعماله. فهل يمكن لهذه الشعوب أن تصدق كلمة السلام التي تفوه بها، إن كنتم تذهبون إليهم والسلاح بيدكم؟ هؤلاء بحاجة إلى التنور وواجبكم وواجبنا هو أن نحاول نشر تعاليمه بينهم بالإقناع وباللطف، لا بالقوة وبسفك الدم. لا يصدق أغلبكم مخابراتنا مع بعض الناس. فكيف تريدون أن يصدقكم غرباء فوراً على أول كلمة تتفوهون بها، بينما تكذب أفعالكم المذهب الذي تنشرونه.

672 ـ هل كان في تقدمه خيرات الأرض إلى الله استحقاق أكبر في نظره من ذبيحة الحيوانات؟.

سبق أن أجبت قائلاً إن الله كان يحكم حسب النية وإن للفعل مكانة صغيرة في نظره.

نعم كان ذلك أكثر قبولاً عنده حين تقدم له خيرات الأرض بدلاً من التضحية بضحايا. سبق لنا القول لكم ونكرر عليكم كل حين، بأن الصلاة الآتية من صميم القلب مقبولة أضعافاً مضاعفة على جميع التقدمات التي بإمكانكم أن تقدموها إليه. أكرر مرة أخرى إن النية هي الكل والفعل لا شيء.

673 ـ ألا توجد طريقة تجعل الله يقبل هذه التقدمات لتخفيف عذاب الذين تعوزهم ضرورات الحياة، وفي هذه الحال ألا يعطي ذبح الحيوانات لغرض نافع استحقاقاً، في حين أنه عندما كان مفرطاً، كان لا يُجدي نفعاً لأي شيء، أو كان يفيد فقط أناساً لا يحتاجون لأي شيء؟ أليس هناك شيء خيري حقاً بأن يخصص للفقراء بواكير الأرزاق التي يمنّ الله بها على الأرض؟

يبارك الله دائماً المحسنين، وأفضل طريقة لتكريمه هي تخفيف عذاب الفقراء والحزناء. لا أعني بذلك أن الله يستنكر الطقوس التي تقيمونها للتوسل إليه، ولكن أموالاً كبيرة تصرف فيها كان من الممكن أن تستعمل بشكل أنفع مما هو الآن، يحب الله البساطة في كل الأشياء، والإنسان الذي يتمسك بالظواهر وليس بالقلب هو شخص ضيق النظر، تصوروا لو كان الله يتمسك بالمظهر بدلاً من الجوهر.

الفصل الثالث: سنة العمل

(ثاني سُنن الطبيعة أو الخليقة)

1ـ ضرورة العمل

2ـ حَدّ العمل ـ الراحة

1 ـ ضرورة العمل

674 ـ هل ضرورة العمل هي من سنن الخليقة؟.

العمل هو إحدى سنن الخليقة لأنه من الضرورات، تُجبر المدنية الإنسان أن يزيد عمله لأنها تزيد احتياجاته ومتعه.

675 ـ هل يقصد بالعمل مجرد الأشغال المادية؟.

كلا، لأن الروح تشتغل كالجسد، ولأن أي شغل نافع هو عمل.

676 ـ لماذا فرض العمل على الإنسان؟.

لأنه نتيجة لطبيعته الجسدية. ولأنه أيضاً تكفير عن أخطائه، وفي نفس الوقت وسيلة لتحسين ذكائه. إذا لم يعمل الإنسان فسيظل ذكاؤه طفولياً، ولذلك، لا يحصل على الطعام والطمأنينة و الرفاهية إلا بالعمل والجهد. أما من كان جسمه ضعيفاً جداً، فيعوض الله ضعفه بالذكاء، لأن النشاط العقلي هو عمل أيضاً.

677 ـ لماذا تدبر الطبيعة من عندها جميع احتياجات الحيوانات؟.

يشتغل كل شيء في الخليقة وتشتغل الحيوانات مثلما أنت تشتغل، ولكن عملهم، كذكائهم، مقتصر على الاهتمام ببقائهم، وهذا يفسر لماذا لا يلزمهم التقدم، بينما العمل عند البشر له هدفان، صون الجسد ونمو الفكر الذي هو أيضاً من لوازم الإنسان، فهو يرفعه أعلى من نفسه. وعندما أقول إن أعمال الحيوانات تقتصر على الاهتمام ببقائها، أعني الغرض الذي تقصدونه، فهي تعمل لسد احتياجاتها المادية، وهي دون علمها، وسطاء يساهمون في تنفيذ مقاصد الخالق، وعلمهم يشارك في تحقيق هدف الخليقة النهائي، ولو إنكم عادة لا تكشفون نتيجته المباشرة.

678 ـ في العوالم الأكثر ارتقاءً منا، هل يخضع الإنسان لضرورة العمل هذه؟.

يتوقف نوع العمل على نوع الاحتياجات. فكلما قلت مادية الاحتياجات، قلت مادية العمل. لكن لا يعني ذلك أن الإنسان يمكث دون عمل ودون نفع؛ لأن عدم العمل قد يكون عذاباً له لا نعمة.

679 ـ من يملك أملاكاً تكفي لتضمن له عيشته، هل هو معفى من سنة العمل؟.

ربما هو معفى من العمل المادي لا من واجبه ليكون نافعاً على قدر طاقته، وليحسن ذكائه أو ذكاء الآخرين، وهذا أيضاً هو عمل. فإذا أعطاه الله أملاكاً كافية لتضمن عيشته فهو ليس مضطراً أن يقتات بعرق جبينه، ولكن واجبه ليكون نافعاً لنظرائه في البشرية يزداد قدر نصيبه من الرخاء الذي ييسر له أوقاتاً فارغة ليعمل الخير.

680 ـ ألا يوجد أناس عاجزون عن أي عمل، ويعيشون عيشة بلا نفع؟.

الله عادل ويدين فقط من يعيش عيشة فارغة إرادياً، لأن هذا يعيش عبئاً على عمل الآخرين. ما يريده الله هو أن يكون كل واحد نافعاً على قدر ما يستطيع (س. 643).

681 ـ هل تفرض سنة الطبيعة على الأبناء واجب للعمل من أجل والديهم؟.

دون شك، كما يجب أيضاً على الوالدين أن يشتغلوا من أجل أبنائهم. ولهذا السبب جعل الله من المحبة البنوية ومن المحبة الأبوية عاطفة طبيعية، فبواسطة هذا التودد المتبادل يميل أعضاء العائلة إلى مساعدة بعضهم بعضاً. وهذا هو ما يتجاهله عدد كبير من الناس في مجتمعكم الحالي (س. 205)[1].

2ـ حد العمل ـ الراحة

682 ـ بما أن الراحة ضرورية بعد العمل، أليست هي من سنن الطبيعة؟.

دون شك، لأن الراحة تساعد على استعادة قوى الجسد، ولأنها لازمة أيضاً لإعطاء حرية كافية للذكاء ليرتفع فوق المادة.

683 ـ ما هو حد العمل؟.

هو حد القوى الجسدية. وعلى كل حال، يترك الله الإنسان حراً في هذا الشأن.

684 ـ ما رأيكم بالذين يفرطون في سلطتهم و يفرضون على مرؤوسيهم مزيداً من العمل؟.

هذا فعل من أسوأ الأفعال. إن أي إنسان يمسك بمقاليد السلطة مسؤول عن الزيادة في العمل التي يفرضها على مرؤوسيه، إذ أنه يخالف سنة الله (س. 273).

---

(1) أي في أواسط القرن التاسع عشر (المترجم).

685 ـ هل للإنسان الحق أن يستريح في شيخوخته؟.

نعم، ليس مجبراً على العمل إلا على قدر طاقته.

685 أ ـ لكن علام يستند الشيخ الذي يحتاج إلى أن يشتغل ولا يستطيع؟.

واجب القوي هو أن يسعى لمساعدة الضعيف. فإذا لم يكن له عائلة تعيله، فعلى المجتمع أن يقوم بهذا الواجب. هذه هي سنة المحبة.

لا يكفي القول إنه يجب على الإنسان أن يشتغل، بل ينبغي أيضاً لكل من يعيش من شغله، أن يجد شغلاً، وهذا هو ما لا يحدث دائماً. عندما تسود البطالة كل الفئات، فهذا يصل إلى حجم كارثة كالقحط. يبحث علم الاقتصاد عن الداء، في التوازن بين الإنتاج والاستهلاك. إلا أن هذا التوازن، إذا افترضنا أنه ممكن، فسوف يكون له استثناءات، وخلالها، يحتاج العامل إلى أن يعيش. هناك عنصر لم يعط بعد الأهمية اللازمة، ومن دونه، لا يعدو علم الاقتصاد كونه نظرية:

وهذا العنصر هو التهذيب، لا التهذيب الثقافي بل التهذيب الأدبي، وليس أيضاً التهذيب الأدبي بواسطة الكتب وإنما التهذيب الذي هو فن تأديب الطباع والذي يعطي عادات حسنة للشخص، إذ أن التهذيب هو مجموع العادات المكتسبة. فعندما نفكر في عدد الأفراد الكبير الذي يتدفق يومياً، دون مبادئ، مطلقين العنان إلى غرائزهم الذاتية، فهل نتعجب من النتائج الوخيمة العواقب الناجمة عن ذلك؟.

عندما يعرف الإنسان هذا الفن ويفهمه ويمارسه، فسوف يجلب إلى العالم عادات ونظاماً للمستقبل، لنفسه ولذويه، وعادات من أجل احترام ما هو جدير بالاحترام. وهذه العادات ستساعد المجتمع على أن يجتاز بألم محتمل الأيام السوداء الآتية حتماً. فالفوضى وعدم الاستعداد للمستقبل هما آفتان اجتماعيتان يستطيع فقط تهذيب حقيقي أن يتغلب عليهما. وهذا التهذيب هو نقطة الانطلاق وعنصر الرخاء الحقيقي والضمان الاجتماعي للجميع.

الفصل الرابع: سنة التوالد

(ثالث سنن الطبيعة أو الخليقة)

1ـ سكان العالم

2ـ تعاقب الأجناس وارتقاؤها

3ـ الموانع ضد التوالد

4ـ الزواج والعزوبة

5ـ تعدد الزوجات.

1. سكان العالم

686 ـ هل توالد الكائنات الحية هو من سنن الطبيعة؟.

طبعاً، إذ دون التوالد يفنى العالم الجسدي.

687 ـ لو استمر تكاثر السكان المتزايد الذي نشاهده، هل يأتي يوم يفيض فيه عدد السكان على الأرض؟.

كلا، لأن الله يدبر الأشياء ويحفظ التوازن على الدوام، فهو لا يفعل شيئاً لا نفع منه. ولكون الإنسان لا يرى إلا جزءاً صغيراً من مشهد الطبيعة، فهو لا يستطيع أن يحكم في توازن الجماعة.

2. تعاقب الأجناس وارتقاؤها

688 ـ توجد في الوقت الحاضر أجناس بشرية يقل عددها بشكل واضح هل يأتي يوم يتم انقراضها منه على سطح الأرض؟.

حقاً، ولكن السبب هو أن أجناساً أخرى أخذت مكانها مثلما أن أجناساً أخرى ستأخذ مكانكم يوماً ما.

689 ـ هل البشر الحاليون هم خليقة جديدة أم هم الأخلاف المتحسنون المنحدرون من البشر البدائيين؟.

هم نفس الأرواح الذين عادوا في أجساد جديدة ليتحسنوا في سيرهم نحو الكمال، ولكنهم لا يزالون بعيدين عنه. وهكذا، فالجنس البشري الحالي بازدياده يتقدم نحو اكتساح الأرض كلها وأخذ مكان الأجناس التي تنقرض، وسيبلغ مرحلة تضاؤله وانقراضه، ثم تأتي أجناس بشرية أخرى محسنة، ومنحدرة من البشرية الحالية لتأخذ مكانها، مثلما البشر المتحضرون الحاليون ينحدرون من الشعوب الخشنة المتوحشة التي كانت تعيش في العصور البدائية.

690 ـ من زاوية جسدية بحتة، هل أجساد الجنس الحالي هي خليقة أم أنها أتت من الأجساد البدائية عن طريق التناسل؟.

يضيع أصل الأجناس في مجاهل الأزمنة، ولكن بما أنها تنتسب جميعها إلى الأسرة البشرية الكبرى، فأياً كانت النبعة البدائية لأي جنس منها، فقد استطاعت أن تصاهر بين بعضها وأن تنتج أجناساً جديدة.

691 ـ من زاوية جسدية، ما هو الطابع المميز والسائد في الأجناس الأولية؟

تغلب القوة الوحشية على القوة العقلية. أما الآن فهو العكس، إذ أن الإنسان يعمل بالذكاء أكثر مما يعمل بالقوة الجسدية، وبرغم ذلك ينتج مائة مرة أكثر لأنه تعلّم كيف ينتفع من قوى الطبيعة، وهذا ما لا تفعله الحيوانات.

692 ـ هل تحسين الأجناس الحيوانية والنباتية بطرق علمية، مضاد لناموس الخليقة؟ أليس أكثر مطابقة لذلك الناموس أن تترك الأشياء تسير سيرها الطبيعي؟.

يجب أن يفعل كل ما يمكن عمله للوصول إلى الكمال، والإنسان ذاته هو أداة يستعملها الله ليصل إلى مقاصده. وبما أن الهدف الذي تتطلع إليه الخليقة هو الكمال، فبتلبية أغراضها، يتيسر حصول هذا الكمال.

692 أ ـ لكن ما يدفع الإنسان عادة في مجهوده لتحسين الأجناس هو مصالحه الشخصية، وهدفه الوحيد هو زيادة تنعمه. ألا ينقص هذا من استحقاقه؟.

لا يهم إذا لم يكن له استحقاق، ما دام يحقق التقدم. على الإنسان أن يجعل عمله مستحقاً بالنية. وفضلاً عن ذلك، فهو بهذا العمل يمرن ذكاءه ويزيده، وبهذا الاعتبار يزداد انتفاعه كثيراً.

3 ـ الموانع ضد التوالد

693 ـ هل القوانين البشرية والعادات التي تتبنى إقامة موانع الحمل، هي مضادة لناموس الطبيعة؟.

كل ما يعرقل الطبيعة في سيرها هو مضاد للناموس العام.

693 أ ـ مع ذلك، توجد أنواع كائنات حية، كالحيوانات والنباتات، ذوات توالد غير محدُد قد يكون مضراً لأنواع أخرى، ومن ذلك قد يكون الإنسان الضحية عن قريب، هل يُخطئ الإنسان بإيقاف هذا التوالد؟.

أعطى الله للإنسان سلطاناً على سائر الكائنات الحيَّة فيجب عليه أن يمارسه للخير، وأن لا يفرط فيه. يستطيع تنظيم التوالد بحسب الاحتياجات ويجب عليه أن لا يعرقله دون سبب. إن أعمال الإنسان الذكية هي موازنة أقامها الله لإعادة التوازن بين قوى الطبيعة، وهذا أيضاً هو ما يميِّز الإنسان عن الحيوانات، لكونه يفعل أفعاله عن علم، لكن الحيوانات ذاتها تساهم أيضاً في هذا التوازن، إذ أن غريزة الإتلاف التي أعطيت لها، حين تدبر بقاءها، تعمل على إيقاف التكاثر المُفرط والخطير أحياناً في الأنواع الحيوانية والنباتية التي تقتات منها.

694 ـ ما رأيكم في استعمال وسائل بقصد إيقاف التوالد لإرضاء الشهوانية؟.

يدل ذلك على تغلب الجسد على الروح، وكم هو الإنسان منغمس في المادة

4ـ الزواج والعزوبة

695 ـ هل الزواج، أعني قران شخصين على الدوام، مضاد لناموس الطبيعة؟.

بل هو تقدم في سير الإنسانية.

696 ـ ماذا تكون نتيجة إبطال نظام الزواج على المجتمع البشري؟.

الرجوع إلى حياة البهائم.

فالاتصال الجنسي الفالت الطارئ: هو حالة الطبيعة، بينما الزواج أحد أفعال التقدم الأولى في المجتمعات البشرية، لأنه يُقر التضامن الإنساني، ولأنه موجود عند جميع الشعوب، ولو في أشكال متخالفة. لذلك فإن إبطال نظام الزواج قد يكون رجوع الإنسانية إلى طفولتها وربما يضع الإنسان في مستوى أسفل حتى من بعض حيواناته، التي تعطي للإنسان مثال قرانات ثابتة.

697 ـ هل عدم انحلالية الزواج هي سنة من سنن الطبيعة، أم مجرد تشريع بشري؟.

هي تشريع بشري مخالف جداً لسنة الطبيعة. إلا أن الناس يستطيعون تغيير شرائعهم، بينما سنن الطبيعة هي الوحيدة التي لا تتغير.

689 ـ هل العزوبة الاختيارية حالة كمال تعطى استحقاقاً عند الله؟.

كلا، والذين يعيشون هكذا عن أنانية لا يرضون الله ويغشون كل الناس.

699 ـ أليست العزوبة عند بعض أشخاص تضحية في سبيل تكريس حياتهم بأسرها لخدمة الإنسانية؟.

تختلف هذه الحالة جداً عن الحالة السابقة. أنا قلت «عن أنانية». ولكن هناك استحقاق في أية تضحية شخصية من أجل الخير، وكلما كانت التضحية أكبر كلما كان الاستحقاق أكبر.

يستحيل أن يتناقض الله وأن يستنكر ما أقامه. لذلك يستحيل أن يرى استحقاقاً في مخالفة سننه. لكن إذا لم تكن العزوبة في ذاتها حالة تعطي استحاقاً، فيختلف الأمر، فبالتخلي عن الأفراح العائلية، يقوم أحد الناس بتضحية لصالح الإنسانية. وأية تضحية شخصية في سبيل الخير، خالية من نية أنانية مبيتة، ترفع الإنسان أعلى من حالته المادية.

5 ـ الضرُّ (تعدد الزوجات)

700 ـ هل المساواة العددية بفرق بسيط في عدد الذكور والإناث، دليل على النسبة التي بمقتضاها يجب أن يتزوجوا؟.

أجل، إذ أن في الطبيعة كل شيء له غرض.

701 ـ أيهما يتوافق أكثر مع ناموس الطبيعة، الضرُّ أم الزواج الأحادي؟.

الضر تشريع بشري يدل إبطاله على تقدم اجتماعي. يجب أن يكون الزواج، كما يريده الله، مؤسساً على ودّ الشخصين اللذين يقترنان. وفي تعدد الزوجات لا يوجد ودّ حقيقي وإنما شهوانية فقط.

لو كان الضر مطابقاً لسنَّة الطبيعة، لكان من الضروري أن يشمل كل الناس، وهذا مستحيل حتماً، نظراً للتساوي في عدد الذكور والإناث.

لذلك يجب اعتبار الضر كعرفٍ أو تشريعٍ خاص يتوافق مع بعض العادات، والارتقاء الاجتماعي يزيله شيئاً فشيئاً.

الفصل الخامس: سُنة البقاء

(رابع سنن الطبيعة أو الخليقة)

1. غريزة البقاء
2. وسائل البقاء
3. التمتع بالمتع الأرضية
4. الحاجيات والكماليات.
5. الامتناعات الإرادية. التقشف.

1 ـ غريزة البقاء

702 ـ هل غريزة البقاء من سنن الطبيعة؟.

دون شك، إذ أعطيت لجميع الكائنات الحيّة على اختلاف درجات ذكائها. في بعضها كانت الغريزة عفوية، وفي البعض الآخر نتيجة التفكير.

703 ـ لأي غرض أعطى الله لجميع الكائنات غريزة بقائها؟.

لأن من الواجب على جميع المخلوقات أن تساهم في مقاصد العناية الآلهية. ولهذا الفرض أعطاها الحاجة إلى الحياة. وفوق ذلك، فالحياة ضرورية لتحسين الكائنات، فهي تشعر بهذه الضرورة بديهياً دون أن تدري.

2 ـ وسائل البقاء

704 ـ عندما أعطى الله للإنسان الحاجة إلى الحياة، هل أمدّه في كل حين بالوسائل اللازمة ليعيش؟.

أجل، فإذا لم يجدها فلأنّه لا يفطن لها. يستحيل أن يعطي الله للإنسان الحاجة إلى الحياة دون أن يعطيه الوسائل اللازمة ليعيش، ولهذا السبب جعل الأرض تنتج ما يسد حاجة سكانها، لأن الحاجيات فقط لازمة، والكماليات ليست لازمة أبداً.

705 ـ لماذا لا تنتج الأرض دائماً الكفاية لتسد حاجة الإنسان؟.

لأن الإنسان يهملها وينكر جميلها، مع أنها أم ممتازة. وفي كثير من الأحيان أيضاً، يتّهم الطبيعة بما، في الواقع، هو نتيجة عجزه أو قلة تدبيره. تستطيع الأرض أن تنتج حاجة الإنسان لو عرف اكتفاءه بحاجته فقط. أما إذا لم يكفه كل ما يحتاج إليه، فلأن الإنسان يستعمل الكماليّات في حين أن الأفضل استعماله للحاجيّات. انظر الأعرابي في الصحراء:

فهو يجد دائماً قوته لأنه لا يختلق لنفسه احتياجات مصطنعه. لكن عندما يبذر الإنسان نصف المنتجات لإرضاء نزوات، فهل يصحّ له أن يستغرب حين لا يجد في الغد ما يحتاج إليه، وهل له الحق أن يشتكي عندما تأتي أيام القحط؟ الحق أقول لكم: ليست الطبيعة هي غير المتبصّرة، وإنما الإنسان فهو الذي لا يعرف كيف ينظم حياته.

706 ـ أتعني عبارة «خيرات الأرض» محاصيل الأرض؟.

الأرض هي المصدر الأوّلي الذي منه تتولد كافة الموارد، لأن هذه الموارد هي في الحقيقة مجرد تحويلات في خيرات الأرض. لذلك فإن عبارة خيرات الأرض تعني كل ما يسع الإنسان أن يستفيد منه في هذه الدنيا.

707 ـ في أحيان كثيرة، تنقص وسائل الحياة لبعض الأشخاص، حتى في وسط الرخاء الذي يحيط بهم، على من يعتبون في هذه الحالة؟.

على أنانية الناس لأنهم لا يعملون دائماً ما ينبغي أن يعملوه، ثم غالباً على أنفسهم. ابحثوا فتجدوا: تعني هذه الكلمات إنه لا يكفي أن ينظر الإنسان إلى الأرض ليجد فيها ما يريده، وإنما عليه أن يبحث بهمة ومواظبة وبلا ميوعة، دون أن يدع اليأس يغلبه من جراء العراقيل التي هي عادة مجرَّد وسائل لامتحان ثباتكم وتجلُّدكم وقوَّة عزمكم (س 534).

وإذا زادت المدنية الاحتياجات، فهي تزيد أيضاً مصادر العمل ووسائل الحياة. لا بد من التسليم بذلك، إذ لا تزال هناك حالات كثيرة تحتاج إلى تحسين. حينما تتجز المدنية عملها، لن يستطيع أحد أن يقول بأن الحاجيات تنقصه، إلاّ إذا كان ذلك من ذنبه. مع الأسف، يسلك أناس كثيرون طريقاً لم ترسمه لهم الطبيعة، وبالتالي يفشلون إذ ينقصهم الذكاء اللازم للنجاح. يوجد مجل للجميع تحت الشمس، ولكن بشرط أن يكون كل شخص في مكانه لا في مكان الآخرين. لا يصحّ اعتبار الطبيعة مسؤولة عن عُيُوب الهيئة الاجتماعية وعن نتائج الطموح وحبّ الذات.

لا بد أن يكون الإنسان أعمى كي يُنكر التقدّم الذي تحقّق لدى الأمم الأكثر تقدماً. بفضل المجهودات الحميدة والمتواصلة التي يعملها الإحسان والعلم سوية لتحسين حالة الإنسان المادية، وبرغم الازدياد المتواصل في عدد السكان، فقد خف النقص في الإنتاج، بمقدار كبير على الأقل، وسنوات الضرّاء الخطيرة أقلّ شدّةً مما كانت في الماضي. والصحة العامة، ذلك العنصر الجوهري لبعث القوة والعافية في الشعب، والذي كان يجهله آباؤنا، نالت عناية مستنيرة. إذ يجد التعساء والأشقياء اليوم ملاجئ يلجؤون إليها، وفي كل مكان يستعين الإنسان بالعلم لنشر الرفاهية.

هل يعني ذلك أنّا بلغنا الكمال؟ كلا، بدون شك، ولكن جميع ما أنجزه الإنسان يدلّ على ما يمكن أن ينجزه بالمواظبة، إذا كان لديه حِكمة كافية كي يسعى وراء سعادته، في الأشياء الإيجابية والنافعة، لا في خياليّات تؤخّره بدلاً من أن تقدّمه.

708 ـ ألا توجد حالات حيث وسائل الحياة لا تتوقّف البتة على إرادة الإنسان، وحيث نقص الضرورات الماسّة جداً، هي نتيجة قوّة الظروف؟.

هذه تجربة قاسية عادةً يجب على الإنسان احتمالها، وكان يعلم إنه سوف يتعرّض لها. استحقاقُه هنا يكون باستسلامه لمشيئة الله، وإذا لم يمدّه ذكاؤه بأية وسيلة ليتخلّص من وَرْطَته. فينبغي أن يموت، يجب عليه أن يقبل مصيره دون تذمّر، لِعِلْمه بأن ساعة تحرّره الحقيقي حانت، وأنَّ يأس اللحظة الأخيرة قد يضيّع عليه ثواب استسلامه لمشيئة الله.

709 ـ هل أجرم أولئك الذين، في بعض الأحوال الخطيرة، وَجَدوا نفسهم مضطّرين إلى أن يضحّوا بنظرائهم في الإنسانية ليقتاتوا بهم؟ وإن أجْرَموا، فهل تخفّ الجريمة من جراء حاجتهم إلى الحياة، الآتية من غريزة البقاء؟.

سبق أن أجبت قائلاً إن هناك استحقاقاً كبيراً في قبول كل تجارب الحياة، بشجاعة ونكران الذات، هنا عملية قَتْل وجريمة اعتداء على الخليقة، وهذا يعني خطأ يستحق عقاباً مُزْدوجاً.

710 ـ في العوالم التي تكون الأجساد فيها أصفى ممّا في عالمنا، أتحتاج الكائنات الحية إلى الغذاء؟.

أجل، ولكن طعامها متناسب مع طبيعتها. ربما لا تكفي هذه الأطعمة لتغذية مِعَدكم الخشنة، ولكن، قد لا يقدرون هم على هضم أطعمتكم.

3ـ التمتُّع بالمتع الأرضية

711 ـ هل الاستفادة من مَتاع الدنيا حق لجميع الناس؟.

يَنْجُم هذا الحق عن الحاجة إلى الحياة، لا يمكن أن يفرض الله واجباً على الإنسان دون أن يعطيه الوسيلة ليقوم به.

712 ـ لأي غرض أعطى الله للإنسان رغبة بالتمتع بالمتع المادية؟.

ليحثّه على إنجاز مهمّته، وأيضاً ليَمتحنه بالتجربة.

712 أ ـ ما غرض هذه التجربة؟.

تطوير عقله ليقيه من الإفراط.

لو كان ما يَحُثّ الإنسان على الاستفادة بمَتَاع الدنيا هو المنفعة فقط، لَهَدَمت لا مُبَالاته الكون. لذلك فقد أعطاه الله نزوعاً إلى المتعة، وهي تُراوِده لينجز أغراض العناية الإلهية. ولكن بهذه النزعة ذاتها، شاء الله، امتحانه بالتجربة التي تدفعه إلى الإفراط، إذ يجب على عقله أن يَرْدَع هذا الإفراط.

713 ـ هل للمتع حدود عينتها الطبيعة؟.

أجل، لتدلّكم على حدود حاجتكم، ولكن بإفراطكم بها تصلون إلى الشّبَع، وبالتالي، تعاقِبُون أنفسكم بأنفسكم.

714 ـ ما رأيكم بالشخص الذي يَبْغي الإفراط في مختلف أنواع المُتَع ليحصل على إرْهاق في ملذاته؟.

هذا مسكين يستحق الشفقة بدلاً من الحسد، إذ أنه يقترب جداً من الموت.

714 أ ـ أيقترب من الموت الجسدي أم من الموت الخُلُقي؟.

من الاثنين

من يبغي الإفراط في مُخْتَلَف أنواع المُتَع والفرق بالملذّات، يَحُطُّ قيمته تحت البهائم، إذ أن البهائم تعرف كيف تتوقّف بعد إرضاء حاجتها الجسدية، فهو يتنازل عن ملكة العقل التي وهبها الله إياه لكي يرشد، وكلما يزداد إفراطه كلما يعطي لطبيعته الحيوانية سلطاناً على طبيعته الروحية. فالأمراض والعاهات والموت ذاته، التي هي من عواقب الإفراط، هي في ذات الوقت العِقَاب لمخالفة ناموس الله.

4ـ الحاجيَّات والكماليَّات

715 ـ كيف يعرف الإنسان حَدَّ ما يحتاج إليه؟.

يعرف الحكيم الحدّ بالبديهة، بينما يعرفه الكثير من الناس بالخِبْرة ومِمَّا عانُوه.

716 ـ ألم تحدِّد الطبيعة حدّ احتياجاتنا، في تكويننا؟.

أجل، ولكن الإنسان لا يشبع أبداً. حددت الطبيعة حدّ احتياجات الإنسان في تكوينه، ولكن العادات الفاسدة غيَّرت تكوينه وخلقت له احتياجات ليست احتياجاته الحقيقية.

717 ـ ما رأيكم بالذين يستأثرون بخيرات الدنيا ليقتنوا الكماليّات على حساب الذين ينقصهم الحاجيّات؟.

هؤلاء يتجاهلون ناموس الله، وسيحاسبون عمّا سَبّبُوه لغيرهم من مُكَابَدات.

ليس حد الحاجيات والكماليات مطلقاً. لقد خلقت الحضارة احتياجات لم تكن موجودة في الهمجية. لذلك، لا تزعم الأرواح التي أملت هذه التعليمات أن يعيش المتحضّر كما يعيش الهمجي. كل شيء نسبي، وعلى عقل الإنسان أن يميّز بين الحاجيّات والكماليّات. عدا ذلك، تُطَوّر المدنيّة الضمير وفي نفس الوقت عاطفة المحبّة التي تحمل الناس على مساعدة بعضهم بعضاً. أما أولئك الذين يعيشون على حساب حرمان الآخرين، ويستغلون منافع المدنيّة لصالحهم. فليس فيهم من المدنيّة إلاّ طِلاء، مثلما أن هناك أناس ليس فيهم من الدين إلا قِنَاع.

5 ـ الامتناعات الإرادية ـ التقشُّف

718 ـ أتُجْبِر سُنّة البقاء الإنسان أن يدبّر احتياجات الجسد؟.

نعم، إذ أنّ العمل مستحيل دون الصحة والعافية.

719 ـ هل يُلام الإنسان لكونه يبتغي الرخاء؟.

الرخاء رغبة طبيعية. يمنع الله الإفراط فقط، لأن الإفراط مضادّ لطبيعة الأشياء. لذلك لا يعتبر الله من الآثام ابتغاء الرخاء، طالما لا يحصل الإنسان على هذا الرخاء على حساب الآخرين. وطالما أن هذا الرخاء لا يُضعف قواكم المعنوية ولا قواكم الجسدية.

720 ـ الامتناع الإرادي، بقصد التكفير الإرادي أيضاً، هل يُعطي إستحقاقاً عند الله؟.

أحسنوا إلى الآخرين فيكون استحقاقكم أكبر.

720 أ ـ هل توجد أنواع امتناع إرادي تُعطي استحقاقاً؟.

أجل، الامتناع عن الملذات التي لا جدوى منها، لأنه يبعد الإنسان عن المادة ويسمو بروحه. أما ما يعطي استحقاقاً فهو مقاومة الوسواس الذي يدفع إلى الافراط أو إلى التلذّذ بالأشياء التي لا تفيد شيئاً. وكذلك اقتطاع شيء من الحاجيّات لإعطائه للمحتاجين. أما إن كان الامتناع مجرّد تظاهر فهو هُزء.

721 ـ مارس أناس حياة تقشف زهدي منذ الماضي السحيق وبين شعوب مختلفة. أتعطي هذه الحياة استحقاقاً من وجه ما؟.

سلوا نفسكم لمن تنفع وستعرفون الجواب. إذا لم تنفع إلا من يمارسها وتمنعه من عمل الخير، فهي ضرب من الأنانية، مهما كان العذر الذي يعتذرون به. امتناع النفس والعمل في خدمة الآخرين، هما التقشف الحقيقي، طبقاً للمحبة التي أوصى بها المسيح.

722 ـ الامتناع عن بعض الأطعمة، المفروض على بعض الشعوب، هل له أساس معقول؟.

جميع ما يَسَع الإنسان أن يأكله بلا ضرر لصحته مُباح. إلاّ إن هناك مشرِّعين منعوا بعض الأطعمة رُبَّما لغرض مفيد، ثم، ليزيدوا نفوذ شرائعهم، وقدَّموها كآتية من الله.

723 ـ أهو مضادّ لناموس الخليقة أن يأكل الإنسان غذاء حيوانياً؟.

في تكوينكم الجسدي، اللحم يغذّي اللحم، وإلاّ فسيذبل الإنسان. تلزم سنة البقاء الإنسان أن يصون قواه وصحته ليحقّق سُنَّة العمل. لذلك يجب عليه أن يتغذى بما يطلبه جسده.

724 ـ هل هناك استحقاق في الامتناع عن الغذاء الحيواني أو عن آخر، للتكفير عن الذنوب؟.

أجل، إذا حرم الشخص نفسه من أجل الآخرين. إذ لا يعقل أن يرى الله في امتناعه إماتة للنفس إذا كان امتناعه جاداً ونافعاً. لهذا السبب نقول إن الذين يحرمون نفسهم للتظاهر فقط هم مراؤون (س 720).

725 ـ ما رأيكم بعمليّات الجدع أو البتر في جسد الإنسان أو الحيوان؟.

ما فائدة هذا السؤال؟ أكرر مرة أخرى، سلوا نفسكم إذا كان ذلك يجدي نفعاً. لا يعقل أن يرضى الله بما لا فائدة منه، ولا يرضى أبداً بما فيه ضرر. ليكن في علمكم إن الله لا يأبه إلاّ بالعواطف التي تسمو بالروح إليه. فبتطبيق شريعته، لا بمخالفتها، تستطيعون أن تهزّوا مادّتكم الأرضية.

726 ـ إذا كانت عذابات هذه الدنيا تسمو بنا بحسب قدرتنا على احتمالها، فهل يسمو أحد من جراء العذابات التي يصطنعها إرادياً؟.

العذابات الوحيدة التي تسمو بالإنسان هي العذابات الطبيعية لأنها تأتي من الله.

لا تفيد شيئاً العذابات الإرادية ما دامت لا تجدي نفعاً للآخرين. والذين يقصرون حياتهم على عذابات قاسية جداً كما يفعل الرهبان البوذيون والنساك الهندوسيون وبعض متعصبي شيع عديدة، أتظن أنهم يرتقون في مسلكهم هذا؟ أبداً. لماذا لا يسعون بالأحرى للإحسان إلى نظرائهم في البشرية؟ الأفضل لهم أن يكسوا الفقراء، وأن يعزّوا الحزانى وأن يعملوا لأجل العَجَزة، وأن يكابدوا الحرمان لتخفيف ألم التعساء، فتصبح حينئذ حياتهم نافعة ويرضى الله بها. في العذابات الإرادية التي يكابدها أحد، عندما لا يقصد بها سوى صاحبها، فهي ضرب من الأنانية أما عندما يتعذّب أحد لصالح الآخرين، فهذا ضرب من المحبّة[1] للغير وتلك هي التعاليم التي أوصى بها المسيح.

727 ـ مادام يجب عدم اصطناع عذابات إرادية لا تجدي أي نفع للغير، هل يجب علينا أن نسعى لنتّقي العذابات التي نتوقّعها أو التي تهدّدنا؟

أعطيت غريزة البقاء لجميع الكائنات لتتّقي الأخطار والعذابات. اقتصوا من روحكم لا من جسدكم. أميتوا كبرياءكم واكبحوا أنانيتكم التي تنخر قلوبكم كالدود، وستعملون لارتقائكم أكثر مما بعذابات قاسية لم تَعُد من هذا العصر.

---

(1) المحبّة للنظير أو للمثيل في الإنسانية أو للغير هي المحبّة بصرف النظر عن عقيدة الغير الدينية أو ملّته أو طائفته، سواء كان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً أو بوذياً الخ، وأيضاً بصرف النظر عن لون بشرته أو إيمانه السياسي أو الفلسفي أو جنسه البشري (ملاحظة المترجم).

الفصل السادس : سنة الهدم

(خامس سنن الطبيعة أو الخليقة)

1ـ الهدم اللازم والهدم المفرط

2ـ الكوارث المُخَرِّبة

3ـ الحروب

4ـ القتل

5ـ القسوة

6ـ المبارزة

7ـ عُقوبة الإعدام

ا. الهدم اللازم والهدم المفرط

728 ـ هل الهدم من سنن الطبيعة؟

لا بدّ من هدم كل شيء لانبعاثه ثانية وتجدده، إذ أن ما تسمونه بالهدم لا يعدو كونه تحويلاً يقصد تجديد الكائنات الحيّة وتحسينها.

728 ا ـ من الممكن إذن أن غريزة الهدم أعطيت للكائنات الحيّة لأغراض تقصدها العناية الإلهية؟.

المخلوقات هي الأدوات التي يستعملها الله لتحقيق مقاصده. تبيد الكائنات الحية بعضها بعضاً لتقتات، وذلك لغرضين هما: حفظ التوازن في الأنسال حتى لا يتجاوز الحد اللازم، والاستفادة من خيرات الغلاف الخارجي. لكن ما يُبَاد هو دائماً ذلك الغلاف فقط، ولا يعدو كونه لاحقاً وليس هو الجزء الجوهري، الذي هو المبدأ الذكي الذي لا يتلف والذي يتحضر خلال التحولات المختلفة التي تطرأ عليه.

729 ـ إذا كان الهدم لازماً لتحسين الكائنات وتجدُّدها، لماذا تمدّ الطبيعة الكائنات بوسائل تحميها وتحفظها؟.

لكي لا يحدث قبل الأوان اللازم. فكل هدم مسبَّق يُعرقل تطوُّر المبدأ الذكي، ولذلك وهب الله كل كائن الحاجة إلى الحياة وإلى الإنسال.

730 ـ بما أن الموت سيقودنا إلى حياة أفضل، ويخلّصنا من مصاعب الحياة الحاضرة. ومن ثمّ سيقودنا إلى حياة مرغوبة أكثر مما نهاب، لماذا يشعر الإنسان نحو الموت بكره غريزي يجعله يخاف منه؟.

سبق أن قلنا إن على الإنسان أن يحاول إطاعة حياته ليُؤدّي مهمتّه. لهذا السبب أعطاه الله غريزة البقاء، وهذه الغريزة تسنده في تجاربه. إذا لم يحدث هكذا، لانقاد في أحيان عديدة جداً إلى خور العزم. والصوت الداخلي الذي يجعل الإنسان يردّ الموت، يقول له إنه لا يزال يستطيع أن يعمل شيئاً لارتقائه. وعندما يُهدِّده خطر، فإن هذا الصوت هو إنذار ليستغلّ المُهْلة التي يعطيها الله له. لكن الإنسان، هذا الناكر الجميل، يشكر غالباً نجمه بدلاً من خالقه.

731 ـ لماذا وضعت الطبيعة في نفس الوقت وسائل البقاء إلى جانب عوامل الهدم؟.

الدّواء بجانب الداء. سبق لنا القول أن هذا لحفظ التوازن، وليَعْمَل كمُوازِن له.

732 ـ هل الحاجة إلى الهدم هي ذات الحاجة في كل العوالم؟.

هي متناسبة مع مقدار مادّية العوالم، وتزول إزاء حالة مادّية وخُلُقية أصفى في العوالم الأكثر ارتقاءً من عالمكم حيث تختلف أحوال الحياة جداً عما عندكم.

733 ـ هل سيوجد دائماً الاحتياج إلى الهدم بين البشر على الأرض؟.

تضعف الحاجة إلى الهدم قدر ما يفوز الروح على المادة. لهذا السبب ترون شناعة الهدم تتبع التطوُّر العقلي والخُلُقي.

734 ـ هل للإنسان، في حالته الحاضرة، حق لا حدّ له في قتل الحيوانات؟.

ما ينظّم هذا الحق هو احتياج الإنسان إلى تدبير قُوته وأمْنه. ولم يكن الإفراط حقّاً أبداً.

735 ـ ما رأيكم في الهدم الذي يتعدّى حدود الضرورات والأمن. كالصيد البَرّي مثلاً، الذي لا هدف له سوى متعة القتل دون فائدة؟.

بدل على تغلُّب البهيمية على الطبيعة الروحية. فأي هدم يتعدّى حدود الحاجة يخالف ناموس الله. تقتل الحيوانات فقط لحاجتها، ولكن الإنسان يتمتّع بحرية الاختيار ويقتل دونما لُزوم، ولذلك سيحاسب على سوء استعمال الحرية التي أعطيت له، ففي هذه الحال يستسلم لغرائزه السّيئة.

736 ـ الشعوب التي تتطرّف في الورع فيما يخص قتل الحيوانات، هل لها استحقاق خاص في هذا الشأن؟.

هذا تطرُّف يأتي من شعور حميد في ذاته، ولكن فيه إفراطاً، وفضله تبطله مسالك أخرى فاحشة من أنواع شتّى. إذ يوجد عندهم خوف خرافي أكثر مما هو رقي حقيقي.

2ـ الكوارث المُخَرِّبة

737 ـ ماذا يقصد الله عندما يصعق الإنسانية بكوارث مُخَرِّبة؟.

يقصد إسراع تقدُّمها. ألم يسبق لنا القول بأن الهدم لازم لتجدُّد الأرواح وتحسينها خُلُقياً، فمن كل حياة جديدة تستمدّ الأرواح فرصة جديدة لترتقي؟ لا بدّ

من النظر إلى الغاية لتُقدَّر النتائج. أنتم تحكمون فيها من وجهة نظركم الشخصية، وتدعونها بكوارث من جراء الضرر الذي تسببه لكم، إلاّ أن هذه الانقلابات ضرورية عادة، لتعجِّل مجيء نظام أشياء أفضل، وفي سنوات قليلة، وهو ما كان يتطلّب عدة قرون ليتحقّق. (س 744).

738 ـ أما كان الله يقدر أن يستعمل وسائل أخرى لتحسين حالة الإنسانية بدلاً من الكوارث المخرِّبة؟.

أجل، وهو يستعملها كل حين، إذ أعطى لكل شخص وسائل الارتقاء، بمعرفة الخير والشر. والإنسان هو الذي لا ينتفع منها. لذلك يجب معاقبته في كبريائه ليرى ضعفه.

738 أ ـ لكن في هذه الكوارث يموت البار كما يموت الفاسد. أين العدل في ذلك؟.

أثناء الحياة، يُعلِّق الإنسان كل شيء بجسده. لكن بعد الموت، يتغيَّر فكره، وكما سبق لنا القول: أهمية الحياة الجسدية تكاد تزول. إن مائة عام من عالمكم هي كلمح البرق في الأبد. اذن، ما تدعونه بعذاب دَامَ بضعة أشهر أو بضعة أيام هو لا شيء. هذا درس لكم ينفعكم للمستقبل:

الأرواح هي العالم الحقيقي، السابق الوجود على كل شيء والباقي بعد كل شيء (س 85)، وهم أبناء الله وموضع كل رعايته. لا تعدو الأجساد كونها تتكرات تظهر الأرواح وراءها على الأرض.

الكوارث الكبيرة التي تبيد البشر، هي كجيش يرى أثناء الحرب ثيابه بالية وممزَّقة أو مفقودة، ولكن القائد طبعاً يبالي بجنوده أكثر مما بملابسهم.

738 ب ـ لكن ضحايا تلك الكوارث ما زالت ضحايا؟.

لو تأملتم في قيمة الحياة، وكم هي لا شيء إزاء اللانهاية، لأعطيتم أهمية صغيرة لها. سيجد هؤلاء الضحايا في حياة أخرى تعويضاً لعذابهم إذا استطاعوا احتماله دون تذمُّر.

وسواء جاء الموت عن طريق كارثة أو عن سبب عادي، فلا مفرّ منه حينما يؤون لأحدٍ أن يرحل، والفرق الوحيد هو أن عدداً أكبر يرحل في الكوارث دفعة واحدة.

لو كان باستطاعتنا أن نصعد بالفكر بحيث نُشرف على البشرية ونشملها برمَّتها، للاحت هذه الكوارث الهائلة مجرَّد عواصف وقتية في مصير العالم.

739. هل تجدي الكوارث المخرِّبة نفعاً من الناحية المادية، برغم ما تسبِّب من أضرار وأحزان؟

أجل، لأنها تغيِّر حالة المنطقة أحياناً، ولكن الخير الذي ينتج عنها لا تشعر به إلاّ الأجيال المقبلة.

740. أليست الكوارث أيضاً تجارب معنوية للإنسان تضعه في نضال مع أشدّ حالات الاحتياج؟

الكوارث تجارب تعطي للإنسان الفرصة ليمارس ذكاءه، وليظهر صبره واستسلامه لمشيئة الله، وهي تُمَكِّنه من إبداء عواطف نكران الذات والنزاهة ومحبّة القريب، إذا لم تكن الأنانية متسلطة عليه.

741. هل في إمكان الإنسان أن يتحاشى الكوارث التي تفجعه؟.

أجل، في جزء منها، ولكن لا كما يظن الناس عادة. إن عدداً كبيراً من الكوارث هي نتيجة عدم تدبير الإنسان، وبقدر ما تزداد معارفه واختباره، يسعه أن يُطَوِّقها، أي أن يتلافاها، إذا عرف كيف يبحث عن أسبابها. لكن من بين الفجائع التي تصيب البشرية، يوجد فجائع شاملة هي ضِمن قرارات العناية الآلهية، ويصيب ردّ فعلها كل شخص قليلاً أو كثيراً. يستطيع الإنسان مواجهة هذه النكبات فقط بالاستسلام لمشيئة الله، ولكن كثيراً ما يزيد الإنسان وطأتها بغفلته.

من بين الكوارث الخرِّبة، الطبيعية والتي لا يتوقف حدوثها على الإنسان، نذكر أخطرها وهي: الطاعون والمجاعة والفيضان وتقلبات الطقس التي تتلف منتجات الأرض. ومع ذلك، ألم يكتشف الإنسان في البحث العلمي والأعمال الفنية وتحسين الزراعة وتقسيم المزارع لدورات الزراعات وفي الري ودراسة الأحوال الصحية، الوسائل لإبطال، أو على الأقل، لتخفيف الكثير من النكبات؟ ألا تصان اليوم بعض مناطق، خربتها في الماضي كوارث فاجعة؟ إذن، يستطيع الإنسان فعل عجائب لرفاهيته، حينما يحسن الانتفاع من كافة موارد ذكائه، وحينما يحسن أن يقرن اهتمامه بصيانته الشخصية، بعاطفة المحبّة الحقيقية لأنداده في البشرية؟. (س 707).

3. الحروب

742 ـ ما هو السبب الذي يدفع الإنسان إلى الحرب؟.

تغلب الطبيعة الحيوانية على الطبيعة الروحانية وإشباع الأهواء. ففي حالة الوحشية، لا تعرف الشعوب سوى حق الأقوى، ولذلك فإن الحرب في نظرها حالة طبيعية. وبقدر ما يتقدم الإنسان، يقلّ حدوثها، لأنه يتجنب أسبابها، وعندما تكون ضرورية، يعرف كيف يقرنها بمعاملة إنسانية.

743 ـ هل تزول الحروب يوماً ما عن سطح الأرض؟.

أجل، عندما يفهم البشر العدل ويمارسون ناموس الله. حينذاك تصير جميع الشعوب أخوة.

744 ـ ماذا تقصد العناية الإلهية عندما جعلت الحروب ضرورية؟.

الحرية والرقي.

744 أ ـ إذا كانت الحروب ترمي إلى حصول الحرية، فكيف تُعلّلون أنها عادة تقصد وتجلب الاستعباد؟.

إنه استعباد مؤقّت للضغط على الشعوب، وتعجيل وصولها إلى الحرية.

745 ـ ما رأيكم في من يثير الحرب لمنفعته الشخصية؟.

هذا هو المذنب الحقيقي وسيحتاج إلى تجسدات عديدة ليكفّر عن كل المقاتل التي سبَّبها، إذ أنه سيحاسَب عن جميع الذين يموتون بسببه لكي يشبع مطامعه.

4. القتل

746 ـ هل القتل جريمة في نظر الله؟.

أجل، جريمة كبيرة، إذ أنَّ مَنْ يقتل نظيره، يقطع حياة تكفير أو حياة مخصصة لتأدية مهمّة.

747 ـ هل للقتل نفس درجة الذنب في جميع الأحوال؟.

سبق أن قلنا لكم: الله عادل، ويحكم في النيَّة أكثر مما في الفعْل.

748 ـ هل يبرّر الله القتل في حالة الدفاع الشرعي؟.

قد تبرّره الحاجة فقط. إذا أمكن لأحد أن يدافع عن حياته دون أن يمس بحياة مهاجمه، فيجب عليه أن يفعل ذلك.

749 ـ هل يُدان الإنسان بجميع أعمال القتل التي يرتكبها في الحرب؟.

كلا، إن كان مضطراً إلى ذلك جبراً، ولكنه يدان بأفعال القسوة التي يرتكبها وتحسب له.

750 ـ من هو الأكثر إدانة في نظر الله، أهو من يقتل أباه أم من يقتل ابنه؟.

كلاهما متساويان في الإدانة، إذ أن أية جريمة هي جريمة.

751 ـ كيف يُفَسَّر أنه عند بعض شعوب متقدمة من الناحية الفكرية، قتل الأطفال موجود في أعرافهم ويُقرُّ به تشريعهم؟.

إلا يجلب التطور العقلي الحاجة إلى البرّ. الروح المتفوّق في الذكاء قد يكون رديئاً لأنه عاش حيوات عديدة دون أن يرتقي، ولأنه اكتسب معارف فقط.

5 ـ القساوة

752 . أيصحّ أن نربط شعور القسوة بغريزة الهدم؟.

هو غريزة الهدم في أسوأ مظاهرها، وإذا كان الهدم ضرورياً أحياناً، فإن القسوة ليست أبداً كذلك، وتأتي دائماً من فطرة شريرة.

735 . كيف يحدث أن القسوة هي الطابع الغالب في الشعوب البدائية؟.

في الشعوب البدائية كما أنت تسميها، تتغلّب المادّة على الروح. تستسلم هذه الشعوب إلى غرائز البهائم، وبما أن احتياجاتها هي احتياجات حياة الجسد فقط، فهي تفكر فقط ببقائها الشخصي، وهذا هو ما يجعلها قاسية عادةً. ثم إن الشعوب التي يكون تطوّرها متأخراً تكون تحت ركاب أرواح متأخرة مثلها تتجذب إليها، حتى تأتي شعوب أرقى منها وتهدم أو تضعف هذا النفوذ.

754 . ألا تتعلّق القسوة بانعدام الضمير؟.

قُل بالأحرى إن الضمير لم يتطور، ولكن لا تقل أنه معدوم، إذ أنه موجود

مبدئياً في جميع الناس. وهذا الضمير هو الذي يجعل الناس صالحين وإنسانيين فيما بعد. إذن يوجد الضمير في الهمجي، ولكن مثلما يوجد مبدأ العطر في بذيرة الزهرة قبل أن تتفتح.

توجد في الإنسان جميع القدرات في حالة بدائية أو كامنة، وتتطور قليلاً أو كثيراً تبعاً لمواتاة الظروف. ويكون تطور بعضها تطوراً متجاوز الحد، يوقف أو يبطل تطور الأخرى، يصح القول إن تهييجاً شديداً في الغرائز المادية يخنق الضمير، مثلما أن تطور الضمير يضعف شيئاً فشيئاً القدرات الحيوانية المحضة.

755 ـ كيف يحدث أنه في أحضان حضارة متقدمة جداً يوجد أشخاص ذوو قسوة تعادل أحياناً قساوة الهمجيين؟.

كما في شجرة محملة بأثمار جيدة، توجد أثمار فاسدة. وبعبارة أخرى، هم همجيون ليس فيهم من التمدن إلا ثيابه، وهم ذئاب تائهة في وسط الخراف. قد تتجسد أرواح سفلية الدرجة ومتأخرة جداً بين أناس متقدمين على أمل أن تتقدم هي ذاتها. إلا أن التجربة إذا كانت شاقة جداً، تتغلّب فطرتهم البدائية عليهم.

756 ـ أيتخلص مجتمع الأبرار من الأشرار يوماً ما؟.

ترتقي البشرية، وهؤلاء الناس الذين هم تحت ركاب الشر، في غير محلّهم بين قوم الصالحين، وسوف يزولون شيئاً فشيئاً، كما ينفصل الحبّ الرديء عن الجيِّد بعد التذرية، ولكن، لكي يولدوا ثانية تحت غلاف آخر، ونظراً إلى زيادة اختبارهم، فسيحسنون فهم الخير والشر. لديك مثل على ذلك في النباتات والحيوانات التي اكتشف الإنسان فن تحسينها، وطور فيها صفات جديدة. على نفس المنوال، لا يصير التحسين كاملاً إلاّ بعد عدة أجيال. هذه هي صورة حيوات الإنسان المختلفة.

6ـ المبارزة

757 ـ أيصّح اعتبار المبارزة حالة دفاع شرعي؟.

كلا، بل هي جريمة قتل وعادة حمقاء صالحة للمتوحشين. وحينما تتقدم المدنية وتتحسن أدبياً، سوف يفهم الإنسان أن المبارزة تستحق سخرية الناس كما يستحق سخرية الناس اعتبار المعارك فيما سلَفَ أنها تظهر حُكم الله.

758 ـ أيصح اعتبار المبارزة جريمة قتل من طرف من يكون، عالماً بضعفه، وهو تقريباً متأكد من موته فيها؟.

هذا انتحار.

758 أ ـ وعندما تتكافأ إمكانات الانتصار، هل هي جريمة قتل أم انتحار؟.

هي الاثنان كلاهما.

في جميع الحالات وحتى في تلك التي تتكافأ فيها إمكانات الانتصار، فإن المبارز مذنب، أولاً لأنه يعتدي بقسوة وعن قصد على حياة نظيره في البشرية، وثانياً لأنه يُعرِّض حياته ذاتها بلا جدوى، ودون منفعة لأحد.

759 ـ ما معنى ما يدعونه بمسألة العزّة والكرامة في المبارزة؟.

الكبرياء والغرور بالنفس، وهما آفتا البشرية.

759 أ ـ لكن أليس هناك حالات حيث العزّة صارت مرهونة، وحيث أن رفض المبارزة قد يعني الجبن؟.

يتوقف ذلك على العادات والأعراف. لكل بلد ولكل عصر في هذا الصدد وجهة نظر مختلفة. حينما يصير البشر أفضل وأرقى خلقياً، سوف يفهمون أن الكرامة الحقيقية أعلى من الأهواء الأرضية وأنه لا يعوض عن ضرر، قتل أحد الآخر أو السماح للآخر بقتله.

هناك نبالة كبيرة وعزة حقيقية فيمن يعترف بخطئه إذا أخطأ، أو يسامح إن كان على حقّ، وفي جميع الأحوال يحتقر الإهانات التي لا تستطيع التأثير بنا.

عقوبة الإعدام

760 ـ أتزول يوماً عقوبة الإعدام من التشريع البشري؟.

لا جدال في أن عقوبة الإعدام ستزول، وسوف يشير إلغاؤها إلى ارتقاء في البشرية. حينما يزيد تنوّر الناس، سوف تكون عقوبة الإعدام ملغاة تماماً على سطح المسكونة، ولن يحتاج الناس إلى محاكمة الناس، أتكلم عن زمن بعيد جداً عنكم بعد.

لا شك أن التقدم الاجتماعي لا يزال بعيداً جداً عن المراد، ولكن لا يصح أن نتجاهل التقدم الذي أحرزته الشعوب المتقدمة في الحدود التي أدخلتها على عقوبة الإعدام، وفي تحديد نوع الجرائم حيث يجوز تطبيقها. إذا قارنّا الضمانات التي تحيط

العدالة بها المتهم عند هذه الشعوب، والإنسانية التي تعامله بها، حتى بعد أن حكمت بإدانته، بما كانت عليه الحال في أيام غابرة قريبة العهد، فينبغي علينا أن نقر بأن البشرية تسير في طريق التقدم.

761 ـ تخوّل سُنّة البقاء الإنسان الحق ليقي حياته. ألا يستعمل هذا الحق عندما يحذف من المجتمع عضواً خطيراً؟.

توجد وسائل أخرى ليتّقي الإنسان خطره غير قتله. عدا ذلك، لا بدّ من فتح باب الندامة للجاني لا قفله له.

762 ـ إذا كان من الممكن إلغاء عقوبة الإعدام في المجتمعات المتمدنة، ألم تكن هذه العقوبة ضرورية في عصور أقل تقدماً؟.

ضرورية ليست هي الكلمة الصحيحة. يعتقد الإنسان دائماً أن شيئاً لا بد منه عندما لا يجد لديه ما هو أفضل. لكن كلّما يزداد تنوّره، تتحسن فطنته إلى ما هو ظلم، ويستنكر الفظائع التي ارتكبت باسم العدل في عصور الجهل.

763 ـ هل قصر الحالات التي تطبق فيها عقوبة الإعدام، يدل على تقدم المدنيّة؟.

أتشك في ذلك؟ ألا يقشعر بدنك عندما تطالع قصة المجازر البشرية التي كانت تعمل قديماً باسم العدل، وفي أحيان كثيرة تكريماً لله، وقصة التعاذيب الجسدية التي كانوا يذيقونها للمحكوم عليه، وحتى للمتهم لينتزعوا منه، بالإفراط في التعذيب، الاعتراف بجريمة غالباً لم يرتكبها؟ لو كنت عشت في تلك الأيام، لكنت وجدت كل هذا طبيعياً جداً، وربما كنت حكمت كقاض مثلهم.

بناء عليه، ما كان يبدو عادلاً في عصر يبدو همجياً في عصر آخر. تتغير الشرائع البشرية مع التقدم وسوف تتغير بعد، إلى أن تصير متوائمة مع الشرائع الألهية.

764 ـ قال المسيح: «من يقتل بالسيف سوف يهلك بالسيف». أليست هذه الكلمات تثبيتاً لعقوبة العين بالعين والسن بالسن، أليس الإعدام الذي يعاقب به القاتل تطبيق هذه العقوبة؟.

احذروا، غلطتكم في فهم هذه الكلمات، كما في كلمات كثيرة أخرى. عقوبة العين بالعين والسن بالسن هي عدالة الله، ويطبقها هو فقط. أنتم في كل لحظة تتحمّلون هذه العقوبة، إذ تعاقبون من حيث أخطأتم، في هذه الحياة، أو في حياة أخرى. ومن يسبّب عذاباً لمثيله في البشرية سيكون في وضع يقاسي فيه ذات العذاب

الذي سببه له. هذا هو معنى كلمات المسيح. مع ذلك، ألم يقل لكم أيضاً: سامحوا أعداءكم؟. ألم يعلمكم أن تطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم وأخطاءكم كما تغفرون لمن أساء إليكم، أي بذات مقدار ما تغفرون لهم. افهموا ذلك جيداً.

765 ـ ما رأيكم في عقوبة الإعدام التي تفرض على أحد باسم الله؟.

ذلك يعادل أخذ مكان الله في العدالة. والذين يفعلون هكذا يظهرون كم هم بعيدون عن فهم الله، وأنه ما زال عليهم الكثير من التفكير. عقوبة الإعدام جريمة عندما تطبَّق باسم الله، والذين يفرضونها سيحاسبون عليها كما لو كانوا يرتكبون جريمة.

الفصل السابع: سُنَّة الاجتماع

1ـ الحاجة إلى الحياة الاجتماعية.

2ـ حياة العزلة. نذر الصمت

3ـ الروابط العائلية.

1ـ الحاجة إلى الحياة الاجتماعية

766 ـ هل الحياة الاجتماعية من طبيعة الأشياء؟.

بلا شك، لأن الله صنع الإنسان ليعيش اجتماعياً، ولم يهبه قدرة الكلام وسائر القدرات الأخرى اللازمة لحياة العلاقات، بلا سبب.

767 ـ هل العزلة التامة منافية لسُنَّة الطبيعة؟.

أجل، ما دام الناس يبغون حياة جماعية بالغريزة، ويجب عليهم جميعاً أن يساهموا في سبيل الارتقاء بإعانة بعضهم بعضاً.

768 ـ أليس ابتغاء الإنسان لحياة جماعية مجرد إطاعته لشعور شخصي، أم يوجد في هذا الشعور غرض إلهي أوسع؟.

ينبغي على الإنسان أن يرتقي، ووحده لا يستطيع، وإذ ليس لديه كل القدرات اللازمة. ولا بدَّ له من الاتصال بغيره من الناس. وهو في العزلة يتبلد ويذبل.

لا يوجد شخص موهوب بقدرات كاملة. فبالوحدة الاجتماعية يتكامل القوم بعضهم ببعض ليضمنوا رفاهيتهم، وارتقاءهم. لذلك، فلكونهم يحتاجون إلى بعضهم بعضاً صنعوا ليعيشوا اجتماعياً، وغير معزولين.

2ـ حياة العزلة ـ نذر الصمت

769 ـ نسلم، كمبدأ عام، بأن الحياة الاجتماعية هي من طبيعة الأشياء، ولكن كما أن جميع الميول هي أيضاً من الطبيعة، فلماذا يعتبر الميل إلى العزلة التامة ذميماً، ما دام الإنسان يجد فيه مسرته؟.

إنها مسرة الأناني. يوجد أيضاً أناس يجدون مسرتهم في السكر. أترضى بذلك؟ ليس من المعقول أن يرضى الله عن حياة عديمة الفائدة يحكم أحد على نفسه بها.

770 ـ ما رأيكم بالذين يعيشون في انعزال مطلق ليجتنبوا اتصالاً مفسداً بالعالم؟.

أنانية مزدوجة.

770 ـ ولكن إذا كان يقصد بهذا الاختلاء التكفير عن الذنوب، بفرض تقشف شاق على نفسه، أليس في ذلك الاختلاء استحقاق؟

أفضل تكفير هو بأن يحسنوا إلى الغير مهما أساؤوا. فبينما هم يتجنبون شراً، يقعون في شرّ آخر، لأنهم ينسون شريعة المحبة والإحسان.

771 ـ ما رأيكم بالذين يهجرون العالم ليتفانوا في تخفيف آلام التعساء؟.

هؤلاء يسمون عظماء في تواضعهم، ولهم استحقاقات، لأنهم تغلّبوا على الملذات المادية ولأنهم يفعلون الخير طبقاً لما تفرضه سنة العمل.

771 ـ وأولئك الذين يبغون الخلوة والسكون الذي تحتاج إليه بعض الأعمال؟.

ليس هذا اختلاء الأناني التام، فهم لا ينعزلون عن المجتمع، ما داموا يشتغلون من أجله.

772 ـ ما رأيكم بنذر الصمت الذي تفرضه بعض طوائف منذ أقدم العصور الماضية؟.

سلوا نفسكم بالأحرى إذا لم يكن الكلام من طبيعة الأشياء، ولماذا وهبه الله للإنسان. يستنكر الله سوء استعمال القدرات التي أعطاها له، أو عدم استعمالها. ومع ذلك، فالصمت نافع لأن في الصمت أنت تتأمل، فتتحرر روحك أكثر وتستطيع الاتصال بنا. لكن نذر الصمت، فهذا غباوة. لا شك أن الذين يعتبرون هذه الامتناعات الإرادية كأفعال فاضلة، ذوو نوايا حسنة، ولكنهم على خطأ إذ أنهم لا يفطنون لنواميس الله الحقّة.

إن نذر الصمت المطلق مثلما أيضاً نذر العزلة يحرمان الإنسان من الاتصالات الاجتماعية التي قد تعطيه الفرص ليعمل الخير وليؤدي واجبات سنة الارتقاء.

3 ـ الروابط العائلية

773 ـ لماذا، عند الحيوانات، لا يعود الآباء والأبناء يتعارفون على بعضهم بعضاً عندما لا يعود الأبناء يحتاجون إلى عناية؟.

لأن الحيوانات تعيش الحياة المادية وليس الحياة الأدبية الخلقية. يرجع حنان الأم لصغارها إلى غريزة المحافظة على الكائنات التي أنجبتها. وحالما تستطيع هذه الكائنات أن تكفي نفسها بنفسها، ينتهي عملها، ولا تطلب الطبيعة منها أكثر من ذلك. لهذا السبب تتركهم لتعتني بحديثي الولادة.

774 ـ هناك أشخاص يستنتجون من ترك الأبوين لصغارهم، أن الروابط العائلية عند البشر، هي مجرّد نتيجة الأعراف الاجتماعية، وليست من سنن الطبيعة. ما رأيكم في هذا الصدد؟

يختلف مصير الإنسان عن مصير الحيوانات. لماذا إذن تريدون دائماً تشبيه الإنسان بهم؟ لدى الإنسان يوجد حاجة أخرى علاوة على الاحتياجات المادية، وهي الحاجة إلى الارتقاء. والروابط الاجتماعية لازمة للارتقاء، وروابط العائلة توثق الروابط الاجتماعية. ولهذا السبب، فإن روابط العائلة هي من سنن الطبيعة. هكذا شاء الله أن يُحِبَّ الناس بعضهم بعضاً كإخوة (س 203).

775 ـ ماذا تكون نتيجة تراخي عُرى العائلة على المجتمع؟.

ازدياد الأنانية.

الفصل الثامن : سنة الارتقاء

(سابع سنن الطبيعة)

1ـ حالة الفطرة

2ـ سير الارتقاء

3ـ الشعوب المنحطة

4ـ المدنية

5ـ ارتقاء التشريع البشري

6ـ تأثير الأرواحية على الارتقاء

1. حالة الفِطرة

776 ـ هل حالة الفطرة وسُنّة الطبيعة هما أمر واحد؟.

كلا، حالة الفطرة هي الحالة البدائية. والمدنية منافية لحالة الفطرة، في حين أن سنة الطبيعة تساهم في ارتقاء البشرية.

حالة الفطرة هي طفولة البشرية ونقطة انطلاق تطوُّرها العقلي والخلقي. بالنظر إلى أن الإنسان كائن قابل للتطور ويحمل في نفسه بذيرة التحسن، فهو لم يهيأ ليعيش في حالة الفطرة على الدوام، كما أنه أيضاً لم يُهيأ ليعيش في الطفولة على الدوام. حالة الفطرة عابرة، ويخرج منها الإنسان بالارتقاء والتمدّن. أما سنة الطبيعة، فهي بالعكس، تسود على البشرية بأجمعها، ويتحسن الإنسان بقدر ما يُحسن فهم هذه السنة ويحسن تطبيقها.

777 ـ في حالة الفطرة، لكون احتياجات الإنسان قليلة، فهو لا يعاني جميع المحن التي يختلقها في حالة الرقي. ما رأيكم بالذين يعتبرون هذه الحالة أكمل سعادة على الأرض؟.

طبعاً. فهي سعادة الوحوش. هناك أشخاص لا يعرفون سواها. تلك السعادة تشبه سعادة البهائم. وأيضاً فإن الأطفال أسعد من البالغين.

778 ـ أمِنَ الممكن أن يتراجع الإنسان إلى حالة الفطرة؟.

كلا، إذ يجب عليه أن يرتقي بلا توقّف، ولا يستطيع أن يعود إلى حالة الطفولة. يرتقي الإنسان لأن هذه هي مشيئة الله. فمن يفكر أن مِن الممكن أن يتقهقر صَوْبَ حالته الأوّلية، ينكر سنّة الارتقاء.

2. سَيْر الارتقاء

779 ـ هل يستمدّ الإنسان في نفسه القوة الارتقائية أم لا يَفْدو الارتقاء نتيجة التعليم؟.

يتطوَّر الإنسان هو بنفسه طبيعياً، ولكن لا يرتقي جميع الناس في نفس الوقت بنفس الأسلوب. وحينذاك، فالذين هم أكثر ارتقاءً يساعدون في ارتقاء الآخرين بالاتصال الاجتماعي.

780 ـ أيتبع الارتقاء الخُلُقي دائماً الارتقاء العقلي؟.

الارتقاء الخُلُقي هو تابع للارتقاء العقلي، ولكنه لا يليه مباشرةً دائماً (س192 و365).

780 أ ـ كيف يستطيع الارتقاء العقلي أن يؤدي إلى الارتقاء الخُلُقي؟.

بجَعْل الإنسان يفهم الخير والشر، وحينئذ يَسعَه أن يختار بينهما. إن تَطَوُّر قدرة الاختيار يتبع تَطوُّر الذكاء، ويُزيد من مسؤولية الإنسان عن أعماله.

780 ب ـ لماذا إذن تكون الشعوب الأكثر استنارةً هي عادة الشعوب الأكثر فساداً؟.

الارتقاء الكامل هو الهدف، ولكن الشعوب، كالأفراد، لا تصل إليه خطوة خطوة. وربما ينمو فيهم الوعي الأدبي، فمن الممكن جداً أن يستعملوا ذكاءهم لعمل الشر. والوعي الأدبي أو الخُلُقي والذكاء قُوَّتان لا تتعادلان إلاّ مع مرّ الزمن (س 365 ـ 751).

781 ـ هل باستطاعة الإنسان أن يُوقِف سَيْر الارتقاء؟.

كلا، ولكنه يستطيع أن يعرقله أحياناً.

781 أ ـ ما رأيكم بالذين يحاولون إيقاف سَيْر الارتقاء وجَعْل البشرية تتراجع إلى الوراء؟.

هم مساكين سيعاقبهم الله. سيَقْلِبُهم السَيْل الذي يريدون إيقافه.

لكون الارتقاء قريحة في الطبيعة البشرية، وليس في استطاعة أحد أن يقاومه. فإن الارتقاء قوّة حَيّة تستطيع قوانين سيئة تأخيره، ولكن لا تستطيع إخماده. وعندما تصير هذه القوانين مُنافية له، فهو يَسْحَقها مع جميع الذين يحاولون فرضها، وهكذا سيكون الحال حينما يربط الإنسان قوانينه بالعدل الإلهي الذي يريد الخير للجميع، وليس بقوانين يَسُنّها القوي لصالحه على حساب الضعيف.

782 ـ ألا يوجد أناس يعرقلون الارتقاء بحُسْن نيّة، معتقدين بأنهم يُيَسِّرونه لأنهم يَرَونه من وجهة نظرهم؟.

إنهم حُصاة صغيرة موضوعة تحت عجلة عربة ضخمة ولا تمنع سيرها إلى الأمام.

783 ـ هل يسير رُقي البشرية سَيْراً تدريجياً وبطيئاً كل حين؟.

يوجد الارتقاء المتواصل والبطيء، الناجم عن قوة الأشياء. ولكن، عندما لا يرتقي شعب بالسرعة اللازمة، يُثير الله فيه من حين لآخر صَدمة مادية أو معنوية تُغَيِّر سليقته.

لا يمكن للإنسان أن يظلَّ في الجهل على الدوام، إذ يجب عليه أن يصل إلى الهدف الذي عَيَّنه الله له: فهو يتنوَّر بقوة الأشياء. تخلقه الثورات الخُلُقية، كالثورات الاجتماعية، الأفكار شيئاً فشيئاً، تنبت خلال أجيال، ثم تنفجر فجأةً وتهدم بناء

الماضي البالي الذي ما عاد يَتَوَاءم مع الاحتياجات العصرية والمتطلبات الجديدة.

الإنسان عادة، لا يرى في هذه الصَّدَمات سوى الفَوْضَى والارتباك اللذَيْن يصيبانه مؤقّتاً في مصالحه المادية. ولكن مَنْ يُصْغِد بفكره أعلى من شخصيته، يُعَظِّم مقاصد العناية الإلهية، فهي تستخرج الخير من الشر. وهذه الأشياء هي كالعاصفة والزوبعة اللتَين تنقيان الجو بعد أن تهزّه بعنف.

784 ـ فساد البشرية كبير جداً، ألا يبدو أن الإنسان يسير إلى الوراء بدلاً من أن يسير إلى الأمام، على الأقل من الوجهة الخُلُقية ؟.

أنت غلطان. انظر جيداً إلى المجموع وسترى أنه يتقدم إذ يَتَحَسَّن فَهْمه لما هو سيئ، ويوماً بعد يوم يخفف إفراطه في الأشياء. لا بدّ من ازدياد الشّر لكي يقتنع الإنسان بضرورة الخير والإصلاحات.

785 ـ ما هي أكبر عقبة في طريق الارتقاء؟.

الكبرياء والأنانية، وأعني في طريق الارتقاء الأدبي أي الخُلُقي، إذا أن الارتقاء العقلي يتقدّم دائماً. ويلوح، من النظرة الأولى، أن نشاط هذه الرذائل يزيد بزيادة الطموح وحب الثراء، اللذين بدورهما، يَحُثّان الإنسان على البُحوث التي تنير روحه. وهكذا، فلكل شيء غرض في العالم الخُلُقي كما في العالم المادي، ومِنَ الشر قد يَنجم الخير. إلاّ أن حالة الأشياء هذه مؤقّتة وستتغيّر بقدر ما سيُحْسن الإنسان فهمه وحين يعيش، خارج التمتُّع بالمتع الأرضية، فتلك سعادة أجلّ للغاية وأكثر دَوَاماً للغاية (راجع الأنانية فصل 12).

هناك نوعان من الارتقاء يستندان إلى بعضهما ولكنهما لا يسيران جنباً إلى جنب، وهما الارتقاء العقلي والارتقاء الخُلُقي. في الشعوب المتحضِّرة، لقد نال الارتقاء العقلي، في القرن الحالي، جميع التشجيعات المرغوب بها، ومن ثم بلغ درجةً لم يبلغها من قبل. وليت الثاني يكون في نفس المستوى، ومع ذلك، فإذا قارنّا العادات الاجتماعية بما كانت عليه قبل عدة قرون، لوَجَبَ علينا أن نُقِرّ بأن الارتقاء واضح. وقد يتبطّأ السير الصاعد، في الخُلُق أكثر مما الذكاء؟ لماذا لا يحصل هذا التطور في الخُلُق، بين القرن 19 والقرن 24 يوجد نفس الفرق الذي حصل بين القرن 14 والقرن 19 في الذكاء؟

يعادل التشكيك في هذا الأمر الزعم بأن البشرية وصلت إلى ذروة الكمال، وهذا مُنَافٍ للعقل، أو بأنها غير قابلة للارتقاء في الخُلُق، وهذا تكذّبه الخِبرة.

3. الشعوب المُنْحَطّة

786 ـ يُرينا التاريخ شعوباً كثيرة عادت إلى الهمجية، بعد أن هزّتها صَدَمات شديدة. أين الارتقاء في هذه الحالة؟.

عندما يوشك بيتك أن ينهار، فأنت تهدمه لتبني بيتاً آخر أمتن منه وأكثر راحة منه. لكن، حتى يتم بناء البيت الجديد، يوجد بلبلة وارتباك في مسكنك.

افهم أيضاً ما سأقوله لك: كنت فقيراً وكنت تسكن في كوخ، ثم أصبحت غنياً، فنزحت من كوخك لتسكن في قصر. وأتى شخص مسكين، كما كنت سابقاً ليسكن في كوخك، وهو يعتبر نفسه من السعداء، إذ لم يكن عنده مأوى. ولذلك، ليكن في علمك أن الأرواح التي تجسّدت في هذا الشعب المُنْحَط ليست هي الأرواح التي كانت تكوّنه في أيام بهائه. فأرواح ذلك العهد التي كانت راقية، رحلت إلى مساكن أتقن وارتقت، بينما أرواح أخرى أقلّ ارتقاءً منها أخذت مكانها وسترحل منه بدورها يوماً ما.

787 ـ ألا توجد شعوب عاصية على الارتقاء بطبيعتها؟.

أجل، ولكن تلك الشعوب تفنى جسدياً يوماً بعد يوم.

787 أ ـ ما هو المصير الآجل للأرواح التي تحيي هذه الشعوب؟.

ستصل كسائر الأرواح الأخرى إلى الكمال، بمرورها بحيوات أخرى، لأن الله لا يحرم أحداً من الإرث.

787 ب ـ إذن فمن الممكن أن الناس الأكثر تمدناً كانوا همجيين ومن آكلي اللحم البشري؟.

أنت بالذات، كنت منهم أكثر من مرة قبل أن تصبح ما أنت عليه الآن.

788 ـ الشعوب فرديات جماعية تمرّ، كالأفراد والبلوغ الهرم. ألا تدفعنا هذه الحقيقة، التي يشهد لها التاريخ، إلى الظن بأن الشعوب الأكثر ارتقاءً في هذا العصر سوف تنحط ثم تزول كما حدث للشعوب القديمة؟.

الشعوب التي تعيش حياة الجسد فقط، وأسّست عظمتها على القوة والتوسّع فقط، تنشأ وتكبر وتموت، إذ تنهك قوة شعب مثلما تنهك قوة شخص. تفنى الشعوب

التي تتنافى شرائعها الأنانية مع تقدّم المعارف والمحبّة، لأن المعرفة تقتل الظلّمات والمحبّة تقتل الأنانية. فهناك حياة الروح للشعوب كما للأفراد. والشعوب التي تتواءم شرائعها مع شرائع الله الأزلية تعيش وتصير مَنَارَةً للشعوب الأخرى.

789 ـ هل يجمع الارتقاء يوماً جميع شعوب الأرض في دولة واحدة؟.

كلا، ليس في دولة واحدة، فهذا مستحيل إذ أن مِنْ تنوُّع الطقوس تنشأ أعراف واحتياجات مختلفة تكوِّن القوميات. لذلك ستحتاج الشعوب دائماً إلى شرائع مناسبة لهذه الأعراف ولهذه الاحتياجات. إلاّ أنّ المحبّة ليست منافية أبداً للموقع الجغرافي ولا تميِّز بين ألوان البشرة.

لذلك، فحينما تصبح شريعة الله أساس الشريعة البشرية، تمارس الشعوب المحبة فيما بينها، كما يمارسها الأفراد فيما بينهم. وحينئذ، ستعيش سعيدة وبسلام، ولن يحاول أحد أن يُسيء، إلى جاره ولا أن يعيش على حسابه.

ترتقي البشرية بارتقاء الأفراد الذين يتحسَّنون شيئاً فشيئاً ويتنورون. وحالما يصيرون أكثرية يسيطرون على الوضع ويجرُّون الآخرين إلى الارتقاء. لأنه من حين إلى آخر يبرز أناس عبقريون يقفزون إلى الأمام، وأشخاص ذوو سلطة هم أدوات يستعملها الله، يجعلون البشرية ترتقي عدّة قرون في سنوات قليلة.

يبرز ارتقاء الشعوب أيضاً عدالة العودة إلى التجسُّد. فيبذل أهل البِّر جهوداً حميدة لكي ترتقي أمّة أدبياً وعقلياً. وبارتقائها، تكون أسعد في هذا العالم، لكن أثناء سيرها البطيء عبر القرون، يموت كل يوم آلاف من الأفراد. فما هو مصير جميع الذين يسقطون في المسير؟ هل يحرمهم عدم ارتقائهم النسبي، من السعادة المخصَّصة للذين يصلون في النهاية؟ أم هل سعادتهم نسبيَّة أيضاً؟ لا يعقل أن تصدِّق العدالة الألهية على ظلم كهذا. فبتعدد الحيوات، يكون الحق بالسعادة للجميع، فلا يحرم أحد من الوصول إلى الارتقاء. ولكون الذين عاشوا في أيام الهمجية يستطيعون العودة إلى العالم المادي في الحضارة، في نفس الشعب أو في شعب آخر، فهذا يعني أنهم ينتفعون جميعاً من السير المتصاعد.

ولكن في النظرية التي تقول بحياة واحدة نجد عسراً شديداً، فوفقاً لهذه النظرية، تخلق الروح ساعة الولادة، فإذا كان شخص أكثر ارتقاء من غيره، فلأن الله خلق له روحاً أرقى. ولكن لماذا هذه المحاباة؟ ومن أين هذا الاستحقاق، هو الذي

لم يعش أكثر من غيره، أو غالباً أقل من غيره، ليكون موهوباً روحاً سامية؟ لكن العسر الرئيسي ليس هنا. تمر أمة خلال ألف سنة من الهمجية إلى الحضارة. فلو كان الناس يعيشون ألف سنة، لكان من المعقول أنهم في هذه المدة يحددون الوقت الكافي ليرتقوا. ولكن كل يوم يموت أناس من كل الأعمار، وتتجدد أناس على الدوام، ففي كل يوم نرى الذين يجيئون والذين يروحون. وفي نهاية الألف سنة، لا يبقى أثر للسكان القدماء، والأمة التي كانت همجية، صارت متمدنة. فما الذي ارتقى فيها؟ هل هم الأفراد الذين كانوا همجيين سالفاً؟ ثم ماتوا من زمان. هل هم الحديثو المجيء؟ أما إذا حلقت روحهم ساعة ولادتهم، فإن هذه الأرواح ما كانت موجودة إذن في أيّام الهمجية، ومن ثم وَجَبَ علينا أن نسلّم بأن الجهود التي تبذل لتمدين شعب لا تستطيع أن تُحَسِّن نفوساً ناقصة، بل أن تجعل الله يخلق نفوساً أرقى.

لنقارن نظرية الارتقاء هذه، بالنظرية التي أعطتها الأرواح. فالنفوس التي جاءت في عصر المدنية، مرّت بالطفولة كسائر النفوس الأخرى، ولكنها عاشت سابقاً، وجاءت مرتقية من ارتقاء سالف. وهي تأتي مستميلة إلى بيئة تأتلف معها ولها علاقة بحالتها الحاضرة، بحيث أن العناية التي يُحاط بها شعب ليتمدن، لا ترمي إلى أن يخلق الله للمستقبل أرواحاً أرقى من التي سبقتها، وإنما إلى اجتذاب الأرواح التي ارتقت، سواء عاشت بين هذا الشعب في أيام الهمجية، أم أنها أتت من منطقة أخرى. وفي ذلك تفسير لارتقاء البشرية بأجمعها. فحينما تصل جميع الشعوب إلى مستوى واحد في عاطفة البِّر، تكون الأرض ملتقى أرواح صالحة فقط، تعيش مع بعضها في ألفة أخوية، وعندما تشعر الأرواح السيئة بأنها منبوذة وفي غير محلها، فتذهب إلى العوالم المتأخرة باحثة عن البيئة التي تلائمها، حتى تصبح جديرة بأن تجيء متطورة، إلى بيئتنا. هناك أيضاً تتمة للنظرية العامة، وهي أن أعمال التحسين الاجتماعي تفيد فقط الأجيال الحاضرة والآتية، ونتيجتها معدومة في الأجيال الماضية التي أخطأت بمجيئها الباكر جداً، لكونها مثقّلة بأعمالها في الهمجية. ولكن وفقاً لتعاليم الأرواح، فإن الارتقاءات اللاحقة، تعيد تلك الأجيال التي تعود إلى الحياة في أحوال أحسن، وتستطيع أن تتحسّن في مشرب المدنية (س 222).

4. المدنية

790 ـ هل المدنية هي ارتقاء البشرية أم، كما يرى بعض فلاسفة، هي انحطاطها؟.

هي ارتقاء ناقص، إذ أن الإنسان لا يمرّ فجأة من الطفولة إلى البلوغ.

790 أ ـ أيصح أن ندين المدنية؟.

أدينوا بالأحرى الذين يفرطون في الانتفاع منها، لا صنيعة الله.

791 ـ هل تتنقّى المدنية يوماً بحيث تزيل ما أنتجت من شرور؟.

أجل، حينما يصل تطوُّر الحاسة الأدبية إلى مستوى تطوُّر الذكاء. إذ لا يمكن أن تأتي الثمرة قبل الزهرة.

792 ـ لماذا لا تحقّق المدنية حالاً كل الخير الذي تستطيع أن تولّده؟.

لأن الناس ليسوا مهيئين بعد، ولا مستعدين للحصول على هذا الخير.

792 أ ـ أليس بسبب اختلاقها احتياجات جديدة، تهيج بقوة شهوات جديدة؟.

نعم، لأن جميع قدرات الروح لا ترتقي معاً. ولا بد من وقت لكل شيء. لا يمكن أن تنتظروا ثماراً ممتازة من مدنية ناقصة. (751 ـ 780).

793 ـ ما هي العلامات التي نتعرف بها على مدنية كاملة؟.

تتعرّفون عليها من تطوّرها الخُلُقي. أنتم تظنّون إنكم راقون جداً، لأنكم اكتشفتم اكتشافات عظيمة واخترعتم اختراعات مدهشة، ولأنكم تسكنون أحسن وتلبسون أحسن من المتوحشين. ولكن لا يحق لكم فعلاً القول بأنكم متمدنون إلا بعد أن تطردوا من مجتمعكم الرذائل التي تفضحه، وحينما تعيشون مع بعضكم كإخوة بممارسة المحبة التي أوصى بها الله. وإلى حين ذلك، فأنتم لا تعدون كونكم شعوباً متنورة اجتازت فقط أول مرحلة من مراحل التمدّن.

إن المدنية لها درجات، ومثلها مثل جميع الأشياء. المدنية الناقصة فهي حالة انتقالية تثير شروراً خاصة، مجهولة في الحالة البدائية. لكن هذا لا يعني أنها لا تشكل ارتقاء طبيعياً وضرورياً، يحوي في ذاته الدواء للشر الذي يثيره الارتقاء، إذ تزيل بعض الشرور التي أثارتها، وهذه الشرور سوف تزول مع الارتقاء الأدبي.

إن الشعب الذي وصل إلى ذروة الرقي الاجتماعي، هو الشعب الذي يحوي أقل مقدار من الأنانية والجشع والكبرياء، وحيث تسود فيه العادات العقلية والأدبية على المادية، وحيث يستطيع الذكاء أن يتطور بحرية كبيرة، وحيث يكون فيه أكبر قدر من طيب القلب وسلامة النية والسماح والكرم، وحيث التحيزات ضد الطبقة الاجتماعية والسلالة أقل تأصلاً، لكونها منافية للمحبة الحقيقية للآخرين، وحيث القوانين لا تقدس أي امتياز بل هي واحدة للصغير وللكبير، وحيث تمارس العدالة بأقل محاباة ممكنة، وحيث يجد الضعيف دائماً سنداً ضد القوي، وحيث تحترم حياة الإنسان وعقائده وآراءه بأفضل ما يمكن، وحيث عدد البؤساء يقل أكثر، وأخيراً حيث يكون كل شخص ذي عزيمة صادقة متأكداً كل حين أن الضروريات لن تنقصه أبداً.

5 ـ ارتقاء التشريع البشري

794 ـ أمن الممكن أن تسود في المجتمع الشرائع الطبيعية فقط دون إعانة الشرائع السماوية؟.

ممكن، إذا أحسن الناس فهمها، وإذا عزموا على ممارستها، فهي تكفي. غير أن للمجتمع مقتضياته، وتعوزه شرائع خاصة به.

795 ـ ما هو سبب تقلب الشرائع البشرية؟.

في عصور الهمجية، كان الأقوياء هم الذين سنوا القوانين، وسنوها لصالحهم. ثم صار من اللازم تعديلها بقدر ما تحسن فهم الناس للعدالة. القوانين البشرية تكون أثبت بقدر ما تقترب من العدالة الحقة، أي بقدر ما تسن للجميع وتتطابق مع الناموس الطبيعي.

خلقت المدنية للإنسان احتياجات جديدة، وهذه الاحتياجات مرتبطة بالمقام الاجتماعي الذي صنعه الإنسان لنفسه. واضطر أن ينظم حقوق وواجبات هذا المقام بقوانين بشرية. ولكن، تحت وطأة أهوائه، كثيراً ما اختلق حقوقاً وواجبات وهمية يستنكرها الناموس الطبيعي وتلغيها الشعوب من قوانينها حين ترتقي. فالناموس الطبيعي ثابت و واحد للجميع. أما الشريعة البشرية فهي متقلبة ومعرضة للتطور، وقد استطاعت هي وحدها، في طفولة المجتمعات، أن تقر حق الأقوى.

796 ـ أليست قساوة القوانين الجنائية ضرورية في حالة المجتمع الحاضرة؟.

لا شك أن مجتمعاً فاسداً يحتاج إلى قوانين قاسية. مع الأسف، إذ تتمسك هذه القوانين بمعاقبة الشر بعد ارتكابه، أكثر من استئصال منبعه. والتربية فقط هي التي تستطيع إصلاح الناس، فحينئذ لن يعودوا بحاجة إلى قوانين بهذه الصرامة.

797 ـ كيف سيجبر الإنسان على إصلاح قوانينه؟.

يجيء هذا طبيعياً بحكم الأحوال وبتأثير أهل البر الذين يقودونه في طريق الارتقاء. لقد أصلح الإنسان حتى الآن الكثير من القوانين وسوف يصلح عدداً كبيراً غيرها. انتظر وشف.

6ـ تأثير الأرواحية على الارتقاء

798 ـ أتصير الارواحية عقيدة سائدة أم ستظل عقيدة يتشاطرها بعض أشخاص؟.

لا شك أنها ستصير عقيدة سائدة سوف تشير إلى عهد جديد في تاريخ البشرية لأنها من طبيعة الأشياء، لقد آن الأوان لتأخذ مقامها بين المعارف البشرية. إلا أنها ستضطر إلى أن تصمد لصراع كبير، ضد المصالح المعاكسة أكثر مما ضد العقائد، إذ يجب أن لا يغتر أحد بأن هناك أناساً منشغلون بمحاربتها، بعضهم عن حب الذات، وغيرهم لأسباب مادية محضة. لكن المعارضين، حينما يجدون أنفسهم منعزلين أكثر فأكثر، سيضطرون إلى أن يفكروا كسائر الناس، حتى لا يصيروا سخرية لهم.

تتغير الأفكار فقط مع الزمن، ولا تتغير أبداً فجأة، فهي تضعف من جيل إلى جيل إلى أن تزول شيئاً فشيئاً مع الذين كانوا يجاهرون بها، ويستبدلون بأشخاص آخرين مشبعين بنظريات جديدة، كما يحدث للأفكار السياسية. انظروا إلى الوثنية: لا يوجد أحد اليوم يُعلِن أنه يعتقد بالأفكار الدينية التي كانت موجودة في تلك الأزمنة. ومع ذلك، فإن عِدّة قرون بعد قدوم المسيحية، تركت الوثنية آثاراً وحدث تجديد كامل في الأجناس البشرية. وهذا بالذات ما سيحدث في الأرواحية، فهي تنتشر انتشاراً كبيراً جداً، ولكن أثناء جيلين أو ثلاثة، سوف يكون هناك عدم تصديق بها، وسوف يزيله الزمن فقط. غير أنه سيكون انتشاراً أسرع مما كان عليه انتشار تعاليم المسيح، لأن تعاليمه ذاتها هي التي تفتح لها الطرق، وإلى تعاليمه تستند. لقد كان واجب تعاليم المسيح الهدم، وكذلك واجب الأرواحية هو مجرد الهدم.

799 ـ باي شكل تقدر الأرواحية أن تساهم في الارتقاء؟.

بهدم المادية التي هي إحدى آفات المجتمع، فهي تُفهّم الناس أين يوجد صالحهم الحقيقي. نظراً إلى أن الحياة الآجلة ما عاد يحجبها الشك، سيحسن الإنسان فهمه إذ استطاع أن يضمن مستقبله في الحياة الحاضرة. بإزالة التحيزات ضد طوائف وطبقات اجتماعية وألوان بشرة حيث يتعلم الناس التضامن الأكبر الذي سيجمعهم كإخوة.

800 ـ ألا يخشى أن تعجز الأرواحية، عن التغلب على لا مبالاة الناس وتعلّقهم بالأشياء المادية؟.

هذا يدل على معرفة صغيرة جداً عن الناس، لأنك تظن بأن سبباً ما يستطيع أن يغيرهم كما بسحر. تتغير الأفكار شيئاً فشيئاً بحسب الأفراد ولا بد من مرور أجيال لتزول آثار العادات القديمة تماماً. لا يمكن أن يطرأ التحويل إلاّ مع الزمن، تدريجياً. وفي كل جيل يزول جزء من الحجاب، وقد أتت الأرواحية لتمزقه بالتمام. وربّما يحدث ذلك، فلو نتج عنها أن تجعل شخصاً واحداً يصلح نفسه وحتى من عيب واحد فقط، لكان ذلك خطوة إلى الأمام، ومن ثم خيراً عظيماً، إذ أن هذه الخطوة الأولى ستجعل الخطوات الأخرى أسهل.

801 ـ لماذا لم تعلم الأرواح في جميع العصور ما تعلّمه اليوم؟.

أنتم لا تعلّمون الأطفال ما تعلّمونه للبالغين، وأنتم لا تعطون للمولود حديثاً طعاماً لا يستطيع هضمه. كل شيء في وقته. لقد علّمت الأرواح أشياء كثيرة لم يفهمها الناس أو شوهوها، ولكن يمكنهم فهمها الآن. ورغم أن تعليمها كان ناقصاً، فقد هيّأت التربة لتقبل البذرة التي ستثمر الآن.

802 ـ بما أن الأرواحية ستشير إلى ارتقاء في البشرية، لماذا لا تسرع الأرواح هذا الارتقاء بتجليات شاملة وجليّة، بحيث تجعل الناس يعتقدون بها وحتى أكثرهم لا تصديقاً بها؟.

أنتم تريدون معجزات، ولكن الله ينثرها بكلتا يديه تحت خطواتكم، وما زال هناك قوم يجحدونه. هل أقنع المسيح ذاته معاصريه بالمعجزات التي أتى بها؟ ألا ترون اليوم أناساً ينفون أجلى الوقائع التي تحدث تحت أعينهم؟ ألا يوجد أناس يقولون إنهم لن يصدّقوا حتى لو رأوا بأعينهم؟ كلا، لا يريد الله توبة الناس بواسطة معجزات. في رحمته، يريد لهم فضل الاقتناع بالعقل.

الفصل التاسع: سنة المساواة

(ثامن سنن الطبيعة)

1ـ المساواة الطبيعية

2ـ التباين في الكفاءات

3ـ التباينات الاجتماعية

4ـ التباين في الثروات

5ـ تجارب الغنى والفقر

6ـ مساواة حقوق الرجل والمرأة

7ـ المساواة أمام القبر

1ـ المساواة الطبيعية

803 ـ هل كل الناس متساوين أمام الله؟.

أجل، لأنهم جميعاً يقصدون نفس الهدف، ولأن الله جعل سننه للجميع. انتم تقولون كثيراً: «تشرق الشمس على الجميع»، وبقولكم هذا تنطقون بحقيقة أكبر وأعم مما تظنون.

يخضع جميع الناس لنفس سنن الطبيعة. جميعهم يولدون بنفس الضعف، وجميعهم معرضون لنفس الآلام، ويفنى جسد الغني كما يفنى جسد الفقير. لم يعط الله إذن لأي إنسان تفوقاً طبيعياً، سواء في الولادة أو في الموت، لأن الجميع متساوون أمامه.

2ـ التباين في الكفاءات

804 ـ لماذا لم يهب الله نفس الكفاءات لجميع الناس؟.

خلق الله كل الأرواح متساوين، ولكن كلاً منهم عاش زمناً أكبر أو أصغر، ومن ثم أحرز تقدماً أكبر أو أصغر. والفرق هو في درجة اختبارهم وفي إرادتهم التي هي حرية الاختيار. وبناءً عليه، يسبق بعضهم الآخرين في سرعة الارتقاء، وهذا يعطيهم كفاءات مختلفة. ومجمل الكفاءات لازمة، لكي يستطيع كل واحد أن يساهم في مقاصد العناية الإلهية ضمن حدود تطور قواه الجسدية والعقلية. فما لا يستطيع أحد أن يعلمه، يستطيع الآخر أن يعلمه. وهكذا، فلكل واحد وظيفته النافعة. ونظراً إلى أن جميع العوالم متضامنة بعضها مع بعض، فلا بدّ حتماً لسكان العوالم السامية، لكون أغلبهم خلقوا قبل عالمكم، أن يأتوا ويسكنوا بينكم ليكونوا قدوة لكم(361).

805 ـ عندما ينتقل الروح من عالم راقٍ إلى عالم متأخر، هل يحفظ كل قدراته المكتسبة؟.

نعم، سبق لنا القول إن الروح الذي ارتقى لا ينتكس أبداً. في حالته كروح، يجوز له أن يختار غلافاً أخشن أو مركزاً أضيق من الذي كان له سابقاً، ولكن اختياره هو دائماً تعليم له ومعين في الارتقاء (180).

وهكذا، لا يتوقف تنوع الكفاءات في الإنسان على كنه خليقته، وإنما على درجة التحسين الذي وصلت إليه الأرواح المتجسدة فيه. لم يخلق الله إذن التباين في القدرات، ولكنه سمح لدرجات التطور المختلفة بأن تكون متّصلة ببعضها، حتى يستطيع المتقدمون أن يساعدوا على ارتقاء المتأخرين، حتى يستطيع الناس، لكونهم يحتاجون إلى بعضهم بعضاً، أن يؤدوا واجبات سنّة المحبّة التي ستجمعهم.

3 ـ التباينات الاجتماعية

806 ـ هل التباين في الحالات الاجتماعية من سنن الطبيعة؟.

لا، هي من صنع الإنسان لا من صنع الله.

806 ـ أ ـ هل يزول يوماً هذا التباين؟.

ليس هناك شيء أبدي سوى نواميس الله. ألا تراه ينمحي شيئاً فشيئاً كل يوم؟ سيزول هذا التباين مع زوال غلبة الكبرياء والأنانية، ولن يبقى سوى التباين الناتج عن المقدرة. سوف يأتي يوم لا ينظر أعضاء أسرة الله الكبيرة إلى أنفسهم كذوي عراقة نظيفة كثيراً أو قليلاً، وهذا لا يتوقف على المركز الاجتماعي.

807 ـ ما رأيكم بالذين يسيئون استعمال مركزهم الاجتماعي السامي ليطغوا على الضعيف لصالحهم؟.

هؤلاء يستحقون اللعنة، يا ويلهم، فهو سيطغى عليهم بدورهم، وسيعودون إلى الحياة في تجسد آخر يقاسون فيه جميع ما جعلوا الضعيف يقاسي منهم. (684).

4 ـ التباين في الثروات

808 ـ ألا يتأتى التباين في الثروات من التباين في المواهب الذي يعطي لبعض الناس وسائل لاكتساب الأموال أكثر مما للآخرين؟.

نعم ولا. هل نسيت المكر والسرقة؟

808 ـ أ ـ ولكن، الثروة الموروثة لم تأت من الأهواء الشريرة؟.

كيف تعرف؟ ارجع إلى الأصل وسترى إن كانت دائماً من أصل شريف. هل تعرف إذا لم تكن في البدء نتيجة اغتصاب أو ظلم؟ ولكن، بصرف النظر عن مصدرها الذي قد يكون شريراً، أتظن أن الطمع في امتلاك شيء، حتى لو كان اقتناؤه سليماً، أو الرغبة الخفيّة بامتلاكه عواطف حميدة؟ هذا هو ما يحكم فيه الله، وأؤكد لك بأن حكمه أصرم من حكم الناس.

809 ـ إن كان اقتناء ثروة سيئاً في الأصل، هل الذين يرثونها فيما بعد، مذنبون بسبب ذلك الاقتناء؟.

لا شك أنهم ليسوا مسؤولين عمّا فعله آخرون، وخاصة أنهم قد يجهلونه. ومع ذلك، اعلم أنه في أحوال كثيرة تزول ثروة إلى شخص، كفرصة تعطى له فقط لكي يعوض عن ظلم ماض. وهو سعيد لو فهم ذلك. إذا عوض نيابة عمن ارتكب الظلم، فسيحسب التعويض للاثنين، إذ أن من ارتكب الظلم هو الذي يثير فكرة التعويض.

810 ـ دون البعد عن الشرعية، يجوز لأحد أن يتصرف بأمواله بطريقة عادلة كثيراً أو قليلاً. هل هو مسؤول بعد موته عن التدابير التي اتخذها؟.

كل عمل يثمر. فأثمار الأعمال الصالحة حلوة وأثمار الأعمال الأخرى مرة. دائماً، افهموا هذا جيّداً.

811 ـ هل المساواة المطلقة في الثروات ممكنة، وهل وجدت في زمن ما؟.

كلا، هذا مستحيل. ويعترض عليها تنوُّع المواهب والطباع.

811 أ ـ مع ذلك، هناك قوم يظنون أن في تلك المساواة يوجد الدواء ضد بلايا المجتمع. ما رأيكم بهذا الأمر؟.

إمَّا أنهم أناس يريدون تنظيم الأشياء وفقاً لنظرية دون النظر إلى الظروف، أو هم طماعون حاسدون. لا يفهمون بأن المساواة التي يحلمون بها سوف تتبدد سريعاً بحكم الأحوال. قاوموا الأنانية، ففيها توجد آفتكم الاجتماعية، ولا تسعوا وراء أوهام.

812 ـ إذا كانت المساواة في الثروات مستحيلة، فهل الرغد مستحيل أيضاً؟.

لا، الرغد نسبي، ويستطيع أي واحد أن يحظى به إذا تفاهمتم حول ماهيّته...، والرغد الحقيقي هو أن يستعمل الإنسان وقته كما يحلو له، وليس في أعمال لا يميل إليها بتاتاً. ونظراً إلى أنَّ لكل واحد مواهب مختلفة، فكل عمل نافع حين يؤديه أحد منكم. التوازن موجود في كل الأشياء، ولكن الإنسان هو الذي يريد تعطيله.

812 أ ـ هل التفاهم ممكن؟.

سيتفاهم الناس حينما يمارسون سُنَّة العدالة.

813 ـ هناك أناس يصابون بالحرمان والفقر بإرادتهم. أليس المجتمع مسؤولاً عن حالتهم؟.

نعم، سبق أن قلت لكم إن المجتمع هو عادة المسبِّب الأول لهذه الأخطاء. ومن جهة أخرى، يجب على المجتمع أن ينتبه إلى تهذيبهم الأدبي والمعنوي؟ فسوء التهذيب عادة هو الذي حرَّف إدراكهم، بدلاً من أن يخمد فيهم ميولهم المفسدة. (685).

5 ـ تجارب الغِنَى والفقر

814 ـ لماذا يُعطي الله لبعض الناس الثروات والجاه، وللآخرين الفقر؟.

ليجرب كل واحد بطريقة مختلفة. فضلاً عن ذلك، أنتم تعلمون أن الأرواح ذاتهم هم الذين اختاروا هذه التجارب، وغالباً ما يفشلون بها.

815 ـ أي واحد من الاثنين هو الأهوَل، بكثير الفقر أم تجربة الثروة؟.

الاثنين يعادلان بعضهما، يثير الفقر التذمر من العناية الإلهية، وتثير الثروة جميع أنواع الإفراط؟

816 ـ صحيح أن الغني يتعرَّض لتجارب أكثر من غيره، ولكن، أليس عنده أيضاً وسائل أكثر من غيره ليعمل الخير؟.

هذا بالذات هو ما لا يعلمه عادة، لأنه يصير أنانياً ومتكبراً ولا يشبع. وتزيد احتياجاته مع زيادة ثروته، ويظن أنه لا يملك أبداً الكفاية لنفسه.

الرفعة في هذا العالم وسلطة الإنسان على نظرائه هي تجارب فادحة جداً وزالقة جداً قدر فداحة الفقر والبلية، فبمقدار ما يكون كبر الثروة والحول بمقدار ما تزداد الالتزامات التي يجب عليه تأديتها، وبقدر ما تكون سعة الوسائل المتوفرة له كي يعمل الخير والشر. يجرِّب الله الفقير باستسلامه، ويجرب الغني بكيفية استعماله ثروته وقوته.

يثير الغنى والجاه جميع الأهواء التي تربطنا بالمادة وتبعدنا عن الكمال الروحي. لذلك قال المسيح: «الحق أقول لكم إنه لأسهل أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة من أن يدخل غني ملكوت السموات» (266).

6ـ مساواة حقوق الرجل والمرأة

718 ـ هل الرجل والمرأة متساويان أمام الله وهل لهما نفس الحقوق؟.

نعم، مادام وهَب الله لكليهما فهم الخير والشر، والقدرة على الارتقاء.

818 ـ من أين تتأتى دونية المرأة أدبياً في بعض المجتمعات؟.

من السيطرة الظالمة والقاسية التي امتلكها الرجل عليها. وهو نتيجة الأنظمة الاجتماعية، وتعدّي القوّة على الضعف. فلدى الأشخاص القليلي الارتقاء، من الوجهة الأدبية، تكون القوّة أعلى من الحق.

819 ـ لماذا كانت بنية المرأة أضعف من بنية الرجل؟.

لتفرض عليها وظائف خاصة بها. الرجل للأعمال الشاقة لكونه الأقوى، والمرأة للأعمال اللطيفة، وكلاهما يتعاونان في احتمال تجارب حياة مليئة بالمرارة.

820 ـ ضعف بنية المرأة، ألا يضعها طبيعياً تحت تبعية الرجل؟.

أعطى الله القوة لبعض الناس ليحموا الضعيف، لا ليستعبدوه.

خصص الله لكل كائن الوظائف التي سيقوم بها. فأعطى للمرأة بنية أضعف من بنية الرجل، ووهبها في نفس الوقت إحساساً أرق من إحساس الرجل وله علاقة بلطافة الوظائف الأمومية وبضعف الكائنات المؤتمنة على عنايتها.

821 ـ هل للوظائف التي خصصتها الطبيعة للمرأة أهمية كبيرة كالتي أقرتها العادات للرجل؟.

أجل، وأهميتها أكبر، إذ أن المرأة هي التي تعطيه أول معارف الحياة.

822 ـ بالنظر إلى أن الناس متساوون أمام شريعة الله، فهل يجب أيضاً أن يكونوا متساوين أمام شريعة الناس؟.

هذا أول مبادئ العدل: «لا تفعلوا بالآخرين ما لا تريدون أن يُفعل بكم».

822 أ ـ بموجب هذا الرأي، يجب على التشريع، ليكون عادلاً حق العدل، أن يقر مساواة حقوق الرجل والمرأة؟.

مساواة الحقوق، نعم، أما مساواة الوظائف، فلا. إذ لا بدّ لكل منهما أن يكون له مكان خاص به:

الرجل في الأعمال الخارجية والمرأة في الأعمال الداخلية، وكل واحد بحسب كفاءته. والشريعة البشرية، كي تكون عادلة، عليها أن تقرَّ مساواة الحقوق بين الرجل والمرأة. وأي امتياز يمنح للرجل أو للمرأة ينافي العدل. يسير تحرير المرأة مع تقدُّم المدنية، ويسير استعبادها مع الهمجية. وفضلاً عن ذلك، فإن جنس الذكور وجنس الإناث موجود فقط في جهاز الجسد، وبما أن الأرواح تستطيع أن تتجسَّد في الجنسين، فلا يوجد فرق بتاتاً بهذا الاعتبار، ومن ثم يجب أن يتمتعا بنفس الحقوق.

7. المساواة أمام القبر

823 ـ ماذا يدفع الإنسان ليرغب في تخليد ذكراه بأنصاب تذكارية؟.

أنه فعل كبرياء.

823 أ ـ ولكن ألا تدل عادة فخامة الأنصاب التذكارية على رغبة الأقارب بتكريم ذكرى الميت لا الميت ذاته؟.

هي كبرياء الأقارب الذين يريدون أن يمجِّدوا أنفسهم. والحقيقة، أن كل هذا التظاهر ليس للميت، وإنما نابع عن اعتزاز، فهو للعالم ولإظهار الثروة. أتظن أن ذكرى شخص عزيز هو أقل دواماً في قلب الفقير، لكونه لا يستطيع أن يضع سوى زهرة على قبره؟ أتظن أن الرخام يقي من النسيان من كان بلا نفع على الأرض؟.

824 ـ هل تستنكرون كل الاستنكار أبهة الجنازات؟.

لا، إذا كرمت الأبَّهة ذكرى شخص بارّ، فهي عادلة وذات قدوة حسنة.

القبر هو موعد كل الناس. هناك تنتهي بلا رحمة جميع الفروق البشرية. عبثاً يريد الغني تخليد ذكراه بأنصاب فخمة، لأن الزمن سيهدمها كما يهدم الجسد، وهكذا تريد الطبيعة. وستكون ذكرى أعماله الصالحة والسيئة أقل فناءً من قبره، ولن تغسل أبَّهة الجنازات فواحشه، ولن ترفعه درجة واحدة في التدرج الروحي. (320 وما يليه).

الفصل العاشر: سنة الحرية

(تاسع سنن الطبيعة)

1. الحرية الطبيعية
2. الرقّ
3. حرية التفكير
4. حرية المعتقد
5. حرية الاختيار
6. القضاء والقدر
7. معرفة المستقبل
8. ملخص نظري في باعث أفعال الإنسان

1. الحرية الطبيعية

825 ـ هل توجد في الدنيا مواقف يصح للإنسان فيها أن يفتخر بأنه يتمتّع بحرية مطلقة؟.

كلا، لأن جميعكم تحتاجون إلى بعضكم بعضاً، من صغيركم إلى كبيركم.

826 ـ ماذا تكون الحالة التي قد يتمتع فيها الإنسان بحرية مطلقة؟.

حالة الناسك في الصحراء. أما حال وجود شخصين سوياً، فهناك حقوق عليهما أن يراعياها، ومِنْ ثمّ، لا يعود لهما حرية مطلقة.

827 ـ هل واجب الإنسان مراعاة حقوق الآخرين، يحرمه من حقّه في أن يكون سيِّد نفسه؟.

لا على الإطلاق، إذ أن هذا حق له من الطبيعة.

828 ـ كيف نوفّق بين الآراء الصائبة عند بعض الأشخاص واستبدادهم عادة في معاملة ذويهم ومرؤوسيهم؟.

لديهم فهم لسُنَّة الطبيعة، ولكن هذا الفهم يزيد في كبريائهم وأنانيتهم. فهم يفهمون كيف يجب أن تكون الأشياء، ولكنهم لا يفعلون كما يجب أن يفعلوا.

828 أ ـ هل تحسب لهم في الحياة الأخرى المبادئ التي جاهروا بها في هذه الدنيا؟.

كلما زاد ذكاء الإنسان في فهم مبدأ، كلما قلّ عذره لعدم تطبيقه على نفسه. الحق أقول لكم إن الإنسان البسيط ولكن الخالص النيَّة، هو أكثر ارتقاءً في صراط الله من الذي يريد أن يظهر بصفات ليست صفاته.

2. الرقّ

829 ـ هل هناك أناس نصيبهم، من الخليقة، أن يكونوا ملكاً لأناس آخرين؟.

إن عبودية شخص لشخص أخر عبودية كاملة تتنافى ناموس الله. الرِق هو استعمال القوة ظلماً.

سوف يزول الرق مع الارتقاء كما ستزول رويداً رويداً جميع أنواع الجور.

الشريعة البشرية التي تقرُّ الرقّ مضادّة للطبيعة، لكونها تشبِّه الإنسان بالبهائم وتحط من قيمته أدبياً وجسدياً.

830 ـ عندما يكون الرق في أعراف شعب، هل يستحق الذم أولئك الذين ينتفعون منه، ما داموا يطابقون نفسهم مع عرف يبدو لهم طبيعياً؟.

لا يزال الشر شراً، وكل مغالطاتكم لن تجعل عملاً سيئاً يصير حسناً. إلا أن مسؤولية الإنسان في الشر مرتبطة بالوسائل التي بيده ليفهمه. من ينتفع من شريعة الرق، فما برح مذنباً بخرق شريعة الطبيعة، ولكن في هذا الأمر، كما في جميع الأمور، فإن المسؤولية نسبية. بما أن الرق دخل في أعراف بعض شعوب، فربَّما انتفع منه الإنسان بنيّة حسنة، وكأمر كان يبدو له طبيعياً. لكن، حالما يريه عقله المتطوّر وخاصة المتنوِّر بتعاليم المسيح، يريه في العبد المملوك نظيره أمام الله، لا يعود له عذر ليستمر في موقفه.

831 ـ التباين الطبيعي في الكفاءات، ألا يضع بعض أجناس بشرية تحت تبعية الأجناس الأذكى منها؟.

نعم، لترفعها لا لتخبلها أكثر بعد بالاستعباد. طوال زمن مديد جداً، اعتبر الناس بعض الأجناس البشرية كحيوانات عاملة مزوَّدة بذراعين ويدين، وظنُّوا أن لهم الحق أن يبيعوها كدوابّ. يظنون نفسهم من دم أنظف. لكنهم حمقى لا يرون إلاّ المادة. ليس الدم الذي هو أكثر أو أقل نظافة، وإنما الروح. (361 و 803)

832 ـ يوجد أناس يعاملون عبيدهم بإنسانية، ولا يدعونهم بحاجة إلى شيء، ويظنون أن الحرية قد تعرِّضهم لمزيد من الحرمان. ما رأيكم بهذا الجانب؟.

أقول إن هؤلاء يفهمون مصالحهم بشكل أحسن. يعتنون أيضاً ببقرهم وخيولهم، ليجنوا منهم ربحاً أوفر في السوق. ليسوا مذنبين مثل الذين يعاملونهم معاملة سيئة، ولكنهم ما زالوا يتصرفون بهم كسلعة بحرمانهم من أن يكونوا أسياد نفسهم.

3 ـ حرية التفكير

833 ـ هل يوجد في الإنسان شيء من الإكراه، حيث يتمتَّع فيه بحرية مطلقة؟.

هذا في التفكير إذ أن الإنسان يتمتّع بحرية لا حدّ لها لأن الفكر لا يعرف عقبات. من الممكن إيقاف انطلاقه، ولكن من المستحيل محوه.

834 ـ هل الإنسان مسؤول عن تفكيره؟.

هو مسؤول عنه أمام الله. بما أن الله وحده يستطيع معرفته، فهو يدينه أو يغفره له تبعاً للعدل.

4ـ حرية المعتقد

835 ـ هل حرية المعتقد هي نتيجة حرية التفكير؟.

المعتقد هو فكر داخلي يخصّ الإنسان، مثل جميع الأفكار الأخرى.

836 ـ أيحق أن توضع عراقيل ضد حرية المعتقد؟.

لا، كما أيضاً ضد حرية التفكير، إذ الله وحده له الحق أن يحكم في المعتقد. ينظّم الإنسان بشرائعه علاقات الإنسان مع الإنسان، وينظّم الله بنواميسه الخاصة بالخليقة، علاقات الإنسان مع الله.

837 ـ ما هو المراد بالعراقيل الموضوعة ضد حرية المعتقد؟.

إجبار الناس على أن يتصرفوا خِلافاً لمعتقدهم، وهذا يعادل جعلهم مرائين. فحرية المعتقد هي إحدى مميزات المدنيّة الحقيقية والارتقاء.

838 ـ هل كل إيمان أو معتقد هو محترم، وحتى عندما يكون باطلاً بشكل واضح؟.

كل إيمان أو معتقد هو محترم عندما يكون صادقاً، ويؤدي إلى ممارسة البرّ. والمعتقدات الذميمة هو التي تؤدّي إلى الشر.

839 ـ أيستحق الذم من يثير استكاراً بإيمان أحد لا يشاركه عقائده؟.

هذا تقصير في المحبّة ويمسّ بحرية التفكير.

840 ـ أهو مسّ بحرية المعتقد وضع عراقيل أمام معتقدات تؤدي إلى تشويش المجتمع؟.

يجوز قمع الأفعال، ولكن المعتقد الداخلي يتعذر قمعه.

إن قمع الأفعال الخارجية الخاصة بمعتقد ما عندما تلحق ضرراً بالآخرين، ليس مساً بحرية المعتقد، إذ أن هذا القمع يترك للمعتقد حريته التامة.

841 ـ هل يجب، مراعاة لحرية المعتقد، أن ندع المذاهب المضرة تنتشر، أم يجوز، دون المّس بهذه الحرية، أن نحاول إرجاع أولئك الذين ضلّوا بمبادئ كاذبة إلى صراط الحقيقة؟.

يجوز بلا شك، وحتى يجب، ولكن علّموا على مثال المسيح، بالوداعة والإقناع، لا بالقوة، لأن استعمال القوة أردأ من المعتقد الذي يراد مواجهته. وإذا كان هناك شيء يباح فرضه، فهو الخير والأخوة. لكنّنا لا نعتقد أن الطريقة لجعلهم يسلّمون بخطئهم هي معاملتهم بالقوة: فالإقناع لا يفرض.

842 ـ بما أن جميع المذاهب تدّعي أنها فقط صاحبة الحقيقة، ما هي العلامات التي نتعرّف بها على المذهب الذي يحق له هذا الادعاء؟

هو الذي ينتج أكبر عدد من الأبرار وأقل عدد من المرائين، وهذا يعني الذين يمارسون شريعة المحبّة والبرّ في أنزه صورتها وفي أوسع نطاقها. هذه هي العلامة التي تتعرفون بها على أن مذهباً ما هو حسن، لأن أي مذهب عاقبته نشر الشقاق وإقامة فاصل بين أبناء الله فهو بلا شك باطل.

5ـ حرية الاختيار

843 ـ هل للإنسان حرية الاختيار في أفعاله؟

ما دام له حرية التفكير، فله حرية الفعل. ومن دون حرية الاختيار، يكون الإنسان آلة.

844 ـ هل يتمتع الإنسان بحرية الاختيار منذ ولادته؟

توجد حرية الفعل حال وجود إرادة للعمل. وفي أول سنوات الحياة، تكون الحرية معدومة تقريباً، وتتطوّر وتغير هدفها مع نمو القدرات. وبما أن أفكار الولد تتعلّق باحتياجات سنّه، فهو يستعمل حرية اختياره للأشياء التي يحتاج إليها.

845 ـ النزعات الغريزية التي يجلبها الإنسان معه عندما يولد، هل هي عقبة أمام ممارسة حرية الاختيار؟

النزعات الغريزية هي نزعات الروح قبل تجسده. حسبما يكون أكثر أو أقل ارتقاء، قد تشجعه على ارتكاب أفعال ذميمة، وتساعده فيها الأرواح التي تألف هذه الفبائح. ولكن ليس هناك انجذاب لا يقاوم عندما يريد أحد بعزم أن يقاومه. لا تنسوا أن من يشاء بعزم يستطيع (361).

846 ـ هل يؤثر الجسد على أفعال الحياة، وإذا كان يؤثر، أليس تأثيره على حساب حرية الاختيار؟.

لا شك أن المادة تؤثر على الروح وتستطيع أن تعوق تجلياته. هذا هو السبب في أنه في العوالم التي تكون فيها الأجساد أقل مادية مما هي على الأرض، تتبسط القدرات بحرية كبيرة، لكن الآلة (أي الجسد) لا تعطي القدرة. على كل حال، ينبغي أن نميزوا هنا بين القدرات الأدبية والقدرات العقلية. إذا كان لدى شخص غريزة القتل، فبالتأكيد تكون روحه ذاتها هي التي لديها هذه الغريزة وتنقلها له، وليس أعضاؤه. ومن يعطل فكره باهتمامه بالمادة فقط، يصير شبيهاً بالبهائم، وأسوأ منهم، لأنه لا يعود يحاول أن يحترز من الشر، وبموقفه هذا فهو مخطئ، لكونه يتصرف هكذا بإرادته. (راجع 367 و ما يليه: تأثير الجسد).

847 ـ هل اختلاف قدرات الإنسان يعطل حرية اختيار ؟.

من يكون عقله مختلاً لسبب ما، لا يعود سيد فكره، ومن ثمَّ لا يعود له حرية. وهذا الاختلال هو عادة عقاب للروح لكونه في حياة سابقة، كان فارغاً ومتكبراً وأساء استعمال قدراته. وقد يتجسد في جسم شخص أبله، كما يتجسد الطاغي في جسم عبد مملوك والغني البخيل في جسم شحاذ. إلاّ أن الروح يتعذّب من هذا الإكراه ويدركه حق الإدراك. وبهذا المعنى فهو تأثير المادة. (371 وما يليه).

848 ـ هل اختلال القدرات العقلية بالسكر يبرر الأفعال الذميمة؟.

لا، لأن السكّير يحرم نفسه من عقله إرادياً، ليشبع أهوائه السيئة. فهو بدلاً من خطأ واحد يرتكب خطأين.

849 ـ ما هي القدرة الغالبة في الإنسان في حالة الوحشية، أهي الغريزة أم حرية الاختيار؟.

الغريزة، ولكنها لا تمنعه من أن يتصرف بحرية تامة في بعض الأمور، إلاّ أنه يستعمل هذه الحرية للحصول على ما يحتاج إليه. فتتطوّر حرية الاختيار فيه مع تطوّر الذكاء. وبالتالي، فأنت، لكونك متنوّراً أكثر من المتوحش، فمسؤوليتك عن أفعالك أكبر أيضاً.

850 ـ أليس المركز الاجتماعي عقبة أحياناً في تمام حرية الأفعال؟.

لا شك أن العالم له تطلُّباته. إن الله عادل ويضع في اعتباره كل شيء، ولكنه يترك لكم المسؤولية في الجهود القليلة التي تبذلونها لتتغلّبوا على العقبات.

6ـ القضاء والقدر

851 ـ هل يوجد قضاء وقدر في أحداث الحياة، وفقاً للمعنى المنسوب إلى هاتين الكلمتين، أي بتعبير آخر، هل جميع الأحداث مقرَّرة سلفاً، وفي هذه الحالة، أين حرية الاختيار؟.

يوجد القضاء والقدر فقط بموجب ما اختاره الروح عندما تأنَّس، بأن يتحمَّل تلك التجربة أو تلك الأخرى. باختياره إياها، فهو يرسم لنفسه ما هو عبارة عن مصير ناتج عن الوضع الذي هو فيه، وأعني هنا التجارب المادية، أما بخصوص التجارب المعنوية والإغواءات، فبما أن الروح يحتفظ بحرية اختياره للخير وللشر، فهو سيِّد نفسه كل حين ليستسلم أو ليقاوم. قد يرى روح صالح ضعفه، فيأتي ليعينه، ولكن لا يجوز لهذا الروح أن يؤثر عليه ليسيطر على إرادته. قد يأتي روح شرير أو متأخر، ويريه في ذلك مكسباً مادياً، وقد يهزه ويخيفه، ولكن تظل إرادة الروح المتأنِّس حرّة مِنْ أي عائق.

852 ـ هناك أناس يبدو أن القضاء والقدر يلاحقهم بصرف النظر عن سلوكهم. أليس البؤس مصيرهم؟.

قد تكون هذه تجارب يجب عليهم أن يتحمَّلوها لأنهم اختاروها. لكن، ما زلتم مرة أخرى تنسبون إلى القدر ما هو غالباً نتيجة أخطائكم، في البلايا التي تعتريكم، حاول أن تحفظ ذمَّتك خالصة وستلقى تعزية.

الأفكار الصائبة أو الوهمية التي تدور في خلدنا عن الأمور، تجعلنا نظفر، وإذا فشلنا حسب كبريائنا أو مركزنا الاجتماعي. نجد من الأسهل لاعتزازنا بنفسنا وأقل تذليلاً لنا بأن ننسب فشلنا إلى سوء الحظ أو إلى المصير، وليس إلى خطئنا. وإذا ساهم تأثير الأرواح أحياناً في هذا الشأن، نستطيع كل حين أن نتخلَّص منه برفض الأفكار التي يوحونها إلينا إن كانت سيِّئة.

853 ـ هناك أشخاص ما يكادون ينجون من خطر قاتل حتى يقعوا في خطر آخر. يبدو أنهم لا يستطيعون أن ينجوا من الموت. ألا يوجد حتمية في هذه الحالة؟.

لا يوجد شيء حتمي، بتمام معنى هذه الكلمة، إلاّ حتمية ساعة الموت. عندما تأتي تلك اللحظة، سواء بشكل أو بآخر فأنتم لا تستطيعون أن تفلتوا منها.

835 أ ـ إذن مهما كان الخطر الذي يهدِّدنا، لن نموت إن لم تأت ساعة الموت؟.

لا، لن تموت، وعندك آلاف مؤلفة من الأمثال في هذا الشأن. لكن عندما تأتي ساعتك، فلا شيء يستطيع أن ينجِّيك منها. والله عالم سلفاً بأية طريقة سترحل من هنا، وفي أحيان كثيرة تعلم بها روحك أيضاً، فقد كشف هذا لها عندما اختارت أسلوب حياتها على الأرض.

854 ـ أينجم عن حتمية ساعة الموت أن الاحتياطات التي يتَّخذها أحد ليتجنَّبها لن تجديه نفعاً؟.

لا، لأن الاحتياطات التي تتخذونها توحى إليكم بقصد أن تتجنَّبوا الموت الذي يهدِّدكم. هذه الاحتياطات هي إحدى الوسائل لكي لا تموتوا.

855 ـ ما هو غرض العناية الإلهية عندما تدعنا نتعرَّض لأخطار لن يكون لها عاقبة حسنة؟.

عندما تكون حياتك مهدَّدة، فهذا هو إنذار أردته أنت بنفسك لكي يحوِّلك عن الشر ويجعلك أفضل. وعندما تنجو من هذا الخطر، وأنت لا تزال تحت تهديد الخطر الذي تعرضت له، تفكر بشدة كثيراً أو قليلاً أن تتحسن، تبعاً لتأثير الأرواح الصالحة كثيراً أو قليلاً. فأنت تظن أنه عندما يطرأ الروح الشرير (أقول شرير وأنا أعني الشر الذي ما زال جاثماً) سوف تنجو منه كما نجوت من أخطار أخرى، فتدع مرة أخرى أهواءك تثور. فبواسطة الأخطار التي تتعرضون لها، يذكركم الله بضعفكم وأن وجودكم على الأرض سهل الزوال. وإذا فحصتم سبب الخطر وطابعه، فستجدون أنه في الغالب كان بسبب خطأ ارتكبتموه أو واجب أهملتموه. بهذه الطريقة ينذركم الله لكي تخلوا إلى نفسكم وتصلحوها. (526 ـ 532).

856 ـ هل يعرف الروح سلفاً أسلوب الموت الذي سينهي حياته؟.

يعرف أن أسلوب الحياة الذي يختاره سوف يعرِّضه للموت بتلك الطريقة أكثر من تلك الأخرى، ولكنه يعرف أيضاً المعارك التي سيضطر أن يصمد لها ليتجنب الموت، وأنه، بإذن الله، لن يفشل.

857 ـ هناك أناس يواجهون أخطار المعارك باقتناع كبير بأن ساعتهم لم تأت. على ماذا تتأسَّس هذه الثقة؟.

في أحيان عديدة جداً، يستشعر الإنسان نهايته، كما أنه أيضاً قد يستشعر أنه لن يموت بعد، يأتي هذا الاستشعار من الأرواح التي تحرسه وتريد إنذاره ليكون مستعداً للرحيل، أو لتذكي شجاعته في الأوقات التي يحتاج إليها بشدة. قد يأتي إليه

أيضاً هذا الاستشعار من الدراية البديهية بالحياة التي اختارها، أو بالمهمة التي قبلها، أو التي يعلم بأن عليه أن يؤديها. (411 522).

858 ـ لماذا يخشى الذين يستشعرون موتهم، عادة أقل من الآخرين؟.

الإنسان هو الذي يخشى الموت وليس الروح. فمن يستشعر الموت، يفكّر كروح أكثر مما كإنسان، فيفطن إلى خلاصة وينتظر.

859 ـ إذا كان من المستحيل تجنب الموت حينما ينبغي لأحد أن يموت، أليس كذلك الحال في سائر الحوادث التي تصيبنا في الحياة؟.

هي عادة أحداث أصغر من أن يسعنا تحذيركم منها، وأحياناً نجعلكم تتجنَّبونها بتوجيه فكركم، لكوننا لا نحب العذاب المادي. لكن هذا قليل الأهمية بالنسبة للحياة التي اخترتموها. والقضاء والقدر، حقاً، لا يعدو كونه الساعة التي يجب عليكم أن تظهروا في هذه الدنيا وأن تزولوا منها.

859 ـ هل هناك أحداث يجب أن تحصل حتماً ولا تقدر إرادة الأرواح أن تمنعها؟.

أجل، ولكنك أثناء حالتك كروح، رأيتها واستشعرتها عندما اخترت حياتك. مع ذلك، لا تظن أن كل ما يحدث مكتوب، كما يقال. فإن حصل حادث لك. فهو عادة عاقبة شيء فعلته بفعل إرادتك الحرّة، إلى درجة أنك لو لم تفعل هذا الشيء، لما حدث هذا الحادث. إذا حرقت إصبعك، فهذا لا شيء، وهو نتيجة تهورك وعاقبة المادة. الآلام الكبيرة والأحداث الهامة التي تستطيع أن تؤثر على القوة المعنوية هي الوحيدة التي تكون من تدبير الله، لأنها نافعة لتقيتك وتعليمك.

860 ـ هل يقدر الإنسان، بإرادته وبأفعاله، أن يمنع حصول أحداث كان يجب أن تحصل، والعكس بالعكس؟.

يقدر، إذا كان هذا الانحراف الظاهري داخلاً في الحياة التي اختارها. ثم، لكي يفعل الخير كما يجب أن يكون، وبما أنَّ هذا هو غرض الحياة الوحيد، فهو يقدر أن يمنع الشر، بخاصة الشر الذي قد يثير كوارث أكبر.

861 ـ أيعلم المرء الذي يرتكب جريمة قتل أنه، باختياره أسلوب حياته، سيقتال أحداً؟.

لا، لكنه يعلم بأنه، باختياره حياة صراع، سيتعرَّض لقتل أحد من نظرائه في البشرية، ولكنه يجهل إذا كان سيقتل أم لا، لأنه في أغلب الأوقات سيشاور نفسه قبل أن يرتكب الجريمة. ومن يشاور نفسه في شيء، فهو حرّ كل حين أن يفعل الشيء

أو لا يفعله. ولو كان يعلم سلفاً بأنه، في حالته كإنسان، سيرتكب جريمة قتل، فهذا يعني أنه مقدر له سلفاً أن يجرم. افهموا إذن، لا يوجد أحد قدُر له سلفاً أن يجرم، وأية جريمة أو أي فعل هما دائماً نتيجة الإرادة وحرية الاختيار.

وعلى كل حال، أنتم تخلطون دائماً بين أمرين مختلفين جداً: الأحداث المادية التي تحصل في الحياة وأفعال الحياة الأخلاقية. إذا كان هناك قضاء وقدر، فهو في تلك الأحداث المادية التي لا تتأتى منكم وليست من إرادتكم. أما أفعال الحياة الأخلاقية، فهي تنبعث دائماً من الإنسان ذاته، ومن ثم، فإن له دائماً في شأنها حرية الاختيار. في هذه الأفعال إذن، لا يوجد قضاء وقدر أبداً.

862 ـ هناك أشخاص لا يؤول شيء إلى مصلحتهم، ويبدو أن نفساً أمّارة بالسوء تلاحقهم في جميع مشاريعهم. أليس هذا ما يصح تسميته بالقضاء والقدر؟.

هذا قضاء وقدر، إن أردت أن تسميه هكذا، ولكنه يرجع إلى أسلوب الحياة الذي اختاروه، لأن هؤلاء أرادوا أن يمتحنوا أنفسهم بحياة خائبة، ليمارسوا صبرهم واستسلامهم لمشيئة الله. ومع ذلك، لا تظن أن هذا القضاء والقدر مطلق، لأنه في أغلب الأوقات نتيجة الطريق الضال الذي نهجوه، والذي لا يتناسب مع ذكائهم وكفاءاتهم. من يريد أن يجتاز نهراً، عائماً دون أن يحسن العوم، فأغلب الظن أنه سيغرق. والحال كذلك في أغلب أحداث الحياة. فلو باشر الإنسان أعمالاً متناسبة مع قدرته، لنجح في أغلب الأحيان. ولكن ما يضيعه هو حب ذاته وطمعه اللذان يجعلانه يحيد عن طريقة، ويتبع رغبته في إرضاء بعض أهوائه. فيفشل وهو مسؤول عن فشله، ولكنه عادة، بدلاً من أن يعاتب نفسه، يتهم نجمه بفشله. فقد كان في إمكانه أن يكون عاملاً جيداً يكسب رزقه بشرف، ولكنه أراد أن يكون شاعراً ففشل ومات جوعاً. هناك محل لجميع الناس لو كان كل واحد يعرف كيف يظلّ محلّه.

863 ـ ألا تجبر الأعراف الاجتماعية الإنسان في أحيان كثيرة أن يسلك طريقاً بدلاً من آخر، أليس الإنسان خاضعاً لموافقة رأي البيئة في اختيار أشغاله؟ وما تدعونه بالحياء البشري، أليس هو عائقاً في ممارسة حرية الاختيار؟.

الناس هم الذين يقرون العادات الاجتماعية، وليس الله. وإذا خضعوا لها فلأنها توافقهم، وهذا هو أيضاً فعل من حرية اختيارهم، ما داموا يستطيعون أن يتحرروا منها إن أرادوا.

إذن، لماذا يشتكون منها؟ عليهم أن لا يتهموا الأعراف الاجتماعية، وإنما حبّ

ذاتهم الأحمق الذي يجعلهم يفضلون الموت جوعاً على أن يخالفوها. ما من أحد يحسب حساباً لهذه المسايرة لرأي البيئة، بينما الله يحسب لها حساباً لكونهم ضحوا بإرادتهم. لا يعني ذلك أنه يجب تحدي الرأي العام دون لزوم، كما يفعل البعض لشذوذ في طباعهم أو لمبادئ يعتقدون بها. هناك خطأ حين يجعل أحد كل من حوله يشيرون إليه بالسبابة أو ينظرون إليه مثلما ينظرون إلى حيوان غريب، فقدر ما لديه من حكمة فهو ينزل إرادياً من منزلته وبلا تذمر، عندما لا يستطيع البقاء في أعلى السلم.

864 ـ إذا كان هناك أشخاص يعاكسهم الحظ، وغيرهم يبدو أنه يحابيهم، إذ يؤول كل شيء إلى مصلحتهم. فما سبب ذلك؟.

ذلك عادة لأنهم يحسنون تصرفهم، ولكن قد يكون هذا أيضاً أسلوب تجربة. إذ يسكرهم النجاح، فيعتمدون على حظهم، ويدفعون عادة فيما بعد ثمن هذا النجاح ذاته، بفشل أليم كان في إمكانهم أن يتجنبوه بالتبصر.

865 ـ كيف تفسرون الحظ الذي يحابي بعض أشخاص في الظروف التي تكون الإرادة والذكاء لا دخل لهما في شيء، مثلاً في القمار؟.

اختارت بعض أرواح سلفاً بعض أساليب لهو، ولذلك، فإن الحظ الذي يحابيها هو تجربة لها. فمن يكسب كإنسان يخسر كروح، إذ أن هذا اختبار لكبريائه وطمعه.

866 ـ إذاً ما يبدو قضاء وقدراً في حياتنا المادية، قد يكون نتيجة حرية اختيارنا؟.

أنت ذاتك، اخترت تجربتك بنفسك. وكلما تكون التجربة شاقة، كلما تحتملها أحسن، وكلما تسمو. أما أولئك الذين يقضون حياتهم في البحبوحة والسعادة البشرية، فهم أرواح جبناء لأنهم لا يسعون إلى الارتقاء. وبناء عليه، فإن عدد سيئي الحظ أكبر بكثير من عدد محظوظي هذا العالم، وبالنظر إلى أن معظم الأرواح يطلبون التجربة التي ستكون أكثر منفعة لهم. فهم يرون بوضوح تام تفاهة ما تعظمونه وما تتلذذون به. زد على ذلك أن الحياة السعيدة جداً لا تخلو من القلاقل والبلابل، حتى ولو خلت من الألم. (525 وما يليه).

867 ـ ما معنى القول: «فلان نجمه سعيد»؟.

هذه خرافة قديمة تنسب إلى النجوم التأثير على حياة البشر. وهو مجاز يتخذه البعض بالحرف وبنحو أحمق.

7. معرفة المستقبل

868 ـ أمن الممكن أن يكشف المستقبل للإنسان؟.

مبدئياً، المستقبل محجوب عنه، ولا يأذن الله بكشفه إلاّ في حالات نادرة واستثنائية.

869 ـ ما الغرض من حجب المستقبل عن الإنسان؟.

لو كان الإنسان يعرف المستقبل، لأهمل الحاضر ولما تصرف بنفس الحرية، إذ ستتسلط عليه فكرة أن شيئاً سيحدث حتماً، فلا داعي أن يهتم به، لأنه سيحاول أن يعرقله. لم يشأ الله أن يكون الأمر هكذا، لكي يساهم كل واحد في تتميم الأشياء، وحتى الأشياء التي يود الإنسان أن يعترض عليها. وبناءً عليه، فأنت بالذات، تهيئ عادة، ودون أن تدري الأحداث التي ستطرأ في حياتك.

870 ـ ما دام الأفيد هو أن يحجب المستقبل، لماذا يأذن الله بكشفه أحياناً؟.

إذا كانت هذه المعرفة المسبقة ستسهل الشيء بدلاً من أن تعرقله، لأنها تلزمه بأن يعمل بطريقة مخالفة للتي كان سيعمل بها لو لم يعرف. وعادة ما يكون هذا تجربة، إذ أن الحدث الذي يتوقعه الإنسان قد يثير في ذهنه أفكاراً حسنة كثيراً أو قليلاً. فالمرء الذي يبلّغ بأن له ميراثاً مقبلاً لم يكن ينتظره؛ قد يراوده شعور الجشع، من فرحته بأن ملذاته على الأرض ستزيد، ومن بغيته في تعجيل امتلاك الإرث، متمنياً ربما موت من سيترك له الميراث. أو أن ما يتوقعه سيثير في ذهنه مشاعر حسنة وأفكاراً كريمة. وإذا لم يتحقق ما يتوقعه، فتلك تجربة أخرى، هي تجربة الطريقة التي يحتمل بها خيبة الأمل. لكن هذا لن يقلّل شيئاً من فضل أو ضرر الأفكار الحسنة أو السيئة التي أثارها منه توقعه.

871 ـ ما دام الله عالماً بكل شيء، فهو عالم أيضاً إذا كان أحد سيفشل أم لا يفشل. ومن ثم، فما لزوم هذه التجربة؛ ما دامت لا تزيد الله علماً بشيء لا يعلم به سلفاً، بشأن هذا الشخص؟.

هذا يعادل أن تسأل الله لماذا لم يخلق الإنسان في حالة كمال وفي غاية الإتقان (119)، ولماذا يمر الإنسان بالطفولة قبل أن يصل إلى سن الرشد (378). ليس قصد التجربة أن ترشد الله إلى فضل هذا الإنسان، إذ أن الله يعلم قيمته تماماً، بل أن تترك لهذا الإنسان مسؤولية فعله كلها، ما دام حراً أن يفعل ما يريد أو لا يفعله. وبما أن

الإنسان حرّ في اختياره بين الخير والشر، فالغرض من التجربة هو أن تضعه في نضال مع إغواء الشر وتترك له كل فضل المقاومة. على الرغم من أن الله يعلم سلفاً كل العلم إذا كان الإنسان سيظفر أم لن يظفر، فلا يستطيع في عدله الإلهي أن يعاقبه أو يكافئه على عمل لم يفعله بعد (258).

والحال كذلك بين الناس. فمهما كانت كفاءة المرشح لوظيفة، وحتى عندما يبدو نجاحه فيها مؤكداً، فهو لا يتقلد أية وظيفة إلا بعد امتحانه أي بعد اختباره. وكذلك لا يحكم القاضي على المتهم إلا بعد ارتكاب الجريمة، وليس لأنه يتوقع أن المتهم ربما يرتكب تلك الجريمة أو سيرتكبها.

كلما تأملنا في العواقب التي قد تنجم للإنسان عن معرفة المستقبل، كلما تجلّت لنا حكمة العناية الإلهية في إخفائه عنا. لأن معرفة أكيدة بقدوم حدث مفرح قد تدفع الإنسان إلى عدم الاجتهاد. ومعرفته بقدوم حدث محزن قد تثبط عزمه. وفي كلتا الحالتين، قد تشل قواه. هذا هو السبب في عدم كشف المستقبل للإنسان إلا كهدف عليه أن يحققه بجهوده، ودون أن يعرف سلسلة الأشياء التي سيصادفها لكي يحققه. لأن معرفة جميع حوادث الطريق قد تحرمه من مبادرته الشخصية ومن حرية اختياره. ومن ثم فقد تدعه ينقاد إلى منحدر حوادث خطيرة، مهملاً مقدراته. عندما يكون نجاح مشروع مؤكداً، لا يعود الإنسان يهتمّ به.

8 ـ ملخّص نظري في بواعث الإنسان

872 ـ يمكن تلخيص مسألة حرية الاختيار فيما يلي: ليس الإنسان مقاداً حتماً إلى الشر، وليست أفعاله مقدرة له سلفاً، والجرائم التي يرتكبها ليست ناتجة عن حتم القدر. كتجربة أو بسبب ظروف طارئة، ولكنه حر كل حين أن يفعل أو لا يفعل. وبناء عليه، ففي الحالة الروحية تكون حرية الاختيار حاضرة في اختيار أسلوب الحياة والتجارب، وفي تكون الحالة الجسدية في المقدرة على الانقياد أو على مقاومة الإغواءات التي قبلنا طوعياً أن نتعرض لها. والتهذيب هو الذي سيقاوم هذه الميول السيئة، وبخاصة إن كان مؤسساً على دراسة عميقة لفطرة الإنسان الأدبية. وبفضل معرفة السنن التي تتحكم بهذه الفطرة الأدبية، يتمكن الإنسان من تغييرها، كما يتغير العقل بالتعليم ويتغير الطبع بتقويم الطبيعة السيئة.

إن الروح المتخلص من المادة، في حالته التجوالية، يختار حيواته الجسدية المقبلة تبعاً لدرجة الارتقاء التي وصل إليها، وكما سبق لنا القول، ففي ذلك تكون حرية اختياره. ولا يبطل التجسد هذه الحرية. فحين يستسلم لتأثير المادة، فلأنه سقط في ذات التجارب التي اختارها، ولكي يتغلب عليها يمكنه أن يستنجد بمعونة الله والأرواح الصالحة(337).

دون حرية الاختيار، لا ذنب للإنسان في الشر، ولا استحقاق له في الخير. هذا معترف به في العالم، ومن المناسب دوماً توجيه اللوم أو الثناء إلى الإرادة. وعندما يقال إرادة، يقال حرية. لا يمكن للإنسان أن يبحث عن عذر لأعماله السيئة في جهاز الجسد، دون أن يتنازل عن مركزه ككائن بشري مفكر، ومماثلة نفسه بالبهيمة. فإذا كانت حالته هكذا من جهة الشر، لا بدّ أن تكون أيضاً من جهة الخير. لكنّا نرى الإنسان غالباً سريعاً في نسب أعماله الصالحة إلى نفسه وهو قليل الرغبة في نسبها إلى أعضائه. يدل ذلك على أنه، على الرغم من رأي بعض مذاهب، فهو يأبى بالغريزة أن ينكر أسمى مقدراته التي هي حرية التفكير.

من المفترض أن القضاء والقدر، كما هو مفهوم عموماً، هو القرار المسبق والمحتم لجميع أحداث الحياة، مهما كانت أهميتها. ولو كانت المسألة هكذا، لكان الإنسان عبارة عن آلة بلا إرادة. فما نفع ذكائه في هذه الحالة، ما دامت سيادة القدر تسيطر حتماً على جميع أفعاله؟ إن مذهباً كهذا، لو كان حقيقياً، لجرد الإنسان من كل حريته الأدبية، ولما عاد هناك مسؤولية له تجاه أفعاله، ومن ثم، فلا خير، ولا شر، ولا جرائم، ولا فضائل. لا يعقل أن الله، الكامل العدالة للغاية، يعاقب أحداً بسبب أخطاء لا يتوقف عليه ارتكابها أو عدم ارتكابها، ويكافئ أحداً لفضائل لم يكن له استحقاق فيها. إضافة إلى ذلك، فإن سنة كهذه قد تكون استنكاراً لسنّة الارتقاء، لأن الإنسان الذي يعتمد على الحظ في كل أموره، لن يبذل أي مجهود لتحسين مركزه، لأن هذا المجهود لن يغيّر الحال.

مع ذلك، فليس القضاء والقدر عبارة فارغة، فهو موجود في المقام الذي يشغله الإنسان على الأرض وفي الوظائف التي يقوم بها؛ من خلال أسلوب الحياة الذي اختاره روحه، كتجربة أو تكفير أو رسالة. فهو يقاسي حتماً جميع تقلبات هذه الحياة وجميع القوى الموجُهة الحسنة أو السيئة التي تلازمها. هذا هو حدّ القضاء والقدر، ويتوقف على إرادة الإنسان أن ينقاد أولاً لهذه القوى الموجُهة. إن دقائق

الأحداث متوقفة على الظروف التي يخلقها الإنسان نفسه بأفعاله، والتي قد تؤثر عليها الأرواح بالأفكار التي توحيها إليه (459).

وبناء عليه، فإن القضاء والقدر موجود في الأحداث التي تطرأ، لأنها ناتجة عن أسلوب الحياة الذي اختاره الروح. قد لا تتحقق نتيجة هذه الأحداث، ما دام يتوقف على الإنسان تغيير سيرها بتبصره، إذ أن القضاء والقدر لا يتدخل أبداً في أفعال الحياة الأدبية.

فيما يخص الموت، يخضع الإنسان لسنة القضاء والقدر بصورة مطلقة لا ترحم، إذ أنه لا يستطيع التخلص من الحتم الذي يحدد أجل حياته، ولا معرفة الميتة التي ستنهي وجوده على الأرض.

والرأي الشائع، هو أن الإنسان يستمد جميع غرائزه من ذاته. فهي قد تتأتى، من جهازه الجسدي ومن ثم فهو غير مسؤول عنها، وإمّا من طبيعته ذاتها حيث يبحث فيها عن عذر يرضيه، مدعياً أن الذنب ليس ذنبه لأنه مكون كذا. لا شك أن المذهب الارواحي يتفوق أدبياً في هذا القبيل، فهو يقر بأن حرية اختيار الإنسان كاملة تماماً. وبإقراره بأن الإنسان عندما يسيء فهو يستسلم لإيعاز خارجي سيئ، يجعله مسؤولاً تماماً عن أفعاله، ما دام يعترف له بقوة المقاومة. هذا أسهل بكثير من مقاومة طبيعته. وحسب المذهب الارواحي، لا يوجد إغواء لا يقاوم، لأن الإنسان يستطيع أن لا يصغي إلى الصوت الخفي الذي يدعوه إلى عمل الشر في داخله، تماماً كما يستطيع كل حين أن لا يصغي إلى صوت أحد يكلمه شفاهياً. يستطيع ذلك بقوة إرادته، سائلاً من الله القوة اللازمة، وطالباً معونة الأرواح الصالحة لهذا الغرض. هذا هو ما علمنا إياه السيد المسبح في الصلاة البديعة والسامية التي تسمى بالصلاة الربانية حيث يجعلنا نقول:

«لا تدخلنا في التجارب لكن نجّنا من الشرير».

هذه النظرية، نظرية المسبب الذي يثير أفعالنا، تبرز بوضوح في تعليم الأوراح كله، وهي ليست سامية أدبياً فقط، بل أنها ترفع الإنسان في نظره الشخصي، وتريه بأنه يستطيع أن يتمرد على روح محاصر، كما يستطيع إغلاق باب بيته للمزعجين، وأنه ليس آلة تحركها قوة خارجة عن إرادته، بل هو كائن مفكر، يسمع ويحكم في الأشياء، ويختار بحرية بين نصيحتين. ورغم ذلك، نضيف، أن الإنسان ليس محروماً من مبادرته الشخصية، فهو لا يزال يفعل بإرادته، لأنه، في الحقيقة، روح متأنس يحفظ، تحت الغلاف الجسدي، جميع الحسنات والعيوب التي كانت عنده كروح. وإذن، فإن المصدر الأول للأخطاء التي يرتكبها موجود في تأخره ذاته، لكونه لم

يصل بعد إلى السمو الأدبي الذي سيحققه له يوماً، على الرغم من أنّ له دائماً حرية اختيار. تعطى له الحياة الجسدية ليتصفى من شوائبه بواسطة التجارب التي يقاسيها. وهذه الشوائب بالذات هي التي تجعله ضعيفاً ومتقبلاً لإيعازات الأرواح الأخرى المتأخرة، التي تغتنم الفرصة لتحاول إسقاطه في تحقيق المهمة التي جاء لإنجازها. فإذا خرج ظافراً من هذا الكفاح، يرتقي، وإذا فشل فيه، يظل كما كان، لا أردأ و لا أحسن، إذ يكون له كتجربة عليه أن يعيدها، وقد تمتد هذه الحالة زمناً طويلاً. وكلما تزيد تنقيته، كلما تنقص مزاياه الضعيفة، وكلما قلّ تعرضه للذين يودون جره إلى الشر. فتزداد قوته الأدبية قدر ما يرتقي، وتبتعد عنه الأرواح الشريرة. إن جميع الأرواح، على مختلف درجات ارتقائها، حينما تكون متأنسة على الأرض، فهي تكون الجنس البشري. وبما أن عالمنا لا يزال أحد العوالم الأقل ارتقاءً، إذ يوجد فيه أرواح شريرة أكثر من أرواح صالحة، ولهذا نشاهد فيه هذا المقدار الكبير من الفساد وانحراف الأخلاق. فلنجتهد إذن لكي لا نرجع إليه بعد مكوثنا الحالي فيه، ولكي نستحق الذهاب للاستراحة في أحد العوالم المحظية حيث يسود الخير التام، وحيث سنتذكر مرورنا على الأرض كزمن أمضيناه في المنفى.

الفصل الحادي عشر

سنة العدالة والمحبة والإحسان

(عاشر سنن الطبيعة)

1. العدالة والحقوق الطبيعية
2. حق التملك. السرقة.
3. الإحسان والمحبة إلى الآخرين
4. حبّ الأم لأبنائها وحبّ الأبناء لأبويهم

1 ـ العدالة والحقوق الطبيعية

873 ـ شعور الإنسان بوجوب العدالة، هل هو شعور طبيعي، أم هو نتيجة التهذيب؟.

هو شعور طبيعي جداً لدرجة أنكم تثورون لمجرّد الإشارة إلى ظلم. لا شك أن الارتقاء الأدبي يحسن هذا الشعور، ولكنه لا يهبه. الله هو الذي وضعه في قلب الإنسان. ولذلك كثيراً ما ترون في أشخاص بسطاء وبدائيين دراية بالعدالة أدق مما في الأشخاص الكثيري المعارف.

874 ـ إذا كانت العدالة من سنن الطبيعة، فلماذا يفهمها الناس على أشكال متناقضة، وما يبدو عادلاً لأحد، لا يبدو عادلاً للآخر؟.

لأن في الأمر عادة تدخل أهواء تحرف هذا الشعور، وكذلك تدخل معظم المشاعر الطبيعية الأخرى، بحيث تجعل الشخص يرى الأشياء من وجهة نظر خاطئة.

875 ـ ما تعريف العدالة؟.

العدالة هي أن يراعي كل شخص حقوق الآخرين.

875 أ ـ من الذي يعرف ويحدد هذه الحقوق؟.

شيئان: الشريعة البشرية والشريعة الطبيعية. فبما أن الناس سنوا قوانين ملائمة لأعرافهم و لطباعهم، فقد أقرت هذه القوانين حقوقاً تغيرت مع تقدم المعارف. شوفوا قوانينكم الحاضرة، فهي برغم عدم إتقانها تقرّ نفس الحقوق التي كانت سارية في العصور الوسطى. تلك الحقوق القديمة التي تبدو لكم فاحشة اليوم، كانت تبدو عادلة وطبيعية في أيامها. إذن، فإن الحق الذي يقر به البشر، ليس متوافقاً دائماً مع العدل، لأنه ينظم فقط بعض العلاقات الاجتماعية، بينما توجد في الحياة الشخصية، أمور عديدة لا يحكم فيها إلا الضمير وحده.

876 ـ بالإضافة إلى الحق الذي أقرته الشريعة البشرية، ما هو المبدأ الذي تتأسس عليه عدالة الشريعة الطبيعية؟.

قاله لكم المسيح: «هو أن تريدوا للآخرين ما تريدونه لأنفسكم». وضع الله في قلب الإنسان قاعدة العدالة الحقّة، فقد جعل الإنسان يرغب بأن يراعى الآخرون حقوقه. وعند الشك بما يجب عليه أن يفعل تجاه نظيره في الإنسانية في موقف ما،

فليسأل نفسه كيف يودّ أن يعامل هو في حالة مشابهة. لا يوجد مرشد أعطاه الله للإنسان، آمن من صوت ضميره.

إن أفضل مبدأ للعدالة الحقّة هو، أن يريد الإنسان للآخرين ما يريده لنفسه، ولكن ليس أن يريد لنفسه ما يريده للآخرين، إذ يختلف المعنى جداً بينهما. بما أنه من غير الطبيعي أن يريد أحد الإساءة إلى نفسه، فباتخاذ رغبته الشخصية كمثال أو مقياس، يكون متأكداً أنه لن يريد إلا الخير دائماً لمثيله في البشرية. وهكذا ففي جميع العصور، وفي جميع العقائد، حاول الإنسان دائماً أن يرجح حقّه الشخصي. إن ما يميز سمو تعليم المسيح هو أنه اتخذ الحق الشخصي كقاعدة لمعرفة حق نظيرنا في الإنسانية.

877 ـ هل احتياج الإنسان للعيش في مجتمع، يحمّله واجبات خاصة؟.

نعم، وأولها أن يراعي حقوق الآخرين. فمن يراعي هذه الحقوق، تكون أعماله دائماً عادلة. ففي عالمكم حيث يوجد عدد كبير من الناس لا يمارسون سنة العدالة، فإن كل واحد سينتقم، وهذا هو ما يجلب البلبلة والفوضى في مجتمعكم. تعطي الحياة الاجتماعية للأفراد حقوقاً، ولكنها تفرض عليهم واجبات مقابلة أيضاً.

878 ـ نظراً إلى أن الإنسان قد يخطئ بمدى حقوقه، ما الذي يدله على حدودها؟.

حدود الحقوق التي يعترف بها للآخرين نحوه في نفس الظروف والعكس بالعكس.

878 أ ـ لكن إذا كان كل واحد ينسب لنفسه حقوق الآخرين، فكيف تصير الطاعة للرؤساء؟ أليس ذلك هو اختلال السلطات كلها؟.

الحقوق الطبيعية واحدة لكل الناس من أصغرهم إلى أعظمهم، لأن الله لم يصنع بعض الناس من طين أنظف من الذي صنع منه الآخرين، ففي نظره كلهم متساوون. وهذه الحقوق أزلية، بخلاف الحقوق التي وضعها الإنسان، لأنها تزول مع زوال مؤسساته. عدا ذلك، يشعر كل شخص بقوته أو بضعفه، ودائماً، بالاحترام نحو من يستحق الاعتبار من جراء فضيلته وحكمته. من المهم الإشارة إلى هذه النقطة، إذ ينبغي على الذين يظنون نفسهم أسمى من الآخرين أن يعرفوا واجباتهم، لكي يستحقوا هذا الاحترام. ولن تختل الطاعة إذا أعطيت السلطة للحكمة.

879 ـ ما هي سجية من يمارس العدالة في أسمى مبادئها؟.

سجية الصديق الحقيقي، على مثال المسيح، فهو يمارس أيضاً المحبّة والإحسان للآخرين، ودونها لا توجد العدالة الحقّة.

2ـ حق التملك ـ السرقة

880 ـ حقوق الإنسان الطبيعية، ما هو أهمُّها؟.

حق الحياة. لذلك لا يحق لأي شخص أن يعتدي على حياة إخوانه في البشرية، ولا أن يفعل أي شيء يعرض كيانهم الجسدي إلى الخطر.

881 ـ هل يسمح حق الحياة للإنسان أن يدخر ما يعيش به، ليستريح عندما لا يعود قادراً على العمل؟.

أجل، ولكن عليه أن يفعل ذلك بتوافق عائلي، كالنحل، بطريق مستقيم، لا أن يكتنز لنفسه كالأنانيين. ذلك أن بعض الحيوانات تعطيه مثال الاستعداد للغد.

882 ـ هل للإنسان أن يدافع عمَّا جناه بعمله؟.

ألم يقل الله: «لا تسرق»، والمسيح، ألم يقل: «أعطوا لقيصر ما لقيصر»؟

ما يجنيه الإنسان بعمل مستقيم هو ملكه الحلال، يحق له أن يدافع عنه، لأن الملك الناتج عن العمل هو حق طبيعي ومقدس كحق العمل وحق الحياة.

883 ـ هل رغبة الإنسان في اقتناء أملاك هي رغبة طبيعية؟.

أجل، ولكن عندما يجمع لنفسه ولمسرته الشخصية، فهذا ضرب من الأنانية.

883 أ ـ لكن، أليست رغبة الاقتناء عادلة، لأن من عنده ما يعيش به، لا يكون عالة على الآخرين؟.

يوجد أناس لا يشبعون ويكتنزون الأموال دون نفع لأحد، أو لإشباع شهواتهم. أتظن أن الله يرضى بذلك؟ بالعكس، من يجمع مالاً بعمله، لإعانة إخوانه في البشرية، يطبِّق سنّة المحبة والإحسان، والله يبارك عمله.

884 ـ بماذا يتميز الملك الحلال؟.

الملك الحلال هو فقط الذي روعيت حقوق الغير في جمعه. (808).

سنة المحبة والعدالة هي التي تمنعنا من أن نفعل بالآخرين ما لا نريد أن يفعلوه بنا، وبناء على ذلك المبدأ، فأية حيلة خادعة لحيازة ملك، ستكون مضادة لتلك السنَّة.

885 ـ هل لحق التملك حدود؟.

لا شك أن ما يقتنيه الإنسان بوسائل شرعية هو ملكه. ولكن كما سبق لنا القول، لكون تشريع الناس غير متقن، فكثيراً ما يقر حقوقاً تستنكرها العدالة الطبيعية. ولهذا السبب، فهم يغيرون شرائعهم بقدر ما يرتقون وبقدر ما يتحسن فهمهم للعدالة. فما يبدو عادلاً في عصر يبدو تعسفياً في العصر الذي يليه. (795).

3 ـ الإحسان والمحبَّة إلى الآخرين

886 ـ ما هو المعنى الحقيقي للمحبة والإحسان كما كان يفهمها المسيح؟.

هو التسامح إزاء جميع الناس، التسامح تجاه نواقص الآخرين، ومسامحة الإساءات.

المحبة والإحسان إلى الآخرين هما تكملة سنة العدالة، إذ بمحبتنا لنظيرنا في البشرية، نعمل من أجله كل ما في وسعنا من خير، كما نود أن يعمل لنا الناس. وهذا هو معنى قول المسيح: أحبوا بعضكم بعضاً كإخوة.

لا يقتصر الإحسان على الآخرين، وفقاً لتعليم المسيح، على إعطاء الصدقة، بل يشمل جميع علاقاتنا مع إخواننا في البشرية، سواء أكانوا أدنى مكانة منا، ومساوين لنا أو أسمى منا. فهو يوصينا بالمسامحة، لأننا أيضاً بحاجة إلى مسامحتهم، ويمنعنا من إذلال النساء، بعكس ما يفعل عادة. أناس كثيرون حين يكرمون الغني بكل أشكال الاحترام أو الاعتبار، بينما لا يزعجون أنفسهم للاهتمام بالفقير. والموقف الصحيح هو أنه، كلّما كانت حالة الفقير يرثى لها، كلما كان يجب أن لا يضاف إلى تعاسته إذلال. فمن في قلبه المحبَّة الحقّة يسعى لرفع قيمة البائس في نظر ذاته، بتحسين حالته.

887 ـ قال المسيح: «أحبوا حتى أعدائكم». ولكن، أليست المحبَّة للأعداء مضادّة لميولنا الطبيعية، ألا تكون العداوة من عدم الانجذاب بين الأرواح؟.

من المؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يشعر بعطف على أعدائه، وليس ذلك ما كان يقصده المسيح بقوله. ولكن المحبة للأعداء هي بمسامحتهم ومقابلة سيئتهم بالحسنة. فبهذا المسلك يصبح المرء أسمى منهم منزلة، بينما بالانتقام يجعل نفسه أدنى منهم.

888 ـ ما رأيكم في الصدقة؟.

من يضطر إلى التسول ينحط أدبياً ومادياً، في مجتمع مؤسس على ناموس الله والعدالة، يجب الاهتمام بحياة الضعيف دون إذلاله. ويجب أيضاً على المجتمع أن يضمن عيشة العاجزين عن العمل، وأن لا يدع حياتهم تحت رحمة الحظ واستعداد الآخرين لمساعدتهم.

888 أ ـ أتستنكرون التصدق على المحتاجين؟.

كلا، لا نستنكر التصدق، وإنما كيفية إعطاء الصدقة، فالمحسن الحقيقي يفهم الإحسان وفقاً لتعليم المسيح، يذهب لملاقاة المسكين ولا ينتظر أن يمد المسكين يده إليه.

يتميز الإحسان الحقيقي بأنه مصحوب دائماً بالمحبة والسماح، وهو لا يقتصر على الفعل ذاته، بل أيضاً على كيفية القيام بالإحسان. فإذا كان فعل الإحسان بلطف، يتضاعف استحقاقه، وإذا كان بعجرفة، قد يقبله الفقير من جراء حاجته إليه، ولكنه في قلبه، يتأثر كثيراً به.

لا تنسوا أيضاً أن التباهي، في نظر الله، يجرد الحسنة من استحقاقها. قال المسيح: «لا تعرف يدك اليسرى ما تعطيه اليمنى»، وبقوله هذا يعلمكم أن لا تشوهوا حسنتكم بالكبرياء.

من اللازم التمييز بين الصدقة والإحسان. ليس كل من يطلب يكون بحاجة شديدة. فالفقير الحقيقي يستتر خشية من الذل، وعادة يعاني العوز دون أن يشتكي، والشفوق الحقيقي يعرف كيف يتفقده ليساعده بلا تباهٍ.

«أحبوا بعضكم بعضاً». هذه هي السنة كلها، السنة التي بها يحكم الله العوالم. والحبّ هو قانون التجاذب للكائنات الحيّة المزودة بأعضاء، والتجاذب هو قانون الحبّ في المادة العضوية.

لا تنسوا أبداً أن الروح، مهما كانت درجة ارتقائه، وحالته كمتجسد أو متجول، هو دائماً موضوع بين روح أسمى منه يرشده ويحسنه، وروح أدنى منه يقوم نحوه بنفس الواجبات. كونوا إذاً محسنين، ليس فقط ذلك الإحسان الذي يجعلكم تسحبون من حافظتكم الفلس الذي تعطونه بجفاء لمن يتجرأ أن يطلبه منكم، بل تفقدوا الذين يعانون الضوائق في الخفاء. كونوا سمحاء نحو معايب الآخرين، وبدلاً من احتقار جهلهم وفسقهم، علموهم وهذبوهم.

كونوا ودعاء ولطفاء نحو جميع الذين هم أدنى منكم منزلة. اسلكوا نفس المسلك نحو أصغر كائنات الخليقة، فتكونون قد أطعتم سنّة الله.

مار منصور ديبول[1]

889 ـ ألا يوجد أناس يصلون إلى الشحاذة بسبب أخطائهم؟

دون شك، ولكن، لو أنهم حصلوا على تهذيب أخلاقي ومعنوي صالح، وتعلموا إطاعة سنن الله، لما سقطوا في الشطط الذي سبب خرابهم. هذا ما يلزم أن تفعلوه بوجه خاص، لتحسين كوكبكم (707).

---

(1) مار منصور ديبول (1581 ـ 1660) كاهن فرنسي شهير. شغل عدة مناصب في خدمة الدين والدولة. لم يحتمل قلبه الحنون رؤية البؤس المادي والروحي والمعنوي بين الشعب، فأسس بمثله رهبنة اللعازريين لالتقاط اللقطاء من الأزقة والاعتناء بهم، ورهبنة بنات المحبة اللواتي تكرست لمداواة المرضى في المستشفيات، وانتشرت الرهبانيتان في فرنسا ثم في العالم. (ملاحظة المترجم).

4ـ حب الأم لأبنائها وحب الأبناء لأبويهم

890 ـ هل حبّ الأم لأولادها فضيلة أم عاطفة غريزية تعم البشر والحيوانات؟.

هو كلتاهما. أعطت الطبيعة للأم حب أولادها من أجل حفظهم. إلاّ أن الأمر عند الحيوان، يقتصر على الاحتياجات المادية، ويزول حالما تزول تلك الاحتياجات. ولكنه عند الإنسان، يستمر مدى الحياة، ويتضمن إخلاصاً ونكراناً للذات ينبغي اعتبارهما من الفضائل. فضلاً عن ذلك، يدوم هذا الحب حتى بعد الموت، ويصحب الابن في الآجلة. من الواضح إذن أنه يحوي شيئاً آخر علاوة على ما هو عند الحيوان (205 ـ 385).

891 ـ بما أن الحب الأمومي هو من طبيعة الأشياء، لماذا إذن هناك أمهات تبغض أولادها، وفي حالات كثيرة، منذ يوم ولادتهم؟.

تلك أحياناً، تجربة اختارها روح الولد، أو أنها كفّارة له، إذا كان هو نفسه، في حياة سابقة أباً سيئاً (392).على كل حال، لا شك أن الأم السيئة ستعاقب من قبل سنن الطبيعة، وروح الولد سيكافأ للعقبات التي سوف يتغلب عليها.

892 ـ في حالة الوالدين اللذين يكدرهما أولادهما، أليسا معذورين لأنهما يشعران نحوهم بالحنان الذي قد يعاملونهما به لو كانوا صالحين؟.

كلا، لأنه حمل ائتمنا عليه، ومهمتهم هي أن يبذلوا كل جهودهم لإعادة أولادهم إلى الاستقامة (582 ـ 583). إلاّ أنّ هذه الأكدار هي عادة عاقبة العادات السيئة التي أهمل الوالدون استئصالها من أولادهم منذ حداثتهم، ومن ثمّ يحصدون ما زرعوه.

الفصل الثاني عشر: الكمال الأدبي

1. الفضائل والرذائل
2. الأهواء والشهوات
3. الأنانية
4. ميزات الإنسان الصالح
5. معرفة الذات

1 ـ الفضائل والرذائل

893 ـ من بين الفضائل كلّها، ما هي الأكثر استحقاقاً؟

جميع الفضائل لها استحقاقها، لأن جميعها تدلّ على تحسُّن في صراط الخير. توجد فضيلة كلّما قاوم الإنسان اختيارياً جاذبية الميول الرديئة فيه، ولكن ما يجعل الفضيلة سامية للغاية هو التضحية بالمصلحة الشخصية لصالح الأخ في البشرية، دون نيَّة مبيَّتة. الفضيلة الأكثر استحقاقاً هي التي تصدر عن المحبة الخالية من أيّة أغراض مادية.

894 ـ يوجد أناس يفعلون الخير عفوياً، دون أن يحتاجوا إلى مقاومة أي شعور عكسي فيهم. هل لهم نفس استحقاق الناس الذين يحتاجون إلى مكافحة فطرتهم الشخصية ويتغلبون عليها؟

الذين لا يحتاجون إلى مكافحة فطرتهم، هم الذين تحقق فيهم إنجاز الارتقاء. فقد كافحوا في الماضي وانتصروا. ولهذا السبب، تظهر فيهم المشاعر الحسنة دون مشقة، وتبدو لهم أعمالهم الصالحة شيئاً طبيعياً، فهم قد تعودوا على الخير. يجب إجلالهم إذن كما يجل جنود باسلون حاربوا وانتصروا، واستحقوا الإكرام.

بما أنكم لا تزالون بعيدين عن الكمال، فستدهشكم هذه الأمثال لتناقضها مع أفعال أكثرية الناس، ويزيد عجبكم لها لأنها نادرة. لكن، ليكن في علمكم أنه في العوالم الأرقى أدبياً من عالمكم، فإن كل ما تعتبرونه نادراً عندكم هو القاعدة هناك، والميل إلى عمل الخير عفوي في كل مكان فيها، إذ تسكنها أرواح صالحة فقط، ومجرد التفكير بالإساءة هناك يعتبر من الفظاعة والشواذ بمكان. هذا هو ما يجعل سكان تلك العوالم يتمتعون بالسعادة. ستصير هكذا الأرض عندما يتم صلاح البشرية، وعندما يفهم الناس المحبَّة بمعناها الحقيقي ويطبقونها على حياتهم.

895 ـ إلى جانب الشوائب والدنايا المعروفة عموماً في التأخر الروحي، ما هي العلامة التي تميزه بوجه خاص في الإنسان؟

السعي وراء الغرائز الشخصية. فالمزايا الأدبية هي عادة كالطلاء الذهبي الذي يطلى به شيء نحاسي والذي لا يصمد لحجر المحك. قد يكون لشخص مزايا حقيقية تجعل كل الناس يعتبرونه من فاعلي الخير، ولكن هذه المزايا، رغم أنها تدل على

ارتقاء، فهي قلما تحتمل بعض التجارب، ويكفي أحياناً مس ناحية المصلحة الشخصية لتكشف طوية الشخص. فعلاً، إن التنزه الحقيقي عن الأغراض الشخصية شيء نادر على الأرض، بحيث أن الناس يتعجبون منه عندما يشاهدونه.

إن التمسك بالأشياء المادية علامة واضحة على التأخر الروحي، فبقدر ما يتعلق الإنسان بمتاع الدنيا، بقدر ما يكون فهمه ضعيفاً لمصيره. وعلى العكس، بالتنزه عن الأغراض الشخصية، يبرهن أنه يرى المستقبل من مستوى أعلى.

896 ـ هناك أناس خالون من الأغراض المادية، يبذرون أموالهم دون تمييز ودون منفعة لأحد، لكونهم لم يستعملوها استعمالاً عقلياً. هل لهم استحقاق ما؟.

لهم استحقاق التنزه عن الأغراض المادية، وليس استحقاق الخير الذي كانوا بستطيعون أن يفعلوه بها. إذ أن التنزه عن الأغراض المادية فضيلة، فالتبذير الطائش يدل دائماً على انعدام البصيرة على الأقل. لا تعطى الثروة لأناس ليبعثروها في الهواء، ولا لغيرهم ليدفنوها في خزانة. الثروة هي وديعة في أياديهم سيحاسبون عليها، لأنهم سيسألون عن كل الخير الذي كان في وسعهم أن يعملوه ولم يعملوه، وعن كل الدموع التي كانوا يقدرون أن يجففوها بالمال الذي صرفوه هدراً على الذين كانوا بحاجة إليه.

897 ـ من يعمل الخير، لا ليكافأ على الأرض، وإنما آملاً بأن الخير الذي يعمله سيحسب له في الحياة الأخرى، وأن مركزه سيتحسن على قدر أعماله الخيرية، هل هو ذميم لذلك، وهل هذه الفكرة تضره في تقدمه؟.

يجب عمل الخير عن محبَّة، أي بلا أغراض شخصية.

897 أ ـ لكن من الطبيعي أن يبغي الإنسان التقدم ليتخلص من صعوبات هذه الحياة، والأرواح ذاتها تعلمنا أن نمارس عمل الخير بهذا القصد. أهو خطأ إذن، الظن أنه بعمل الخير، يحق لأحد أن ينتظر حالة أحسن من حالته على الأرض ؟.

طبعاً لا، ولكن من يعمل الخير دون فكرة مبيتة، لمجرد محبته لله ولمثيله المعذب في البشرية، فقد وصل إلى درجة من الارتقاء ستمكنه أن يصل إلى السعادة قبل أخيه الذي، لكونه واقعي أكثر منه، يعمل الخير أملاً بالمكافأة لا بدافع محبَّة حقيقية في قلبه (894).

897 ب ـ ألا ينبغي التمييز هنا بين عمل الخير لمثيلنا في البشرية والاجتهاد لإصلاح نقائصنا؟ نسلم بأن عمل الخير مع الأمل بأنه سيحسب لنا في الحياة الأخرى هو قليل الاستحقاق، ولكن إصلاح الذات والتغلب على الأهواء وتقويم الفطرة للتقرب من الأرواح الصالحة وللارتقاء، هل هي أيضاً دلالة على تأخر روحي؟.

لا، ليس بقولنا إننا نقصد بعمل الخير ممارسة المحبَّة. أما من يحسب ما سيردّ له كل حسنة في الحياة الآجلة أو في الحياة الأرضية، فهو يظهر أنانية. ولكن ليس هناك أنانية في رغبة الإنسان بأن يتحسن بقصد الاقتراب من الله، إذ نحو هذا الهدف يجب أن تتوجه جميع الناس.

898 ـ بما أن الحياة في الجسد، هي مجرد إقامة موقتة على الأرض، وأنه يجب علينا أن نهتم بمستقبلنا الروحي قبل كل شيء، هل هناك نفع في اكتساب معارف علمية ذات علاقة فقط بالأمور المادية وباحتياجات الأرضية؟.

دون شك، أولاً لأنها تمكنكم من تخفيف آلام إخوانكم في البشرية، ثم لأنها تعجِّل صعود روحكم إن كانت تقدمت في الذكاء. وخلال فترة الزمن بين تجسد وتجسد، ستتعلمون في ساعة واحدة ما يتطلب منكم سنوات عديدة على الأرض لمعرفته. ليس هناك معرفة لا تنفع لشيء. فلجميع المعارف أثرها قليلاً أو كثيراً في تقدم الروح، لبلوغ الكمال، يجب عليه أن يعرف كل شيء، ونظراً إلى أن الارتقاء يجب أن يتم من جميع الجهات، فجميع الأفكار المكتسبة تساعد في تطور الروح.

899 ـ لنفترض أن هناك رجلين غنيين، وأن واحداً منهما ولد في اليسر ولم يذق الفقر أبداً، وأن الآخر جمع ثروته بعمله، وكلاهما يستعملان ثروتهما لملذاتهما الشخصية بلا غرض آخر. من من الاثنين هو الأكثر ذنباً؟.

هو الذي ذاق الفقر، لأنه يعرف العذاب الناتج منه، ويعرف الألم الذي لا يحاول أن يخففه. ولكنه، في الغالب، نسي ما قاساه في الماضي.

900 ـ من يجمع ويجمع أموالاً، دون أن يعمل خيراً لأحد، هل له تبرير مقبول، بفكرة أنه يجمع مالاً ليترك الكثير لورثته؟.

هذا عذر يدل على ضمير سيئ.

901 ـ لنفرض أن هناك رجلين بخيلين، وأن واحداً منهما يحرم نفسه حتى من الحاجيات ويموت في العوز إلى جانب ثروته، وأن الثاني بخيل فقط نحو الآخرين وسخي جداً على نفسه. وبينما يأبى أن يفعل أقلّ تضحية لإسداء خدمة أو لعمل شيء صالح للغير، فهو لا يتأخر البتة في إرضاء رغباته وشهواته. وإذا طلب أحد منه معروفاً، ادعى دائماً أنه في ضيق مالي، في حين أنه لإشباع نزوة تخطر بباله، عنده دائماً مال يكفي لها. من منَ الاثنين هو الأكثر ذنباً، ومن هو الذي سيحصل على أسوأ محل في عالم الأرواح؟.

الذي يصرف على ملذاته، لأنه أناني أكثر مما هو بخيل. أما الآخر، فقاسى في حياته جزءاً من عقابه.

902 ـ هل من يبتغي الثراء ذميم، إذا لم يكن ذلك لإعانة الآخرين؟.

شعوره حميد دون شك، إذا كان صافياً. لكن، هل هذا الابتغاء خال من أغراض مادية فعلاً، أليس هناك فكرة ما مبيتة لصالحه الشخصي؟ ألا يفكر الإنسان عادة بنفسه أولاً، قبل أن يفكر بإعانة الآخرين.

903 ـ هل يذنب من يفحص عيوب الآخرين؟.

يذنب كثيراً إن كان لانتقادها وإفشائها، إذ أنّ هذا مخالف لسنَّة المحبة. أما إن كان لتهذيب نفسه وتجنبها، فقد يكون أحياناً في الفحص نفع، ولكن لا تنسوا أن التسامح نحو عيوب الغير هو إحدى الفضائل التي تشملها المحبة. قبل أن تعاتبوا الآخرين، شوفوا أولاً إذا كنتم في مأمن من نفس عتابهم لكم. اجتهدوا اذن لكي تكون صفاتكم عكس العيوب التي تنتقدونها في الآخرين، لأن هذه هي الطريقة لتجعلوا أنفسكم أسمى منهم. فإذا انتقدتم فيهم البخل فكونوا كرماء، وإن انتقدتم فيهم الكبرياء فكونوا متواضعين، وإن تنتقدون فيهم الفظاظة فكونوا لطفاء، وإن تنتقدون فيهم التصرف بدناءة فكونوا عظماء في جميع ما تفعلونه. قصارى الكلام، لتكن أعمالكم بحيث لا تنطبق عليها كلمات المسيح القائلة: «يرى القذى الذي في عين جاره ولا يرى الخشبة التي في عينه».

904 ـ هل يذنب من يراقب الآفات الاجتماعية ويكشف الستار عنها؟.

هذا يتوقف على ما يدفعه إلى هذا العمل. فإذا قصد الكاتب مجرد إحداث الفضيحة، فهذه لذة شخصية يثيرها لنفسه بكشف حالات تكون أكثرها سلبية ولا منفعة لأحد من ذكرها. يقدر الروح الكشف عن عيوب الناس، ولكنه قد يعاقب بسبب هذا الأسلوب من الاستلذاذ، الكشف عن علل المجتمع.

904 أ ـ في هذه الحال، كيف نحكم في صفاء أغراض الكاتب وسلامة نيته؟.

معرفة ذلك لا تجدي نفعاً في أكثر الأحيان. إذا كانت تآليفه حسنة المضمون، فاستفيدوا من قراءتها. وإذا كانت سيئة المضمون، فذا أمر يخص ضميره وحده. على كل حال، إن شاء أن يبرهن عن سلامة نيته، فعليه أن يدعم ما يقوله بمثال أعماله.

905 ـ نشر بعض مؤلفين تصانيف جميلة جداً، ذات تماليم أخلاقية رفيعة ساعدت في ارتقاء البشرية، ولكنهم بالذات لم يستفيدوا منها بتاتاً. هل يحسب لهم، في حالتهم كأرواح، الخير الذي نتج عن تآليفهم؟.

المبادئ الأخلاقية دون الأعمال هي كالبذور دون العمل لزرعها. ما منفعة البذور إن لم تجعلوها تثمر لتغذيكم؟ هؤلاء الكتاب هم أكثر ذنباً، فقد كان عندهم الذكاء اللازم ليفهموا الأشياء. ولعدم ممارستهم الحكم التي كانوا يقدمونها للناس، تخلوا عن جني أثمارها.

906 ـ من يعمل الخير، هل يذم لأنه يعي الخير الذي يعمله، ولأنه يعترف لنفسه بحسن عمله؟.

بما أن في إمكانه أن يعي الشر الذي يفعله، كذلك هو بحاجة ليعي الخير الذي يفعله، لكي يميز إذا عمل الحسن أو السيئ، لأنه بوزن جميع أفعاله في ميزان ناموس الله وخاصة في ميزان سنّة العدالة والمحبة والإحسان يمكنه أن يعرف إن كانت حسنة أو رديئة، وأن يوافق عليها أو يستنكرها. لذلك، لا يصحّ أن يذم حين يعرف أنه انتصر على ميوله السيئة ولدى سروره من هذا الانتصار، بشرط أن لا يزدهي به، إذ أنه عند ذاك قد يقع في عيب آخر. (919).

2 ـ الأهواء والشهوات

907 ـ بما أن مبدأ الأهواء موجود في الطبيعة البشرية، هل هو سيئ في ذاته؟.

كلاّ، الهوى موجود في الإفراط، مضافاً إلى الإرادة، لأن المبدأ أعطي للإنسان من أجل الخير و لأن الأهواء قد تدفعه إلى أعمال عظيمة. ولكن سوء استعمالها هو ما يسبب الشر.

908 ـ كيف نعرف الحد الذي لا تعود الأهواء فيه حسنة، وتصير بعده مضرة؟.

الأهواء هي كالجواد، هو نافع إذا سيطر الإنسان عليه، وذو خطر إذا سيطر الجواد على الإنسان. إذن، فأنتم تعرفون أن هوى ما يصير مضراً لكم حالما لا يعود بإمكانكم ضبطه، وعندما ينتج منه ضررٌ ما لكم أو للآخرين.

الأهواء هي رافعات تضاعف عشر مرات قوى الإنسان وتعينه على إتمام مقاصد العناية الإلهية. لكن، إذا كان الإنسان، عوضاً عن أن يقودها، يدعها تقوده فسيقع الشطط، والقوة ذاتها التي، كانت تستطيع وهي في يده مساعدته في عمل الخير، تسقط عليه وتسحقه.

إن مبدأ جميع الأهواء والشهوات موجود في عاطفة أو حاجة في الطبيعة البشرية. إذن، ليس مبدأ الأهواء شراً، وبالنظر إلى أنه يستند إلى إحدى الحالات التي دبرتها الحكمة الإلهية لوجودنا على الأرض. فإن الهوى، بتعبيره الدقيق، هو المبالغة في حاجة أو عاطفة، ويحكم عليه في الإفراط لا فيما قام به. إذ يصير هذا الإفراط شراً لأن عاقبته شرّ.

إن أية شهوة تقرب الإنسان من الطبيعة الحيوانية، تبعده عن الطبيعة الروحية.

وأية عاطفة تصعد بالإنسان إلى ما فوق الطبيعة الحيوانية، تدلّ على غلبة الروح على المادة وتقربه من الكمال.

909 ـ هل يستطيع الإنسان دائماً أن يتغلب على ميوله الرديئة بجهده؟.

نعم، وأحياناً بجهود قليلة. ولكن، ينقصه الإرادة. كم هم قليلون الذين هم بينكم يبذلون جهوداً؟

910 ـ أمن الممكن للإنسان أن يحصل على معونة فعّالة من الأرواح ليتغلب على أهوائه وشهواته؟.

لو يصلّي طالباً بإخلاص من الله ومن حارسه الروحي، فستأتي إليه بكل تأكيد الأرواح الصالحة لتعينه، إذ أن هذه مهمتها. (459).

911 ـ ألا يوجد أهواء وطأتها شديدة ومقاومتها عسيرة، إلى درجة أن الإرادة عاجزة عن التغلب عليها؟.

يقول كثير من الناس أنا أريد، ولكن الرغبة تكون على شفتيهم فقط، فهم يريدون، بينما يتمنون أن لا يتحقق ما يقولون أنهم يريدونه. عندما يعتقد أحد بأنه عاجز

عن قهر شهواته، فهذا لأن الروح يستطيب لها من جراء تأخره الروحي. ومن يحاول كبحها يفطن لطبيعته الروحية ويعلم أن انتصاره عليها هو انتصار الروح على المادة.

912 ـ ما هي أقوى الوسائل لمحاربة غلبة الطبيعة الجسدية؟.

مزاولة نسيان الذات.

3 ـ الأنانية

913 ـ بين عيوب الإنسان، أي العيوب يمكن اعتباره العيب الرئيس؟.

سبق أن قلنا مراراً عديدة، هو الأنانية، فمنها يصدر كل الشر. ادرسوا جميع العيوب، وستجدون أن في صميمها كلها توجد الأنانية. ومهما تحاربونها، فلن تتمكنوا من استئصالها طالما أنكم لا تقتحمون الشر في مصدره، وطالما أنكم لا تزيلون ما يسببه. يجب عليكم إذن أن توجهوا كل جهودكم صوب هذا الفرض، ففي الأنانية توجد آفة المجتمع الحقيقية. ومن يريد الاقتراب من الكمال الأدبي، في هذه الحياة، يجب عليه أن يستأصل من قلبه أي شعور بالأنانية، لأن الأنانية تنافي العدالة والمحبّة والإحسان، وتبطل سائر الصفات الأخرى.

914 ـ بما أن الأنانية مؤسسة على شعور الصالح الشخصي، فيبدو عسيراً جداً استئصالها من قلب الإنسان. هل يتحقّق ذلك؟.

كلما تنور الناس في الأشياء الروحية، كلما قلّت قيمة الأشياء المادية في نظرهم. كذلك، يجب إصلاح المؤسسات البشرية التي تغذّيها وتحثّها، وهذا يتوقّف على التهذيب العام.

915 ـ بما أن الأنانية متأصّلة في الجنس البشري: فهل يمنع وجودها انتشار البِّر المطلق على الأرض؟.

بكل تأكيد، فالأنانية هي أكبر أسواءكم، ولكنها تأتي من تأخر الأرواح المتجسدة على الأرض، وليس من الجنس البشري في ذاته. إلاّ أن الأرواح، بتنقيتها في تجسُّدات متتابعة، تتخلّص منها كما تتخلّص من أدناسها الأخرى. ألا يوجد على الأرض أشخاص متحررون من الأنانية ويمارسون الإحسان والمحبة؟ إنهم أكثر مما تظنون، ولكنكم تعرفون عنهم قليلاً، لأن الفضيلة لا تميل إلى المجاهرة والمباهاة.

وإذا كان هناك واحد من هذه الأشخاص، فما يمنع أن يكون هناك عشرة منهم، وإن كان هناك عشرة منهم، فما يمنع أن يكون هناك ألف منهم، وهلم جراً؟

916 ـ الأنانية، عوضاً عن أن تقلّ، تزداد مع انتشار التمدُّن، إذ يظهر أنه يحثُّها ويغذيها. كيف يحدث ذلك؟.

كلما كان الشر كبيراً كلما صار شنيعاً. كان من المحتم أن تلحق الأنانية بالناس ضرراً كبيراً لتجعلهم يفطنون إلى ضرورة استئصالها. فحينما يتجرد البشر من غلبة الأنانية عليهم، سيعيشون كإخوة، لا يعادون بعضهم بعضاً، ويتعاونون بشعور من التضامن المتبادل. وحينئذ فإن القوي سوف يساعد الضعيف بدلاً من أن يظلمه، ولا يعود أحد ينقصه لوازم العيش، لأن جميع الناس سوف يمارسون سنَّة العدالة. وتلك هي مملكة البِّر التي كلفت الأرواح بإعدادها. (784).

917 ـ بأية وسيلة يمكن إزالة الأنانية؟.

من بين كل النقائص البشرية، فإن أصعبها استئصالاً هي الأنانية، لأنها تأتي من تأثير المادة، ولأن الإنسان، لكونه قريباً جداً بعد من منشئه، فهو لم يستطع أن يتحرر منها. وهذا التأثير، يساهم كل شيء في تغذيته: القوانين والنظام الاجتماعي والتهذيب. ولكن ستضعف الأنانية عندما تتغلب الحياة الخلقية على الحياة المادية. وبخاصة عندما، تفهمون بواسطة الأرواحية، حالتكم القادمة الحقيقية، وليس المحرَّفة بالخيالات التأويلية. حينما تصير الأرواحية مفهومة جيداً، وتتطابق مع الأعراف والعقائد، سوف تتغير العادات والمداولات اليومية والعلاقات الاجتماعية. فالأنانية مؤسسة على أهمية الشخصية، ولكن، الأوراحية عندما تفهم جيداً، فهي تطلع المرء على الأشياء من مستوى عالٍ جداً إلى حد أن الشعور الشخصي يزول نوعاً ما أمام اللانهاية. الأرواحية، بهدمها تلك الأهمية، أو على الأقل، بجعلكم ترونها كما هي، تحارب حتماً الأنانية.

الكدر الذي يعتري الإنسان أمام أنانية الآخرين هو ما يجعله عادة يصير أنانياً أيضاً، لأنه يشعر بأن عليه حتماً أن يكون على حذر. يرى الآخرين يفكّرون من أجل أنفسهم، و لا يفكرون من أجله، وهذا يحمله على الاهتمام بنفسه أكثر مما بالآخرين. وحينما يصير مبدأ المحبة والأخوة أساس المؤسسات الاجتماعية والعلاقات القانونية بين شعب وشعب وبين شخص وشخص، سيقل تفكير الإنسان من أجل نفسه، لأنه سيرى أن أناساً آخرين يفكرون من أجله. وسيتأثر حينئذ بالواقع المهذب

الآتي من مثال الآخرين ومن علاقاته بهم. إزاء هذه الأنانية المتجاوزة الحدود، يحتاج المرء إلى فضيلة حقيقية ليزاول نسيان شخصيته لصالح الآخرين، لأنهم غالباً لا يعترفون له بأي جميل نحوهم. إن ملكوت السموات مفتوح بوجه خاص لأولئك الذين يملكون هذه الفضيلة، فقد خصصت لهم وحدهم السعادة المعدة للمختارين. الحق أقول لكم، في يوم الحساب، من لم يفكر إلا من أجل نفسه سيطرح جانياً، وسيعاني إهمال الآخرين له (785).

فينلون[1]

ليس هناك شك في أن الهيئات المسؤولة تبذل جهوداً حميدة لتدفع الإنسانية إلى الأمام، وتشجع المشاعر الحسنة وتحركها وتمجدها أكثر مما في أي زمن مضى. ومع ذلك، فما زالت الأنانية السوسة التي تنخر المجتمع، إنها مرض حقيقي يعود بأضرار على كل الناس، وكل شخص هو ضحيته إلى درجة ما. يجب مكافحته إذن كما يكافح مرض وبائي، ولعلاجه، يجب إتباع نصائح الأطباء، أي، البحث عن مصدره. لذلك، لا بد من مباشرة البحث في جميع قطاعات الهيئة الاجتماعية، من العائلة إلى الجماعات، ومن الكوخ إلى القصر، عن جميع أسبابه وجميع آثاره الظاهرة أو المستترة، التي تعمل على إثارة وتغذية وتطوير الأنانية. وبعد معرفة أسبابه، سيظهر الدواء من تلقاء نفسه، ولن يبقى علينا سوى محاربتها، جميعها إذا أمكن الأمر، أو محاربة جزء منها على الأقل، حتى يستأصل هذا السم شيئاً فشيئاً. وقد يحتاج الشفاء إلى زمن طويل، إذ أن الأسباب عديدة، ولكنه ممكن، وعلى كل حال، لن يتوصل المجتمع إلى استئصال الداء إلا بمقاومته في منشئة بواسطة التهذيب. ليس ذلك التهذيب الذي يقصد إعداد أناس مثقفين، وإنما التهذيب الذي يقصد إعداد أناس صالحين. فالتهذيب الأخلاقي هو أساس الارتقاء الأدبي، وعندما يفهم جيداً غرضه الحقيقي. ويعرف الناس فن قيادة الطباع كما يعرفون فن قيادة العقول، سيتمكنون من تعديلها كما تعدل الذرائع الصغيرة. إلاّ أن هذا الفن يتطلب الكثير من اللياقة والكثير من الخبرة والملاحظة الدقيقة، لأن هناك خطأ خطيراً في الظن بأنه يكفي أن يكون أحد متعلماً ليمارسه لفائدته. من يتبع ابن الغني كما يتبع أيضاً ابن الفقير منذ يوم ولادته، ويراقب جميع التأثيرات التي تفعل فيه فعلاً مفسداً، بسبب ضعف وتهاون وجهل

---

(1) فينلون (1651 . 1715) مطران وكاتب ومهذب فرنسي شهير، معروف بنشاطه الرسولي وبتأثيره الكبير على الأفكار في أيامه (ملاحظة المترجم).

الأشخاص الذين يوجهونه، ويرى الوسائل المستعملة لتهذيبه أخلاقياً، وهي ليست فعلاً الوسائل الصحيحة، فلن يتعجب حين يلقى في العالم عيوباً بهذا القدر. فلنعمل من أجل التهذيب الخلقي قدر ما نعمل من أجل تثقيف العقول، وسنرى إذا كان هناك فطور عاصية، هناك أيضاً فطور، عددها أكثر مما يظن، تحتاج فقط إلى ثقافة حسنة لتعطي ثماراً جيدة. (782).

يريد الإنسان السعادة لأن هذه الرغبة موجودة في طبيعته. لذلك فهو لا يكف عن العمل ليحسن مركزه على الأرض، ويبحث عن أسباب شقائه ليتلافاها. وحينما يدرك جيداً بأن الأنانية هي إحدى هذه الأسباب، وأنها تسبب الكبرياء والطمع والجشع والحسد والحقد والغيرة، وأن هذه المشاعر تسيء إليه كل حين، وتحدث الاضطراب في جميع العلاقات الاجتماعية، وتثير الخصومات وتهدم الثقة وتجبره على أن يكون دائماً على حذر إزاء جاره، وأن أنانيته هي التي تعمل من الصديق عدواً، فسيدرك حينئذ بأن هذه الرذيلة تنافي سعادته الشخصية وحتى سلامة حياته. فكلما عانى منها، كلما شعر بضرورة مكافحتها، كما يكافح الطاعون والحشرات المضرة وكافة النكبات الأخرى، وسيفعل ذلك من أجل مصلحته بالذات. (784).

إن الأنانية هي مصدر جميع الرذائل مثلما أن المحبة هي مصدر جميع الفضائل. ينبغي على الإنسان أن يبذل كل جهده لإزالة الأولى وتنمية الثانية، إذا أراد أن يضمن سعادته في هذه الدنيا وفي المستقبل.

4ـ ميزات الإنسان الصالح

918 ـ ما هي العلامات التي تدلنا على أن أحداً ارتقى فعلاً إلى درجة سوف ترفع روحه في التدرج الأرواحي؟.

يدل الروح على ارتقائه عندما يطبّق ناموس الله في جميع أفعال حياته، وعندما يدرك سلفاً الحياة الروحية.

الإنسان الصالح الحقيقي هو الذي يطبق في عيشته سنّة العدالة والمحبة والإحسان بأقصى صفائها. يحاسب ضميره عن أفعاله، متسائلاً هل خالف هذه السنة، وهل أساء إلى أحد، وهل فعل كل الخير الذي كان في وسعه أن يفعله، وهل أعطى لأحد سبباً ليشتكي منه، وأخيراً، هل فعل للآخرين كل ما يريد أن يفعلوه له.

إن الإنسان المؤمن بعاطفة الإحسان والمحبَّة للقريب في البشرية، يفعل الخير من أجل الخير، دون انتظار مقابل لفعله، ويضحِّي بمصلحته في سبيل الحق.

إنه طيب وإنساني ولطيف مع كل الناس، لأنه يرى في جميع الناس إخوة، دون اعتبار إلى جنسهم أو عقيدتهم.

إذا أعطاه الله الحول والمال، فهو ينظر إلى هذه الأشياء كوديعة يجب عليه أن يستعملها للخير، وهو لا يتكبر بسببها، لأنه يعلم أن الله أعطاها له، ويقدر أن يأخذها منه.

إذا وضع النظام الاجتماعي أشخاصاً تحت تبعيته، فينبغي أن يعاملهم برأفة وسماحة لأنهم نظراءه أمام الله، ويستعمل سلطته ليرفع معنوياتهم لا لإذلالهم بكبريائه.

إنه متسامح مع زلّات الآخرين لأنه يعلم أنه هو نفسه يحتاج إلى تسامحهم. ويتذكر كلمات المسيح القائلة: «من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر».

وهو ليس حقوداً، بل على مثال المسيح يسامح الأخطاء والإساءات لكونه يتذكر فقط الحسنات، ويعرف أنه سيغفر له بقدر ما قد غفر هو نفسه.

وهو يراعي إزاء الآخرين كل الحقوق التي تعطيها سنن الطبيعة، كما يود أن تراعى حقوقه.

5ـ معرفة الذات

919 ـ ما هي أحسن طريقة عملية وفعّالة ليتحسن الإنسان في هذه الحياة ويقاوم جاذبية الشر؟

قالها لكم أحد الحكماء القدماء: اعرف نفسك.

919 أ ـ ندرك تماماً حكمة هذا القول، ولكن الصعوبة هي بالضبط معرفة الإنسان لنفسه، كيف يصل إليها؟

افعلوا ما كنت أفعله حين كنت عائشاً على الأرض. ففي نهاية كل يوم، كنت أمتحن ضميري، واستعرض ما فعلته، متسائلاً هل قصرت في واجب ما، وهل أعطيت لأحد سبباً ليشتكي مني. هكذا تمكنت من معرفة نفسي ومعرفة ما يحتاج إلى إصلاح فيَّ. فمن يراجع كل ليلة جميع أفعال اليوم، ويتساءل عمَّا كان صالحاً أو

باطلاً في أفعاله، ويطلب النور من الله ومن ملاكه الحارس، يتقوى جداً في مهمة تحسين نفسه، لأنّه، صدِّقوني، سيساعده الله. اطرحوا على أنفسكم أسئلة، وتساءلوا ما هو غرضكم في تلك الحالة، وهل فعلتم شيئاً تكرهونه لو أتى من الآخرين، وهل فعلتم عملاً قد لا تجرأون على الاعتراف به. اطرحوا على أنفسكم أيضاً هذا السؤال: إذا شاء الله في هذه اللحظة عودتي إلى عالم الأرواح، حيث لا يخفى شيء، فهل أخشى من نظر أحد، عند دخولي فيه؟ افحصوا ما قد فعلتموه ضد الله، ثم ضد نظيركم في البشرية، وأخيراً ضد نفسكم. وستأتي الإجابات براحة لضميركم، أو بإشارة إلى غلط يجب إصلاحه.

معرفة الإنسان لنفسه إذاً، هي أساس تقدمه، ولكن، قد تسألون كيف يحكم أحد بعدالة في أفعاله؟ أما يخدعه حبّ نفسه ويريه أن أخطاءه طفيفة، ويعذرها؟ فالبخيل يرى نفسه كمقتصد يحتاط للمستقبل، والمتكبِّر يعتقد أن عنده غيرة نفس فقط. هذا صحيح تماماً، ولكن عندكم طريقة أكيدة لا يمكن أن تخدعكم. فعندما تكونون متحيرين في قيمة أحد أفعالكم، اسألوا أنفسكم كيف تصفونه إن صدر من شخص آخر. فإذا وجدتم أنه يستحق اللوم، فلا يمكن أن يكون عادلاً لمجرد صدوره منكم، فعند الله لا يوجد قسطاسان لتطبيق العدالة. حاولوا أيضاً معرفة رأي الآخرين، ولا تهملوا رأي أعدائكم إذ ليس من صالح هؤلاء أن يغطوا ما هو مزعج فيكم، وكثيراً ما يضعهم الله في طريقكم كمرآة لينبهوكم بصراحة أكبر من التي تأتي من صديق. من يبغي يجد إصلاح نفسه، فليراجع إذن ضميره لكي يقلع الميول السيئة، كما يقلع الأعشاب المضرة من بستانه. وليعمل حساب يومه من جهة الأعمال الحسنة والسيئة كما يعمل التاجر حساب الخسائر والأرباح، وأؤكد لكم أن حساب الربح سيزيد على حساب الخسارة. إذا استطاع أن يقول إن يومه كان جيداً، يستطيع إذن أن ينام براحة ضمير وينتظر بلا خوف الإفاقة في حياة أخرى.

اطرحوا إذاً على أنفسكم أسئلة واضحة ومدقّقة، ولا تخشوا من الإكثار منها، إذ يصح للإنسان أن يعطي بعض دقائق من وقته للحصول على سعادة أبدية. ألا تشتغلون يومياً بقصد ادخار ما يعطيكم الراحة في شيخوختكم؟ أليست هذه الراحة الغرض الأول الذي تتمنونه والهدف الذي من أجله تشقون وتتحملون أتعاباً واحتياجات وقتية؟ ولكن، ماذا تعني راحة بضعة أيام تكدرها أمراض الجسد، بالنسبة إلى الراحة التي سيحصل عليها الإنسان الصالح؟.

ألا يستحق هذا الأمر بذل جهد بسيط؟ أنا على يقين بأن عدداً كبيراً من الناس يقولون إن الحاضر واقعي والمستقبل غير مؤكد. ولكن، هذه هي بالضبط الفكرة التي نحن مكلفون باستئصالها من أذهانكم، إذ أن مقصدنا هو جعلكم تفطنون لهذا المستقبل، بحيث لا يبقى أي شك داخل أنفسكم بشأنه. من أجل هذا لفتنا انتباهكم أولاً إلى ظواهر من شأنها أن تؤثر على حواسكم، ثم أعطيناكم تعاليم لكي ينشرها كل منكم. بهذا القصد أملينا كتاب الأرواح.

مار أغسطينس

في أحيان كثيرة نرتكب أخطاء دون أن ندري بها. فعلاً، وطوعاً لنصيحة مارأغسطين، لو فحصنا ضميرنا تكراراً، لرأينا زلاتنا العديدة التي لا ننتبه إليها، لكوننا لا نمعن النظر في طبيعة أفعالنا والدوافع التي كانت وراءها. تحوي الصيغة التساؤلية شيئاً ما أكثر تدقيقاً من مثل نسمعه ثم ننساه، وهي تتطلب أجوبة قاطعة، إيجابية أو سلبية، لا تقبل مراوغة. وفي مجموع هذه الأجوبة توجد حجج شخصية نستدل منها على مقدار الخير أو الشر الذي فينا.

الفصل الأول : المحن والمتع الدنيوية

1ـ نسبية السعادة والشقاء

2ـ موت الأحباب

3ـ الخيبات ـ المودات المحطمة

4ـ الزواجات المتنافرة

5ـ الخوف من الموت

6ـ القفز من الموت. الانتحار

1 ـ نسبية السعادة والشقاء

920 ـ أمن الممكن للإنسان أن يتمتع بسعادة كاملة على الأرض؟.

كلا، ما دامت الحياة أعطيت له كتجربة أو للإيفاء. ولكن، يتوقف عليه أن يخفف وطأة نكباتها، وأن يسعد على قدر ما تسمح الحال على الأرض.

921 ـ ندرك بأن الإنسان سيسعد على الأرض حينما تكون البشرية قد تغيرت. ولكن، في غضون ذلك، ألا يستطيع أي واحد أن يحصل على درجة محدودة من السعادة؟.

في أغلب الأوقات، يكون الإنسان هو صانع شقائه، وبإطاعته شريعة الله، يتجنب العديد من الشرور، ويحصل على بعض السعادة بقدر ما تسمح حياته الخشنة على الأرض.

الإنسان المتيقن تماماً من مصيره الآجل، يعتبر الحياة الجسدية كمحطة مؤقتة فقط. فهي في نظره، توقف وقتي في فندق حقير، وهو يتعزى بسهولة من بعض مضايقات عابرة يلقاها في السفر، لأن هذا السفر سيوصله إلى مكانة أحسن، بقدر ما يستعد له سلفاً باستعدادات جيدة.

في هذه الحياة، نعاقب لمخالفتنا سنن الحياة الجسدية، بالأضرار التي هي عاقبة هذه المخالفة وعاقبة إفراطنا في الحياة. وإذا رجعنا إلى الوراء خطوة خطوة إلى أصل ما نسميه بمصائب هذه الحياة، فسنرى في معظمها أنها عاقبة انحراف في البدء عن السلوك القويم، وأننا بهذا الانحراف دخلنا في سبيل سيئ، ومن عاقبة إلى عاقبة، نسقط في التعاسة.

922 ـ السعادة على الأرض متناسبة مع حالة الأشخاص، وما يكفي ليسعد أحد، يتعس غيره. ألا يوجد، مع ذلك، نوع عام من السعادة يشمل جميع الناس؟.

من الناحية المادية هو أن تتوفر للناس حاجياتهم، ومن الناحية المعنوية، سلامة الضمير والثقة بالمستقبل.

923 ـ ما قد يكون من الكماليات لأحد، ألا يصير من الحاجيات لغيره، والعكس بالعكس، تبعاً للحال؟.

أجل، بحسب أفكاركم المادية، وأحكامكم المسبقة وطموحكم وسائر غرائبكم المضحكة التي سيدينها المستقبل، حينما تفهمون الحقيقة. لا شك أن من كان دخله خمسين ألف وانخفض إلى عشرة، يعتبر نفسه تعيساً جداً، لأنه لا يعود قادراً على أن يظهر بنفس الهيئة السابقة، وأن يحافظ على ما تدعونه بمكانته، وأن يكون له خيول وخدم وأن يشبع جميع أهوائه، الخ... وهو يظن بأن الحاجيات تنقصه. ولكن، بصراحة، أتظن أنه يستحق الشفقة، حين يكون إلى جانبه، أناس يموتون من الجوع والبرد، وليس لهم مأوى يأوون فيه؟ فالحكيم، كي يسعد، ينظر إلى الأدنى منه، وليس إلى الأعلى منه، إلا عندما يصعد روحه إلى اللامحدود (715).

924 ـ هناك نكبات ليس لها علاقة بسلوك الإنسان وتصيب أصدق الصدِّيقين. ألا يوجد واسطة لاتقائها؟.

في هذه الحالة يجب على الإنسان أن يستسلم لله ويتحملها دون تذمر، إن شاء الارتقاء. فهو يحصل كل حين في داخله على تعزية تعطيه الأمل في مستقبل أفضل، إذا سلك كما يجب، لكي ينالها.

925 ـ لماذا ينعم الله بالثروة على بعض أناس يبدون أنهم لم يستحقوها؟.

هي نعمة في نظر الذين لا يرون إلاّ الحاضر، ولكن ليكن في علمك جيداً، بأن الثروة تجربة في الكثير من الأحوال أخطر من الفقر (814 وما بعده).

926 ـ باختلاقها احتياجات جديدة، أليست المدنية مصدر محن جديدة؟.

بلايا هذا العالم متناسبة مع الضروريات المصطنعة التي تختلقونها. فمن يستطيع أن يضع حداً لرغباته وأن ينظر إلى ما هو أعلى منه دون أن يغار منه، يتجنب الكثير من الخيبات في هذه الحياة. إن أغناكم هو من له أقلّ الاحتياجات.

تحسدون متع الذين يبدون لكم أنهم أسعد الناس. مع ذلك، أتعلمون ما ينتظرهم؟ فإذا كانت متعهم لنفسهم فقط، فهم إذن أنانيون، ومن ثم فإن المحنة آتية إليهم. اشفقوا عليهم بالأحرى. يسمح الله أحياناً للشرير أن يسعد، ولكن لا تغاروا من سعادته، لأنه سيدفع ثمنها بدموع مريرة. إنه مسكين، فهي تجربة كان عليه ن يحتملها بشجاعة. تذكروا كلمات المسيح القائلة: طوبى للحزانى لأنهم سيعزون.

927 ـ ندرك أن الكماليات ليست لازمة حتماً للسعادة، ولكن يختلف الحال بخصوص الضروريات. مع ذلك، أليس شقاء المحرومين من هذه الضروريات شقاء حقيقياً؟.

لا يكون الإنسان تعساً حقاً إلاّ عندما ينقصه ضروريات الحياة وصحّة الجسد. هذا الحرمان، قد يكون من ذنبه، وبالتالي يجب عليه أن يشتكي من نفسه فقط. ولكن إذا كان من ذنب غيره، فتقع المسؤولية على من سببه.

928 ـ من الواضح أنه، بواسطة مواهبنا الطبيعية للعمل، يبين الله ميدان العمل الذي نحن مدعوّون إليه في هذا العالم. ألا تأتي مشقات كثيرة من كوننا لا نسلك هذه الدعوة؟.

هذا حقيقي، والأبوان هما اللذان عادة، عن كبرياء أو عن بخل، يحيدون بأولادهم عن الطريق الذي رسمته لهم الطبيعة، وبهذا التحويل يخاطرون بسعادتهم. ولكنهم سيكونون مسؤولين عن عملهم.

928 أ ـ إذن تعتبرون من العادل لابن شخص عالي المركز في الهيئة الاجتماعية أن يصنع قباقيب، مثلاً، إن كان عنده موهبة لهذا العمل؟.

لا يلزم أن تقعوا في التناقض وأن تبالغوا. فالمدنية لها مقتضياتها. لماذا يعمل ابن شخص عالي المركز، كما تقول، كصانع قباقيب فربما يستطيع أن يعمل شيئاً آخر؟ بوسعه كل حين أن يكون نافعاً على قدر مقدراته، إذا لم يستعملها عكساً. فمثلاً، عوضاً عن أن يكون محامياً رديئاً، قد ينجح ربما كميكانيكي كفء، الخ.

تحويل الناس عن نطاقهم العقلي هو، بكل تأكيد، أحد الأسباب العديدة التي تسبب الخيبة. إن عدم الأهلية للمهنة المختارة، هو منبع فشل لا ينضب معينه. ثم إن عزة النفس، عندما تضاف إلى ذلك، فهي تمنع الفاشل من البحث عن مورد في مهنة أقل قيمة من السابقة، ويكون الانتحار كوسيلة لخلاصه مما يظنه إهانة لكرامته. لو كان قد هذب تهذيباً أدبياً يقيه من حماقة الأحكام المسبقة المؤسسة على الكبرياء، لما فوجئ أبداً بحالة كهذه.

929 ـ يوجد قوم، لكونهم في منتهى العوز، بينما يسود الرخاء حولهم، لا ينتظرون في تعاستهم سوى الموت. ماذا يجب عليهم أن يفعلوا؟ أيستسلمون للموت؟.

لا يحق أبداً للإنسان أن يفكر في الاستسلام للموت جوعاً، إذ يسعه دائماً أن يجد وسيلة ليكسب قوته، طالما لا يحول الكبرياء بين العوز والعمل. يقول الناس عادة: «الكار لا يهين». والعمل الشريف لا يقلّل من قيمة الإنسان، ولكنهم يقولون ذلك للآخرين لا لأنفسهم.

930 ـ يبدو واضحاً أنّه، لولا الأحكام المسبّقة الاجتماعية التي يدعها الإنسان تسيطر عليه، لوجد دائماً عملاً يكسب منه عيشه، ولو اضطر لذلك إلى أن ينزل من مركزه. لكن، بين الذين ليس لهم أحكام مسبقة تسيطر عليهم أو أنهم يطرحونها جانباً، يوجد أناس يعجزون عن القيام بأودهم، من جراء أمراض أو أسباب أخرى خارجة عن إرادتهم؟.

في مجتمع مؤسس على شريعة المحبة، لا يصح أن يموت أحد جوعاً في نظام اجتماعي حكيم ومجهز للمستقبل، لا يصح أن يحرم الإنسان من الضروريات إلا إذا كان بخطئه. غير أن أخطاءه هي عادة ليست ناتجة من البيئة التي يعيش فيها. وحينما يطبق الإنسان ناموس الله، سيكون له نظام اجتماعي مؤسس على العدالة والتضامن، وستتحسن حالته أيضاً. (793).

931 ـ في المجتمع، لماذا تكون الطبقات المعذبة هي أكثر عدداً من الطبقات السعيدة؟.

لا يوجد طبقة سعيدة بالتمام، وما يظن أنه السعادة يخفي عادة وراءه كروباً مؤلمة، لأن العذاب في كل مكان. وللإجابة على سؤالك، أقول إن الطبقات التي تسميها معذبة هي أكثر عدداً لأن الأرض مكان تكفير. وحينما يجعلها الإنسان مقراً للخير والأرواح الصالحة، فلن يعود فيها تعيس، وستصير الجنَّة على الأرض.

932 ـ لماذا يغلب في النفوذ بين الناس، في أحيان كثيرة جداً، عدد الأشرار على عدد الأبرار؟.

هذا من ضعف الأبرار. الأشرار وقحون ومتجاسرون بينما الأبرار حشماء. وحينما يفعل الأبرار هذا الحال، سيغلبون.

933 ـ ما دام الإنسان في أوقات كثيرة يسبب محنه المادية، أهو يسبب أيضاً محنة النفسية؟.

نعم، وأكثر من ذلك، إذ أن المحن المادية هي أحياناً خارجة عن الإرادة، ولكن الكبرياء المجروح، والطموح المخيب، وقلق البخل والغيرة، والحسد، وبالاختصار، جميع الأهواء هي عذابات نفسيه له.

والغيرة والحسد... سعداء من لا يعرفون هاتين السوستين اللتين تنخران في داخل المرء. فمن يحمل داء الغيرة والحسد، لا يعرف الهدوء ولا راحة البال. إذ يرى

أمام عينيه صور ما يطمح إليه، فيحقد ويتذمر كأشباح لا تبرح تلاحقه حتى في ساعات النوم. إن الغيور والحسود هما في حالة حمى مستديمة. أهي حالة تريدونها لأنفسكم، ألا تفهمون أن الإنسان بأهوائه، يختلق عذابات إرادية لنفسه، وأن الأرض تصير جحيماً حقيقياً له؟.

هناك عبارات عديدة تصف بصورة قوية وطأة بعض الأهواء. فيقال إن فلان: منتفخ كبرياء، يموت من الغيرة، ويأكله الحسد والنكد، وانشغل عن الأكل والشرب، الخ...، وكنها أوصاف كثيرة المطابقة للواقع. وفي بعض الأحيان، ليس للحسد أي هدف معيَّن. إذ أن هناك قوماً هم بطبيعتهم، حساد من جميع الذين يرتفعون مركزاً، ومن جميع الذين يتميزون عن المعتاد، حتى عندما لا يكون لهم أية مصلحة مباشرة في الأمر، وإنما فقط لأنهم يعجزون عن بلوغ مستوى أعلى. فهم يستاؤون من جميع الذين يصعدون أعلى من المستوى العادي، وإذا كانوا هم الأكثرية في المجتمع، يودون تنزيل كل شيء إلى مستواهم. هذا هو الحسد مقروناً بعدم الكفاءة.

يتعس الإنسان عادة لأنه يعطي أهمية لأشياء هذه الدنيا. وما يتعسه هو خيبته في زهوه وطموحه وجشعه. لو سما بنفسه إلى مستوى أعلى من نطاق الحياة المادية الضيق، ولو صعد بأفكاره إلى اللامحدود، لأن اللامحدود هو مصيره، لبدت له حينئذ تقلبات الدهر عديمة الأهمية وتافهة، مثل كروب الولد الذي يحزن لأنه فقد لعبة كانت منتهى سعادته.

من يرى السعادة فقط في إشباع كبريائه وشهواته الخشنة، فهو يتعس عندما لا يستطيع إشباعها، بينما من لا يبتغي شيئاً من الكماليات يسعد فيما يعتبره الآخرون كمصائب.

نشير هنا إلى الإنسان المتمدن، إذ أن المتوحش، لكون احتياجاته محدودة، فمواضع مطامعه وقلقه مختلفة، ونظرته إلى الأشياء مختلفة جداً عن نظرة المتمدن. عندما يكون الإنسان متمدناً، يفكر في شفائه ويحلله، ولذلك فإن تأثره به أكبر، ولكنه يستطيع أيضاً أن يفكر ويحلل وسائل تعزيته، فيجدها في تعاليم المسيح التي تعطيه الأمل في مستقبل أحسن، وفي تعاليم الأرواح السامية التي تؤكد له حقيقة ذلك المستقبل.

2 ـ موت الأحباب

934 ـ أليس موت الأشخاص الذين نعزّهم أحد الأسباب التي تثير فينا حزناً شديداً، بخاصة وأن موتهم لا يعوض وأنه خارج عن إرادتنا؟.

يصيب هذا الكدر الأغنياء والفقراء على السواء، وهو تجربة أو إيفاء عن أخطاء، وهذا القانون يعمّ كل الناس. ولكن لديكم تعزية لكونكم تستطيعون الاتصال بأصدقائكم بواسطة الوسائل التي تعرفونها، ريثما تحصلون على وسائل أخرى للاتصال بهم مباشرة.

935 ـ ما رأيكم بالذين يعتبرون الاتصال بالأموات تدنيساً لهم؟.

لا يوجد تدنيس إن كان الاتصال بخشوع، وإذا كان الاستدعاء باحترام وبملاءمة للموقف. ما يثبت قولنا، هو أن الأرواح الذين يحبونكم يأتون بسرور، ويسعدون لأنكم فكرتم بهم ولأنهم يتكلمون معكم. قد يكون هناك تدنيس إن تستدعوهم باستخفاف بهم.

إن إمكانية الاتصال بالأرواح هي تعزية فائقة العذوبة لأنها تعطينا الوسيلة لكي نتحدّث مع أقاربنا وأصدقائنا الذين برحوا الأرض قبلنا. باستدعائهم، فنحن نقرّبهم منّا، فيأتون إلى جانبنا، ويفهموننا ويردون علينا، ومن ثم يصحّ القول بأنّه لا يعود هناك فاصل بينهم وبيننا. يساعدوننا بنصائحهم، ويظهرون ودّهم لنا، وفرحهم لتفكيرنا بهم. فنسر عندما نعرف أنهم سعداء، ويخبروننا هم ذاتهم بتفاصيل حياتهم الجديدة. وهذا يجعلنا نتأكد من أننا سنلتقي بهم عندما يأتي دورنا.

936 ـ كيف يؤثر حزن الأحياء على الأرواح الراحلة؟.

يتأثر الروح من كون أحبابه يتذكرونه ومن أسفهم على ذهابه، ولكن يؤلمه جداً حزن لا يتوقف ومخالف للصواب، لأنه يرى في هذا الحزن المتجاوز الحدّ، عدم الإيمان بالمستقبل، وعدم الثقة بالله، ومن ثم، فهو عثرة في التقدم الروحي.

ولكون الروح أسعد في حالته الروحية ممّا كان على الأرض، فحزن الأحباب لموته، يعادل حزنهم لسعادته الحاضرة. لنفرض أن صديقين مسجونين في نفس الزنزانة، وسيطلق سراح الاثنين يوماً ما، ولكن أحدهما يطلق سراحه قبل الآخر. أهو

تصرف مطابق لسنّة المحبّة أن يحزن الذي سيبقى لأن سراح صديقه أطلق قبله؟ ألا يوجد من ناحيته أنانية أكثر من الودّ، حين يرغب أن يشارك صديقه حبسه وشقاءه طوال بقائه في الاعتقال؟ والحال هو نفسه لشخصين متحابين على الأرض. فمن يبرحها أولاً هو الذي تحرّر قبل الآخر، وواجبنا هو أن نهنئه بتحرره، بينما ننتظر بالصبر ساعتنا لنتحرر نحن بدورنا.

سنعطيكم تشبيهاً آخر في هذا الأمر. لك صديق يعيش بقربك في حالة تعسة جداً. تقتضي صحته أو مصلحته أن يذهب إلى بلد آخر حيث ستتحسّن حالته من جميع النواحي.

فهو لن يكون بقربك مؤقتاً، ولكنك ستتراسل معه كل حين، لأن الفراق جسدي فقط. فهل تحزن لابتعاده عنك، وأنت عالم أن ابتعاده كان لخيره؟

إن تعليم الأرواح، بواسطة البيِّنات التي يقدمونها لنا عن حقيقة الحياة المقبلة، وعن وجود الذين أحببناهم حولنا، وعن دوام مودتهم لنا وعطفهم علينا، وأن هناك صلات يمكننا بها أن نتخاطب معهم، يقدِّم لنا أسمى تعزية بأشد المصائب ألماً في الحياة. فبهذا التعليم، لا يعود هناك عزلة وفراق، ومن في أقصى عزلة، فإن له أصدقاء كل حين بجانبه، ويستطيع أن يتخاطب معهم.

نحن نحتمل بفراغ الصبر شدائد الحياة، ويتراءى لنا أنها أكبر من أن نقدر على احتمالها. ولكننا لو احتملناها بشجاعة، وتمكنا من أن نلزم الصمت بدل تذمرنا، فسنغتبط من تصرفنا هذا بعد خروجنا من هذا السجن الأرضي، كما يغتبط المريض المتألم بعد شفائه، بعد أن استسلم لعلاج أليم.

3 ـ الخيبة، نكران الجميل، المودات المحطمة

937 ـ الخيبات التي نشعر بها من نكران الجميل ومن عدم ثبات عرى الصداقة: أليست هي أيضاً مصدر مرارة للإنسان الكريم القلب ؟.

نعم، ولكنّا نعلمكم أن تشفقوا على ناكري الجميل وعلى الأصدقاء الخونة، لأنهم سيشقون أكثر منكم. يأتي نكران المعروف من الأنانية، وسيلقى الأناني فيما بعد قلوباً قاسية نحوه كما كان هو نحو الآخرين. تأملوا بكل الذين

أحسنوا أكثر منكم، وكانوا أفضل منكم، ثم لقوا نكران المعروف. تأملوا كيف عبثوا بالمسيح واحتقروه أثناء حياته، ووصفوه بمنافق وخدّاع، ولا تتعجّبوا لو لاقيتم نفس المعاملة. ليكن الخير الذي صنعتموه هو مكافأتكم في هذا العالم، ولا تصغوا إلى ما يقول عنه أولئك الذين انتفعوا منه، نكران الجميل هو اختبار لكم على إصراركم على عمل الخير، وسيحسب لكم فيما بعد، والذين أنكروا جميلكم سيعاقبون بقدر ما كان إنكارهم له.

938 ـ الخيبات التي يسببها نكران الجميل، هل من الممكن أن ينتج منها سوى تقسية القلب وإغلاقه أمام الإحساس؟.

يخطأ من يدع ذلك يحدث له، إذ أن الإنسان الكريم القلب، كما تقول، يسر دائماً بالخير الذي يفعله، ويعلم أنهم إذا نسوه في هذه الحياة، فسيتذكرونه في حياة أخرى، وأن ناكر الجميل سيعاني الخجل وتوبيخ الضمير.

938 أ ـ ولكن هذه الفكرة لا تمنع انجراح قلبه. ألا يمكن أن يبعث ذلك فيه فكرة أنّ الأفضل له هو أن يكون أقل إحساساً؟.

أجل، إذا فضل سعادة الأناني. لكن، ما أتعسها هذه السعادة. ليعلم إذن أن الأصدقاء الناكري الجميل الذين يهجرونه لا يستحقون صداقته، وأنه أخطأ في ظنه بهم. ومن ثمَّ، فلا يحقّ له أن يأسف على فراقهم. وفيما بعد، سيجد أصدقاء آخرين يحسنون فهمه. يستحق الشفقة أولئك الذين تصرفوا نحوكم تصرفاً سيئاً لم تستحقوه، لأن تصرفهم نحوكم سيرجع إليهم رجوعاً محزناً. لكن، لا تنزعجوا من ذلك، فهذه هي الوسيلة التي تضعكم في مستوى أعلى منهم.

أعطت الطبيعة للإنسان الحاجة إلى أن يُحِبّ وأن يُحَبّ. فالحب هو إحدى المتع الكبيرة التي منحت له على الأرض، حين يلقى قلوباً تنجذب إلى قلبه. وبذلك، فإن هذه المتعة تريه طلائع السعادة المخصَّصة له في عالم الأرواح التي بلغت الكمال، حيث تسود المحبَّة والسماحة. وهذه متعة حرم منها الأناني.

4. الزواجات المتنافرة

939 ـ ما دامت الأرواح المتجاذبة تميل إلى الاجتماع سوياً، لماذا بين الأرواح المتجسّدة، نرى في حالات كثيرة، الحب لدى واحد فقط من الاثنين دون الآخر، وإذا أخلص حبّ يقابل بلا مبالاة وحتى بنفور؟ وفوق ذلك، كيف ينقلب حبّ ودود جداً بين شخصين إلى نفور و أحياناً، إلى بغض؟

ألا ترى، أن هذا عقاب، ولو أنه وقتي؟ ثم، كم من الناس يظنون أنهم يعيشون في حب ولهان. فهم يحكمون بحسب الظواهر فقط، وعندما يضطرون إلى أن يعيشوا سوياً، فسرعان ما يصلون إلى التحقّق بأنه مجرد شغف جسماني. لا يكفي الولع بأحد يعجبكم وتظنونه موهوباً صفات رائعة، وإنما بالعيش معه فعلاً، ستستطيعون تقديره. كم هناك من زواجات تبدو لنا، في البدء، بأنها لن تصل أبداً إلى التآلف، ولكن بعد أن تعارف الاثنان على بعضهما وفهما بعضهما، توصلا مع الوقت إلى أن يحبّا بعضهما حبّاً رقيقاً ومستديماً، لأنه مؤسس على الاعتبار الشخصي. لا تنسوا أن الروح وليس الجسد هو الذي يحب، وحالما يزول الغرور، يرى الروح الواقع.

يوجد نوعان من الحب: حب الجسد وحب النفس أي الروح، وفي حالات عديدة يخطئ الإنسان في تمييزه بين الاثنين. فحبّ النفس، عندما يكون صافياً وحقيقياً فهو مستديم، بينما حبّ الجسد فانٍ. لهذا ففي حالات كثيرة فإن الذين كانوا يظنون أنهم يحبّون بعضهم حبّاً خالداً، يتباغضون حالما يزول الغرور.

940 ـ أليس عدم التجاذب بين الشخصين اللذين سيعيشان سوياً، مصدر كروب مرّة، فضلاً عن أن هذه الكروب تؤرق الحياة كلها؟

مُرّة جداً فعلاً، ولكن في أكثر الأحيان هي إحدى المحن التي أنتم مسببوها الأولون. أولاً، إنها قوانينكم التي تخطئ، أتظن أن الله يجبرك على أن تبقى مع الذين يزعجونك؟ ثم أنكم، في هذه الزيجات، تريدون عادة إرضاء كبريائكم وطموحكم أكثر من سعادتكم بحبّ متبادل، ومن ثم، تعانون عاقبة آرائكم المسبقة.

940 أ ـ ولكن في هذه الحالة، أليس هناك غالباً ضحية بريئة؟

نعم، وهذه تجربة قاسية لها، ولكن، مسؤولية شقائها، تقع على الذين سببوها. إن نفذ نور الحقيقة إلى نفوسها، فستجد تعزيتها في إيمانها بالمستقبل. مهما كان الحال، وبقدر ما تضعف الآراء المسبّقة، تزول أسباب هذه المحن الشخصية.

5ـ الخوف من الموت

941 ـ يسبب الخوف من الموت ارتباكاً للكثير من الناس. من أين يأتي هذا الخوف، ما داموا يعتقدون بالحياة المقبلة؟.

هذا الخوف ليس له أساس. لكن، أتنتظر شيئاً آخر؟ يحاولون إقناعهم في حداثتهم أن هناك جهنم وجنَّة أو سماء، وأنهم سيذهبون على الأرجح إلى جهنَّم، فهم يقولون لهم، عن أشياء طبيعية، بأنها خطيئة مميتة للنفس. وهكذا، فعندما يكبرون، ويكون عندهم بعض التمييز، فهم لا يقبلون هذا التعليم، ويصبحون ملحدين أو ماديِّين. هكذا يجعلونهم يعتقدون بأنه ليس هناك شيء آخر عدا الحياة الحاضرة. أمّا الذين واظبوا على عقائد حداثتهم، فهم يخافون من تلك النار الأبدية التي ستحرقهم دون أن تبيدهم.

لا يشعر الصدِّيق بالخوف من الموت، لأنه على يقين بالمستقبل، ولأن الرجاء يجعله ينتظر حياة أفضل، ولأن المحبة، التي مارس شريعتها، تؤكد له بأنه في العالم الذي سيدخل فيه، لن يلتقي بأي كائن يلقي عليه نظرات يخشاها. (730).

أما الإنسان الشهواني، فلكونه متعلقاً بالحياة الجسدية أكثر ممّا بالحياة الروحية، ويجد سعادته في إشباع خاطف لجميع شهواته. نفسه، لكونها على الدوام عابئة بتقلبات الحياة ومغتمة بسببها، فيرعبه الموت، لأنه يشك بمستقبله ولأنه سيترك على الأرض كل متعه وآماله.

في حين الإنسان الأدبي، الذي تسامى عن الاحتياجات المصطنعة التي تختلقها الأهواء، فله منذ هذه الدنيا، متع يجهلها الإنسان المادي. ذلك أن اعتدال شهواته يعطي لروحه الهدوء والسكينة. ولكونه مسروراً بالخير الذي يفعله، فهو لا يعرف الخيبات، وتمرّ المضايقات بروحه دون أن تترك فيه أثراً أليماً.

942 ـ ألن يعتبر بعض الناس هذه النصائح للسعادة على الأرض مبتذلة شيئاً ما، ألن يروا فيها ما يسمونه بطرق مطروقة وبحقائق معروفة، ألن يقولوا بأن السرّ لسعادة الإنسان هو حسن احتمال نوائبه؟.

هناك أناس سيقولون ذلك، وعددهم كبير. إلا أن هناك من هم مثل بعض المرضى يصف لهم الطبيب الحمية، ولكنهم يريدون الشفاء من غير أدوية بل بالاستمرار في إتخام أنفسهم.

6ـ القرف من الحياة ، الانتحار

943 ـ من اين يأتي القرف من الحياة الذي يتسلط على بعض أشخاص، بغير أسباب معقولة؟.

من وطأة الفراغ، أو من عدم الإيمان، أو في أوقات كثيرة من الشبع من الحياة.

من يمارس قدراته لغرض نافع، وفقاً لمواهبه الطبيعية، لا يبدو له العمل كريهاً أو مملاً، وتنقضي الحياة بسرعة، فيحتمل تقلباتها بصبر وانقياد لمشيئة الله، وبالأخص عندما يعمل في سبيل السعادة الأمتن والأثبت التي تنتظره.

944 ـ هل للإنسان الحق أن ينهي حياته؟.

كلا، الله وحده له هذا الحق. والانتحار الإرادي هو خرق لهذا القانون.

944 أ ـ الانتحار، أليس هو دائماً إرادي؟.

المجنون الذي يقتل نفسه لا يعرف ما يفعل.

945 ـ ما رأيكم في الانتحار الذي سببه القرف من الحياة؟.

ليس هذا صواباً. لماذا لم يكونوا يشتغلون؟ فلو كانوا يشتغلون، لما كانت الحياة حملاً عليهم.

946 ـ ما رأيكم بالذين ينتحرون بقصد التخلّص من محن وخيبات هذا العالم؟.

أرواح ضعيفة الطوية، لا يملكون الشجاعة لاحتمال محن الحياة. الله يساعد المعذبين، ولكن ليس الذين لا يملكون شجاعة الصواب. تقلّبات الحياة هي تجارب أو إيفاءات. سعداء هم الذين يحتملونها دون تذمر، لأنهم سيكافؤون. والويل للذين، في كفرهم، ينتظرون نجاتهم، مما يسمونه، بالصدفة أو حسن الحظ. فالصدفة أو حسن الحظ، كما يقولون، قد تساعدهم إلى حين، ولكن لكي يفهموا فيما بعد، وبمرارة شديدة، فراغ هاتين الكلمتين.

946 أ ـ الذين يدفعون أحداً تعيساً إلى هذا الفعل اليائس، أيتحملون عواقب فعلهم؟.

آه من هؤلاء، يا ويلهم، إذ أن فعلهم سيحسب لهم كجريمة قتل.

947 ـ من هو في نضال مع العوز ويدع نفسه يموت يأساً، أيعتبر تصرفه انتحاراً؟.

هو انتحار، ولكن الذين سببوه أو كان في وسعهم أن يمنعوه، هم أكثر ذنباً منه، وسيحاسب المنتحر برفق. مع ذلك، لا تظنوا أن انتحاره يغفر له بالتمام إذا قصّر في

العزم والاجتهاد، وإن لم يستعمل كل ذكائه ليتخلص من ورطته. ولكن ويله خاصة إذا كان يأسه بسبب الكبرياء. أعني إذا كان من هؤلاء الذين يشل كبرياؤهم مقدرات ذكائهم، ويخجلون من كونهم يضطرون إلى كسب عيشهم بالعمل اليدوي، ويفضلون الموت جوعاً على أن ينزلوا عما يسمونه بمنزلتهم الاجتماعية. أليس أكثر نبالة وعزّة بمئة مرة في النضال ضد الضراء، وتحدي انتقاد عالم تافه أو أناني، يبدي حفاوة فقط للأغنياء الأقوياء، ويدير ظهره لكم حالما تحتاجون إليه؟ من الحماقة أن يضحي الإنسان بحياته اعتباراً لهذا العالم، لأن هذا العالم لا يكترث بالتضحية له البتّة.

948 ـ الانتحار بقصد التهرب من العار الناتج عن فعل سيئ، هل هو ذميم بقدر الذي يسببه اليأس؟.

الانتحار لا يزيل الخطأ، بالعكس، هناك خطأان بدلاً من خطأ واحد. فإذا تجرأ أحد على ارتكاب الشر، فينبغي عليه أن يتجرأ على احتمال العواقب. الله يحكم، حسب السبب، قد يلطف أحياناً شدّة عقابه.

949 ـ هل المنتحر معذور عندما يقصد بانتحاره منع العار من أن يعود على أبنائه أو على عائلته؟.

من ينتحر بهذا القصد يخطئ، مع أنه يظن العكس، والله يحسب له ظنّه، لأن فعله هو كفّارة يفرضها على نفسه. يخفّف وطأة ذنبه بحسن نيته، ولو أنه لا يزال مخطئاً. ومهما كان الحال، أزيلوا من مجتمعكم العادات الخاطئة وأحكامكم المسبقة، ولن يعود عندكم انتحارات من هذا النوع.

من يقتل نفسه ليتهرب من العار الناتج عن فعل شيء، يبرهن أنه يبالي باحترام الناس أكثر مما باحترام الله، إذ هو سيعود إلى الحياة الروحية محملاً بمظالمه، فقد حرم نفسه من وسائل الإيفاء في حياته. وفي أحيان كثيرة، فإن الله أقل تشدداً من الناس، وهو يسامح من يندم فعلاً، ويحسب لنا مجهودنا للإيفاء، بينما الانتحار لا يوفي شيئاً بتاتاً.

950 ـ ما رأيكم بمن ينتحر على أمل أن يعجل وصوله إلى حياة أفضل؟.

ضربٌ آخر من الجنون. ففي عمل الخير تأكيد للحصول عليها، إذ أن الانتحار يؤخر دخوله في عالم أفضل، وهو ذاته سيطلب الرجوع إلى الأرض لكي يتمم تلك الحياة التي قطعها منخدعاً. إن أي خطأ، مهما كان نوعه، لا يفتح أبداً حرم المختارين.

951 ـ أما له استحقاق أحياناً من يفتدي بحياته لإنقاذ حياة شخص آخر أو من أجل أعانة نظرائه في البشرية.

هذا جليل جداً، حسب النية، وافتداؤه بحياته ليس انتحاراً. لكن الله يعارض فداءً بالحياة لا فائدة منه، ولا يراه بعين الرضى إن كان مختلطاً بالكبرياء. يعطي الفداء بالحياة استحقاقاً إن كان خالياً من أغراض شخصية، والمفتدي بحياته يكون عنده أحياناً نية مبيتة تقلل قيمة فدائه في نظر الله.

إنه أية تضحية يضحي بها الإنسان سعادته الشخصية في سبيل الآخرين، هي فعل سامي الاستحقاق في نظر الله، لأنها تطبيق سنّة المحبّة. وبما أن الحياة أغلى شيء للإنسان على الأرض، فمن يتخلى عنها لصالح نظرائه في البشرية، لا يجني على نفسه، وإنما يفدي حياته من أجلهم. ولكن قبل أن يقوم بفداء نفسه، يجب عليه أن يفكّر فيما إذا كانت حياته أنفع من موته.

952 ـ هل يعتبر منتحراً من يهلك ضحية الإفراط في شهوات يعلم أنها ستعجل أجله، ولكنه ما عاد يستطيع مقاومتها، لأن الإدمان جعلها تصير من ضروریاته الجسدية؟.

إنه انتحار معنوي. ألا ترى أن هذا الإنسان أذنب مرتين في هذه الحالة؟ ففي تصرفه نقص في الشجاعة وسلوك البهائم، بالإضافة إلى نسيان الله.

952 أ ـ هل ذنبه أكبر أو أصغر من ذنب من ينتحر يأساً من الحياة؟.

ذنبه أكبر، لأن عنده الوقت اللازم كي يفكر في انتحاره. إن من ينتحر فجأة، يكون لديه أحياناً اختلال في العقل قريب من الجنون. أما الآخر فيعاقب أكثر، إذ أن العقوبات متناسبة دائماً مع وعي الإنسان للأخطاء التي ارتكبها.

953 ـ إذا رأى أحد أنه قريب من موت محتم ومريع، هل يذنب أن يقصر آلامه بعض أوقات قليلة بميتة إرادية؟.

يذنب في جميع الأحوال من لا ينتظر الأجل الذي حدده الله له. فمن الذي يستطيع أن يؤكد تأكيداً قاطعاً أن أجله قد حان، ألا يمكن أن يأتي إسعاف غير منتظر في آخر لحظة؟

953 أ ـ نسلم بأن الانتحار ذميم في الظروف الاعتيادية، ولكننا نفترض هنا الحالة التي يكون فيها الموت محتماً والحياة تقصّر بعض أوقات قليلة فقط؟.

ما زال هذا هو عدم الانقياد وعدم الخضوع لمشيئة الخالق؟

953 ب ـ في هذه الحالة، ما هي عواقب هذا الفعل؟.

تكفير متناسب مع جسامة الخطأ، وحسب الظروف المحيطة به، كما هو الحال عادة.

954 ـ الغفلة التي تعرض الحياة للخطر دون لزوم، أهي ذميمة؟.

لا يوجد ذنب إذا لم يوجد نيَّة أو إدراك واضح للإساءة.

955 ـ النساء اللواتي، في بعض البلاد، يحرقن أنفسهن إرادياً فوق جسم أزواجهن، هل يعتبر منتحرات، وهل يحتملن عواقب فعلهن؟.

هن يخضعن لفكرة مسبقة، مرغمات في الغالب لا بإرادتهن الشخصية. يعتقدن أنهن يتممن واجباً، ومن ثم ليس في فعلهن ميزة الانتحار. عذرهن هو في عجزهن المعنوي وفي جهلهن. هذه الأعراف الهمجية والغبية تزول مع التمدن.

956 ـ أولئك الذين لكونهم لا يستطيعون احتمال موت أحبابهم، ينتحرون على أمل أن يلتقوا بهم في الحياة الآجلة، هل ينالون مقصدهم؟.

ما يحصلون عليه يختلف جداً عمّا يتوقعون، وبدلاً من اللقاء بالشخص الذي يحبونه، يبتعدون عنه زمناً أطول، إذ أن الله لا يكافئ الجبن، ومن يقابله بالشك في عنايته. وسيدفعون ثمن لحظة الجنون هذه بكروب أشد من التي كانوا يظنون تقصيرها، ولن يجدوا لتعويضهم المسرة التي كانوا يتوقعونها. (934 وما يليه).

957 ـ ما هي، بوجه عام، عواقب الانتحار على حالة الروح؟.

عواقب الانتحار متنوعة جداً. ليس هناك عقوبات معينة له، وفي جميع الحالات، فهي متعلقة دائماً بالأسباب التي أحدثته. إلا أن العاقبة التي لا يستطيع المنتحر التهرب منها، هي الخيبة. على أي حال، ليس مصير جميع المنتحرين واحداً، هذا يتوقف على ظروف الانتحار. بعضهم يكفرون عن خطئهم فوراً، والآخرون بحياة جديدة أسوأ من التي قطعوا سيرها.

تكشف المراقبة أن نتائج الانتحار متنوعة، مع أنها هي ذاتها في جميع حالات الموت الأحمر، وفي قطع مفاجئ لسير الحياة. أولها، هي دوام الرباط الذي يصل الروح بالجسد دواماً أطول وأكثر تشبثاً، بالنظر إلى أنه كان في أوج قوته عندما حطم، بينما في الموت الطبيعي يضعف الرباط تدريجياً، وفي أحوال عديدة ينفك قبل أن تنطفئ الحياة، والعواقب الناتجة عن هذه الحالة هي امتداد الاضطراب

الروحي، ثم الوهم الذي، طوال زمن طويل أو قصير نوعاً ما، يجعل الروح يظن أنه ما زال من الأحياء. (155 و 165).

إن الألفة التي تطول بين الروح والجسد، تحدث في بعض المنتحرين، وهي عبارة عن ارتداد حالة الجسد على الروح. وبناءً عليه، يشعر الروح، رغماً عنه، بمفاعيل انحلال جسده، فيعتريه شعور قلق واقشعرار وهول. وقد تدوم هذه الحالة بقدر ما كان يجب أن تدوم الحياة التي قطعوا سيرها. ولكن لا يشمل هذا المفعول جميع المنتحرين. ومع ذلك، ففي جميع الحالات، لا ينجو المنتحر من عواقب جبنه، عاجلاً أو آجلاً يكفر عن خطأه بطريقة أو بأخرى. هذا ما قاله بعض الأرواح الذين كانوا تعساء على الأرض، فقد انتحروا في حياتهم السابقة وانقادوا إرادياً لتجارب جديدة ليحاولوا احتمالها باستسلام لمشيئة الله. لدى بعضهم تمسك بالمادة يسعون عبثاً ليتخلصوا منه، ليطيروا نحو عوالم أفضل، ولكن الوصول إليها كان محرماً على معظمهم، ليس لهم إلا الأسف لكونهم فعلوا شيئاً بلا فائدة، ولأنهم شعروا بخيبة كبيرة لما فعلوه.

إن الدين والمبادئ الأدبية وسائر المذاهب الفلسفية تستنكر الانتحار وتعتبره مضاداً لشريعة الطبيعة. تقول لنا جميعها إنه لا يحق لحد أن يختصر حياته إرادياً. لكن، لماذا ليس له هذا الحق؟ لماذا ليس هو حراً أن يضع حداً لشقائه أو لآلامه؟ لقد كان مخصصاً للأرواحية أن تبرهن، بمثال الذين سبق أن انتحروا، فالانتحار ليس خطأ فقط، لكونه خرقاً للشريعة الخلقية، وهذا قليل الأهمية في اعتبار بعض أشخاص، وإنّما هو بالعكس، فعل غبيّ، لكونه لا يجدي أية فائدة للمنتحر. لا تعلمنا الأرواحية بالنواحي النظرية، ولكن بالوقائع التي تضعها أمام أعيننا.

الفصل الثاني: المحن والمتع المقبلة

1ـ العدم، الحياة الآجلة

2ـ الشعور البديهي بالمحن والمتع المقبلة

3ـ تدخل الله في المحن والمجازاة

4ـ ماهية المحن والمتع المقبلة

5ـ المحن الدهرية

6ـ التكفير (الإيفاء) والتوبة

7ـ مدة المحن الآجلة

8ـ قيامة الجسد

9ـ الجنة والجحيم والمطهر

1 ـ العدم. الحياة الآجلة

958 ـ لماذا يكره الإنسان العدم غريزياً؟.

لأن العدم غير موجود.

959 ـ من أين يأتي للإنسان الشعور الغريزي بالحياة الآجلة؟.

سبق أن قلناه لكم: قبل تجسده، كان الروح يعرف كل هذه الأشياء، وتحفظ النفس تذكاراً غامضاً بما تعرفه وبما شاهدته أثناء حالتها الروحية(393).

في جميع العصور، اهتم الإنسان بما يحدث له بعد الموت، وهذا أمر طبيعي جداً. مع كونه يعطي للحياة الحاضرة أهمية لا بأس بها، فهو يدرك حق الإدراك أنها قصيرة جداً. بل إنها زائلة، ما دام سيرها قد ينقطع في أية لحظة، ولا يعلم الإنسان هل سيكون حيّاً في الغد. وماذا سيصير إليه بعد اللحظة المشؤومة؟ السؤال خطير، إذ ليس الأمر بضعة سنوات، وإنما الأبد. من يضطر إلى قضاء سنوات عديدة في دولة أجنبية، يفكر كثيراً بالحالة التي سيواجهها في تلك الأصقاع. ألا ينبغي إذن أن نهتم بما ستكون عليه حالتنا عندما نغادر هذا العالم، خاصة وأنّ مغادرتنا له هي إلى أبد الدهر؟.

يوجد في فكرة العدم شيء ما ينفر منه العقل. فالإنسان الأقل مبالاة بمصيره الآجل أثناء حياته، حينما يصل إلى اللحظة الأخيرة، يتساءل عما سيصير إليه، ويتوقّع شيئاً جديداً برغم إرادته.

الإيمان بالله مع عدم الاعتقاد بالحياة الآجلة يخالف المنطق. ولا يعقل أن الله وضع الشعور الفطري بحياة أفضل، بلا سبب، في قرارة جميع الناس.

تستلزم الحياة الآجلة بقاء فرديتنا بعد الموت، وإلاّ، ماذا يهمنا بقاءنا بعد موت جسدنا، إذا كانت ذاتيتنا الفردية ستذوب في بحر اللانهاية؟ إن عواقب ذلك الذوبان تعادل زوالنا في العدم.

2 ـ الشعور البديهي بالمحن والمتع المقبلة

960 ـ من أين يرد الاعتقاد، الذي نجده عند جميع الشعوب، بمحن ومتع قادمة؟.

هو نفس الأمر: إنه استشعار بالواقع يجلبه للإنسان الروح المتجسّد فيه، إذ من اللازم أن تعلموا، بأنه ليس من العبث أن يتكلم إليكم صوت داخلي، وأنّ خطأكم هو كونكم لا تصغون إليه الكفاية. لو فكرتم جيداً ومراراً في ذلك، لتحسنتم.

961 ـ في إبّان الموت، ما هو الشعور السائد، لدى غالبية الناس، أهو الشك أو الخوف أو الأمل؟

الشك عند الشكاكين المتأصلين في الشك والخوف عند المذنبين والأمل عند الأبرار.

962 ـ لماذا يوجد شكاكون، ما دامت نفس الإنسان تجعله يشعر بالأشياء الروحية؟.

الشكاكون أقل مما تظنون. ثمة عدد كبير من الناس يتظاهرون بعناد الرأس عن عجرفة أثناء حياتهم، ولكنهم في ساعة الموت، لا يمودون يتبجحون كما من قبل.

تقع عاقبة الحياة الآجلة على مسؤوليتنا عن أفعالنا. يوحي لنا المنطق والعدل أنَّ، في توزيع السعادة التي يبتغيها كل الناس، لا يمكن أن يكون الأبرار والأشرار متساوين. يستحيل أن يرضى الله بأن يتنعم البعض، من غير جهد، بمتاع لا يحصل عليها الآخرون إلاّ بالكد والمثابرة.

تعطينا حكمة النواميس الإلهية فكرة عن عدل الله وعن لطفه. وهذه الفكرة تجعلنا نعتقد بأن الأبرار والأشرار ليس لهم نفس القيمة في نظره، وتجعلنا لا نشك بأن الله يوماً ما سيكافئ الخير الذي فعله البار ويعاقب الشر الذي فعله الشرير. لهذا السبب فإن شعورنا الفطري بعدل الله يعطينا معرفة بديهية بالمحن والمجازاة القادمة.

3ـ تدخل الله في المحن والمجازاة

963 ـ هل يهتم الله بكل إنسان بصورة شخصية؟ أليس هو عظيم جداً ونحن صغار جداً لكي يكون لكل إنسان بالذات أهمية ما في نظره؟.

يهتم الله بجميع الكائنات التي خلقها، مهما كان صغرها، ولا شيء يكون بلا أهمية لعنايته وللطفه.

964 ـ أهو لازم أن ينتبه الله إلى كل فعل نفعله ليجازينا أو يعاقبنا، أليست أغلب أفعالنا قليلة الأهمية؟

الله له نواميسه، وهي تقيس جميع أفعالكم. فإن تخالفوها، فالذنب عليكم. لا شك أن الإنسان عندما يفرط في تصرفه، لا يصدر الله عليه حكمه قائلاً: أنت أكلت كثيراً، ولذلك سأعاقبك، ولكن الله وضع حدّاً لكل شيء، والأمراض وغالباً الموت هي عاقبة الإفراط. هذا هو القصاص، إذ هو نتيجة مخالفة الناموس. والحال هكذا في كل الأمور.

تخضع كل أفعالنا لنواميس الله. إذ لا يوجد أي خطأ مهما يبدو لنا قليل الأهمية، يستطيع خرق هذه النواميس. وإذا عانينا عواقب خرقها، فيجب أن نعاتب نفسنا فقط، لأننا نحن بالذات صانعو سعادتنا أو تعاستنا المقبلة. ستفهمون هذه الحقيقة بالمثل التالي:

أرسل أب ابنه إلى المدارس ليتعلم، وهذب تصرفه معطياً إياه الوسائل ليستطيع مواجهة الحياة. ثم أعطاه حقلاً ليزرعه قائلاً له: لقد تعلمت القاعدة، وها هي الأدوات اللازمة لتجعل حقلك خصيباً ولتجني منه عيشك. علمتك ما يكفيك لتفهم هذه القاعدة. بأن تسلكها، سيكون محصول حقلك كبيراً، وستحصل على الراحة في شيخوختك، وإلاّ، فلن ينتج حقلك شيئاً، وستموت جوعاً. وبعد أن قال له ذلك، تركه يتصرف كما يشاء.

لاشك أن هذا الحقل سينتج على قدر اعتناء الابن بزراعته، وأي إهمال له، سينجم عنه ضرر في يوم الحصاد. لذلك، سيسعد الابن أو سيتعس في شيخوخته بقدر ما يسلك أو يهمل القاعدة التي رسمها له والده. يعلمنا الله أكثر بعد، إذ ينذرنا في كل لحظة بأننا إذا تصرفنا بنحو حسن أو مخطئ، فهو يرسل إلينا الأرواح لكي توحي إلينا، ولكننا لا نصغي إليها. هناك فرق آخر بعد، وهو أن الله يعطي الإنسان دائماً وسيلة في حيواته الجديدة لكي يصلح أخطائه السالفة، بينما الابن الذي نتكلم عنه لا يعود له مخرج إذا أساء استعمال وقته.

4 ـ ماهية المحن والمتع المقبلة

965 ـ هل تكون محن ومتع النفس بعد الموت، هي من نوع مادي؟.

لا يمكن أن تكون مادية، ما دامت النفس ليست مادة. ليست هذه المحن و هذه المتع جسمانية، ومع ذلك يحس بها الروح ألف مرة أكثر من التي تقاسونها على الأرض، لأن الروح بعد تخلصه من الجسد، يكون أكثر حساسية، ولأن المادة لا تعود تخمد التأثير على حواسه. (237 إلى 257).

966 ـ لماذا ينسب الإنسان لمحن ولمتع الحياة الآجلة، صورة في الكثير من الأحيان، غريبة جداً وغير معقولة؟.

ذكاؤه لم يتطور الكفاية بعد. لا يفهم الولد ما يفهمه البالغ السن. وعلى كل حال، يتوقف الأمر على ما علّموه له، وهنا يحتاج التعليم إلى إصلاح.

لغتكم ناقصة للغاية لتعبر عما هو خارج منال حواسكم. لهذا السبب كان من اللازم استعمال مشابهات، وهي تلك الصور وتلك الاستعارات التي تتخذونها بالواقع. إلاّ أنه بقدر ما يتور الإنسان، يفهم عقله الأشياء التي لا تستطيع لغته أن تعبر عنها.

967 ـ ما هو نوع السعادة التي تتنعم بها الأرواح الصالحة؟.

معرفة جميع الأشياء، وعدم الشعور بالبغض أو الحسد أو الغيرة أو الطموح أو بأية شهوة من الشهوات التي تتعس البشر. والود الذي يجمعهم هو منبع غبطة لهم سامية للغاية. فهم لا يشعرون باحتياجات الحياة المادية وبآلامها وأهوالها. ويسعدون من كونهم يفعلون الخير. مهما كان الحال، فسعادة الأرواح متناسبة دائماً مع درجة ارتقائهم. صحيح أن الأرواح الطاهرة تتنعم هي وحدها بأكمل سعادة، ولكن سائر الأرواح الأخرى ليست تعيسة. وبين الأرواح الشريرة والأرواح التي وصلت إلى الكمال، يوجد مراتب لا نهاية لها حيث المتع تتناسب مع الحالة الأدبية.

الأرواح الذين ارتقوا ارتقاء لا بأس به يلمسون سعادة الذين وصلوا قبلهم، ويطمحون إلى مستواهم، ولكن رغبتهم في الارتقاء هي موضوع منافسة لا يتخللها الحسد. فهم يعلمون أن عليهم يتوقف كل شيء كي يصيبوا سعادتهم، فيجتهدون لهذه الغاية، بهدوء الضمير السليم، ويسعدون لأنه ليس عليهم أن يتعذبوا بما يقاسيه الأشرار.

968 ـ تذكرون عدم وجود الحاجات المادية بين شروط السعادة للأرواح. ولكن إشباع هذه الحاجات، أليس مصدر ملاذ للإنسان؟.

أجل، ولكنها ملاذ الحيوان، وعندما لا يستطيع إشباع هذه الحاجات، فهذا عذاب له.

969 ـ ما المقصود عندما يقال إن الأرواح الطاهرة مجتمعة في أحضان الله، تسبّحه على الدوام؟.

هو مثل رمزي يصور إدراكهم كمالات الله، لأنهم يرونه ويفهمونه، ولكن يجب أن لا تتخذوا الكلمة حرفياً. كل شيء في الطبيعة، وحتى حبة الرمل، يسبح الله، أي يمجد قدرته ولطفه. لكن لا تظن أن الأرواح الطوباوية هي في تأمل مدى الأبد، لأن ذلك التأمل قد يكون طوبى بلهاء ومملاً، زد على ذلك، قد تكون هذه الطوبى سعادة الأناني، إذ وجودهم يصير باطلاً بلا أجل. لا يعود لهم محن الحياة الجسدية، ومبدئياً هذه متعة لهم. ثم، وكما سبق لنا القول، فهم يعملون ويعرفون كل

الأمور، ويستغلون المعارف التي اكتسبوها ليساعدوا في ترقية الأرواح الأخرى. هذه هي مهمتهم وفي ذات الوقت متعة لهم.

970 ـ كيف تتعذب الأرواح المتأخرة؟.

عذاباتهم متنوعة حسب الأسباب التي أحدثتها، ومتناسبة مع درجة التأخر، كما المتع متناسبة مع درجة الارتقاء. يمكن تلخيصها كما يلي: يشتهون جميع الأشياء التي تنقصهم ليسعدوا، ويعجزون عن نيلها، يرون السعادة ويعجزون عن إصابتها، ثم يصيبهم الندم والحنق واليأس أمام ما يمنعهم أن يسعدوا، وكذلك تأنيب الضمير والقلق المعنوي. يشتهون جميع المتع والملاذ ولا يستطيعون الحصول على ما يبتغون، وهذا هو ما يعذبهم شرَّ العذاب.

971 ـ هل تأثير الأرواح على بعضهم بعضاً حسن دائماً؟.

حسن دائماً حين يأتي من الأرواح الصالحة، وهذا أمر بديهي، ولكن الأرواح الشريرة تحاول أن تُضل عن الطريق المستقيم وعن التوبة أرواحاً أخرى لديها قابلية للضلال، وأن تجرّهم إلى الشر مراراً أثناء الحياة.

971 أ ـ إذن، فإن الموت لا ينجينا من التجارب؟.

لا، ولكن تأثير الأرواح الشريرة على الأرواح الأخرى أقل بكثير مما هو على البشر، لأن الشهوات المادية لا تعود تساعدهم في غرضهم.(996).

972 ـ كيف تفعل الأرواح الشريرة لتجر الأرواح الأخرى إلى الشر، ما دامت الأهواء لا تعود تُعينها؟.

صحيح أن الأهواء لا توجد مادياً، ولكنها لا تزال موجودة في أفكار الأرواح المتأخرة. تغذّي الأرواح الشريرة هذه الأفكار بجرّ ضحاياها إلى الأماكن التي تستطيع مشاهدتها حين تجد كل ما يمكن إثارتها.

972 أ ـ ولكن ما نفع هذه الأهواء ما دامت لا تعود قائمة على حالة واقعية؟.

هذا بالذات هو ما يعذّبهم، إذ يرى البخيل الذهب الذي لا يقدر أن يمتلكه، ويرى الفاسق فواحش لا يستطيع أن يشترك فيها، ويرى المتكبّر تشريفات وتكرمات يريدها لنفسه للتمتّع بها بعيدة عن منالـه.

973 ـ ما هي أشدّ أشكال العذاب التي قد تعانيها الأرواح الشريرة؟.

لا يمكن التعبير عن أهوال العذابات المعنوية التي تعاقب بها بعض الجرائم. فحتى الروح الذي يعانيها قد يجد صعوبة في وصفها. ولكن، أفظعها بالتأكيد هي الفكرة بأن عذابه أبدي.

يتصور الإنسان محن ومتع النفس بعد الموت، تصوراً يتناسب مع مقدار تقدُّم عقله. كلما تطور عقل الإنسان، كلما تنقت وتخلصت هذه الصورة من المادة، فيفهم الأشياء من وجهة نظر أكثر مطابقة للعقل، ولا يعود يأخذ حرفياً الصور المقدَّمة بكلام مجازي. ولكون العقل السليم يقول لنا بأن النفس كيان روحي بأسره، فهو يقول لنا بالتالي إن النفس لا تتأثر بالتأثيرات التي تصيب المادة فقط. ولكن لا ينتج من ذلك أنّها أعفيت من العذاب وأنّها لا تعاقب عن أخطائها. (237).

لقد كانت نتيجة الاتصالات بالأرواح أن أرتنا حالة النفس المقبلة، لا كنظرية، وإنما كحقيقة واقعية، فقد بسطت أمامنا جميع تقلبات حياة ما بعد الموت، وأرتنا إياها في ذات الوقت كعواقب معقولة تماماً لما كانت حياتنا على الأرض. مع كونها مجرَّدة من الصور التي اخترعها خيال الناس، فهي ما زالت أليمة للذين أساؤوا استعمال مقدراتهم. وتنوع هذه العواقب لا حد له، ولكن يجوز القول، كمبدأ عام، إن كل شيء يعاقب من حيث أخطأ. وبناءً عليه، يعاقب البعض بمشاهدة متواصلة للإثم الذي ارتكبوه، وغيرهم بالندامة، أو بالخوف، أو بالخجل، أو بالشك، أو بالعزلة أو بالظلمات أو بالفصل عن الأحبة..... الخ.

974 ـ من أين يأتي الاعتقاد بالنار الأبدية؟.

هي صورة رمزية، كصور عديدة أخرى، حسبها الناس أمراً واقعاً.

974 أ ـ ولكن هذا الخوف، ألا يحدث نتيجة نافعة؟.

شف واحكم إذا كان أحداً، حتى بين الذين ينشرون هذا التعليم. فإذا تعلموا أشياء يرفضها العقل فسيخلقون وقعاً وقتياً ومضراً.

الإنسان، لكونه عاجزاً عن التعبير عن هذه العذابات بلغته الدارجة، لم يجد مقارنة أقوى من مقارنتها بالنار، إذ هو يعتبر النار مثلاً لأشد العذابات، ورموزاً لأفظع أنواع العواقب. لهذا السبب، يرجع الاعتقاد بالنار الأبدية إلى الماضي السحيق، وورثته الشعوب العصرية من الشعوب القديمة. لهذا السبب أيضاً، يقول الإنسان في كلامه المجازي: لهيب الشهوات، وتولع حبّاً، وتوقد غيرة، وحرق قلبه.... الخ... الخ.

975 ـ الأرواح المتأخرون، هل يفهمون سعادة الأبرار؟.

يفهمونها، وهذا هو ما يجعلهم يتعذبون، لأنهم محرومون منها بسبب ذنوبهم، لهذا السبب، فإن الروح الذي تخلّص من المادة. يتطلع إلى حياة جسدية جديدة، لأن كل حياة يعيشها قد تختصر مدة هذا العذاب، إذا استخدمها حسناً. وعندئذ يبدأ باختيار التجارب التي قد يوفي بها عن أخطائه، إذاً، لا تنسوا أن الروح سيتعذب عن كل السوء الذي ارتكبه أو كان هو مسببه الإرادي، وعن كل الخير الذي كان يستطيع أن يفعله ولم يفعله، وعن كل السوء الناتج عن الخير الذي لم يفعله.

لا يعود للروح التجوالي غشاوة، فهو كمن خرج من الضباب فيرى ما يبعده عن السعادة. حينئذ، يتعذب أكثر، لأنه يفهم مقدار ذنبه. ولا يعود هناك وهم، فهو يرى واقع الأشياء.

يرى الروح، في الحالة التجوالية، من جهة، رؤية تشمل جميع حيواته السابقة، ومن الجهة الأخرى، المستقبل الموعود، ويفطن لما ينقصه ليكتسبه. فهو كالمترحل الذي وصل إلى قمة الجبل ويرى المسافة التي قطعها والمسافة التي بقيت أمامه ليصل إلى هدفه.

976 ـ رؤية الأرواح التي تتعذب، أليست مصدر حزن للأرواح الصالحة، وحينذاك، ماذا تصير سعادتها عندما تتفكر هذه السعادة؟.

ليست مصدر حزن لهم، لأنهم يعرفون أن ذلك العذاب له نهاية. وبناءً عليه، فهم يساعدون الآخرين ليحسّنوا أنفسهم ويمدُّون لهم يد العون. هذا شغلهم ومتعتهم عندما ينجحون فيه.

976 أ ـ قد نفهم ذلك بخصوص أرواح غريبة عنهم أو لا تبالي بهم. ولكن مشاهدة شقاء وعذاب الذين أحبّوهم على الأرض، ألا تزعج سعادة هذه الأرواح الصالحة؟.

إذا كانت ترى هذا العذاب فهي فعلاً غريبة عنكم بعد الموت. إلاّ أن الدين يقول لكم إن الأرواح تشوفكم، وتنظر إلى أحزانكم من وجهة نظر مختلفة عن نظرتكم للأحزان. تعلم أن هذا العذاب نافع لارتقائكم، ما دمتم تحتملونه باستسلام لمشيئة الله. لذلك، فهي تحزن من عدم شجاعتكم لأن ذلك يؤخركم، أكثر مما تحزن من عذابكم في ذاته، لأنه مؤقت.

977 ـ بما أن الأرواح لا يقدرون إخفاء أفكارهم عن بعضهم بعضاً، وأن جميع أفعال حياتهم مكشوفة، إذن فهذا يعني أن الآثم يواجه ضحيته على الدوام؟.

لا محالة من ذلك، وهذا بديهي.

977 أ ـ هذا الكشف لجميع أفعالنا الذميمة، والمواجهة الدائمة للذين كانوا ضحاياها، هل هما معاقبة للآثم؟.

معاقبة أكبر مما تظنون، ولكن فقط حتى يوفي أخطاءه، سواءً كروح أم كإنسان في حيوات جسدية جديدة.

حينما نكون نحن ذاتنا في عالم الأرواح، حيث يكون ماضينا بأسره مكشوفاً، فإن جميع ما فعلناه من خير أو من شر سيكون معروفاً أيضاً. عبثاً سيحاول من أساء، أن يختفي عن أنظار ضحاياه. فسيكون وجودهم، الذي لا مفرّ منه، معاقبة له وتأنيباً مستديماً لضميره، حتى يوفي كفارة أخطائه. بينما البار، فهو بالعكس، سيلقى في كل مكان أنظاراً صديقة ولطيفة. أما الشرير، فلا يوجد على الأرض معاقبة أكبر من مواجهة ضحاياه، وهو لهذا السبب، يتجنبهم كل حين. ماذا يحدث بعد أن يزول غرور الأهواء، ويفطن للشر الذي ارتكبه، ويرى أخفى أفعاله منكشفة، ومراءاته مفضوحة، وأنه لن يستطيع أن يتوارى عن أنظارهم؟

وهكذا تتقلب روح الشرير على رمضاء الخجل والأسف وتأنيب الضمير، بينما تتمتع روح البار بسكينة كاملة.

978 ـ تذكار الأخطاء التي قد ارتكبها الروح في أيام تأخُّره، ألا يعكّر سعادته حتى بعد أن تنقّى؟.

كلا، لأنه كفّر عن أخطائه وخرج ظافراً من التجارب التي انقاد لها لهذا الغرض.

979 ـ التجارب التي ينبغي بعد على الروح أن يقاسيها ليتمم تطهيره، ألا تخلق فيه خوفاً مزعجاً يعكّر سعادته؟.

أجل، ولكن للروح الذي ما زال ملوَّثاً. لهذا السبب لا يستطيع أن يتمتّع بسعادة كاملة، إلاّ بعد أن يصير طاهراً بالتمام. لكن، الروح الذي ارتقى فلا تكدره البتة فكرة التجارب التي مازال عليه أن يقاسيها.

والروح الذي بلغ درجة ما من الصفاء، يبتدئ بتذوق السعادة. ويكتنفه شعور بمسرة عذبة ويبتهج بكل ما يراه وبكل ما يحيط به. فتنكشف له أسرار الخليقة وعجائبها، وتتجلّى له الكمالات الإلهية في كل بهائها.

980 ـ النزعة الانجذابية التي تجمع أرواحاً من نفس الدرجة، هل هي باعث سعادتهم؟.

ألفة الأرواح الذين ينجذبون إلى بعضهم بعضاً من أجل الخير، هي إحدى متعهم الكبرى، لأنهم لا يخشون من أن الأنانية تعكّر ألفتهم. وهم يكونون في العالم الروحي تماماً، عائلات يضمّها تشابه الشعور، ومن هذا الشعور المتشابه تتكون السعادة الروحية، كما في عالمكم تتجمعون في فئات، وتشعرون بالسرور عندما تكونون مجتمعين. إن المودة الصافية والصادقة التي يشعرون بها ويتبادلونها هي مصدر سعادتهم، إذ أن بينهم لا يوجد أصدقاء منافقون ولا مراؤون.

يستسيغ الإنسان بوادر هذه السعادة على الأرض عندما يلتقي بأشخاص يتآلف معهم في ألفة صافية ومقدّسة. غير أنه في حياة روحية أكثر تقية، تزداد هذه المتعة إلى درجة لا توصف ولا حدود لها، لأن الروح سيلتقي فيها فقط بأرواح متجاذبة لن تبرّدها الأنانية. ففي الطبيعة، كل شيء مبني على المحبّة أي على الجاذبية، والأنانية هي التي تعطّلها.

981 ـ هل يوجد، لحالة الروح المقبلة، فرق بين شخص كان أثناء حياته يخشى الموت وبين من ينظر إلى الموت بلا مبالاة، وحتى يرغبه بسرور؟.

قد يكون الفرق كبيراً. ومع ذلك، يزول هذا الفرق غالباً أما الأسباب التي تسبب هذا الخوف أو هذه الرغبة. سواء خشي أحد الموت أو تمناه، قد يكون المرء مدفوعاً إليه بمشاعر مختلفة جداً، وهذه المشاعر هي التي تؤثر على حالة الروح. فمثلاً، من يرغب الموت فقط لأنه يرى فيه نهاية محنه، فهذا نوع من التذمر ضد العناية الإلهية وضد التجارب التي يجب عليه أن يعانيها.

982 ـ أيجب كي يشعر أحد إيمانه بالمذهب الروحي أن يعتقد بالتخاطبات الأرواحية ليضمن مصيره في الحياة القادمة؟.

إن كان كما تقول، فسينتج عن ذلك أن كل الذين لا يؤمنون به أولم تتح لهم الفرصة ليستنيروا، محرومون من السعادة الآجلة، وهذا غير معقول. إن عمل الخير هو الذي يضمن المصير القادم؛ والخير هو دائماً الخير، مهما كان الطريق الموصّل إليه. (165 ـ 799).

إن الاعتقاد بالأرواحية يساعد على تحسين الذات، لأنه يضبط الأفكار حول بعض الأمور التي تخصّ المستقبل، ويعجّل في ارتقاء الأفراد والجماهير، لأنه يجعلنا ندرك ما سنكون يوماً.

لذلك، فهو نقطة استناد لنا ونور يرشدنا. تعلمنا الأروحية احتمال التجارب بصبر وانقياد لمشيئة الله، وتبعدنا عن الأفعال التي قد تؤخر السعادة الآجلة، وبالتالي، فهي تساهم في هذه السعادة. لكن، هذا لا يعني أنه من دونها لا يمكن الحصول على السعادة.

5 ـ المحن الدهرية

983 ـ الروح الذي يكفّر عن أخطائه في حياة جديدة، ألا يتعذب عذابات مادية، ومن ثم، أيصح القول أنه بعد الموت يتعذب الروح عذابات معنوية فقط؟.

صحيح فعلاً، فعندما يكون الروح متجسّداً، فإن محن الحياة هي عذاب له، ولكن الجسد فقط هو الذي يتعذب مادياً.

أنتم تقولون عادة عن الذي مات إنه استراح من العذاب، ولكن هذا ليس صحيحاً دائماً. فهو كروح، لا يعود يتألم آلاماً جسدية، ولكن وفقاً للأخطاء التي ارتكبها، قد يتعذب عذابات معنوية مبرحة أكثر من الجسدية، وفي حياة جديدة قد يكون أتعس حالاً مما كان عليه. إن الغني القاسي القلب سيشحذ وسيتقلب على رمضاء جميع أنواع الحرمان والبؤس، وسيلقى المتكبر جميع أنواع الذل. ومن يستبد بسلطته ويعامل مرؤوسيه باحتقار وقساوة، سيكره على إطاعة سيد أقسى مما كان هو. إن جميع محن ومصائب الحياة هي تكفير عن أخطاء حياة سابقة، أو عاقبة أخطاء الحياة الحالية. وبعد خروجكم من هذه الدنيا ستفهمون ذلك. (273 ـ 393 ـ 399).

من يظن نفسه سعيداً على الأرض، لأنه يستطيع إشباع شهواته، فقلّما يبذل جهده في سبيل تحسينه الروحي. وهو يوفي عادة في هذه الحياة تلك السعادة الزائلة، ولكنه سيوفيها بالتأكيد في حياة أخرى مادية كالتي سبقتها.

984 ـ تقلبات الحياة، هل هي عقاب الأخطاء الحالية؟.

لا، سبق أن قلنا لكم في هذا الشأن، إنها تجارب يفرضها الله أو أنكم اخترتموها أنتم بذاتكم أثناء حالتكم كروح وقبل أن ترجعوا إلى التجسد، لتكفروا عن الأخطاء التي ارتكبتموها في حياة أخرى، لا يمكن أن تبقى أبداً بغير عقاب مخالفة نواميس الله، وبخاصة سنّة العدالة. وإذا لم يكن ذلك في هذه الحياة، فسيكون حتماً في حياة أخرى. ولهذا السبب، فإن من هو بارّ في نظركم، يصاب في حالات كثيرة ببليّة لما فعله في ماضيه. (393).

985 ـ هل يعتبر مكافأة، تجسد الروح في عالم أقل خشونة من الذي كان فيه؟.

هذه نتيجة تنقيته، إذ أن الأرواح كلمًا تنقوا كلما تجسدوا في عوالم أكثر فأكثر كمالاً، حتى يجردوا أنفسهم من أي أثر للمادة فيهم، ويتبرؤوا من كافة أدناسهم، لكي يتنعموا إلى الأبد بغبطة الأرواح الطاهرة في أحضان الله.

في العوالم حيث الحياة أقل مادية مما هي في هذه الدنيا، تكون الاحتياجات أقل خشونة، وكافة الآلام الجسدية هي أقل إيلاماً. ولا يعود الناس يعرفون الأهواء السيئة التي كانت، في العوالم المتأخرة روحياً، تجعلهم يعادون بعضهم بعضاً. إذ ما عاد عندهم سبب للبغض والحسد، فهم يعيشون مسالمين لبعضهم بعضاً، ولأنهم يطبقون سنَّة المحبّة والإحسان. فهم لا يعرفون الضجر والهموم التي تصدر عن الغيرة والكبرياء والأنانية، والتي تقلق عيشتنا على الأرض. (172 و 182).

986 ـ أيجوز أحياناً للروح الذي ارتقى في حياته السابقة على الأرض أن يتجسد ثانية في ذات العالم؟.

أجل، إذا ما استطاع أن يتمِّم مهمته، ويطلب هو ذاته أن يعود لإتمامها في تجسُّد جديد. لكن ذلك، لا يعود من أجل التكفير. (173).

987 ـ ماذا تكون حالة الإنسان الذي، رغم أنه لا يسيء، ولكنه لا يفعل أي شيء لينفض عنه تأثير المادة؟.

ما دام لا يخطو أية خطوة نحو الكمال، فيجب عليه أن يعيد حياة من نوع التي فارقها. ولكونه توقَّف، فهو يجلب لنفسه إطالة عذاب التكفير.

988 ـ هناك أناس تنقضي حياتهم في هدوء تام، ولكونهم لا يحتاجون إلى أن يعملوا أي شيء بأنفسهم، يخلون من الهموم. هل تدل هذه الحياة السعيدة على أنهم دون أخطاء يكفرون عنها من الحياة السابقة؟.

هل تعرف كثيرين منهم؟ إذا ظننت أن هناك كثيراً منهم، فأنت غلطان، لأن كثيراً ما يكون الهدوء ظاهرياً فقط. من الممكن أنهم اختاروا هذه الحياة، ولكنهم عندما يفارقونها، سيدركون أنها لم تفدهم شيئاً لارتقائهم، وحينئذ، كما يفعل الكسلان، سيندمون عن الوقت الذي ضيعوه. يجب أن تعلم بأن الروح الذي لا يحصل على المعارف لا يسمو إلا بالاجتهاد والعمل. وإذا غرق باللامبالاة، فهو لا يرتقي. مثله كمثل الذي يحتاج (وفقاً لعاداتكم) إلى أن يشتغل، ولكنه يروح ليتفسح أو ينام، وهو يقصد أن لا يعمل شيئاً. يجب أن تعلموا أيضاً أن كل واحد سيحاسب على عدم فائدة

حياته بإرادته، وأن عدم الفائدة هذه مضرة دائماً للسعادة القادمة. ومقدار السعادة القادمة متناسب مع مقدار الخير الذي يفعله الإنسان، ومقدار الشقاء متناسب مع مقدار الشر ومع مقدار البؤس الذي جلبه للآخرين.

989 ـ يوجد أناس، مع أنهم ليسوا أشراراً فعلاً، فهم يتعسون بسبب طبعهم جميع الذين يحيطون بهم. ما هي عاقبة تصرفهم عليهم؟.

هؤلاء القوم، بكل تأكيد، ليسوا صالحين، وسيكفّرون عن تصرفهم بمشاهدة الذين أتعسوهم، وسيكون ذلك عقاباً لهم. ثم، في تجسُّد آخر، سيقاسون هم أنفسهم مقاساة الآخرين منهم.

6ـ التكفير (الإيفاء) والتوبة

990 ـ هل تحدث التوبة في الحالة الجسدية أم في الحالة الروحية؟.

في الحالة الروحية، ولكنها قد تحدث أيضاً في الحالة الجسدية، عندما يفهم الإنسان جيداً الفرق بين الخير والشر.

991 ـ ما هي عاقبة التوبة في الحالة الروحية؟.

الرغبة بتجسُّد جديد من أجل التطهر يكشف للروح النقائص التي تحول بينه وبين سعادته. لذلك، فهو يبغي حياة جديدة حيث يستطيع فيها أن يكفّر عن أخطائه. (332 ـ 975).

992 ـ ما هي عاقبة التوبة في الحالة الجسدية؟.

الارتقاء، بدءاً من الحياة الحالية، إذا كان الإنسان يملك الوقت اللازم ليكفّر عن أخطائه. فمن الممكن له كل حين أن يتحسَّن، حينما يوبِّخه ضميره ويريه ناقصة فيه.

993 ـ ألا يوجد أناس عندهم فقط غريزة الشر، وهم غير متقبِّلون للتوبة؟.

سبق أن قلت لك إن على الإنسان أن يرتقي بلا توقف. فمن يكون لديه في هذه الحياة فقط غريزة الشر، فسيكون لديه غريزة الخير في حياة أخرى. ولهذا السبب يولد ثانية مرات عديدة، إذ يجب على جميع الناس أن يرتقوا وأن يصيبوا الهدف، مع الفرق أن بعضهم يصيبونه في زمن قصير، وأن الآخرين في زمن طويل وفقاً لرغبتهم. من يمتلك غريزة الخير، فلأنه تنقّى، بعد أن كانت فيه غريزة الشر في حياة سالفة. (804).

994 ـ الإنسان المنحرف الأخلاق الذي لم يعترف أبداً بأخطائه أثناء حياته، هل يعترف بها دائماً بعد موته؟.

أجل، يعترف بها دائماً، وحينئذ يزيد شقاؤه، إذ أنه يحس بكل الشر الذي فعله بسببه بإرادته. إلاّ أن التوبة ليست مباشرة دائماً. هناك أرواح يصرون على طريق الضلال مع كونهم يتعذبون، ولكنهم عاجلاً أو آجلاً سيدركون أنهم أخطأوا الطريق، وبالتالي يندمون. ومن أجل إنارتهم فإن الأرواح الصالحة تعمل بجد، ولهذا الغرض تستطيعون أنتم أيضاً أن تعملوا.

995 ـ هل يوجد أرواح، مع كونهم ليسوا أشراراً، لا يبالون بمصيرهم؟.

يوجد أرواح لا يقومون بأي عمل نافع، وهم كمن يترقّب حدوث شيء، ولكنهم في هذه الحالة، يشقون شقاءً متناسباً مع حالتهم. وبما أن الارتقاء لا بد له أن يحدث في كل الأشياء، لذا يظهر هذا الارتقاء عن طريق الألم.

995 أ ـ ألا يرغبون في تقصير مدة شقائهم؟.

لا شك أنهم يرغبون، ولكن ليس عندهم عزيمة كافية في إرادتهم ليقرّروا ما قد يخفّف شقاءهم. كم من أناس بينكم يفضّلون أن يموتوا بؤساً على أن يشتغلوا؟

996 ـ ما دام الأرواح يرون الشقاء الذي ينتج لهم عن نواقصهم، فكيف يفسّر أن أرواحاً يزيدون خطورة موقفهم ويطيلون حالة نقصهم بعمل السوء كأرواح، وبتضليل الناس عن طريق الصواب؟.

هؤلاء هم الذين جاءت توبتهم متأخرة بعد أن سلكوا هذا المسلك. والروح الذي يتوب، قد يدع فيما بعد أرواحاً أخرى متأخرة أكثر منه تجرّه ثانية إلى طريق الضلال. (971).

997 ـ نرى أرواحاً متأخرة تتقلب بين التقبل للمشاعر الحسنة والتأثر بالصلوات التي تصلّى من أجلها. كيف يحدث أن أرواحاً أخرى كنّا نعتقد أنها أكثر نوراً من الأولى، تظهر تصلّب قلب ووقاحة لا يتغلّب عليهما شيء؟.

لا تؤثر الصلاة إلاّ لصالح الروح الذي يتوب. أما الروح الذي يدافع الكبرياء يتمرّد على الله ويصرُّ على ضلاله فيه بعد، كما تفعل الأرواح التعسة، فعلى هذه الأرواح لا تفيد الصلاة أي فائدة، حتى يظهر بريق توبة فيهم. (664).

يجب أن لا ننسى أن الروح، بعد موت الجسد، لا يتغير فجأة. إذا كانت حياته ذميمة، لأنه كان ناقصاً. وبما أن الموت لا يجعله كاملاً في الحال، فقد يصرُّ على أخطائه وعلى آرائه الضالة وعلى تحيزاته، حتى يستنير بالدراسة والتفكير والعذاب.

998 ـ هل يتم التكفير في الحالة الجسدية أم في الحالة الروحية؟.

يتم التكفير أثناء الحياة الجسدية بواسطة التجارب التي يعانيها الروح، وفي الحياة الروحية بالعذابات المعنوية المتعلقة بحالة تأخُّره.

999 ـ أتكفي التوبة الصادقة أثناء الحياة لتمحو الأخطاء، ولتجعل الروح يحظى بنعمة الله؟.

تساعد التوبة على تحسين الروح، ولكن الماضي، يجب التكفير عنه.

999 أ ـ وفقاً لما تقولون، إذا قال مجرم: ما دام أن عليه على كل حال أن يكفّر عن ماضيه، فلا داعي للتوبة، ما هي عاقبة موقفه؟.

إذا تصلب في التفكير بالشر، سيكون تكفيره أطول وأالم.

1000 ـ هل في وسعنا أن نكفر عن أخطائنا في هذه الحياة؟.

أجل، بالتكفير عنها. لكن لا تخطئوا الظن بأن تكفّروا عنها ببعض امتناعات تافهة أو بإعطاء أشياء بعد موتكم حينما لا تعودون تحتاجون إلى أي شيء. لا يبالي الله بتوبة فارغة وسهلة ولا تكلّف غير تعب خيط الصدر؟ إن فقدان إصبع صغير أثناء إسداء جميل يمحو أخطاء أكبر من عذاب الجسد الذي يقاسيه أحد طيلة سنوات عمل بلا غرض سوى نفسه. (726).

لا يكفّر عن الشر إلاّ بفعل الخير، وليس للتكفير أية قيمة إن أصاب الإنسان في كبريائه أو في مصالحه المادية.

أين الفضل فيمن، كي يبرر نفسه، يعيد بعد الموت الثروة التي اكتسبها في حياته بالخداع، بعد أن أصبحت بلا فائدة له وبعد أن انتفع منها؟

أين الفضل فيمن يمتنع عن بعض متع تافهة وعن بعض الكماليات، إذا كان الضرر الذي سببه يظل على حاله؟

أين الفضل فيمن يتضع أمام الله ويظل متكبراً أمام الناس؟ (720 و 721).

1001 ـ الا يوجد فضل بتاتاً في التدبير بشأن ثروتنا لتستعمل استعمالاً نافعاً بعد موتنا؟.

لا فضل بتاتاً، ليس هو التعبير الصحيح. فهذا دائماً أفضل من لا شيء. لكن ما يؤسف له هو أن من لا يعطي إلاّ بعد موته هو غالباً أناني أكثر مما هو كريم اليد، لأنه يريد الشرف الناتج عن عمل الخير دون أن يشقى ليستحقه. من يمتنع، وهو على قيد حياته، حين كان بإمكانه أن يكسب مرتين: الاستحقاق الناتج عن التضحية، والسرور لرؤية سعادة الذين أسعفهم. لكن الأنانية موجودة فيه وتقول له: ما تعطيه

للغير يقلّل متعك بنفس المقدار. وبما أن صوت الأنانية يصرخ فيه أكثر من التنزه عن الأغراض المادية وعن الإحسان، فيحتفظ بالثروة بحجة أنه يحتاج إليها وأنها ضرورية لـ كزه. ما أتعس من لا يعرف مسرّة الإعطاء، فهو يحرم نفسه من أطهر وألطف المتع. .ما أعطاه الله تجربة الثروة وكل ما تحوي من مزالق وأخطار لمستقبله، أعطاه اً إلى جانبها سعادة الكرم التي يستطيع أن يحظى بها في هذه الدنيا. (814).

1002 ـ ما يجب أن يفعل من يعترف بأخطائه عند دنو الموت، ولكن ما عنده الوقت الكافي ليكفّر عنها؟ هل تكفي التوبة في هذه الحال؟.

التوبة تعجّل في إعادة اعتباره، ولكنها لا تبرئه. أما كان المستقبل مفتوحاً أمامه ليكفّر عن سيئاته فيه؟

7 ـ مدّة المحن الآجلة

1003 ـ مدة عذابات المذنب في الحياة الآجلة، هل هي تحكمية أم تخضع إلى شرع ما؟.

لا يتصرف الله أبداً عن نزوة، بل تسود على جميع أشياء الكون نواميس تكشف لنا عن حكمته ومحبته لمخلوقاته.

1004 ـ كيف تحدَّد مدة عذابات المذنب؟.

بحسب الزمن اللازم ليتحسن. ولكون حالة العذاب والغبطة تتناسب مع درجة تنقية الروح، تتوقّف مدة عذاباته وأسلوبها على الزمن الذي يحتاج إليه ليتحسن. وبقدر ما يرتقي وتتنقى مشاعره، تقل عذاباته ويتغير أسلوبها.

مار لويس[1]

1005 ـ هل يبدو للروح المعذَّب أن سرعة الزمن هي مثلما كانت في حياته أم أسرع مما هي على الأرض؟.

تبدو له بالأحرى أبطأ، إذ أنه لا يحصل على النوم. فالنوم فقط للأرواح التي بلغت درجة ما من التنقية، أن الزمن يتلاشى، إن صحَّ القول، أمام اللامحدود. (240).

---

(1) مار لويس: ملك فرنسا باسم لويس التاسع (من 1226 إلى 1270). كان عادلاً ومستقيماً وفاضلاً. جلبت له فضائله الاعتبار والتقدير العام وجعلته الحكم المحترم في منازعات عديدة. دفعه حماسه التبشيري ليذهب إلى دمياط في مصر (سنة 1249) وإلى فلسطين من (1250 إلى 1254) وإلى تونس (سنة 1270) حيث مات هناك. أعلن تقديسه باسم مار لويس منذ سنة 1297. (ملاحظة المترجم).

1006 ـ أمن الممكن أن تكون عذابات الروح للأبد؟.

بلا شك، إذا ظلَّ سيئاً للأبد، أي أنه إذا لم يتب ويرتقي، فسيتعذب عذاباً أبدياً. لكن الله لم يخلق كائنات مقدَّرة للشر إلى أبد الدهر. لقد خلقها بسيطة وجاهلة، ويجب عليها جميعها أن ترتقي خلال زمن طويل أو قصير، وفقاً لإرادتها. قد تكون إرادتها متباطئة كثيراً أو قليلاً، ومثلما يوجد أطفال ذوو تطوُّر عقلي أو بدني مبكر، فإن الإرادة تأتي عاجلاً أو آجلاً بحكم احتياج لا يقاوم يشعر به الروح ليخرج من تأخره ويسعد. فالناموس الذي يتحكَّم في مدة المحن هو إذن حكيم وسميح للغاية، لكونه يتعلّق باجتهاد الروح، ولا يحرمه أبداً من حرية اختياره. فإن أساء استعمالها فسيقاسي العواقب.

مار لويس

1007 ـ أيوجد أرواح لا يتوبون أبداً؟.

يوجد أرواح يتأخرون جداً في توبتهم، ولكن الزعم بأنهم لن يتحسنوا أبداً يناقض سنة الارتقاء، ويعادل القول بأن الولد لا يستطيع أن يصير بالغاً.

مار لويس

1008 ـ هل يتوقف مدّة المحن دائماً على إرادة الروح، أو أن هناك محناً تفرض عليه لزمن معيَّن؟.

أجل، قد تفرض عليه محن لزمن، ولكن الله لكونه لا يريد إلاّ الخير لمخلوقاته، فهو يتقبَّل دائماً التوبة، ولا تذهب الرغبة للتحسن ضياعاً أبداً.

مار لويس

1009 ـ إذن، وفقاً لما تقولون، فإن المحن التي تفرض ليست أبداً إلى آخر الدهر؟.

سلوا أنفسكم بالمنطق وبالعقل، هل أن حكماً مؤبداً بسبب بعض لحظات في الضلال لا ينفي محبّة الله لمخلوقاته؟ كم تبلغ مدة الحياة، وحتى لو طالت مائة سنة، بالنسبة إلى الأبد؟ أتدرون تماماً ما معنى هذه الكلمة؟ معناها شقاء وعذاب أليم لا حدّ له، ولا أمل في انتهائه، من أجل بعض أخطاء. أيقبل عقلكم حكماً من هذا القبيل؟ نسلم بأن الأقدمين صوروا سيد الكون كإله قاس جداً وغيور ومنتقم، وأنهم في جهلهم، نسبوا إلى الله أهواء البشر. لكن هذا الإله ليس هو الله الذي بشر به المسيح، والذي يضع المحبة واللطف والرحمة ومغفرة الذنوب والخطايا في منزلة الفضائل الأولى. أيعقل أن تنقضه، هو ذاته، الفضائل التي أوصى بها مخلوقاته؟ ألا ترون التناقض في أن ينسب إلى الله الرحمة اللامحدودة والانتقام اللامحدود؟

تقولون إنه عادل، قبل كل شيء، وإن الإنسان لا يفهم عدالته، ولكن العدالة لا تستثني الرحمة، ولا يعود يكون رحيماً إذا حكم على سواد مخلوقاته بعذابات مريعة وأبدية. أيعقل أن يجعل العدالة واجباً على أبنائه، ولم يكن قد أعطاهم الأمثلة اللازمة ليفهموها؟ فضلاً عن ذلك، أليس أرفع مستوى العدالة، عندما تصحبها المحبّة، هو أن تكون مدّة المحن متوقفة على اجتهاد المذنب ليتحسن؟ ومن هنا حقيقة القول: لكل شخص حسب أعماله.

مار أغسطينس[1]

اجتهدوا بكل ما في وسعكم في مقاومة وإبادة فكرة أبدية المحن، فهي تفكير تجديفي تجاه عدالة الله ورحمته، وأخصب منبع للإلحاد والمادية واللامبالاة الدينية التي تعم الجماهير وحالما يبدأ ذكاؤهم يتطور. فإن الروح الذي أوشك أن يستنير، حتى لو كان غليظاً بعد، يدرك حالاً شناعة هذا الظلم. فيرفضه، وحينئذ نادراً ما لا يخلط بين المحنة التي يتمرَّد عليها وبين الله حين ينسبها إليه. من هنا تأتي الشرور العديدة التي أصابتكم والتي جئنا لنعالجها. والمهمة التي ندلكم عليها ستكون سهلة، لا سيما وأن السلطات التي يستند إليها مؤيدو هذا الاعتقاد امتنعت كلها عن إشهار رأيها فينا. لم تبت في هذه المسألة الخطيرة لا المجامع الدينية ولا آباء الدين. إذن فوفقاً للإنجيل نفسه، وباتِّخاذ كلمات المسيح الرمزية بالحرف، هدَّد المذنبون بنار أبدية لا تطفئ، لا يوجد بتاتاً في كلامه ما يعني أنه حكم عليهم إلى أبد الدهر.

أيها المساكين التائهون كخراف متشرّدة، ها أمامكم الراعي الصالح الذي، بعيداً عن أن ينفيكم من أمامه إلى الأبد، يقترب منكم هو نفسه ليرجعكم إلى حظيرته. أيها الأبناء الضالون، ابرحوا منفاكم وارجعوا. أديروا خطواتكم إلى مقرّ أبيكم، فإن أباكم السماوي يمد إليكم ذراعيه، مستعداً كل حين أن يحتفل برجوعكم إلى البيت.

لاماناي[2]

---

(1) مار أغسطينس: (من 354 إلى 430). مطران هبونه في أفريقيا الشمالية (الجزائر حالياً). عقب شباب صاخب، انقاد إلى الحياة الرهبانية وصار أشهر آباء الدين في الغرب. عارض هرطقات دينية عديدة. كان لاهوتياً وأخلاقياً فيلسوفاً محترماً جداً. ترك آثار ورسائل فلسفية ولاهوتية أثرت تأثيراً عميقاً على العلوم الدينية في الغرب وما زالت تؤثر حتى الآن. (ملاحظة المترجم).

2: لاماناي: (1782 . 1854) فيلسوف وكاهن فرنسي شهير، انشق عن رؤسائه الدينين. (ملاحظة المترجم)

حرب كلام. حرب كلام. ألا يكفيكم ما سفكتموه من الدماء؟ أتريدون أيضاً إضرام نيران المحارق؟ تتنازعون بشأن أبدية العقوبات. أيفوتكم أن المعنى الحاضر لكلمة أبديّة ليس ذات المعنى الذي كان الأقدمون ينسبونه إليها؟ ليستشير اللاهوتيون المراجع القديمة، مثلما أنتم جميعاً، وسيتضح لكم أن اللغة العبرية كانت لا تعطي نفس المعنى للكلمة التي ترجمها الإغريق والرومان والعصريون بعقوبات لا تنتهي ولا تغفر. أبديّة العقاب مرتبطة بأبدية الشر. نعم، طالما وجد الشر بين البشر، فلا بد أن يبقى إلى جانبه العقاب. بهذا المعنى النسبي ينبغي أن تفسر النصوص المقدسة. لذلك، فإن أبدية العقوبات هي أبديّة نسبية لا مطلقة. في اليوم الذي يلبس فيه جميع الناس بالتوبة لباس الطهارة، لن يعود هناك نواح وأنين وصرير أسنان. صحيح أن إدراككم البشري محدود، ولكنه مع ذلك هبة من الله، وبمعونة المنطق، لا يوجد إنسان سليم النية يفهم بخلاف هذا المعنى أبديّة العقاب. ترى، هل نسلّم بأن الشر سيكون إلى الأزل؟. الله وحده أزلي، ولا يعقل أنه خلق الشر الأزلي، وإلا، فيلزم أن ننزع من الله أسمى سجاياه وهي قدرته على كل شيء، إذ لا يعود قادراً على كل شيء إن يخلق عنصراً قادراً على هدم صنائعه. يا بشر، لا تحدقوا أنظاركم الحزينة في باطن الأرض، باحثين عن أنواع العقوبات، بل ابكوا واصبروا وكفروا عن أخطائكم، والتجئوا إلى فكرة الله المحب في صميمه، والقادر إطلاقاً على كل شيء، والعادل في جوهره.

أفلاطون[1]

تحركوا منجذبين صوب الوحدة مع الله. هذا هو هدف البشرية. ومن أجل تحقيقه، تحتاج البشرية إلى ثلاثة أشياء: العدل والمحبة والعلم. وهناك ثلاثة أشياء تعاكسها: الظلم والبغض والجهل. الحق أقول لكم، أنتم تكذبون هذه المبادئ الأساسية بتشويهكم فكرة اللاهوت عندما تبالغون في قسوته. تضاعفون هذا التشويه، لأنكم تجعلون المخلوقات تظن أن لديها رحمة وحلماً ومحبة وعدالة حقيقية أكثر مما ينسبون إلى الخالق الأزلي. تهدمون حتى فكرة جهنم بجعلها هزأة، وبجعل عقائدكم لا تقبلها، مثلما لا تقبل قلوبكم بشاعة مشهد الجلادين والمحارق والتعاذيب

---

(1) أفلاطون PLATON: (من 427 إلى 347 قبل الميلاد) فيلسوف إغريقي شهير، تلميذ سوكراتس. ألف محاورات فلسفية تدور حول عدة أمور. (ملاحظة المترجم).

في العصور الوسطى. ما هذا؟ أهو عصر الانتقامات العمياء الذي ألغي نهائياً من الشرائع البشرية، أنكم تريدون أن يحتفظ به الناس كمثال أعلى؟ صدقوني، صدقوني، يا إخوة في الله وفي المسيح، صدقوني، لكي لا تتعرضوا لرؤية عقائدكم كلها تنهار بين أيديكم، لكونكم لا تجعلونها تتغيّر، انعشوها بفتحها للتعاليم الكريمة التي تسلمكم إيّاها في هذا الحين الأرواح الصالحة. فكرة جهنم ونيرانه الملتهبة مضت وانقضت، أي صفح عنها في عصر السيف، ولكن في العصر الحاضر، فهي لا تغدو أكثر من تخيلات صبيانية أقصى ما تستطيع هو تخويف الأطفال، وهم نفسهم لا يعودون يعتقدون بها، حالما ينضج إدراكهم قليلاً. بتمسككم بهذه الخرافات المريعة، تهدمون الإيمان وحينذاك يفسد أي نظام اجتماعي. إنني أرتجف عندما أرى نظاماً اجتماعياً بأسره يتزعزع وينهار فوق أساسه لعدم وجود مبدأ حقيقي للعقوبات. يا أصحاب الإيمان القوي والحي، طليعة يوم النور، هيَّا إلى العمل، لا للتمسك بخرافات بالية تكذب نفسها، بل لبعث وإحياء المبدأ الحقيقي للعقوبات، بأشكال تتواءم مع عاداتكم وعواطفكم ومعارف عصركم.

ولكن، ما هو المذنب؟ أبسبب غلطة، أو انحراف ضال، يجرى الابتعاد عن مقصد الخليقة الذي هو احترام الحسن واحترام الخير اللذين مثلهما النموذج البشري الإلهي الأعلى السيد المسيح.

ما هو العقاب؟ هو العاقبة الطبيعية الناتجة عن هذا الانحراف الضال: أعني مقداراً من الآلام اللازمة لتجعل المخطئ، باختيار العقاب، يمقت عدم استقامته. العقاب هو المنخس الذي، بمرارة الألم، يحرك الروح ليفكر بحالته ويعود إلى شاطئ النجاة. لا يعدو غرض العقاب إعادة الاعتبار للمذنب وتحريره من الخطأ. فمن يريد أن يكون العقاب أبدياً لغلطة ليست أبدية، ينكر للعقاب أي تبرير لوجوده.

حقاً أقول لكم، كفُّوا، كفُّوا عن وضع، من وجهة الأبدية، الخير الذي هو كنه الخالق، قبالة الشر الذي هو كنه الخليقة. فإن فعلتم ذلك، تختلقون عقاباً لا يبرّر. أكدوا، بالعكس، على التكفير تدريجياً بالعقوبات والمحن بواسطة التجسُّدات المتتابعة، وستؤيدون بالعقل وبالعاطفة الوحدة مع الله.

بولس الرسول

يريد الدين حث الإنسان على الخير وإبعاده عن الشر، وذلك، باغرائه بالمكافأة وتخويفه من العقاب. ولكن، إذا صُوّر له العقاب بحيث أن عقله يأبى أن يصدّق به، فلن يؤثر عليه أي تأثير، وسيستنكره الإنسان استنكاراً شاملاً، أي في صيغته وفي محتواه. بالعكس فإن صُوّر له المستقبل بصورة معقولة، فسيقبله حينئذ. هذا هو ما يأتي به المذهب الأرواحي.

التعليم القائل بأبدية العقاب، بمعناه المطلق، يجعل الكائن الأعلى، الله قاسياً لا يرحم. أيعقل أن يُقال عن ملك إنه طيب جداً وحليم جداً ولا يريد غير سعادة الذين يحيطون به، ولكنه في الوقت نفسه غيور ومنتقم وقاس بلا رحمة، وإنه يعاقب بالعذاب الأبدي، لأية إهانة أو مخالفة لقوانينه، ثلاثة أرباع رعاياه، أخطؤوا لأنهم كانوا يجهلون القوانين؟ ألا يوجد هنا مناقضة؟ أم أن الله أقل رحمة من الإنسان؟.

نرى مناقضة أخرى في هذا الأمر، وهي: ما دام الله يعلم كل شيء، فهو يعلم إذن عندما يخلق روحاً بأنه سيفشل. بالتالي، منذ تكوينه، وأن العذاب الأبدي كان مقدراً للروح. فهل ذا ممكن ومعقول؟ بمبدأ المحن والعقوبات المتناسبة مع الذنب، كل شيء يتبرر. لا شك أن الله كان عالماً بأن الروح سيفشل، ولكنه أعطاه الوسائل ليتنور، بالاختيار الشخصي وبذات أخطائه. لا بد له أن يكفّر عن أخطائه ليتثبت أكثر في صراط البرّ، ولكن الله لا يقفل عليه باب الأمل إلى الأبد، ويجعل الله ساعة نجاته تتوقف على الجهود التي يبذلها ليصل إليه. هذا ما لا يستطيع الناس أن يفهموه، ولا المنطق الأكثر تدقيقاً يقبله. فلو كانت العقوبات والمحن قد قدّمت بالصيغة الأرواحية، لكان عدد الشكاكين أقل بكثير.

تستعمل كثيراً كلمة أبدي، كمجاز، في كلام العوالم، للإشارة إلى زمن مديد جداً ولا يتوقع الشخص أجله، برغم أنه يعرف حق المعرفة أن له أجل.

نقول مثلاً عن الثلوج التي تغطي قمم الجبال الشامخة وأقطاب الكرة الأرضية، بأنها أبدية، مع أننا نعرف، من جهة، أن العالم المادي قد يكون له نهاية، ومن جهة أخرى، فإن حالة تلك المناطق قد تتغير بانحراف طبيعي لمحور الأرض أو بفعل كارثة جيولوجية. وفي هذه الحالة، فإن كلمة أبدي، لا تعني دوام الحال إلى ما لا نهاية له. وعندما نمرض مرضاً طويلاً، نقول إن الداء تأبّد. فهل نتعجب إذن إن قلنا عن أرواح تتعذب منذ سنوات طويلة، أو قرون، أو آلاف السنين، بأن عذابها أبدي؟ يجب علينا أن لا ننسى أنهم، لسبب تأخرهم لا يرون نهاية الطريق، فيظنون أن عذابهم أبدي، وأن هذا الظن قصاص لهم.

على كل حال، الاعتقاد بالنار المادية والتانين الملتهبة والتعذيب الشديد، المستعار من ترتاروس[1] الوثنية، تركه في عصرنا أكثرية رؤساء الدين ولم يعد يعلّم حالياً إلاّ في المدارس، هذه المشاهد المريعة الرمزية التي يقدمها كحقائق واقعية أناس متحمسون للدين أكثر مما لدور المعارف. وهذا خطأ، إذ أن هؤلاء الأولاد الصغار، بعد أن يتغلبوا على رعبهم، سيزيدون عدد الذين لا يصدقون بالدين. يسلم حالياً رجال الدين بأن كلمة نار تستعمل مجازياً، ويجب أن تفهم كنار معنوية (974). والذين تبعوا مثلنا تقلبات الحياة وأساليب العذاب بعد الموت، في الاتصال مع الأرواح، تحققوا من أن النار لكونها غير مادية، فإن آلامها ما زالت حادة جداً.

بخصوص مدتها، بدأ بعض رجال الدين يقبلون تقييد المعنى المشار إليه، ويظنون فعلاً أن النار الأبدية، يجوز فهمها على أنها المحن والعقوبات في ذاتها، ناجمة عن ناموس لا يتغيّر، وليس في تطبيقها على كل شخص. حينما يقبل الدين هذا التفسير مثلما أيضاً تفاسيرَ أخرى ناجمة عن تقدم المعارف، فسيعود إليه العديد من الذين ابتعدوا عنه.

---

1. ترتاروس: وفقاً لعقائد الإغريق القدماء، هي منطقة في الجحيم يعاقب فيها أعداء الآلهة والمذنبون الكبار. (ملاحظة المترجم).

قيامة الجسد

1010 ـ هل عقيدة قيامة الجسد تقرّ عقيدة العودة للتجسد التي تعلّمها الأرواح؟.

لا يمكن أن تكون غيرها. يوجد كلمات كهذه، كما كلمات أخرى عديدة تبدو غير معقولة في نظر بعض الأشخاص، لأنهم يأخذونها بالحرف، وهذا هو سبب عدم إيمانهم. لكن، إذا أعطي تفسير معقول لها، فإن هؤلاء الذين تسمونهم بملحدين سيقبلونها بغير معارضة، لأنهم بالضبط أناس يفكرون. صدقوني، فهؤلاء الملحدون يريدون بكل طيب خاطر أن يؤمنوا، ويحتاجون ربما أكثر من غيرهم إلى معرفة المستقبل، ولكنهم لا يستطيعون أن يقبلوا ما يعتبره العلم مختلفاً بأسره. فالمذهب القائل بتعدد الحيوات يتواءم مع عدالة الله، وهو الوحيد الذي يقدر أن يفسّر ما لا يفسَّر بدونه. كيف يمكن إذن أن تتشكك بوجوده في الدين نفسه؟

1010 ا. إذن فإن الدين، بعقيدة قيامة الجسد، يعلّم هو نفسه مذهب العودة إلى التجسد؟.

هذا واضح. وفوق ذلك، فهذا التعليم هو نتيجة أمور عديدة لم يفطن لها أحد، وعن قريب ستفسر بهذا المعنى. سيقر الناس قريباً، أن الأرواحية تظهر في كل خطوة في نص الكتب المقدسة ذاتها. إذن، لا تأتي الأرواح لتقلب الدين، كما يزعم بعض الناس وإنما تأتي بالعكس لتثبته ولتصادق عليه ببراهين لا ترد. لكن بما أنه حان الوقت لكي لا نعود إلى استعمال الكلام الاستعاري، تشرح الأرواح الأمور بكلام خالٍ من التمثيل والرموز، وتعطي له معنى واضحاً ودقيقاً لا يتعرض إلى تفسير باطل. لهذا السبب، سترون بعد قليل من الزمن، ازدياد عدد المتدينين والمؤمنين الحقيقيين على ما هو في الحاضر.

مار لويس

يبرهن العلم فعلاً استحالة قيامة الجسد وفقاً للفكرة الدارجة بين الناس. إذا ظلت بقايا الجسم البشري متجانسة، حتى لو تبعثرت وتحولت إلى غبار، فقد نسلّم بتجمعها في وقت من الأوقات. ولكن ما يحدث يختلف جداً عن هذا الافتراض. يتركب الجسم من عناصر متنوعة: أكسجين وهدروجين ونتروجين وكربون.... الخ. وبالانحلال، تتبدد هذه العناصر، لتدخل في تكوين أجسام جديدة، بحيث أن نفس جزئية الكربون، مثلاً، ستدخل في تكوين عدة آلاف من أجسام مختلفة (ولا نتكلم هنا إلاّ عن الأجسام البشرية، باستثناء مختلف أنواع الحيوانات)، بحيث أن شخصاً ما قد يكون عنده في جسمه جزيئات كانت تكوّن أجسام رجال العصور الأولية، وأن

هذه الجزئيات العضوية ذاتها، التي تتناولونها في طعامكم قد تكون من جسم شخص آخر عرفتموه، وهلم جراً، بما أن كمية المادة محدودة، وأن كمية تحوّلاتها غير محدودة، فكيف يعود كل من هذه الأجسام ليتكون ثانية من نفس العناصر؟ من ثم، بالعقل يستحيل التسليم بقيامة الجسد، إلا كصورة ترمز إلى ظاهرة العودة إلى التجسد، وحينئذ ليس هناك ما لا يقبله العقل، ولا ما يتناقض مع معطيات العلم.

صحيح أنّه، وفقاً للعقيدة، لن تحدث هذه القيامة إلاّ في آخر الأزمنة، بينما وفقاً للتعليم الأرواحي فهي تحدث كل يوم. مع ذلك، أليس هناك أيضاً، في مشهد يوم الحساب، صورة عظيمة ورائعة تحجب وراء حجاب الاستعارة، إحدى الحقائق الثابتة، وهي أنه لن يعود هناك شكاكون حينما تفسّر القيامة بتفسيرها الحقيقي. من يفكّر طويلاً في النظرية الأرواحية الخاصة بمستقبل الأرواح وبمصيرهم على أثر التجارب المختلفة التي يتحتم عليهم أن يقاسوها، سيرى أنه باستثناء التوقيت، ليس الحساب الذي يدينهم أو يبرئهم قصة خيالية، كما يظن الملحدون. لنلاحظ أيضاً أن النظرية الأرواحية هي التابعة الطبيعية لتعدُّد العوالم المسكونة، المسلّم بها تماماً في يومنا هذا، بينما وفقاً لنظرية يوم الدين، تعتبر الأرض العالم الوحيد المسكون[1].

8. الجنة والجهنم والمطهر[2]

1011. هل يوجد مكان محدَّد في الكون، مخصص لمحن ولمتع الأرواح وفقاً لاستحقاقهم؟

سبق لنا الإجابة على هذا السؤال. المحن والمتع ملازمة لدرجة تحسين الأرواح. كل واحد يستمد من ذات نفسه مصدر سعادته أو تعاسته الشخصية. بما أنهم في كل مكان. لا يوجد مكان محدَّد ومحصور مخصَّص لأحد أكثر من الآخر. أمَّا الأرواح المتجسدون، فهم أسعد أو أتعس وفقاً للعالم الذي يسكنون فيه إن كانوا أكثر أو أقل ارتقاء.

---

(1) كانت نظرية العوالم المسكونة تعتبر محتملة في أيام ألن كاردك، كما هي اليوم رغم أن العالم لا يقبلها كحقيقة مبرهنة. نشر الفلكي الفرنسي فلامريون FLAMMARION في القرن الماضي كتاباً جليلاً في هذا الصدد، تحت عنوان « تعدد العوالم المسكونة» وفي مقدمته «المجهول والمسائل النفسانية» صرح فيه بنفوذه كفلكي ما يلي: «يلوح لي أن عدم الموت بين الأفلاك الكونية هو التكملة المعقولة لعلم الفلك». يحاول الفلكيّون المعاصرون الحصول على براهين في هذا الصدد. _(ملاحظة المترجم).

(2) المطهر: يقول القاموس لاروس، بأنه وفقاً لبعض مذاهب، المطهر هو حالة أو مكان لتطهير أرواح الأبرار الذين، في إبّان موتهم، يخضعون تماماً للعدالة الإلهية. (ملاحظة المترجم).

1012 ـ وفقاً لما تقولون، ليس هناك جهنَّم وجنّة كما يتصورهما الإنسان؟.

هما مجرد استعارات. فالأرواح السعيدة والتعيسة موجودة في كل مكان. ولكن كما سبق لنا القول، فالأرواح الذين هم من نفس الدرجة يجتمعون بدافع التجاذب، ولكنهم يستطيعون أن يجتمعوا أينما يشاؤون حينما يكونون قد أحرزوا الكمال.

لا يوجد مكان محدد ومعين للعقاب والجزاء إلاّ في خيال الإنسان. أما السبب في رغبة الإنسان بتحديد موقع فهو النزعة البشرية في تجسيم وتحديد الأشياء التي لا يفهم كنهها اللامحدود.

1013 ـ ما يقصد بالمطهر؟.

يقصد به آلام جسدية ومعنوية، ففي وقت الإيفاء. في أغلب الأحيان، على الأرض تقاسون مطهركم، وعلى الأرض يجعلكم الله تكفرون عن أخطائكم.

المطهر هو أيضاً صورة يقصد بها، ليس مكاناً معيَّناً، وإنما حالة الأرواح الناقصين الذين ما زالوا في مرحلة التكفير عن أخطائهم حتى يبلغوا الصفاء التام الذي سيصعدهم إلى درجة الأرواح الطوباوية. ونظراً إلى أن عملية التطهير تتحقّق في التجسدات المتتالية، يتكوَّن المطهر إذن من تجارب الحياة الجسدية.

1014 ـ إذن، كيف تفسرون أن أرواحاً تتجلى الرصانة في كلامهم، أجابوا أشخاصاً معتبرين جداً، أسئلة على جهنم والمطهر، بأجوبة توافق ما يعتقده الناس عادة في شأنهما؟.

الأرواح حين تتكلم تراعي مقدرة فهم السائلين. عندما تكون عقائد السائلين راسخة جداً، لا تريد الأرواح أن تصدمهم بخشونة حتى لا تحرج عقائدهم. فلو جاء، مثلاً، روح قائلاً لأحد بلا تحفظ في الكلام، إن مؤسس دينه كان رسولاً فاشلاً، لاستقبله السائل استقبالاً سيئاً جداً.

1014 أ ـ لا شك أن هذه طريقة معقولة من قبل الأرواح الذين يأتون لتعليمنا. ولكن لماذا عندما سئل أرواح عن حالتهم، أجابوا أنهم يعانون آلام الجحيم أو المطهر؟.

عندما يكون الأرواح متأخرين ولم يتحرَّروا تماماً من أثر المادة، يحتفظون ببعض أفكارهم الأرضية، ويعبِّرون عن حالتهم بالكلمات المألوفة لهم. ثم أنهم في محيط لا يسمح لهم أن يدركوا المستقبل إلا إدراكاً ناقصاً، مما يجعل عادة أرواحاً جائلة أو خلعت جسدها حديثاً أن تتكلم كما كانت تتكلم أثناء حياتها على الأرض.

قد يعني الجحيم لها حياة تجارب أليمة جداً، مع عدم التأكد من أن حالتها ستتحسن، والمطهر قد يعني لها حياة تجارب أيضاً، مع الإدراك بأن حالتها ستتحسن. فعندما تعاني أنت تجربة شديدة، ألا تقول أنت بالذات بأنك تقاسي عذاب الجحيم؟ كل هذه الكلمات لا تعدو كونها عبارات مجازية.

1015 ـ ماذا يقصد بروح معذَّبة؟.

الروح جائلة وحائرة وحزينة وغير متأكدة من مستقبلها، ويمكنكم تخفيف عذابها. هذا هو ما تطلبه منكم عندما تأتي وتتصل بكم. (664).

1016 ـ ما هو المعنى الحقيقي لكلمة السماء؟.

أتظن أنه مكان مثل جنّة الأقدمين، حيث تكوَّم الأرواح الصالحة خلط ملط ولا يشغل بالها سوى التمتع بسعادة غير معروفة إلى أبد الدهر؟ كلا، إنها الفضاء الكوني وهي الكواكب والنجوم وكل العوالم الراقية حيث تتمتع الأرواح بجميع قدراتها، دون أن تعاني وطأة الحياة المادية ولا الغموم التي تلازم التأخُّر.

1017 ـ بعض الأرواح قالوا بأنهم يسكنون السماء الرابعة أو السماء الخامسة... الخ. ماذا يعنون بقولهم هذا؟.

تسألونهم في أي سماء يسكنون، لأنكم تتخيلون عدة طبقات سماوية الواحدة فوق الأخرى، مثل طوابق بيت، فيجيبكم على حسب اصطلاحاتكم، ولكن هذه الكلمات الرابعة أو الخامسة تعبِّر عن درجات مختلفة من التقية، وبالتالي، من السعادة. هذا هو الحال بالضبط عندما تسألون روحاً إذا كان في جهنم.

فإن كان تعيساً سيجيبكم نعم، ففي حالته جهنَّم يعني العذاب، رغم أنه يعلم حق العلم بأنه لا يعني نيراناً ملتهبة. ولو كان وثنياً لقال لكم أنه في الترتاروس.

هناك أيضاً عبارات أخرى مشابهة لهذه، كمدينة الأزهار ومدينة المختارين والدائرة السماوية الأولى او الثانية أو الثالثة الخ، التي لا تعدو كلها استعارات استعملتها بعض أرواح إمَّا كتمثيل، أو أحياناً عن جهل لواقع الأمور، وحتى لأبسط المعارف العلمية.

ووفقاً للفكرة المحدودة التي كانت في تخيُّل الناس قديماً عن أماكن العقاب والجزاء، وبخاصة من جراء اعتقادهم بأن الأرض هي مركز الكون، وأن السماء قبَّة تغطيها، وأن هناك منطقة نجوم، كانوا يتصوَّرون السماء من فوق وجهنم من تحت

مما نتج عنه العبارات القائلة: صعد إلى السماء، وفي أعلى الطبقات السماوية، وألقي إلى أعماق الجحيم. حتى في يومنا هذا، بعد أن برهن العلم أن الأرض هي في الواقع من أصغر الكواكب الكونية، ولا تتميز بأهمية خاصة بين الملايين من العوالم الأخرى، وبعد أن توصّل العلم إلى معرفة مراحل تكوينها، ووصف تركيبها، وبرهن أن الفضاء لا نهاية له، وأنه ليس هناك منطقة عليا ومنطقة سفلى في الكون، أصبح من الضروري على الإنسان أن يكفّ عن وضع السماء فوق الغيوم والجحيم في جوف الأرض. أما المطهر فلم يعيَّن له مكان محدد. لو قدُر للتعليم الأرواحي مهمة تفسير كل هذه الأمور تفسيراً عقلياً وعظيماً جداً، وفي ذات الوقت عادلاً جداً للبشرية. وبناء عليه، يجوز القول بأننا نحمل في نفسنا جهنمنا وجنتنا، وإنّ مطهرنا موجود في تجسدنا في حيوات جسدية في عالم المادة.

1018 ـ ماذا تعني كلمات المسيح: مملكتي ليست من هذا العالم؟.

عندما أجاب المسيح بهذه الكلمات، كان يتكلم مجازياً، وكان يعني أنه ملك على القلوب الطاهرة الخالية من الأغراض المادية، إذ أنه موجود أينما تسود المحبة وممارسة البر، ولكن الذين يطمعون بأشياء هذا العالم ويتعلقون بمتاع الأرض، فليسوا معه.

1019 ـ أمن الممكن أن تسود المحبّة يوما على سطح الأرض؟.

ستسود المحبة على سطح الأرض حينما، من بين الأرواح الذين يأتون ليسكنوا عليها، يتفوق عدد الأخيار على عدد الأشرار، حينئذ ستسود المحبة والعدالة اللتان هما مصدر الخير والسعادة. فبالارتقاء الخلقي الأدبي وبتطبيق نواميس الله، يجتذب الإنسان إلى الأرض الأرواح الصالحة ويبعد عنها الأرواح الشريرة. إلاّ أن الأرواح الشريرة لن تغادرها إلاّ بعد أن يبيد منها الإنسان الكبرياء والأنانية.

تنبأت بعض الأرواح بأن البشرية ستتغير، وأنه قد اقترب وقت هذا التغيير، بواسطة تجسد أفاضل الأرواح، لأنهم سيكونون جيلاً جديداً على سطح الأرض. وحينئذ، فإن أرواح الأشرار الذين يحصدهم الموت كل يوم، مثلما أيضاً جميع الذين يحاولون إيقاف السير إلى الأمام، سيفصلون عن الأرض المتطورة، لأنهم سوف يكونون في غير مكانهم بين أهل البر، حيث كانوا يعكّرون سعادتهم. سيرحلون إلى عوالم جديدة أقل تقدماً، لينجزوا فيها مهمات شاقة حيث يستطيعون أن يعملوا من أجل تقدُّمهم الذاتي، بينما يعمل من أجل تقدم إخوانهم المتأخرين عدد أكبر منهم بعد. ألا

ترون في هذا الفصل عن الأرض المتغيرة، الصورة الجزيلة للسقوط من الجنَّة، وفي مجيء الإنسان إلى الأرض في ظروف مشابهة، حاملاً في نفسه بذرة أهوائه وآثار تأخره الأوّلي، صورة لا تقل جزالة عن صورة الخطيئة الأصلية؟ والخطيئة الأصلية، عندما ينظر إليها من وجهة النظر هذه، فهي تتعلق بطبيعة الإنسان التي لم تصل بعد إلى الكمال، ومن ثم، فإنه هو المسؤول عن نفسه وعن أخطائه فقط، لا عن أخطاء آبائه.

أنتم جميعاً، أيها المؤمنون الذين بكم المسرَّة، اعملوا إذن بهمة وشجاعة في عملية التجديد، لأنكم سوف تحصدون مئة ضعف ما تزرعونه الآن. الويل للذين يقفلون أعينهم للنور، لأنهم يحكمون على أنفسهم بالبقاء مئات السنين في عذاب الظلمة والخيبة. الويل للذين يضعون كل مسرَّتهم في متاع هذه الدنيا، لأنهم سيعانون عذاب القلة القصوى أكثر مما كان لهم من متع. الويل بالأخص للأنانيين، لأنهم لن يجدوا أحداً يسعفهم في حمل أثقال شقائهم.

مار لويس

الخاتمة

.1.

من لا يعرف في المغناطيسية الأرضية لعبة البط الصغار المغنطين الذين نجعلهم يتحركون في طشت من الماء، قد يصعب عليه أن يفهم أن هذه اللعبة تحوي سر آلية الكون وسرّ تحرُّك العوالم. يحدث نفس الشيء لمن لا يعرف عن الأرواحية سوى تحرك المائدات. فهو يرى في ذلك مجرد تسلية وتمضية وقت اجتماعية، ولا يفطن إلى أن هذه الظاهرة الدارجة والبسيطة جداً والمعروفة منذ أقدم العصور وحتى لدى الشعوب التي تعتبر همجية، قد تتعلق بأخطر مسائل النظام الاجتماعي. فعلاً، فمن لا يمعن النظر في الأمر، لا يرى كيف توجد صلة بين مائدة تدور وقيم البشرية ومستقبلها. لكن، من يفكر قليلاً يتذكر أيضاً أنه من دراسة البخار الخارج من الحلة التي غلت وتغلي منذ الماضي السحيق، نتج المحرك القوي الذي بواسطته يقطع الإنسان الفضاء ويقهر المسافات. من ثم، ليعلم الذين لا يصدقون بأي شيء خارج العالم المادي، أنّ من هذه المائدة التي تدور وتثير بسماتكم المستخفّة، نتج علم واسع، كما نتج أيضاً حلّ للمشاكل التي لم تستطع بعد أية فلسفة حلّها. إنني أناشد جميع الناقدين المخلصين، وأستحلفهم أن يقوموا إذا تكرموا بدراسة ما ينتقدونه، ليروا بالعقل، بأن الانتقاد لا قيمة له، فإنّ يتكلم المنتقد عن قضية لا يعرفها. فهذا استخفاف من الإنسان بما يجهله ولم يستنبطه بمراقبة دقيقة وسليمة النية، وهو ليس انتقاداً، بل برهاناً على تسرع صبياني يدل على نقص في قدرة التمييز. بكل تأكيد، فلو كنّا قدمنا هذه الفلسفة على أنها صادرة عن عقل بشري، لما استخفوا بها كل هذا الاستخفاف ولكان تقدم لفحصها الذين يزعمون إرشاد الرأي العام. ولكنها آتية من الأرواح. يا لحماقة كهذه، فهي بصعوبة تستحق نظرة سريعة، فهم يحكمون فيها من عنوانها، كأسطورة القرد الذي حكم في الجوزة من منظر قشرتها. لكن إن شئتم، غضوا النظر عن مصدر هذا الكتاب وافترضوا أنه من تأليف إنسان وقولوا، بذمتكم وضميركم بعد قراءة جادة، إذا وجدتم فيه ما يستحق الضحك.

ـ2ـ

الأرواحية هي أخطر أعداء المادية، وبالتالي، لا غرو أنّ يكون الماديين خصومها. لكن، بما أن المادية موقف قلّما يجرؤ أحد على الاعتراف به أمامنا (ممّا يدل على أن الذين ينادون بها لا يعتبرون نفسهم أقوياء وأن ضميرهم يوبخهم)، إذ يتستّر الماديّون وراء دعوة العقل والعلم، والغريب أن القوم الأشد تشكيكاً في الأرواحية يتكلمون باسم الدين، مع أنهم لا يعرفونه ولا يفهمونه أكثر مما يعرفون ويفهمون الأرواحية. وهم يطعنون فيها بالأخص الناحية العجيبة والناحية الخارقة للطبيعة لأنهم ينكرونهما. يقولون إنّ الأوراحية لكونها مؤسسة على الظواهر العجيبة، فهي لا تعدو كونها افتراضاً مضحكاً. وهم لا يفكرون أنهم بالتنديد بالعجائب وبما هو خارق للطبيعة، ينددون بالدين أيضاً. الدين مؤسس على الوحي والعجائب. وما هو الوحي؟ أليس هو إبلاغات من مصدر لا بشري؟ جميع المنشئين الدينين منذ موسى النبي تكلموا عن هذه المخابرات. وما هي العجائب؟ أليست أحداثاً عجيبة وخارقة للطبيعة في أعلى درجة، ما دامت كيفية حدوثها تخرق نواميس الطبيعة؟ إذن، عندما ينكرون العجائب وما هو خارق للعادة، ينكرون ذات أسس الدين. لكننا لا نود بحث الأمر من هذه الناحية. لا تهتم الأرواحية بالبحث عن وجود عجائب أو عدم وجودها، واعني، إذا كان الله، في بعض حالات، قد خرق نواميسه الأزلية التي تتحكم بالكون، فلأنه ترك للإنسان حرية تامة للاعتقاد بها في هذا الشأن. تقول الأرواحية وتبرهن إن الظواهر العجيبة التي تستند إليها لا تخرق نواميس الطبيعة إلا ظاهرياً. تبدو تلك الظواهر خارقة للطبيعة في نظر بعض أناس، لأنها غير اعتيادية وخارجة عن الأحداث المعروفة. إلاّ أنها ليست خارقة للطبيعة أكثر من الظواهر التي يفسرها العلم في يومنا هذا، وكانت تبدو عجيبة في الماضي. جميع الظواهر الأرواحية دون استثناء، ناتجة عن قوانين عامة، وهي تكشف لنا إحدى قوى الطبيعة التي كانت مجهولة، أو بتعبير أصح، غير مفهومة حتى الآن، ولكن بعد المراقبة، اتضح أنها ضمن نظام الأشياء. تستند الأرواحية إذن على العجائب والخوارق أقل مما يستند الدين عليها. والذين يطعنون في الأرواحية من هذه الناحية يبرهنون على أنهم لا يعرفونها، وحتى لو كانوا أعلم الناس، نقول لهم: علمكم الذي علّمكم معارف كثيرة، لم يعلّمكم أن ميدان الطبيعة لا نهاية له، وأنكم في الواقع لستم إلاّ نصف علماء.

■ 3 ■

تقولون إن رغبتكم هي وقاية هذا الجيل من العادات السيئة التي قد تجتاح العالم أجمع. فنسألكم، أتفضّلون بالأحرى أن يحتاج العالم إلى عدم الإيمان الذي تحاولون نشره؟ ألا يرجع تفكك الروابط العائلية ومعظم أنواع الفوضى التي تزعزع المجتمع، إلى عدم الإيمان بأية عقيدة؟ عندما برهنت الأرواحية على وجود الروح وبقاءها بعد الموت، قوّت الثقة بالمستقبل وأذكت العزائم التي خمدت وجعلت الناس يحتملون تقلّبات الحياة باستسلام لتدابير الله. أتسمون ذلك عملاً باطلاً؟ نحن أمام تعليمين، أحدهما ينكر وجود المستقبل والآخر يعلنه ويبرهنه. أحدهما لا يأتي بأي تفسير للحياة والآخر يفسّر كل شيء، ومن ثم يتوجه إلى العقل. أحدهما يشجع الأنانية والآخر يضع أساساً للعدالة والإحسان ومحبة الآخرين. الأول لا يرى إلاّ الحاضر ويهدم الأمل في الآجلة، والثاني يعزّي ويري ميدان المستقبل واسعاً قدامنا. فأيهما السّيئ؟.

هناك قوم من أشد الشكاكين يتظاهرون بأنهم مناصرو الأخوة والارتقاء ولا يدرون أن الأخوّة تستوجب الخلوّ من الأغراض مع تجرد الذات، لأنه في الأخوة الحقيقية لا محل للكبرياء.

كيف تطلبون من أحد التضحية حين تقولون له بأنّ الموت يعني نهاية كل شيء، وأنّه قريباً لن يبقى من كيانه سوى بقايا بالية تطرح للزوال؟ وبعد قولكم هذا، هل هناك داع ليفرض على نفسه امتناعاً ما؟ أليس من الطبيعي أنه، خلال الزمن القصير الذي سيعيشه، يحاول أن يتنعم بالحياة على قدر إمكانه؟ لذلك، فسوف يريد أموالاً كثيرة ليتمتع بها. من هذه الرغبة سوف ينشأ الحسد من الذين يمتلكون أكثر منه، وينتقل من هذا الحسد إلى الرغبة في الاستيلاء على ما يمتلكه الآخرون، ليس هذا إلا خطوة. ما الذي سيردعه عن ذلك؟ هل هي القوانين؟ ولكن القوانين لا تتناول كل الحالات. قد تقولون إنها ذمّته والشعور بالواجب. ولكن، على أي أساس تبنون الشعور بالواجب؟ هل يوجد ما يبرر هذا الشعور إزاء الاعتقاد بأن كل شيء ينتهي بعد هذه الحياة؟ إزاء هذا الاعتقاد، يوجد تصرف واحد معقول وهو: كل واحد لنفسه. وأفكار الأخوة والذمة والواجب والإنسانية وحتى الارتقاء لا تعدو كلمات فارغة. أنتم الذين تنادون بتعاليم كهذه، لا تعرفون كل الشر الذي تسببونه للمجتمع ولا تعرفون كم جريمة ستتحملون مسؤوليتها. ولكن ما الفائدة من أن الحديث عن المسؤولية؟ الشكاك لا يبالي بالمسؤولية، لأنه يكرم المادة فقط.

-4-

يتوقف ارتقاء البشرية على مبدأ واحد هو تطبيق سنة العدالة والمحبّة والإحسان. تتأسس هذه السنَّة على اليقين بالمستقبل. فإذا أزلنا هذا اليقين، نزيل ركنها الأساسي. ومن هذه السنة تشتق كافة السنن الأخرى، لأنها تحتوي على جميع الشروط اللازمة لسعادة الإنسان. فهي التي تستطيع فقط شفاء عاهات المجتمع، ويستطيع الإنسان أن يلاحظ بمقارنته العصور والشعوب وكيف تحسنت حالتهم بقدر ما يتحسن فهمه لهذه السنة ويتحسن تطبيقها. ولدى تطبيقه إياها تطبيقاً جزئياً وناقصاً، تتحسن حالته تحسناً محسوساً، فكم إذن سيكون التحسن حينما يتخذها الإنسان أساساً لجميع مؤسساته الاجتماعية. هل هذا ممكن؟ بلا شك، إذ ما دام الإنسان قد خطا عشر خطوات، فهو يستطيع أن يخطو عشرين خطوة، وهلم جرا. من ثم، من الممكن تقدير المستقبل بالنظر إلى الماضي. لقد بدأنا نرى التنافر يزول بين الشعوب شيئاً فشيئاً، والحواجز التي كانت تفصلهم تهبط أمام المدنية، ويتصافحون من طرف المسكونة إلى الآخر. نرى اليوم عدالة أكبر مما كانت من قبل تسود في القوانين الدولية، صارت الحروب تقل يوماً بعد يوم، ولا تخلو من الطابع الإنساني.

تستقر المساواة في العلاقات، وتزول الفوارق بين الأجناس والطوائف، والذين تختلف عقائدهم يبتعدون عن أفكار التعصب الطائفي، ليختلطوا سوياً في عبادة الله الواحد. نقصد هنا الشعوب الذين يسيرون في طليعة المدنية (789 ـ 793). ومع جميع هذه الاعتبارات، لم تزل الحال بعيدة عن الإتقان، ولم تزل بعد أطلال عديدة ينبغي هدمها، ريثما تزول آخر آثار الهمجية. ولكن هل تستطيع هذه الأطلال أن تصمد لقدرة الارتقاء الساحقة، ولهذه القوة الحيّة التي هي ذاتها سنَّة الطبيعة؟ الجيل الحاضر هو أكثر تقدماً من الجيل السابق، فما يمنع الجيل القادم أن يكون أكثر تقدماً من جيلنا؟ سيكون الجيل القادم أرقى بحكم الأشياء، أولاً لأنه مع زوال الأجيال يوماً بعد يوم، يزول بعض محامي العادات السيئة القديمة، وهكذا يتجدد المجتمع رويداً رويداً بعناصر جديدة تحررت من الأفكار الباطلة القديمة. ثانياً لأن الإنسان لكونه يريد الارتقاء يبحث عن العراقيل التي تعوقه ويسعى لإزالتها. وبما أن السير الارتقائي لا جدال فيه، فلا يمكن الشك بأن الارتقاء قادم. يرغب الإنسان بالسعادة لأن هذه الرغبة في طبيعته، ومن ثم يحاول أن يرتقي ليزيد سعادته، وإلاّ فإن الارتقاء لا يعني

شيئاً له. ماذا يعني له الارتقاء إذا كان هذا الارتقاء لا يحسن حالته؟ لكنه حينما يحصل على كل التعُمات التي يحدثها ارتقاء الذكاء، فسيكتشف أنه لم يحصل على السعادة الكاملة وسيقر بأن هذه السعادة مستحيلة دون الأمن في العلاقات الاجتماعية، وأنه لن يجد هذا الأمن إلاّ في الارتقاء الخلقي الأدبي. بحكم الأشياء إذن سيدفعه الارتقاء ذاته نحو هذا الاتجاه، وسيجد في المذهب الأرواحي أقوى مُعين ليحصل على هذا الغرض.

■5■

أولئك الذين يقولون إن تعاليم الأرواحية أو شكت أن تعم العالم كله، يعترفون في الواقع بقدرتها، لأن فكرة دون أساس وعديمة المنطق، لا تستطيع أن تصير جامعة. إذن، إذا انغرست الأرواحية في كل مكان، وإذا انضمت إليها بالأخص الطبقات المتنورة، كما هو معلوم، فلأنها حقيقية في جوهرها. عبثاً يحاول المشنعون التشنيع ضد هذا الانتشار، والدليل على ذلك هو أن استهزاءهم بها بدلاً من أن يوقف انتشارها، يبدو أنه انعشها بحياة جديدة. وتبرير هذه النتيجة هو تماماً ما قالته الأرواح مرات عديدة: لا تقلقكم المقاومة إذ أن كل ما يفعلون ضدكم سينقلب إلى صالحكم، وأكبر مقاوميكم سيساعدون دعواكم دون أن تعرفوا. لا تتصر سوء نيَّة الناس على إرادة الله.

بواسطة تعاليم الأرواح، ستدخل البشرية في مرحلة جديدة، مرحلة جديدة، مرحلة الارتقاء الأدبي الذي سينتج عنها حتماً. فلا يدهشكم إذن انتشار الأفكار الأرواحية بهذه السرعة. لأن سببه هو المسرة التي تجلبها هذه الأفكار للذين يتعمقون فيها، فيجدون فيها شيئاً أكثر من تمضية الوقت. يريد كل إنسان سعادته قبل كل شيء، فلا تتعجبوا عندما يتمسك بفكرة تسعده.

تمرّ هذه الأفكار بثلاث مراحل مختلفة: الأولى هي مرحلة حب الاستطلاع الذي تحدثه في الإنسان الظواهر الغريبة التي حدثت. والثانية هي مرحلة التفكير والتروي في الناحية الفلسفية، والثالثة هي مرحلة تطبيق نتائج هذا البحث على الحياة. لقد انتهت مرحلة حب الاستطلاع لأن حب المعرفة سريع الزوال، وبعد إرضائه، ينتقل الإنسان فوراً إلى هدف آخر. وليس الحال كذلك فيما يخص التفكير الجاد والتروي. إذ لا تكاد

تبدأ المرحلة الثانية حتى تتبعها المرحلة الثالثة حتماً. لقد بدأت الأرواحية تنتشر خاصة بعد أن فهمها الناس في جوهرها، وبعد أن أدركوا تأثيرها على حياتهم، لأنها تصيب أهم ناحية في الإنسان أي سعادته. في هذا العالم وفي الآجلة. وها هو سبب انتشارها وسر القوة التي ستجعلها تظفر. فهي تسعد الذين يفهمونها ريثما يمتد نفوذها ليعم الجماهير. من لم يشهد أية ظاهرة مادية من التراثيات يقول في نفسه:

بخلاف الظواهر، فإن الناحية الفلسفية. توضّح لي هذه الفلسفة ما لم توضحه أية فلسفة أخرى. ففيها أجد بمجرد الاستدلال، برهاناً معقولاً للمشاكل التي تؤثر تأثيراً كبيراً على مستقبلي، وهي تمنحني الهدوء والاطمئنان والثقة، وتحررني من مخاوف الشك بالمستقبل. بعد هذه النتائج كلها، تصير مسألة الأحداث المادية مسألة ثانوية. وأنتم جميع الذين تطعنون فيها تريدون أن تسحقوها، نقول لكم: هاتوا تعليماً افضل من تعاليمها وأعطونا حلاً فلسفياً أصوب لكافة المشاكل التي تحلها الأرواحية، أعطوا للإنسان تأكيداً إضافياً يزيد سعادته، بكل ما تعنيه كلمة تأكيد، لأن الإنسان لا يعتبر أمراً على أنه أكيد إلاّ إذا بدا له مطابقاً للعقل. لا يكفي قولكم إنه غير معقول لأن هذا القول سهل النطق به، بل عليكم أن تبرهنوا، لا بالنفي، بل بوقائع، فالحقيقة ليست كذلك ولم تكن ولا يمكن أن تكون. وإذا لم تكن هذه هي الحقيقة، قولوا بخاصة ما قد تكون بدلاً عنها. أخيراً، هاتوا برهانكم بأنه ليس من نتائج التعاليم الأرواحية أن تجعل الناس أفضل، ومن ثم أسعد، بتطبيق أصفى مبادئ الإنجيل التي يمدحها الناس كثيراً وقلّما يمارسونها. حينما تفعلون ذلك يصير لكم الحق أن تطعنوا فيها. في الأرواحية قوة لأنها تستند إلى ذات أسس الدين التي هي: الله والروح والمحن والمجازاة القادمة، وخاصة لأنها ترينا أن هذه المحن وهذه المجازاة هي التوابع الطبيعية للحياة على الأرض، وأن لا شيء في المشهد الذي تقدّمه لنا يستنكره أشد العقول تصلباً. أنتم الذين يتلخص مذهبكم في نكران وجود المستقبل، ماذا تقدّمون تعويضاً عن عذاب هذه الدنيا؟ يستند مذهبكم على فكرة الإلحاد وتستند الأرواحية على الثقة بالله وهي تدعو البشر إلى السعادة والأمل والأخوّة الحقيقية، بينما أنتم تقدمون لهم العدم بعد الحياة، وتعزونهم بالأنانية. تفسر الأرواحية كل شيء وأنتم لا تفسرون أي شيء بتاتاً. تبرهن بوقائع وأنتم لا تبرهنون شيئاً مطلقاً. بعد ذلك، كيف تنتظرون من الناس أن يتردّدوا بين تعاليمها وتعاليمكم؟

■6■

يخطئ خطأ كبيراً من يظن أن الأرواحية تستمد قوتها من ممارسة التخاطبات المادية، وبتقييد حرية هذه التخاطبات يتزعزع أساسها. ولكن مصدر قوتها موجود في فلسفتها لأنها تخاطب العقل والصواب. كانت الأرواحية في الأيام الغابرة موضوع دراسات سرية، محجوبة بكل حذر عن عامة الشعب. أما في يومنا هذا، فإن تعاليمها مباحة للجميع، وهي صريحة العبارة لا تلجأ إلى الإبهام. فالأرواحية خالية من الصوفية ومن التقشف ومن الاستعارات المعرَّضة لتفاسير خاطئة، فهي تريد أن تكون مفهومة من الجميع، فقد حان الوقت لإباحة الحقيقة لعالم الناس. لا تعارض الأرواحية انتشار نور المعارف، وإنما تريد أن يصل النور إلى العالم قاطبة. وهي لا تطلب الإيمان الأعمى وإنما تريد من الناس أن يعرفوا لماذا يؤمنون. وباستنادها على العقل، فهي حتماً أقوى من التعاليم التي تستند إلى العدم. هل تستطيع إخمادها العقبات التي توضع ضد حرية المخاطبات؟ كلا، لأنها ستحدث النتيجة التي نتجت عن كل الاضطهادات، وهي إثارة حب استطلاع الناس عليها والرغبة في معرفة ما هو محرم. من جهة أخرى، ولو كانت المخاطبات الأرواحية تخص شخصاً واحداً، فلا شك أنه بالتخلص منه تنتهي تلك المخاطبات. ولكن لسوء حظ المخاصمين فهي متناول جميع الناس يلجؤون إليها من أصغرهم إلى أكبرهم. من ساكني القصور إلى ساكني الأكواخ.

قد تمنع ممارستها علانية و لكن كلّ الناس يعلمون أن أحسن المخابرات مع الأرواح لا تحدث علانية و إنما في ستر البيوت، وكل إنسان يستطيع أن يكون وسيطا، من الذي يستطيع أن يمنع عائلة في داخل بيتها أو فردا بين جدران مكتبه أو مسجوناً في سجنه الاتصال بالأرواح من دون معرفة أعداء المخاطبات أو حتى أمامهم؟ فإذا منعت في دولة، فهل تمنع في الدول المجاورة أو في العالم أجمع، ما دام لا يوجد بقعة من المسكونة، شرقا أو غربا تخلو من الوسطاء؟ وإذا زج جميع الوسطاء في السجون، لوجب حبس نصف الجنس البشري.

وحتى لو وصلت السلطات إلى حرق كل الكتب الروحية، وهو أمر عسير جدّا، لطبعت ثانية في الغد . لأن من المستحيل الطعن في مصدرها ويستحيل حبس أو حرق الأرواح الذين هم مؤلفوها الحقيقيون.

ليست الأرواحية صنيعة الإنسان , و لا يجوز لأي شخص أن يقول أنه ابتدعها , إذ هي عتيقة كالخليقة , و موجودة في كل مكان، وفي جميع الأديان وأكثر تعمقاً في الدين الكاثوليكي والدين الأرثوذكسي، وبتغلغل أكبر فيهما مما هي في الأديان الأخرى، لأن في الكاثوليكية والأرثوذكسية يوجد كل المبادئ الأرواحية: الأرواح في مختلف المراتب واتصالاتهم الخفية والعلنية مع الناس، والملائكة الحارسة والعودة للتجسد، وتحرر الروح أثناء الحياة، والبصر المزدوج، والرؤى والمخاطبات من مختلف الأنواع، والتجلّيات وحتى التجليات الملموسة. أما بصدد الشياطين، فهم لا يعدون كونهم الأرواح الشريرة، وعدا عن الاعتقاد بأن الشياطين مهيؤون للشر إلى الأبد، فليس طريق الارتقاء محرماً على أحد، لا فرق بينهم إلاّ في الاسم.

ما هي وظيفة العلم الأرواحي في عصرنا؟ هي أن يجمع وينظّم ما كان مبعثراً وأن يفسّر بكلمات محصورة ما كان تعبيراً مجازياً، وأن يحذف ما ابتدعته الخرافات والجهل، ليترك فقط ما هو حقيقي ومدعوم بالاختيار. هذه وظيفته ولكنه لا يتخذ لنفسه مرقف الابتداع، بل يشرح ماهية الظواهر الموجودة حقاً وينسقها، ولكنه لا يبدع شيئاً جديداً البتة لأن قواعده عرفت في كل الأزمنة وفي كل الأماكن. فمن يجترئ إذن أن يعتقد نفسه قادراً على أن يخمده بالسخرية وحتى بالاضطهاد؟ فإذا منع في منطقة، فسيظهر في مناطق أخرى، في ذات البقعة التي منها طرد، لأنه في طبيعة الأشياء، ولا يستطيع الإنسان أن يهدم قوة من قوى الطبيعة ولا أن يعارض مراسيم الله.

ما الذي قد يدفع قوماً ليعرقل انتشار الأفكار الأرواحية؟ من الحق أن هذه الأفكار تتصدى للعيوب الناجمة عن الكبرياء والأنانية. ولكن هذه العيوب التي ينتفع منها البعض تضر السواد الأعظم. لذلك سيكون السواد الأعظم في صف الأرواحية ولن يحاربها فعلاً إلاّ الذين يناسبهم بقاء هذه العيوب. فهذه الأفكار، بالعكس، لكون نفوذها يجعل الناس أفضل في معاملاتهم مع بعضهم بعضاً وأقل طموحاً للمصالح المادية وأكثر استسلاماً لمراسيم العناية الإلهية، فهي تضمن النظام الاجتماعي والهدوء.

٦.

تتقدم الأرواحية إلى الباحث بثلاثة مظاهر مختلفة. المظهر الأول: واقعة التخاطبات. الثاني: المبادئ الفلسفية والخلقية الناتجة عنها، والثالث: تطبيق هذه المبادئ. ومن ثمَّ، فهناك ثلاث طبقات أو بالأحرى ثلاث درجات بين مشايعي الأرواحية. الأولى: الذين يعتقدون بالمخاطبات ويكتفون بمعاينتها، لأنهم يعتبرونها علماً اختبارياً. والطبقة الثانية: الذين يفهمون هذه الظواهر الغريبة مهما كانت وجهة النظر، سواء العلمية أو الخلقية التي يتأمل بها الإنسان، فهم يفهمون بأنه بعد ظهور نظام أفكار جديدة، فإن عواقبها حتماً ستحدث تغييراً بليغاً في حالة البشرية، ويفهم كل واحد بأن هذا التغيير سيكون حتماً نحو التحسين الخلقي.

وفيما يخص أعداء الأرواحية، يجوز وضعهم في ثلاث فئات. الأولى: أولئك الذين ينفون بطبيعتهم أي شيء جديد أو لا يصدر عنهم، أو يتكلمون دون أن يفهموا من الأمر شيئاً. وتضم هذه الفئة كل الذين لا يقبلون شيئاً لا يمكن اختباره بالحواس الخمس. وهم الذين لا يرون شيئاً ولا يريدون أن يروا، وخاصة لا يريدون أن يتعمقوا فيه، وقد يزعجهم أن يروا بجلاء كبير، خشية أن يضطروا إلى الاعتراف بأنهم كانوا على خطأ. هؤلاء القوم يعتبرون الأرواحية خرافة وجنوناً وحلماً، ففي رأيهم يستحيل الاتصال بالأرواح وانتهى الأمر. إنهم الملحدون الذين عزموا سابقاً على عدم التصديق. وإلى جانبهم يمكن وضع الذين تنازلوا وألقوا نظرة لراحة ضميرهم، لكي يتمكنوا من أن يقولوا إنهم أرادوا أن يشوفوا ولم يشوفوا شيئاً. فهم لا يفطنون إذ يلزم أكثر من نصف ساعة ليختبر أحد علماً بأسره. الفئة الثانية: وهؤلاء هم الذين مع كونهم يعرفون أن الظواهر حقيقية، يقاومونها لأنها تتعارض مع مصالحهم الشخصية. إنهم يعتقدون بالأرواحية ولكنهم يخشون من عواقبها عليهم، ولذلك يطعنون فيها كعدوٍّ لهم. الفئة الثالثة: أولئك الذين يجدون في المبادئ الخلقية الأرواحية عرقلة شديدة لأفعالهم أو لميولهم، لأن الأرواحية إذا تبعوها بجدّ، فستعيق حركاتهم، ولذلك فهم لا يقاومونها ولا يناصرونها، بل يفضلون تركها وشأنها. أما الفريق الأول فيدفعه الكبرياء والازدهاء والفريق الثاني يدفعه الطموح والفريق الثالث الأنانية. ممّا يؤدي بنا أن أسباب هذه المعارضة، لكونها ضعيفة جداً، فهي لن تلبث أن تزول مع مرّ الزمن، عبثاً

نبحث عن فئة رابعة من المعارضين، فئة الذين يستندون إلى براهين بيِّنة ضد الأرواحية، تثبت أنهم درسوا الأمر بتدقيق وعناية. فالجميع يعارضون بالنفي ولا أحد منهم يقدّم برهاناً حقيقياً لا مجال للطعن فيه.

قد يكون تفاؤلاً كبيراً الافتراض أن الطبيعة البشرية قد تتغير فجأة بتأثير الأفكار الأرواحية بكل تأكيد، لا تعمل هذه الأفكار نفس التأثير، وبنفس القوة على كل الذين يقرُّون بها. ولكن، حتى لو كان تأثيرها ضعيفاً فهو يجلب دائماً تحسيناً، لأن أقل ما تفعله الأفكار هو أن تبرهن على وجود عالم لا جسدي، وذلك ينفي المبادئ المادية. هذا هو ما يحدثه مجرد مراقبة الوقائع. ولكن بخصوص الذين يفهمون الأرواحية الفلسفية، ويرون فيها أكثر من الظواهر الغريبة على أنواعها، فإنها تؤثر فيهم تأثيرات أخرى، أولها وأكثرها حدوثاً، هو بعث الشعور الديني في المؤمن بها، ولو أنه كان ملحداً، ولا يبالي بالأمور الروحية، ولا يبالي بالموت. لا نعني بذلك أنه يرغب أن يموت، لا، لأن الأرواحي المذهب يدافع عن حياته. كالآخرين، وإنما اللامبالاة التي تجعله يقبل، بلا تذمر أو مرارة، مماتاً لا مفر منه، كشيء مسر، لا كشيء مخيف، بسبب الثقة الكبيرة التي عنده بوجود حالة أخرى بعد الموت. والتأثير الثاني، ويكاد يكون شاملاً كالأول، هو الانقياد لمشيئة الله في تقلُّبات الحياة. إذ تجعل الأرواحية الإنسان يرى الأشياء من مستوى عالٍ جداً، بحيث أنه، بزوال ثلاثة أرباع أهمية الحياة الأرضية، لا يعود المؤمن يتأثر بالمصائب التي تصحبها. ويصبح أشجع على مواجهة الأحزان وأكثر اعتدالاً في شهواته، ولا يفكّر في الانتحار، لأن المذهب الأرواحي يعلّم أن الانتحار، يفقد الإنسان دائماً ما يريد أن يحصل عليه. والعلم اليقين بأن كل شيء يتوقف علينا ليكون مستقبلنا سعيداً، وبأن في إمكاننا الاتصال بأحبائنا، يمنح الإنسان الأرواحي المذهب تعزية عذبة جداً. فيتسع أفق أفكاره اتساعاً لا حد له بمشهد دائم للحياة الآجلة، يسعه أن يتعمَّق في أسرارها. والتأثير الثالث هو إثارة المسامحة لزلاّت الآخرين. ولكن، لا بد من الاعتراف بأن الأنانية والمضار التي تنتج عنها هي ما يكون أشد تشبثاً في الإنسان، ومن ثم فهي أصعب استئصالاً. يقبل الناس بطيبة خاطر التضحيات طالما لا تكلفهم شيئاً، وطالما لا تحرمهم من شيء، لأن المال ما زال يتسلّط على عواطفهم تسلطاً شديداً، وقليلون هم الذين يفطنون لكلمة كماليّات عندما يتعلق الأمر بثروتهم. لهذا السبب، فإن نكران الذات هو أسمى علامات الارتقاء في الإنسان.

ـ 8 ـ

يسأل البعض هذا السؤال: هل تعلم الأرواح تعاليم أدبية جديدة أسمى مما علّمه المسيح؟ وإذا كانت هذه التعاليم الأدبية هي نفس التعاليم التي جاءت في الإنجيل، فما الفائدة منها؟ هذا الاستدلال يشبه كثيراً استدلال الخليفة عمر حينما سألوه بشأن مكتبة الإسكندرية فأجاب: إن كانت تحوي ما جاء في القرآن فلا منفعة منها ويجب حرقها، وإن كانت تحوي ما يخالف القرآن فهي مضرة ويجب إذن حرقها. لا تحوي الأرواحية تعليماً أدبياً مختلفاً عن تعاليم المسيح، ولكننا نسأل بدورنا: أما كانت موجودة قبل المسيح النواميس التي أعطاها الله لموسى؟ ألا نجدها في الوصايا العشر؟ هل نقول إذن من جراء ذلك إنها لم تكن لها فائدة. ونسأل أيضاً الذين ينكرون منفعة التعاليم الأدبية الأرواحية. لماذا يندر عدد العاملين بتعاليم المسيح، ولماذا يكون نفس الذين ما برحوا ينشدون، وبصواب، سمو رسالته، هم أول مخالفي تشريعه الأول، وهو المحبة لجميع الناس؟ جاءت الأرواح لتؤيد تعاليم المسيح كما لترينا فائدتها العملية، فهي توضح وتظهر حقائق كانت تعلّم قبلاً بالتعابير المجازية. وإضافة إلى التعاليم الأدبية جاءت لتفسر المشاكل النفسانية الأكثر غموضاً.

أتى المسيح ليري الناس طريق الصلاح الحقيقي. فإذا أرسله الله ليذكر الناس بنواميسه لأنهم نسوها، فلماذا تريدون أن لا يرسل ليذكرهم بها اليوم الأرواح مرة أخرى، وبدقة كبيرة، بعد أن نسوها، واتخذوا عوضاً عنها الكبرياء والطمع؟ من منكم يتجاسر على الله ويضع حدوداً لقدرته، ويملي القواعد عليه؟ من يقدر أن يقول إنّ ما حصل اليوم ليس هو ما أكدته الأرواح، وإن الأزمنة المتنبأ بها لم تتم بعد، وإننا لم نصل بعد إلى الزمن حيث الحقائق التي أخطأ الإنسان في فهمها أو تفسيرها، ستتكشف على الجنس البشري لإسراع ارتقائه؟ ألا يوجد شيء من العناية الإلهية في هذه التجليات التي تحدث في كل أقطار الكرة الأرضية؟ لم تأتِ هذه التجليات من شخص واحد أو من أحد أتى لينذرنا، وإنما هي نور المعارف الذي بدأ يظهر في كل مكان، كعالم جديد بأسره ينبسط أمام أنظارنا. مثلما أن اختراع المجهر كشف لنا عالم الكائنات الفائقة الصغر التي كنّا لا ندري بوجودها، ومثلما المرقب كشف لنا في الفضاء آلاف العوالم التي كنّا لا ندري بوجودها أيضاً، وكذلك المخاطبات مع الأرواح كشفت لنا العالم اللامرئي الذي يحيط بنا، ويجانبنا على الدوام، ويشترك في كل ما نفعله دون معرفتنا. لندع الوقت يمر قليلاً، فإن وجود هذا العالم، الذي

ينتظرنا، سيكون مؤكداً لا جدال فيه كوجود العالم المجهري والعوالم المبعثرة في الفضاء الكوني. هل يصح القول بأنه لا فائدة هناك من كشف ذلك العالم بأسره لنا، ومن تلقيننا (initiation) بأسرار الحياة التي تعقب الموت؟ وهذه الاكتشافات العلمية الكبيرة، ألم تغيُر أيضاً أو حتى تقلب آراء كانت تعتبر مؤكدة جداً، ألم نضطر في شأنها أن ننكس رأسنا إزاء البرهان البين؟ هكذا سيحدث نفس الشيء في الأرواحية، وفي وقت قصير، سيكون لها حق المواطنة بين المعارف البشرية.

لقد كانت نتيجة المخاطبات مع كائنات عالم ما بعد الموت، أن أفهمتنا الحياة الآجلة وارتنا إياها، وأطلعتنا على المحن والمتع التي تنتظرنا وفقاً لاستحقاقاتنا، ومن ثمّ، أعادت إلى الروحيات أولئك الذين كانوا لا يرون في الإنسان سوى المادة أو آلة مزودة بأعضاء. لذلك، فقد كنّا على صواب حين قلنا إن الأرواحية قتلت المادية. وحتى لو كانت تلك هي نتيجتها الوحيدة، لكانت تستحق شكر الهيئة الاجتماعية. لكن تأثيرها يفوق ذلك، فهي ترينا عواقب الشر التي لا مفرّ منها، وبالتالي، احتياج الإنسان إلى أن يعيش عيشة صالحة. إن عدد الذين أعادتهم الأرواحية إلى الاستقامة وأبطلت ميولهم السيئة أو أبعدتهم عن الشر، أكبر بكثير مما يظن الناس وهم في ازدياد مستديم. والسبب هو أن المستقبل لم يعد مبهماً لهم، ولم يعد مجرد أمل ضعيف، بل أصبح حقيقة يفهمونها ويفسرونها حين يرون ويسمعون الذين فارقونا يبكون أو يغتبطون بما فعلوه على الأرض. وكل من يشهد هذه الأشياء يبدأ بالتفكير والشعور بضرورة معرفة نفسه، فيحكم في حالته ويصلح سلوكه.

ـ 9 ـ

لم ينس مقاومو الأرواحية أن يطعنوا فيها بسبب اختلافات في الآراء في بعض نقاط من المذهب. ولكن لا يدهشنا، أنه في بداءة علم جديد، أي في طور المراقبة، حيث يتأمل فيه كل واحد من وجهة نظرة الشخصية، أن يكون معرضاً لآراء شخصية متناقضة. لكن غالبية هذه الآراء زالت اليوم، بعد أن درست دراسة دقيقة، وبخاصة الرأي الذي ينسب جميع المخاطبات إلى أرواح الشر، كمن يقول إن الله لا يقدر أن يرسل أرواحاً صالحة إلى الناس. هذا رأي غير معقول، لأن الوقائع تكذبه، وهو رأي مجدف لأنه ينكر قدرة الخالق ومحبته لمخلوقاته. لقد قالت لنا الأرواح تكراراً بأن لا نقلق من هذه الاختلافات في الآراء، وعما قريب ستتم الوحدة فيها. والواقع أن الوحدة تمت في أكثرية النقاط، وبدأت تقل الاختلافات تدريجياً. سئلت الأرواح السؤال التالي:

ريثما تتم وحدة الآراء، على ماذا يبنى الإنسان العادل والمنزه عن أغراض شخصية رأيه ليحكم في الأمر؟ فأجابت:

الضوء الصافي تماماً لا تحجبه الغيوم، والماس الخالص النقاء هو الأغلى ثمناً. لذلك، ليكن حكمكم في الأرواح وفقاً لصفاء تعاليمهم. لا تنسوا أن هناك أرواحاً لم تتحرر بعد من أفكار الحياة الأرضية. ليكن تمييزكم بينهم مبنياً على سياق كلامهم، وحكمكم فيهم على مجموع أقوالهم. شوفوا إذا كان هناك تسلسل ومنطق في أفكارهم، وإذا كانت أقوالهم تدل على الجهل والكبرياء وسوء القصد، وباختصار، إذا كانت مطبوعة دائماً بطابع الحكمة التي هي علامة الارتقاء الحقيقي. لو كان عالمكم غير متقبّل للخطأ لكان عالماً كاملاً، ولكنه بعيد عن الكمال. فأنتم لا تزالون تتعلّمون كيف تميزون بين الخطأ والحقيقة، لذلك فأنتم تحتاجون إلى اختبار الأمور لتتعلّموا ممارسة حكمكم وإنجاز ارتقائكم. ستتمّ وحدة الآراء بحيث لا يخلط أبداً الخير مع الشر، وسينضم الناس إلى المذهب بحكم الأحوال، لأنهم سيدركون أين توجد الحقيقة.

على كل حال، لا يهم إذا خرج بعض أناس عن وحدة الآراء، لأن خروجهم يعود إلى اختلاف في المظهر أكثر مما هو في الجوهر. لاحظوا أن المبادئ الأساسية ما زالت بلا تغيير في كل مكان وستجمعكم في فكرة واحدة، وهي حب الله وممارسة الخير. إذن، مهما كانت طريقة الارتقاء التي يتبعها المرء أو أحوال الحياة القادمة، فالهدف واحد هو عمل الخير. وليس هناك طريقان لإصابة هذا الهدف.

إذا كان بين إتباع الأرواحية بعض أناس تختلف آراؤهم في بعض النقاط النظرية، فجميع أتباعها يتّفقون على النقاط الأساسية. يوجد إذن وحدة في الآراء، باستثناء عدد صغير من الأتباع ما زالوا ينكرون تدخل الأرواح في المخاطبات وينسبونها، إمّا إلى أسباب مادية بحتة، وهو ما يخالف القاعدة القائلة: لكل مُحْدَث عاقل مَحْدث عاقل، أو إلى انعكاس فكرنا، وهذا تكذبه الوقائع[1]. أما النقطة الأخرى فهي ثانوية ولا تؤثر البتة على القاعدة الأساسية. إذ قد يوجد فريق من الباحثين يحاول توضيح بعض النواحي التي يدور حولها الجدال في علم الأرواح، ولكن لا يجوز

---

(1) يشير الان كاردك إلى الطبقة الأولى من أتباع الأرواحية المذكورين في الجزء 7 من الخاتمة، أي إلى الذين لا ينكرون المخاطبات مع الأرواح، ويدرسونها كمادة من علم اختباري، ولكنهم يدرسون فقط النواحي النظرية = = التي وراء الحالات النفسانية، وكانوا يسمّون me tap sychologues ويسمون في أيامنا الحاضرة parpa sychologues. _ (ملاحظة المترجم).

ظهور طوائف تتنافس بين بعضها. قد يوجد مقاومة فقط بين الذين يريدون الخير والذين يفعلون الشر أو يمارسونه. ولكن لا يوجد أحد من تابعي الأرواحية الصادقين المتيقّنين من مبادئها الأدبية الكبرى التي علمتها الأرواح، يريد الشر أو يتمناه لمثيله في البشرية، بصرف النظر عن اختلاف الآراء. فإذا كان بعض الناس الذين ما يزالون في الضلال، فسيأتي إليهم النور عاجلاً أو آجلاً، إذا طلبوه بنية سليمة وبغير تعصب. وربّما يتم ذلك، هناك صلة واحدة تجمع الأتباع في فكرة واحدة وهدف واحد. فلا يهم الطريق الذي يسلكونه، طالما أنه يقودهم إلى ذلك الهدف. لا يجوز لإحدى الطوائف أن تسود على أخرى بالإكراه المادي أو المعنوي، لأن أي رأي ساخط ينطق به أحد ضد معارضيه هو رأي ضال لأنه تحت إمرة أرواح شريرة. على العقل تبنون برهانكم في أية قضية، وبالاعتدال تضمنون نصر الحقيقة لأن الاعتدال أفضل من الاحتدام المسمَّم بالحسد والغيرة. لا تعلّم الأرواح الصالحة سوى الاتحاد ومحبّة النظير في البشرية، ولم تصدر أبداً فكرة سيئة القصد أو مخالفة للمحبة من هذا المصدر الصافي. وفي الختام، لنصغ في هذا الشأن إلى نصائح روح مار أغسطينس:

منذ أقدم العصور تصادم الناس وسخطوا على بعضهم، باسم الله، إله السلام والرحمة، واستاء الله من هذا التدنيس لقدسيته. والأرواحية هي العامل الذي سيجمع الناس يوماً، لأنها ستريهم أين الحقيقة وأين الضلال. غير أنه لوقت مديد سيكون هناك الكتبة الخبثاء والفريسيون المراؤون الذين سيرفضونها كما رفضوا المسيح من قبل. أتريدون أن تعرفوا أية أرواح تهيمن على الملل التي اقتسمت العالم؟ أنتم تعرفونها من أعمالها ومن مبادئها؟ لا تحرض الأرواح الصالحة أبداً على ارتكاب الشر، ولا تنصح أو تبرر أبداً القتل أو استعمال القوة. وهي لم تثر أبداً الحقد بين الأحزاب ولا التعطش إلى المال والتكرمات ومتاع الأرض. إنها تستحب فقط أولئك الذين هم لطفاء وإنسانيون وسمحاء مع جميع الناس، ويحبهم المسيح أيضاً، لأنهم يسلكون الطريق الذي أراهم إياه والذي قادهم إليه.

مار أغسطينس

فهـرس

سيرة وجيزة عن حياة ألن كاردك 5
هذا الكتاب 7
مقدمة المترجم 11
مدخل إلى دراسة مذهب الأرواح 15
الأرواحية والروحانية 15
النفس ـ المبدأ الحيوي والمائع الحيوي 16
تعاليم الأرواح ومناهضوها 19
ظواهر ذكية 22
تنمية الكتابة النفسانية 24
خلاصة تعاليم الأرواح 25
العلم والأرواحية 31
المثابرة والجدّ 34
المدّعون بالاتزان العقلي 35
مخاطبة الأرواح والقوة الشيطانية 37
الكبار والصغار 39
تحقيق شخصية الأرواح 39
الفروق في المخاطبات 42
مسائل ضبط الكتابة 44
الجنون وأسبابه 44
النظرية المغناطيسية ونظرية البيئة 46
ملء فراغات الفضاء 50
تمهيد 53
السفر الأول: المحدثات الأولية 57
الفصل الأول: الله 57
الله واللانهاية 59
الدلائل على وجود الله 59

سجايا اللاهوت 61
الحلول 62
الفصل الثاني: عناصر الكون العامة 65
معرفة مبدأ الأشياء 67
الروح والمادة 67
خواص المادة 70
الفضاء الكوني 71
الفصل الثالث: الخليقة 73
تكوين العوالم 75
تكوين الكائنات الحيّة 76
إسكان الأرض ـ آدم 77
تنوع الأجناس البشرية 78
تعدد العوالم 79
اعتبارات ومطابقات الكتاب المقدس بشأن خلق العالم 80
الفصل الرابع: المبدأ الحيوي 85
كائنات عضوية ولا عضوية 87
الحياة والموت 88
الذكاء والغريزة 90
السفر الثاني: العالم الأرواحي 93
الفصل الأول: الأرواح 93
أصل الأرواح وطبيعتهم 95
العالم النظامي الأولي 97
شكل الأرواح ووجودها في كل مكان في آن واحد 97
إطار الروح 99
مختلف درجات الأرواح 100
التدرج الأرواحي 100
تقدم الأرواح المتصاعد 107
الملائكة والشياطين 111
الفصل الثاني: تجسد الأرواح (تأنسها) 115
الغرض من التجسد 117

النفس 118
المادّية 122
الفصل الثالث: الرجوع من الحياة الجسدية إلى الحياة الروحية 127
الروح بعد الموت وفرديتها. الحياة الأبدية 129
انفصال الروح عن الجسد 130
اضطراب الأرواح بعد الموت 133
الفصل الرابع: تعدُّد الحيوات 135
التجسد المتكرِّر 137
عدالة التجسد المتكرِّر 138
التجسد في مختلف العوالم 139
ارتحال الأرواح لارتقائها وتدرجها 144
مصير الأولاد بعد الموت 147
الجنس (مذكر ومؤنث) عند الأرواح 148
القرابة والنسب 149
المشابهات الجسدية والمعنوية 150
الأفكار الفطرية 153
الفصل الخامس: اعتبارات بخصوص تعدد التجسدات 155
الفصل السادس: الحياة الأرواحية 167
الأرواح التجوالية 169
العوالم الاجتيازية أو الانتقالية 171
أحاسيس الأرواح ومشاعرهم وعذاباتهم 173
بحث نظري في الحاسّة عند الأرواح 177
اختيار التجارب 182
العلاقات بين الأرواح بعد الموت 189
علاقات انجذابية وتنافرية بين الأرواح 192
تذكر الحياة الجسدية 195
ذكرى الأموات ـ المآتم 198
الفصل السابع: العودة إلى الحياة الجسدية 201
الاستعداد للعودة 203
انضمام الروح إلى الجسد. الإجهاض 206

المقدرات الأخلاقية والعقلية 209
تأثير الجسد على الروح 210
البلاهة والجنون 212
الطفولة 214
الانجذاب والنفور بين الناس 217
نسيان الماضي 218
الفصل الثامن: تحرر الروح 225
النوم والأحلام 227
زيارات أرواحية بين الأحياء 231
نقل الفكر نقل خفي 233
الإسبات والتخشب. الوفيات الظاهرة 234
الترويص (الرويصة) 235
الانخطاف 238
البصر الثاني 239
بحث نظري ملخص في الترويص والانخطاف والبصر الثاني 241
الفصل التاسع: تدخل الأرواح في عالم الجسد 247
معرفة الأرواح لأفكارنا 249
الأرواح وتأثيرهم الخفي على أفكارنا وأفعالنا 249
المسكونون (المسيطر عليهم) 252
التشنجيون 254
تودد الأرواح إلى بعض أشخاص 255
الملائكة الحارسة والأرواح الحامية والعشيرة والمنجذبة 257
الاستشعارات 265
تأثير الأرواح على أحداث الحياة 266
تأثير الأرواح على ظواهر الطبيعة 270
الأرواح أثناء المعارك 272
التعاقد مع الأرواح 273
القوة الخفية. الطلاسم. السحارون 274
البركات واللعنات 276
الفصل العاشر: أشغال ومهمات الأرواح 277

الفصل الحادي عشر: الممالك الثلاث 287
الجوامد والنباتات 289
الحيوانات والإنسان 290
التقمص 297
السفر الثالث: النواميس الخلقية 301
الفصل الأول: الناموس الإلهي أو الطبيعي 301
مميزات الناموس الطبيعي 303
معرفة الناموس الطبيعي 304
الخير (البر والصلاح) والشر 307
تقسيم الناموس الطبيعي 310
الفصل الثاني: سنة العبادة 313
غرض العبادة 315
العبادة الظاهرة 315
حياة التأمل 317
الصلاة 317
الشرك 320
الذبائح 321
الفصل الثالث: سنة العمل 325
ضرورة العمل 327
حد العمل. الراحة 328
الفصل الرابع: سنة التوالد 331
سكان العالم 333
تعاقب الأجناس وارتقاؤها 333
الموانع ضد التوالد 334
الزواج والعزوبة 335
الضر (تعدد الزوجات) 336
الفصل الخامس: سنة البقاء 337
غريزة البقاء 339
وسائل البقاء 339
التمتع بالمتع الأرضية 341

الحاجيات والكماليات 342
الامتناعات الإرادية. التقشف 343
الفصل السادس: سنة الهدم 347
الهدم اللازم والهدم المفرط 349
الكوارث المخربة 350
الحروب 352
القتل 353
القساوة 354
المبارزة 355
عقوبة الإعدام 356
الفصل السابع: سنة الاجتماع 359
الحاجة إلى الحياة الاجتماعية 361
حياة العزلة. نذر الصمت 361
الروابط العائلية 362
الفصل الثامن: سنة الارتقاء 365
حالة الفطرة 367
سير الارتقاء 367
الشعوب المنحطة 370
المدنية 373
ارتقاء التشريع البشري 374
تأثير الأرواحية في الارتقاء 375
الفصل التاسع: سنة المساواة 377
المساواة الطبيعية 379
التباين في الكفاءات 379
التباينات الاجتماعية 380
التباين في الثروات 380
تجارب الغنى والفقر 382
مساواة حقوق الرجل والمرأة 383
المساواة أمام القبر 384
الفصل العاشر: سنّة الحرية 385

الحرية الطبيعية 387
الرق 387
حرية التفكير 388
حرية المعتقد 389
حرية الاختيار 390
القضاء والقدر 392
معرفة المستقبل 397
ملخص نظري في بواعث الإنسان 398
الفصل الحادي عشر: سنّة العدالة والمحبّة والإحسان 403
العدالة والحقوق الطبيعية 405
حق التملك - السرقة 407
الإحسان والمحبة إلى الآخرين 408
حب الأم لأبنائها وحب الأبناء لأبويهم 410
الفصل الثاني عشر: الكمال الأدبي 411
الفضائل والرذائل 413
الأهواء والشهوات 417
الأنانية 419
ميزات الإنسان الصالح 422
معرفة الذات 423
السفر الرابع: الآمال والتعازي 427
الفصل الأول: المحن والمتع الدنيوية 427
نسبية السعادة والشقاء 429
موت الأحباب 434
الخيبة. ذكرات الجميل. المودات المحطمة 435
الزواجات المتنافرة 436
الخوف من الموت 438
القرف من الحياة، الانتحار 439
الفصل الثاني: المحن والمتع المقبلة 445
العدم، الحياة الأجلة 447
الشعور البديهي بالمحن والمتع المقبلة 447

تدخل الله في المحن والمجازاة..... 448
ماهية المحن والمتع المقبلة..... 449
المحن الدهرية..... 456
التكفير (الإيفاء) والتوبة..... 458
مدة المحن الآجلة..... 461
قيامة الجسد..... 468
الجنة والجهنم والمطهر..... 469
الخاتمة..... 475

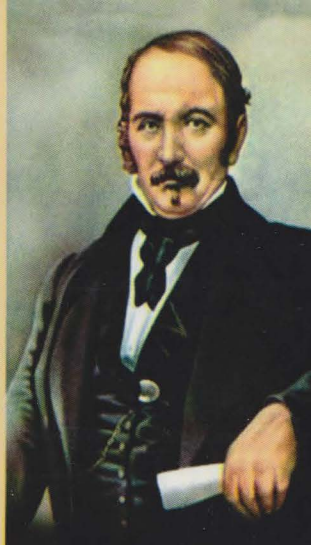

allan kardec

Livre des Esprits

أضاء «كتاب الأرواح» مرحلة حاسمة في الارتقاء البشري، مرحلة نضوج الإنسان عقلياً وروحياً، ورغم أن الثقافة العصرية قللت من قيمة الكتاب، بمقتضى المفترضات الدينية، فإنه يندمج تاريخياً في مساق تطورنا الثقافي.

طيلة قرن كامل، قرأ هذا الكتاب الأرواحيّون وحاربه اللاأرواحيون، ولم يفلت من محرقة المحاكم الدينية في ميدان عام.

نُشر الكتاب لأول مرة في باريس في يوم 18 أبريل سنة 1857، وظهرت الطبعة الثانية والنهائية، في ذات المدينة، في 16 مارس سنة 1860. بين هاتين الطبعتين، تطورت الحركة الأرواحية في فرنسا وفي العالم، وفي المدة نفسها ، ظهرت منظمات أرواحية عديدة، ومنشورات مخصصة تتناول تعاليم الأرواح في العالم كله، لقد بدأ العهد الأرواحي.

و«كتاب الأرواح» هو أول كتاب يسلك مجرى فلسفياً جديداً هو «الدراسة النقدية للعقائد». غرضه الأساسي هو الارتقاء، وطبيعة هذا الارتقاء جدلية، خدمة للعقول التي تريد النور.

أعاد الكتاب وحدة المعارف على نحو وثيق بحيث يتوافق الإيمان مع العقل، ويبرز كلاهما الهيكل الثلاثي الأركان. الذي يكوّن المذهب الأرواحي، العلم والفلسفة والدين.

الناشر